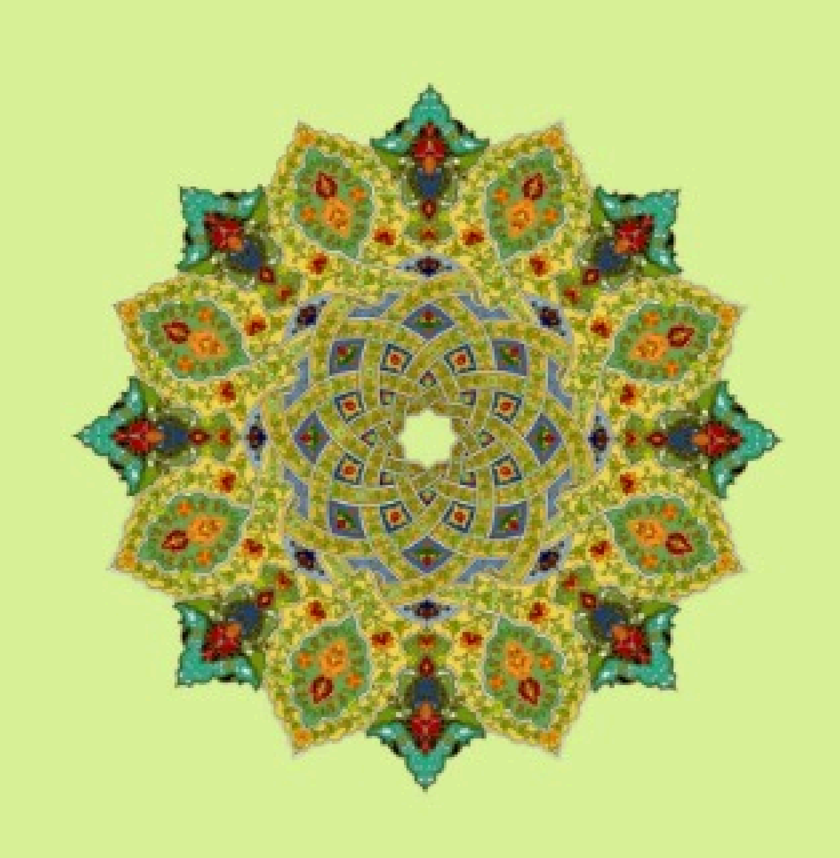


مجلة المجمع العلمي العراقي



فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م
الجزء (الثالث) المجلد (التاسع والستون)
آب ٢٠٢٢م - محرم ١٤٤٤هـ





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والستون

آب٢٠٢٢م ــ محرم ١٤٤٤هـ

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لا تنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا او تنظيما خاصا .

٧- لا تنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لا تنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لأي من المؤسسات .

٩- لا تنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولا يمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) نسخة واحدة من المجلّة مع خمس مستلات من بحثهِ وللمجمع حق التصرف بما يبقى من نسخ المستلات.

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي العراقي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

المحتويـــات

الجزء الثالث/المجلد التاسع والسـتون

الألغاز النحويّة: بين التَّكلُّف والمِران
(كتاب الأفزَرِيّ أنموذجًا)

الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان

جامعة الإمام الصادق (ع)/ كليّة الآداب

الملخص:

كتاب لغويّ نحوي طريف، يُظهِرُ تَمُكَّنَ مؤلِّفه من علوم العربيّة، هذا العالم الذي لم يأخذ ما يستحقّ من التعريف، ولا مؤلفاته من التحقيق والذيوع والانتشار، على الرغم من اجتهاده وأعلميّته في الطبّ والدين وعلوم اللغة، مثلما وُصِفَ عند من أشار إلى هذه المؤلفات، فلم يَذكُرْ كُتّابُ السِّيَرِ والأعلام إلاّ النزر اليسير عنه وعنها، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده، صورة من صور التفكير النحوي والمران على مسائله من ضمن المنظومات النحويّة التي تُعنَى بعرض الألغاز، والتي يُنسب الاشتغال بها إلى ما قبل القرن السابع الهجري، إذ إنهم كانوا يجرون في تأليفهم الألغاز على طريقة العرب مرّة، وأخرى يزيدون بالتصحيف والقلب والحذف والتبديل، وما يُشبِه من صناعة المُعمّى، وجمّلوها بالتورية فزادوها إبداعًا .

أمّا الأفزريّ في شرحه أبيات الألغاز فيُبيّنُ تحريفَ بعضِ الكلم، ويُوضِّحُ غموضَ العلاقات الدقيقة الخفيّة بين أجزاء تراكيبها، من التي اصطنعها المُلغِز في نظم لغزه، ويبحثُ في مسالك الغرابة المقصودة، والتعقيد المُتعمّد، مُظهرًا القدرة على اكتشاف ما اصطُنِعَ من إبهام وتناقض، لما يُخالف سَنَن العربيّة ؛ ويمكننا أن نطلق على مثل هذه الأبيات: فنَّ الإشكال المتكلف والإلغازِ المنظوم، ويأتي شارحنا ليضع بين يدي قارئه مهارة التمكن من اللغز.

المقدمة:

كتاب (شرح أبيات الألغاز للأفزريّ) كتاب لغويّ نحوي طريف، يُظهِرُ تَمُكَّنَ مؤلِّفه من علوم العربيّة، هذا العالم الذي لم يأخذ ما يستحقّ من التعريف، ولا مؤلفاته من التحقيق والذيوع والانتشار، على الرغم من اجتهاده وأعلميّته في الطبّ والدين وعلوم اللغة، مثلما وُصِفَ عند من أشار إلى هذه المؤلفات [مجلة المورد، الأنوري وكتاباه الإيضاح والدستور، العدد ١ المجلد ٣٢ / ٢٠٠٥]، فلم يَذكُرْ كُتّابُ السِّيَرِ والأعلام إلاّ النزر اليسير عنه وعنها، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده، صورة من صور التفكير النحوي والمران على مسائله من ضمن المنظومات النحويّة التي تُعنَى بعرض الألغاز، والتي يُنسب الاشتغال بها إلى ما قبل القرن السابع للهجرة، ويذكر الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أنّ ازدهار التأليف فيها فيما بعد هذا القرن، وعنده أنهم كانوا يجرون في تأليفهم الألغاز على طريقة العرب مرّة، وأخرى يزيدون بالتصحيف والقلب والحذف والتبديل، وما يُشبِه

من صناعة المُعمّى، وجمّلوها بالتورية فزادوها إبداعًا، حتّى صارت من زينة الشعر، كقولِ بعضهم في القلم [٣/١٠١١]:

وذي خضوعٍ راكعٍ ساجدُ ودمعُهُ من جَفنِهِ جاري

مواظِبُ "الخمس" لأوقاتها منقطعٌ في خِدمةِ الباري

أمّا الأفزريّ في شرحه أبيات الألغاز فيُبيّنُ تحريفَ بعضِ الكلم، ويُوضِّحُ غموضَ العلاقات الدقيقة الخفيّة بين أجزاء تراكيبها، من التي اصطنعها المُلغِز في نظم لغزه، ويبحثُ في مسالك الغرابة المقصودة، والتعقيد المُتعمّد، مُظهرًا القدرة على اكتشاف ما اصطُنِعَ من إبهام وتناقض، لما يُخالف سَنَن العربيّة .

ويمكننا أن نطلق على مثل هذه الأبيات: فنَّ الإشكال المتكلف والإلغازِ المنظوم، ويأتي شارحنا ليضع بين يدي قارئه مهارة التمكن من اللغز ؛ أمّا الألغاز اللغويّة أنفسها فجزئيّة صغيرة من ضمن جزئيّات تراثنا اللغويّ، وجدنا أنّها تستحقّ البحث، ولاسيّما عند (الأفزريّ) الأنموذج في الجمع بين العلوم .

المبحث الأوّل: الأفزري وكتبه والألغاز

أوّلًا: الأفزري هو عليّ بن محمد بن عبد الله (ت ٨١٥ هـ)، مؤلّف (شرح أبيات الألغاز)، تعدّدت مواهبه واهتماماته، ومنها تأليفه مختصر في الطب، وشرحه لتصريفٍ للزنجاني [كشف الظنون لحاجي ٢/ ١٦٢ . ١٦٣] ؛ ويرجّحُ الدكتور محمود الحاج قاسم أنّ لقبه (الأنوريّ) [مجلة المورد: الأنوري وكتاباه الإيضاح والدستور]، و(الأفزريّ) عند الدكتور من توهّم الناسخ، لكنّ هذا اللقب منقول عن معجم المؤلّفين لكحالة [٧ / ٢١٠ ـ ٢١١] ؛ ومنقول أيضًا عن البغدادي في مخطوطات الموصل، وبروكلمان، وفهرس معهد المخطوطات العربية المصوّرة [مجلة المورد: الأنوري وكتاباه الإيضاح والدستور، العدد ١ المجلد ٣٢ / ٢٠٠٥، قراءة في مخطوطات طبيّة ١٧٣ ـ ١٧٤]، أمّا (الأبزري) ففي هديّة العارفين ومعجم المؤلفين [هديّة العارفين ١/٧٢٨، ومعجم المؤلفين ٧/٢١٠]، وفهرس مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا لرمضان ششن كذلك [فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا، استنبول ١٩٨٤، ٢٣، وقراءة في مخطوطات طبية ١٧٤]. وربما كان التبادل بين الأفزري والأبزري هو بسبب القرب في النّطق بين الفاء والباء في استعمال غير العرب .

ومن مؤلفات الأفزري المخطوطة المدوّنة التي وجدناها في سجل مخطوطات مكتبة مجمع البحوث الإسلاميّة في مشهد (بنياد) الكتب الآتية:

١ . الكتاب الذي نحن بصدده: (شرح أبيات الألغاز) الذي جاءت مخطوطاته بعدّة تسميات: شرح الأبيات المشكلة، قم مركز الإحياء، آقاي "سيد" أشكوري، مصورة ١٩٩٠٧. وشرح الأبيات

المشكلة، مكتبة المرتضوي . مشهد، رقم الفيلم ٢٦١٠ . وشرح الألغاز، شيراز "مكتبة" كتابخانه علاء طباطبائي، العدد ١٦٤٢ . وشرح الألغاز، طهران، كتابخانه مجلس شوراى إسلامى، العدد ١٥٤٦٣.

٢ . (شرح تصريف الزنجاني)، مشهد، المكتبة الرضوية المقدسة، العدد ٣٧٧٧١ . ونسخة في قم، مكتبة المرعشي، العدد ١٠١٨٥ . وثالثة في طهران "المكتبة الوطنيّة" كتابخانه ملّي العدد: ٢١٩٠. ورابعة في مشهد شيخ علي حيدر، العدد ١ .

٣ . (رسالة في الطب)، طهران، كتابخانه مجلس شوراى إسلامى، العدد ٥٢٣ . وأصول التراكيب والقرابادين، طب عربي، طهران، علوم سبزشكي، العدد ١٤ ؛ ونذر المعاش في الطب، طهران، مكتبة شهيد مطهري، العدد ٧١٩/٣ ؛ ومختصر الأبزري في الطب، الجامع علمي الأدب والدين، مكتبة المتحف العراقي، رقم ١٢٨ ؛ ويعرض الدكتور محمود الحاج قاسم محمد كتابا الأفزري: الإيضاح والدستور ويرى أنهما كتابٌ واحد في الطب، وفي أكثر من ثلاثين صفحة يتحدّث عن عن هذا الكتاب، وقد اعتمد الدكتور نسخة مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، تحت رقم ٣٧١٣، والرقم العلمي ٢/ ٢٠ خزانة المدرسة الأحمديّة، ويشير الدكتور إلى أهميّة دراسة هذا الكتاب من الناحية التاريخية لأنه يظهر مستوى طبّ العرب المسلمين في القرن التاسع للهجرة على المستوى النّظريّ والتطبيقيّ، في زمن لم يكن فيه مختبرات ولا مجاهر ولا مقياس حرارة ولا جهاز أشعّة ... إلخ، إذ يعتمد طبيب ذلك الزمان على التأمّل والحس والتجريب، وقد وُفِّقَ الأفزري إلى آراء صائبة ولاسيما فيما يؤكل أو يُشرب وغيرهما كثير [قراءات في مخطوطات ١٧٣ . ٢٠٤] .

٤ . تيسير الكافية، طهران المكتبة الوطنيّة، كتابخانه ملّي العدد: ٢١٩٠ . وكتاب الإيضاح، وكتاب الدستور، مكتبة الأوقاف في الموصل، ٣٧١٣، ٢٠/٢. وخيل نامه فارسي، طهران مكتبة دائرة المعارف بزرك إسلامي، مصورة العدد ١٩٢٢/٤.

هذه الكتب تنتظر من يعتني بها، ويوجّه بتحقيقها؛ لأنّها كنوز تراثيّة تعبّر عن مرحلة من مراحل الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ومجلّة المورد الغرّاء هي الأولى بالاعتناء بتراث هذا الرجل ونشره .

ثانيًا: مضمون كتاب الأفزريّ (شرح أبيات الألغاز): الذي يجد دارسه تفكيرًا في الطرق التي تلتوي، وتُشكِلُ على سالكها، إذ إنّ الألغاز: صورة من صور المران النحوي على مسائله، وفي اللغة: يتمرّنُ مرونةً ومرونًا أي يتعوّدُ هذه المسائل، ويتدرّبَ على تداولها [لسان العرب ٦ / ٤١٨٦]، ومنها المنظومات النحويّة التي تعتني بعرض الألغاز، من التي تصلحُ للاختبار والمران.

ويُقال: ألغز كلامه أو في كلامه: إذا عَمّى مُراده وغطّاه ولم يُبيِّنْه، وأضمره على خلاف ما أظهره، يُقال: الزم الجادّة وإيّاك والإلغاز، أي ما يلتوي ويشكل على سالكه [ترتيب جمهرة اللغة لابن دريد ٢٨٨/٣ ؛ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٥٧/٥] .

وشروح هذه المنظومات ومنها كتاب الأفزري: سَعيٌ في كشف غموضها، وفكّ مسالك الغرابة والتعقيد المتعمّد فيها، من التي قصدها ناظمها، ليُظهِرَ هذا الشارحُ أو ذاك القدرةَ على اكتشاف ما يُصطنع من الإبهام والإشكال والتناقض، لكن هذا الإعنات ممّا يُخالف سَنَن العربيّة في قصد الإبانة والوضوح .

قال الأفزريّ في كتابه هذا (شرح أبيات الألغاز)، إنّها: (أبيات شتّى معضلة من جهة الإعراب واللغة والمعنى ممتحنين بها خواطر الألباب منهم، يقال لها الألغاز، أردت أن أشرح لها شرحًا يبيّنُ وجوه الإعراب، بحيث يستفيدون منه استفادة يغني عن الرجوع إلى أحدٍ يرشدهم إلى سلوك الطريق ... [واللغز] في الأصل لطريق ملتوية، ومنه لنافقاء اليربوع اللُّغَيْزاءُ لعدولها عن السواء، فصار في الاصطلاح العرفي: لكلّ كلام مُعَمًّى مضمر فيه خلاف ما هو مظهر منه) [مقدّمة هذه المخطوطة]، وتعمية الكلام إخفاؤه، ذلك إذا عَمّى المُلغِزُ مُرادَه [الكليّات للكفوي ٢٥٩] .

وفي معجم الفروق اللغويّة: (إنّ الكلام إذا دلَّ على اسم شيء من الأسماء بذكر صفات له تميّزه عمّا عداه، كان ذلك لغزًا ؛ وإذا دلَّ على اسم خاصٍّ بملاحظةِ كونه لفظًا بدلالة بيّنة تؤثره، سُمِّي ذلك مُعَمًّى، فالكلام الدَّالّ على بعض الأسماء يكون مُعَمًّى من حيث إنّ مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز على حروفه، ولُغزًا من حيث إنّ مدلوله ذات من الذوات بملاحظة أوصافها، فعلى هذا يكون قول القائل) [٤٦٦]:

يا أيُّها العَطّارُ أعرِب لنا   عن اسمِ شيء قَلَّ في سومَكَ

تَنظُرُهُ بالعَينِ في يقظةٍ   كما ترى بالقلبِ في نَومِكَ !

مُعمًّى؛ أي أنّ الكلام الدال على بعض الأسماء الوارد في البيتين المذكورين آنفًا يكون مُعَمًّى؛ لأنّ مدلوله ذات من الذوات، لا بملاحظة وصفٍ من أوصافها، فعلى هذا يكون حلّ التعمية: (نَومِكَ) اسم في (كمون)، بقلب ترتيب أحرف الكلمة، أي استخرج المعمّى اللفظ من تحليل لفظ مفرد بطريق الرمز والإيماء، وهذه التعمية من الأحاجي المُغلقة والكَدِّ البعيد، أمّا اللغز النحوي فهو العرض الذي يُظهر من النظام اللغوي غير ما تعوّده الذين يشتغلون به، فيُخفِي المُلغِز غير ما يُظهر، والإلغاز أيسر في المران، يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ: إنّ الأحاجي (تشبه الأغاليط التي يسميها عامّة مصر "بالفوازير" وهي بهذا المعنى أعمّ من الألغاز، وإن كان الأصل في كلّها واحد) [تاريخ آداب العرب ٣ / ١٠١١] .

وفي التعريفات: "اللُّغزُ [عامّة] مثل المُعَمّى، إلاّ أنّه ربما يجيء على طريقة السؤال، كقول الحريريّ في الخمر [التعريفات ١٠٩]:

وما شيءٌ إذا فسدا   تحوّلَ غيّه رَشَدا"

وفي الأحاجي النحوية للزمخشريّ:

أخبرني عن حِلفٍ ليس بحِلفٍ، وعن إمالة في غير إلف

الأول قولهم: بالله ألّا زرتني وبالله لمّا لقيتني وبحقّ ما بيني وبينك لتفعلَنَّ، صورته صورة الحلف وليس به لأنَّ المراد الطلب والسؤال؛ والثاني إمالة الفتحة قبل راء مكسورة نحو: الضّرر، وقالوا من عُمَر؛ فأمالوا فتحة العين وأجنحوها إلى الكسرة؛ لأنّ بينها وبين الراء حاجزًا غير حصين وهو الميم [الأحاجي ٧٤ . ٧٥، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٧٠] .

ومن الألغاز التي تدخل فيما نحن فيه ما جاء في الإفصاح للفارقي:

جاءك سلمانَ أبو هاشِمًا   وقد غدا سيّدها الحارثُ

جاء: فعل ماضٍ، وكاف التشبيه جارّة لـ (سلمان) بالفتحة نيابة عن الكسرة، وفُصِلَت هذه الكاف عن (سلمان) لأجل الإلغاز، وأبوها مرفوع بالفعل جاء، والتقدير: (جاء أبوها كسلمان)، و(شِمَنْ) أمر من شام البرق يشيمه: إذا أبصره ونظر إليه، والنون نون التوكيد الخفيفة، فأبدل منها ألفًا، مثلما كان في ضبط نسفعن من قوله تعالى: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ـ العلق ١٥)، والتقدير: (جاء أبوها كسلمان شِمْنَ سيّدها وقد غدا الحارث) [١٢٤] .

ونقولُ: إنَّ المُراد من الإلغاز مثلما عرضنا: الإخفاء لامتحان الأذهان، إذ يقصدُ المـُلْغِزُ مخالفة المألوف فيما يصطنعه في لُغزه، متعمّدًا تغيير العلاقات المتعارف عليها بين الدالّ والمدلول، في مقاطع الكلمات أو كتابتها مفردة أو مركبة ؛ ويقول المدافعون عن هذا التوجّه إنّه (عملٌ إبداعي خلّاق ... يجعلنا ندرك الأشياء من حولنا إدراكًا أفضل، ويعمق وعينا ...) [المزهر ٥٧٨/١] ؛ و(أنّه يُنشّط الذهن ويُحفّز الخاطر، ويُنير العقل، بأسئلة ملغوزة، ويتركك وفكرك إن استطعت فكَّ اللغز وحلّه ...) [الألغاز النحويّة، للسيوطي، مقدمة المحقق] ؛ لكنّ الواقع أنّ جُلَّ مسائلَ الإلغازِ من الكدِّ المُمِضِّ الذي لا طائل تحته .

ويميّز المعنيّون ولاسيما السيّوطي بين (أنواع ألغاز قَصَدَتها العربُ، وألغاز قصدتها أئمّة اللغة، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها، وإنّما قالتها فصادف أن تكون ألغازًا ؛ وهي نوعان: فإنّها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع ... وإنّما سَمَّوا هذا النوع أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها ولا تُفهم من الوهلة الاولى، وتارة يقع الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب والإعراب) [المزهر ٥٧٨/١]، ومن أمثلة السيوطي لأبيات وقع

فيها الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب والإعراب والكتابة، ما نقله عمّن سبقه، قول الفرزدق في الفخر من دون قصد الإلغاز لكنّ كتابته المُلغزة كانت السبب في إدراجه في المزهر [١/٥٨٦]:

يُفَلِّقنَ هامًالم تَنَلْهُ سُيوفنا   بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقِمِ

ويتّضح هذا في كتاب الأمالي للقالي:

يُفَلِّقنَ هامَنْ لم تَنَلْهُ سُيوفنا   بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقِمِ

وها تنبيه، والتقدير يفلِّقنَ بأسيافنا هام الملوك القماقم، ثمّ قال مستفهمًا: من لم تنله سيوفنا؟ [الأمالي ١/ ٢٧٠] .

ويتّضح مثلما سنعرض أنّ الكثيرَ من هذه الألغاز يستند إلى مخالفة نظام الكتابة العربيّة، من مثل الإلغاز بكتابة التنوين نونًا، على غير ما أُسِّسَ به النحو العربيّ، أي عدم تكرار العلامة: الضمّة أو الفتحة أو الكسرة، مثل: هامًا: ها مَن، واستبق أمرٍ: استبق أم رن، وكذلك الإلغاز بتتابع الحروف في دمجها في كلمات، أو فصلها منها، مثل: أقولُ لِخالِدًا: لِ خالِدًا، وكُلُّ بابًا: كُلْ لُبابًا، وسلمانا: سل مانا، ويا مُحمَّدِ زيدًا: يا مُحمَّ دِ زيدًا، وإذا الخِلّ: إ ذا الخلّ، وفِرعَونُ: فِر عَونُ، وفارَقَنا بكرٍ: فار قنا بكر... إلخ .

ونقولُ: إنّ مستوى أبيات الإلغاز ينخفض عن المستوى المألوف المتداول المعروف من اللغة، لا لشيء إلاّ لقصد المُلغزِ الإيهامَ والإبهام، ومخالفة السائد، فلم يشترطوا في التعمية صحّة ضبط حروف الكلمات، ويكتفون بكتابة حروفها من غير مراعاة نظام الكتابة، فلا يجد المتصدّي المُخْتَبَر الكلام على وفق ما يجب أن يكون، فيبادر إلى تخطئة المنشئ صاحب اللّغز أو يتوهم في توجيهه، حتى يأتي الشارح أو قل المتحايل العارف بطرائق التأويل النحوي، الذي يسوّغ للمنشئِ صانع الوهم والغموض، فيشرحه ويبيّن محتواه؛ لذلك يُنصح بإبعاد هذه المسائل عن غير الشداة المتخصّصين، لما تجلبه من الضرر في تداول اللغة وتضييع أسس ضبطها، وهذا ما يفسّر العزوف عنها، وتراجع الاهتمام بها في هذا العصر.

وقد ألّف في هذا الفنّ بعض من اشتهر في التأليف النحوي، فمن كتب الإلغاز المشهورة التي سبقت الأفزري:

توجيه أبيات ملغزة الإعراب للرماني (٣٨٤ هـ) .

والإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي (٤٨٧ هـ) .

والأحاجي النحويّة للزمخشريّ (٥٣٨ هـ) .

والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب لابن عدلان (٦٦٦ هـ) .

المبحث الثاني: أهمّ مسائل الألغاز في كتاب الأفزري

أوّلًا: توجيهات الأفزريّ لما بقي من فعل الأمر على حرف واحد، مثل: وَلي يلي لِ، وَأَى يَئي إِ، ودِيَ يدي دِ، وفى يفي فِ، ويسند هذا تعمية الكتابة، وتوجيهات أخرى، ومنها ما يأتي:

١ . **أقول لِخالدًا يا عمرُو لمّا علتنا بالسيوفُ المرهفاتُ** (المسألة ١٠)

لِ خالِدًا: من الولاية لأنّه أمر من (وَلِيَ يَلي) فالأمرُ: لِ، لفيف مفروق:

وقال الأفزري: (وإن فُصِلت: تُكتب: لِهْ توطئة للوقف عليها، ولتقوم بنفسها، إذ حرفٌ واحد لا يقومُ بنفسه، والمعنى اتّبع خالِدًا، واللغز الآخر بفصل: **علت ناب السيوفُ**، والناب: الجمل المسنّ، علت نابي السيوف المرهفات، أي علت جملي السيوف... علت: فعل ماضٍ أصله "عَلَوَتْ" قلبت الواو أَلِفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها والتقى ساكنان فحذفت الألف لأنّ التاء حرف جيء به بها للإيذان من أوّل الأمر بأنّ الفاعل مؤنث)، [الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ١١٨] .

أمّا مقطعيًّا فكالآتي: ع ـَ / ل ـَ / و ـَ ت

وبسقوط الواو اتصلت الفتحتان القصيرتان لتصبحا فتحة طويلة:

ع ـَ / ل ـَـَ ت مقطع مديد يختصر إلى طويل مغلق:

ع ـَ / ل ـَ ت [المنهج الصوتي للبنية العربي ١٩٤ . ١٩٥] .

ومثل ما تقدّم **أقولُ لِ عبدَ اللهَ، الأمر من ولِيَ** (المسألة ٥):

أقولُ لِعبدَ اللهَ لمّا لقيتُهُ ونحن بوادي الروم: هذا القناطِري

قال الأفزري: (... ولِ: أمر من: ولى يلي، وفاعله أنت المستتر فيه، وعبد: عَلَمُ الرجل، ومنادى مفرد معرفة حُذِف منه حرف النداء تخفيفًا، أي: يا عبد، واللهَ: منصوب على الإغراء [والتحذير]، أي: اتّق الله ... وطِري: من طار يطير، إذا انفرد هي للمخاطبة وأصله: طِيري كبِيعي، قيل نقل اللام إلى موضع العين كما قِسِيٌّ، ثمّ حُذفت العين وهو شاذٌ جدًّا، والياء محلّه رفع على فاعله لكونه مضمرًا مرفوعًا متصلاً) .

٢ . **للّهِ آباؤك يا يزيدُ لِلقومَ يعطوك الذي تريدُ** (المسألة ١٢)

لِ القوم: اتبعهم:

قال الأفزري: (الآباء: جمع أب أصله (أَبَوُ) كجَمَلُ حُذِفت لامه على خلاف القياس، وأجري الإعراب على عينه والقياس أن يقال: أأباو: كأجمال لكن قلبت الهمزة الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها كراهة اجتماع الهمزتين مع عسر النطق بها ساكنة، ثمّ قلبت الواو همزة لوقوعها طرفًا بعد الألف زائدة مثل "كساء" فبقي آباء على وزن أفعال)،أمّا مقطعيًّا فليس كذلك بل كالآتي:

ءَ ـَ ءْ / ب ـَـَ وْ

وقد حلّت الهمزة محلّ الواو لأنها وقعت بعد فتحة طويلة زائدة: ءَ ـَ ءْ / ب ـَـَ ءْ

وقد أسقطت ثانية الهمزتين ومُدَّت حركة ما قبلها فصارت طويلة ءَ ـَ / ب ـَـَ ءْ

٣ . **إذا الخَلَّ زيدًا بالوصالِ تكن له خليلاً وقد خان العهود وضيّعا** (المسألة ٢)

إِ ذا الخلَّ: عِدْ ذا الخَلَّ:

قال الأفزري: (إذا الخَلَّ: إِ ذا الخَلَّ زيدًا، "إِ" أمر مخاطب من وأى يئي، بمعنى وعد يعد، (يُقال: وأيْتُهُ أئيهِ وأيًا، وهو صادق الوأيِ) [معجم مقاييس اللغة ٦/٨٠] .

ومثلها: إينَّ يا هِندُ، أمر المخاطبة: عِدِينَ (المسألة ١٨):

إنّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وأيَ من أضمرَتْ لخلٍّ وفاءَ

قال الأفزري: (في البيت أمر مخاطبة مؤكدة بالنون الثقيلة فاعله "ياء" محذوفة لالتقاء الساكنين). فعل ثلاثي لفيف مفروق، يقولون "وأى: وأيًا، بمعنى وعد ومضارعه يئي والأمر إِ، (بحذف الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة: وأى (يَوئي): يَئي، يَئينَ، وأمر المؤنّث: إي وهذه الياء ضمير المؤنّث، وفي التوكيد: إينَّ يا هِندُ، وحذف الضمير الياء الساكنة ونون التوكيد الأولى الساكنة، فتحذف الياء لالتقاء الساكنين، فتكون إنَّ... وعلى هذا يتخرّج اللغز المشهور)،؛ فالأصل "إينّ" بهمزة وياء ساكنة للمخاطبة، ثمّ حذفت الياء؛ لالتقائها ساكنة مع النون المدغمة [مجلة كليّة التربية، الألغاز النحوية للأزهري ١٢٥، والإفصاح ٦٧] .

٤ . **جاء أبي هاشمًا فأهْلك زيدًا ربّكَ الله يا محمَّدِ زيدًا** (المسألة ٣)

دِ زيدًا: اضرب يدَه:

قال الأفزري: (يا محمَّدِ زيدًا: يا محمَّدِ زيدًا، دِ: أمر مخاطب من (يَدِي): (يَدَيْتُ يَدَهُ: أي ضربتُ يَدَهُ) [ترتيب كتاب العين ٣/١٩٩٥] .

٥ . **أخالِدِ زيدًا واقتل ابني فإنّه أحبَّ إلى قلبي من السمع والبصر** (المسألة ٨)

دِ زيدًا: اعطِه الدّيّة:

(فالهمزة: حرف نداء، وخالِ: منادى مفرد معرفة قد رخّم الدّال منه تخفيفًا، ودِ: أمر مخاطب من "تدِي" وإنما وصل في الخط بـ "خال" وحقّه الانفصال؛ لأنهم أرادوا أن يكون الكلام معمًّى حتى لا يُفهموا إلاّ قليلاً، فلو انفصل عنه في الكتابة لعلم الناظر إليه أنّ أيّ شيء، ولهذا جاز في الإلغاز ذلك خطًّا، وفاعله: أنت، وزيدًا مفعوله، واقتْ: أمرٌ ... يقال: قتا يقتو، إذا خدم، وأنت: فاعله، لابني: جار ومجرور مضاف إلى ياء المتكلم متعلق به عُطف الجملة على الجملة، واللام: متّصل كالدال بخالد، وإنّ: من الحروف المشبهة بالفعل، والفاء: للتعليل، والهاء:

في محلّ النصب على اسم "إنّ" وراجع إلى الابن، وأحبّ: أفعل التفضيل وهو بمعنى المفعول، ومرفوع على خبر "إنّ"، وإلى قلبي: جار ومجرور متعلق بأحبّ أُضيف إلى القلب المضاف إلى ياء المتكلم، ومن السمع كذلك متعلق بأحبّ، ويستعمل "أحبّ" ههنا بمن، والبصر معطوف على السمع، والمعنى: يا من اسمه خالدٌ اعطِ الدية لزيدٍ، واخدم لابني فإنّ ابني أحبّ إلى قلبي من الأذن والعين) .

٦ . **حدّثوني أنّ زيدٍ ضاحكًا قائلٌ: في حِبَّ هندٍ تُسعفِ** (المسألة ٢١)

في حُبَّ: أوفِ حُبَّ:

(فِ: أمر من وفى يفي وفاء وأشبعت كسرة الفاء فتولّدت منه الياء، وفاعله أنت، وحِبَّ: بكسر الحاء ... وحِبّ أمر من حَبَّ يَحِبُّ بالكسر ويجوز الفتح لخفّتها والكسر للإتباع)، وثبات الياء ضرورة [الانتخاب ٦٠] .

ثانيًا: الألغاز الاشتقاقيّة الأخرى التي كانت من أمر المعتل، ويسندها تغيير الكتابة، من مثل:

٧ . **فِرعَونُ مالي وهامانُ الألى زعموا أنّي بخِلتُ لما يعطيه قارونا** (المسألة ١٤)

فعل الأمر (فِر) من **فِر عَونُ**، وها من هامان من الوهى الضعف: فعل ماضٍ:

(فِر: أمر من وفَر يَفِر، إذا أتمّ ... وعَونُ: اسمُ رجلٍ منادى مفرد معرفة قد حُذِفَ حرف النداء منه ... دعاء على القوم القائلين بنسبة الشاعر إلى البخل)، (والوَفر: المال الكثير الذي لم ينقص منه شيء) [ترتيب كتاب العين ٣/ ١٩٧٠] قال الأفزري: (... وها: فعل ماضٍ من "الوهي" وهو الضعف أصله "وَهَيَ" قلبت الياء ألِفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها)، (وهى الحائطُ يَهي وَهًا إذا استرخى)، أمّا مقطعيًّا فكالآتي:

و ـَ / هـ ـَ / ي ـَ : و ـَ / هـ ـَـَ

وبسقوط الياء اتصلت الفتحتان القصيرتان لتصبحا فتحة طويلة ..

٨ . **وقل لمشيي استبق أمرٍ فإنّما نفار الغواني أن تشيب المفارقا** (المسألة ٢٣)

رِنْ من (أم رِن: أمرٍ) أمر مخاطب من ران يرين إذا غلب على قلبه الرَين:

قال الله تعالى "كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ـ المطففين ١٤" أي ستر وغطّى ـ [الإفصاح ٣٠٣]؛ وفي توجيه إعراب أبيات ملغزة [٢١٥]، والمشهور أنّه النوم على العين، وأنت فاعله [الاختيار ص٦١].

٩ . **كلُّ بابًا إذا وصلت إليه هنيئًا ولا تكن عجولاً حريصًا** (المسألة ٢٥)

كُلْ لُبابًا: واللُّبابُ خبز الجواري، ولبّ كلّ شيء مخّه وخلاصته:

قال الأفزري: (كل: أمر من أكل يأكل، أصله أؤكل بهمزتين حُذِفت الهمزة الثانية الأصليّة على غير قياس لكثرة الاستعمال؛ ثمّ استغني بضمة الكاف من همزة الوصل وحذفت، فصار كُلْ وهذا الحذف غير قياسي؛ لأنّ قياس مثله أن تقلب الهمزة الثانية واوًا إذ الهمزتان في كلمة والثانية ساكنة وما قبلها مضموم فاعله أنت، ولبابًا: مفعوله فوصل به خطًّا، واللباب خبز الجواري، ولبّ كلّ شيء مخّه وخلاصته. وفي الإفصاح:

كل بابًا إذا وصلت إليه   هانئًا لا تكن عجولاً حريصًا

كل: أمر من أكل يأكل وكان الأصل فيه أُؤكل ... ولبابًا: يريد به جوف الخبز الليّن ... واجتمعت اللامات فأدغم ... كل لبابًا إذا وصلت إليه أكلاً هانئًا، ثمّ حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه [٢٦٦]، وفي الألغاز النحويّة للأزهري:

كل بابًا إذا وصلت إليه   هيّنًا لا تكن عجولاً حريصًا

موضوع الإشكال فيه: نصب بابًا، وظاهر الكلام يقتضي جرّه بإضافة "كل" إليه، وجوابه: أنَّ قوله كل فعل أمر من أكل يأكل، يعني: كل لباب الخبز إذا وصلت إليه [مجلة كليّة التربية ١١٨] .

١٠ . **بثينةَ شأنها سلبت فؤادي بلا جرم جنيت بها سلا ما** (المسألة ١٥)

سلا بثينة: ما شأنها ؟ سلبت فؤادي بلا ذنب أتيت به:

قال الأفزري: (سلا: أمر مخاطب مبني من سأل يسأل سل، والأسئلة واحده سل، أصله إسأل بهمزتين نُقلت حركة همزته الثانية إلى السين وحُذفت للتخفيف، واستغنوا بحركة السين عن همزة الوصل وحُذفت، وقالوا: سَلْ ... ويقول لها: سلا هذه المحبوبة: أيّ شيء صنعته)، أمّا مقطعيًّا فكالآتي:

ء ـِ س / ء ـَ ل ، ثمّ سقطت (الهمزة) عين الكلمة بلا تعويض، فنُقِلت حركتها إلى فاء الكلمة (السين) التي كانت ساكنة، وبحركة (السين) سقطت همزة الوصل وحركتها التي جيء بها لمنع البدء بساكن، فصار فعل الأمر: س ـَ ل ، بوزن: فَل .

١١ . **لولا مقالي سعيدٍ خالدًا دَنِفًا   لمـّا تشبّث بي إذ قال سلمانا** (المسألة ٢٤)

سل مانا ... لو لام قالي ..

قال الأفزري: (لو: حرف الشرط، وهي لامتناع الشرط لامتناع المشروط، فلو دخل على المثبت لصار منفيًّا، ولو دخل على المنفي صار مثبتًا، إذ امتناع النفي إثبات، ولام: ماضٍ من اللوم، وقالي: فاعله مضاف إلى سعيد وهي اسم فاعل من قلى يقلي قلاء ومقيلة إذا أبغض، ومنه قوله تعالى: "ما ودّعك ربّك وما قلى ـ الضحى ٣ "، وخالدًا: مفعوله، ودنِفًا: حال من "خالدًا"، والجملة وقعت شرطًا، وتشبّث: فعل ماضٍ من التشبّث وهو التمسّك وفاعله ضمير "خالدًا"، واللام

دخلت على جزاء الشرط، وما: للنفي، وبي: جار ومجرور يتعلق به، وإذ ظرف لام وهو الزمان الماضي من غير معنى الشرط، وقال: ماضٍ وفاعله ضمير راجع إلى "خالدًا" أو "سعيدًا" أو قال فإنّ كلَّ واحد من ذلك محتمل، وسل: أمر من تسأل، ومان: فعل، وفاعله ضمير راجع إلى "من" المقدر، أي إسل من "مان" ويحتمل أن يكون موصولة وموصوفة واستفهامية والجملة مقول القول، وما تشبّث إلخ جزاء الشرط والمعنى: لو لام عدوّ سعيدٍ خالدًا ما شقا لـمّا تمسك بي خالدًا، وهذا اللوم في زمان قالي عدوّ سعيدٍ، واسأل هذا ممّن كذب، ولكن لا يكون اللوم ويكون التمسك)، وفي الإفصاح: (لو لام من اللوم، وقالي: فاعل من قلى يقلي ... وسلمانا: لفظتان، الأولى سَل وهي أمر من سأل، ومان: كَذِبَ، يريد: سل هل كَذِبَ؟) [٣٦٩ . ٣٧٠] .

ثالثًا: الوهم بين الحرف المشبّه بالفعل والفعل المؤلَّف من الحروف أنفسها: (أنَّ يَئِنُّ أنًّا):

١٢ . **حدّثوني أنّ زيدٍ ضاحكًا قائلٌ: في حِبَّ هندٍ تُسعفِ** (المسألة ٢١)

المصدر من أنّ يئنّ إنًّى وأنينًا، وهو الحنين مضاف إلى الفاعل:

قال الأفزري: (حدّثوني: فعل وفاعل ومفعول ... والقياس أن يقال: حدّثوني زيدًا إنًّى، لأنّ حدّثَ متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل ... وضاحكًا: حال من زيد، ويروى باكيًا، وهو فاعل "أنّ" معنًى ... وفِ: أمر من وفى يفي وفاء وأشبعت كسرة الفاء فتولّدت منه الياء، وفاعله أنت، وحِبّ: بكسر الحاء الحبيب كخِلّ بكسر الخاء الخليل، مفعول فِ ومضاف إلى هند وهو منصرف ... والمعنى: أخبروني حنين زيد حال كونه ضاحكًا، وقائل بقوله أوفِ بعهد هند حتى تقضي حاجتك، ويروى بكسر الفاء وفتح العين على أن يكون: فِ أمرًا مشبعًا كسرته، وحِبّ أمر من حَبَّ يَحِبُّ بالكسر ويجوز الفتح لخفّتها والكسر للإتباع، وهِن من هان يهين ... ودن: أمر من دان يدين، ومنه المثل: كما تدين تُدان، فأوصلا في الخط كنظائرها، وتُسعف: مجهول وأنت مفعول ما لم يُسمّ فاعله، أي تقضي حاجتك، والمعنى: إنّ الشاعر متعجب من شدّة عشق زيد، فقال: أخبروني حنين زيد حال كونه ضاحكًا، فإنّ الأنين من الحزن والضحك من الفرح، فأيّ شيء لزيد يحنّ ويضحك، فقائل مَن مِنَ القوم يقول: إنّ زيدًا عاشق، فإن أراد زيدٌ أن تقضي هند حاجته فليوفِ بعهد محبته، ذلك لكون الوفاء مع الجَور والجفاء لا ينتج المحبّة والصفاء، ولا ترتجى من الطبع السليم) [الانتخاب ص ٦٠، والإفصاح ٣٠١، وتوجيه إعراب أبيات ملغزة ٢١٣] .

١٣ . **أنَّ حُسينُ يومَ رُحنا ومالكٍ أبا منذرٌ واركب عَليُّ جملاً صفيّا** (المسألة ١١)

أنَّ: فعل ماضٍ من الأنين، وأبى من الإباء، وعليُّ منادى حُذِفَ حرف ندائه:

قال الأفزري: (أنَّ: فعل ماضٍ من الأنين ... ومالكٍ: مجرور بواو القسم وفعلها محذوف، أي أقسم، أبى: فعل ماضٍ من الإباء، ومنذر: علم لِرجل فاعله، وهو جواب القسم، إذا كان ماضِيًا مثبتًا لزم ... واركب: أمر من ركب يركب، وأنت: فاعله، وعليُّ: منادى مفرد معرفة، قد حُذِف

حرف النداء منه تخفيفًا، وهو اسم رجل، والتقدير: يا عليُّ، وجملاً: مفعول اركب، وصفِيًّا: صفته ... وهذا البيت في غاية السماحة) .

رابعًا: الإلغاز بالمعنى البعيد الموهم، مثل: صار: قطع، وجارية: سفينة، ومنا: المين الكذب، الثور: الإقط:

١٤ . **وغُلامٍ رأيتُ صار كلبًا ثُمّ في ساعتين صار غزالا** (المسألة ٣٤)

قال الأفزري: (... ربّ صبيّ أبصرته، وصار: بمعنى قطع ومنه قوله تعالى: "فصُرْهُنّ إليك ـ البقرة ٢٦٠" فيمن ضمّ، وفاعله ضمير غلام، وكلبًا: مفعوله والجملة حال من ضمير المفعول، ثمّ: حرف عطف، وفي ساعتين: جار ومجرور متعلق بصار الثاني، وهو أيضًا بمعنى قطع، وغزالاً: مفعوله ... وهذا يدلّ على مدح الصبي) .

١٥ . **وجاريةٍ في ظلّ قصر رايتُها لها ولدٌ من غيرها وهي عاقر (المسألة** ٣٦)

جاريةٍ: سفينةٍ جاريَةٍ:

قال الأفزري: (الواو: بمعنى ربّ أي رب جارية والمراد بها السفينة، ورأيتها: صفة جارية، وفي ظلّ قصر: ظرف لرأيتها والجواب محذوف أيضًا، ولدٌ: مبتدأ ولها خبر والجملة حال، معناه: ربّ سفينة كبيرة رأيتها في ظلّ حاكم البحر ووضعت عند تلك السفينة زورق كأنه ولد هذه السفينة، لصغره ... ومن غيرها: جار ومجرور متعلق به، هي: مبتدأ، وعاقر: خبر، فهذا الولد متولد من غير الأم لأنّ تلك الأم عاقر ولم تلد ولدًا) .

١٦ . **أبصرتُ جاريةً حسناءَ فائقةً في بطنها رجل في بطنه رجل** (المسألة ٣٣)

الجارية: السفينة:

قال الأفزري: (جارية: مفعوله والمراد بها ههنا: السفينة، وحسناء: صفتها غير منصرف مثل حمراء، وفائقة: صفة بعد صفة، ورجل: مبتدأ أيضًا، وفي بطنها: خبره والضمير راجع إلى الجارية، والجملة صفة أيضًا، والرجل الثاني: مبتدأ أيضًا، وفي بطنه: خبره، والجملة صفة للرجل الأوّل، والضمير عائد إليه، والمراد بالبطن الأول المعروف بالبطن الثاني: القبيلة، معناه: رأيت سفينة جيّدة من السفن، رجل مستقر في باطن تلك السفينة) .

١٧ . **وفي كتُب الحجاج أمثال معشرٍ تعلمها، منا سعيدًا وعامرا** (المسألة ٢٢)

منا: مشتق من المين، أي كذبنا سعيدًا وعامرًا [الإفصاح: ١٨٥]:

قال الأفزري: (... منا: فعل ماضٍ متكلّم مع غيره وفاعله، وسعيدًا: مفعوله، وعامرًا معطوف عليه وهو مشتق من المين وهو الكذب، أي كذبنا سعيدًا وعامرًا، وهما علما رجلين معناه أمثال قوم أنت تعلمها حاصلة في كتب الحجاج اسم رجل علم، ونحن كذبنا سعيدًا وعامرًا وهما رجلان والله أعلم) .

١٨ . رُبّ ثورٍ رأيت في حجر نملٍ وقطاةٍ تحمل أثقالا (المسألة ٣٥)

الثور: الإقطُ أو اللبن المُجفّف:

قال الأفزري: (رُبَّ: حرف جرّ وأصله التقليل لكن كثر استعماله في الكثرة، والمراد بالثور ههنا القطعة من الإقط "مثلثة شيء يتّخذ من ال مخيض الغنميّ"، ورأيت: فعل وفاعل والمفعول محذوف، أي رأيته والجملة صفة ثور وفعلها محذوف وهو تحققت وفي جحر جار ومجرور متعلق به والجحر الثقب وهو مضاف إلى نمل وقطاة عطف على ثور، أي رُبّ قطاة، وتحمل: مضارع فاعله ضمير قطاة، وأثقالاً مفعوله، والجملة صفة قطاة) .

خامسًا: تخفيف الهمزة بحذفها:

١٩ . **سنّورنا في سواد الليل قارية وديكنا في بياض الصبح قانونا** (المسألة ٢٧)

قارية: قاء رئة:

قال الأفزري: (**قارية:** قيل: حذفت الهمزة بعد أن ليّنت تخفيفًا كالرأس، والتحقيق أنّه إجراء الوصل مجرى الوقف فإنّ الهمزة تسكن في الوقف، ثمّ تقلب ألِفًا، ثمّ يحذف أحد الألفين لالتقائهما، وهكذا همزة "قاء"على مثل ذلك، وفاعله ضمير السنوّر، والرئة معروفة، والهاء عوض عن الياء [من رئة، والأصل رئية]، والياء مبدلة من الهمزة تخفيفًا لأنه من الرِئَة كما في مِئَة مِيَة)؛ وتخفف الهمزة المتطرّفة عند القدماء: إذا كان قبلها ألف، فتبدلُ ألفًا وتحذف لالتقاء الساكنين، لذلك قال الأفزري: إنّ الهمزة تسكن في الوقف حتى يمكن حذفها على وفق القاعدة، وفي المنهج الصوتي الحديث: تخفف الهمزة المتطرفة إذا كان قبلها ألف بإسقاطها، (ولا يمكن إبدالها ألفًا كما رأى القدماء لأنّ ذلك سيؤدّي إلى ظهور قمتين في مقطع واحد) .

أمّا مقطعيًّا على رأي المحدثين فتجاور كلمتين وكالآتي: قاء + رِئة:

ق ــَـ / ء ـَ / + ر ـِ / ء ـَ / ت ـَ ن

خففت الهمزة من الكلمة الأولى بحذف مقطعها، أمّا الثانية فخففت بحسب ما يناسب حركة ما قبلها وهي الياء من الكسرة .

٢٠ . إنّ عمرًا بنى عثمان دارًا وشياطينها تُرى بالنهار (المسألة ٣٢)

شيا: من وَشيِ طينِ الدار بطريقة ليدخلها الضوء بالنهار، تُرى والأصل تُرأى:

قال الأفزري: (إنّ: من الحروف المشبه بالفعل، وعمرًا: اسمه ... وبنى: ماضٍ فاعله ضمير عائد إلى عمرو، ودارًا: مفعوله، والجملة خبر إنّ، وعثمان: يجوز بالرفع معطوفًا على محلّ عمرو، والنصب على لفظه، وشيا: فعل الاثنين من [الوشي]، وفاعله الألف وهي راجعة إلى عمرو وعثمان، وطين: مفعوله ومضاف إلى ضمير دار والجملة صفة الدار، وتُرى: مضارع

مجهول وأصله تُرأى نقلت فتحة الهمزة إلى الراء وحذفت لكثرة الاستعمال، وقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومفعول ما لم يسمّ فاعله ضميرٌ راجع إلى الدار، وبالنهار: جار وجرور متعلق به والباء بمعنى "في"، معناه: أنّ عمرًا وعثمان بنيا دارًا وشيا من الوشي طين هذه الدار، وهذه الدار مرتبة ليس فيها ظلمة من كثرة الشبكة والروزنة التي فيها، والغرض منه مدح الدار) .

وتخفيف الهمزة من تُرى مقطعيًّا بحسبِ ما عُرِض:

ت ـُ ر / ء ـَ = ت ـُ / ر ـَ

سادسًا: الإيهام بين الفعل (أتانا) والاسم الدال على التثنية (أُتانا):

٢١ ـ أُتانا عُبيد الله حاتِمِن حيثُ التقينا وسامى عامرٌ زيدًا يقينا (المسألة ٤)

أُتانا: تثنية أنثى الحمار يريد حاتِ ترخيم حاتم وحذف حرف النداء، ومن حرف جر: قال الأفزري: (حاتِ: منادى مفرد معرفة قد حذف حرف النداء منه تخفيفًا، ورخم الميم منه للتخفيف والتقدير: يا حاتِمُ ؛ ومن: حرف الجر لمجرد الابتداء به ههنا، سامَى: فاعَلَ من السموّ أصله "سامَوَ" قلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها)، أمّا مقطعيًّا فكالآتي:

س ـَ / م ـَ / و ـَ : س ـَ / م ـَ

أي بسقوط عنصر الضمّة (الواو) اتصلت الفتحتان القصيرتان لتصبحا فتحة طويلة [المنهج الصوتي للبنية العربي ١٩٤ ـ ١٩٥]، ومثلها (لام وأصلها: لَوَم) من المسألة .

وفي الإفصاح: **رمينا حاتِمِن حيثُ التقينا وهذا عامرًا زيدٌ يقينا**وهذا: فاعل من المهاذاة أي الهذيان، وهاذيته: غالبته، وعامرًا: مفعول به [٣٦٤ ـ ٣٦٥] .

٢٢ ـ أُتانا عبيدِ الله وَسْطَ رحالِنا ولم يأتنا ذاك الكذوب المُويّخا (المسألة ١٣)

أُتانا: تثنية أنثى الحمار ... ونصب الموبّخا على الذم [الإفصاح ١٤٨].

قال الأفزري: (أُتانا: اسمٌ مثنى مضاف إلى عبيد الله، وحُذفت النون للإضافة، واحدها: أُتان وهي الأنثى من الحمير، وهو مرفوع على المبتدأ، ورفعه بالألف، ووسْط بالسكون: ظرف مكان مضاف إلى الرحال المضاف إلى ضمير المتكلم مع غيره [يقصد المتكلمين]، وهو مرفوع المحل على خبر المبتدأ والأكثر مقدّر بمفرد أي كائنتان، إذ هو خبر وأصله الإفراد، وعلى التقديرين لمّا حُذِف المقدّر أنتقل الضمير الذي فيه إلى الظرف وهو فاعله وعائد إلى المبتدأ، والرحال: جمع الرحل، كالزناد جمع زند لعود يقدح به .

٢٣ ـ أُتانا عُبيد الله في أرض داره فارقَنا بكرٌ، وفارَقَنا بكرِ (المسألة ٢٦)

فارَقَنا بكرِ: وفار قَنا بكرِ:

قال الأفزري: (أُتانا: تثنية أُتان وهي للأنثى من الحمير سقطت نونه بالإضافة إلى عبيد الله، مرفوع على المبتدأ ورفعه بالألف، وفي أرض: جار ومجرور والأرض مضاف إلى الدار، والدار: مضاف إلى الضمير العائد إلى عبيد الله وهي في محلّ الرفع على خبره، وفارقنا: ماضٍ من المفارقة، ونا: مفعوله، وبكر: فاعله، وفار: ماضٍ من فار يفور فورًا وفورانًا يقصد العين أو القدر إذا غلت، وقنا: الرمح القصير وهو فاعله ومضاف إلى بكر، والفوران من الرمح عبارة عن غلبة إهراق الدماء به، أو سورة القائك منه وإلقائك فيه فنسب إلى الرمح توسعًا ومجازًا، ومعناه: أُتانا عبيد الله مستقرتان في أرض دار عبيد الله، والحال أنّه قد فارقنا بكر، وأهرق الدماء بالرمح) .

سابعًا: الجمع بين ثلاثة ألغاز الإيهام بين المفرد والمثنّى، والفصل الكتابي بين أجزاء الكلمة، وكتابة الفعل أبى بالياء الذي يوهم بالدلالة على الاسم:

٢٤ ـ لقد طاف عبدَ الله بالبيت سبعة وسل عن عبيدُ الله ثمّ أبي بكرُ المسألة ٩)

عبدَ الله: عبدا الله، سل عن: سلعن أي مشى، وأبي بكر: من الإباء أي الامتناع:

قال الأفزري: (الإشكال فيه: من ثلاثة أوجه، أحدها: نصبه عبدَ الله، وهو فاعل بطاف، وجوابه: أنّه أراد تثنية "عبدَ" ... والثاني قوله: فسل عن عبيدُ الله بالرفع، والظاهر يقتضي جرّه بعن، وجوابه: أنّ سلعن فعل ماضٍ من السلعنة وهي ضرب من المشي، وعبيد الله مرفوع به، والثالث: قوله: أبي بكرُ بالرفع، والظاهر يقتضي جرّه بإضافة أبي إليه، وجوابه: أنّ أبى فعل ماضٍ من الإباء، وهو الامتناع، وبكرُ رفع به، فتقدير البيت: فقد طاف عبدان لله بالبيت، ومشى عبيد الله، وامتنع بكر)؛ (فتقدير البيت: طاف عبد الله ومشى عبيد الله وامتنع بكر) [الألغاز النحوية لابن هشام ١٠٨] .

الخاتمة:

عَبرّت هذه الألغاز عن العصر الذي نُظِمَت فيه، والفراغ الذي كان يعانيه التأليف في ذلك العصر، من حيث التوجّه والاهتمام، فكان بعض العلماء يتطارحون بمثل هذه الأبيات تعبيرًا عن التَّمَكّنِ من اللغة وإظهار الحذق فيها، ومن ثَمَّ يتداولها عنهم المتعلّمون. كان ذلك من التكلف والمشقّة وقصد الصعاب، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، وأما المران فالتعوّد، ومرن على الشيء ومرنه فتمرّن درّبه فتدرّب.[لسان العرب م/ مرن]

أمّا كتاب (شرح أبيات الإلغاز) للأفزري، فهو كغيره، يشرح أبيات الألغاز المتداولة المصطنعة ذات الإعنات والتكلّف، وقد يعيد ما شُرِح منها سابقًا، والألغاز نفسها بعيدة كلّ البعد عن اللغة الطبيعيّة مثلما عرضنا، لكنّها في الوقت نفسه ميدان إظهار كفاية المتصدِّين، وبيان تضلّعهم في علوم اللغة، ومقدرتهم في بيان أسرار توجيه مسائلها، وعرضهم لمعلومات لغويّة تُمَيِّزُهم من غيرهم، وكان عدد المسائل التي عرضها الأفزريّ في كتابه هذا سبعًا وثلاثين مسألة،

أظهر تمكنه من توجيه ما شابها من إشكال في نطقها وتركيبها وكتابتها، وعرض أصولها أو تحوّلاتها ومحتملات ما تكون عليه، وحاول أن يعرضها بأسلوب أقرب إلى القبول .

وأخيرًا: لا بُدَّ من التنبيه على وجوب مراعاة نظام الكتابة العربيّة، وقواعدها الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة، ووجوب الالتزام بضبط حروف الكلمات ضبطًا صحيحًا، وإبعاد مسائل الإلغاز عن التداول العام ووسائل الاتّصال، من التي يُقصدُ فيها المُخالفة لهذا النظام، لما تجلبه من الضرر في تداول اللغة، ولاسيما بين الذين صاروا يتحلّلون من قواعد لغتهم، ويضيّعون أسس تداولها الصحيح الفصيح في هذا العصر ... فربّما يتصوّر بعضهم . هداهم الله . أنّ هذه الألغاز تُبيح لهم ذلك، وهذا هو مكمن الخطورة ومصدر التهديد ... والحمدُ لله ربّ العالمين .

المصادر:

. الأحاجي النحويّة، للزمخشريّ، تح مصطفى الحدري، حماة، ١٩٦٩.

. الأشباه والنظائر، للسيوطي، ط ٣، بيروت، ١٩٨٤.

. الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، لأبي نصر الحسن بن أسد الفارقي، تح سعيد الأفغاني، ١٩٧٣ .

. الألغاز النحويّة، للسيوطي، تح طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ٢٠٠٢.

. الألغاز النحوية المنسوب لابن هشام الأنصاري، تح موفّق فوزي الجبر، القاهرة، ١٩٩٧.

. الأمالي، لأبي علي القالي، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧.

. الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة في الإعراب، لابن عدلان الموصلي، تح د حاتم الضامن، بيروت، ١٩٨٥.

. تاريخ آداب العرب، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، القاهرة، ٢٠١٢ .

. ترتيب جمهرة اللغة، لابن دريد، مشهد، ١٤٢٨.

. ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح المخزومي والسامرائي، قم، ١٤١٤.

. التعريفات، للشريف الجرجاني، بغداد، ١٩٨٦.

. توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني، تح الأستاذ سعيد الأفغاني، سورية، ١٩٥٨.

. فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا، استنبول ١٩٨٤.

. قراءات في مخطوطات طبيّة، الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، المجمع العلمي العراقي، ٢٠١٤.

. كشف الظنون، لحاجي خليفة، بيروت، ١٩٤١ .

. الكليّات، لأبي البقاء الكفوي، تح الدكتور عدنان درويش ومحمد المصريّ، قم، ١٤٣٣ هـ.

. لسان العرب، لابن منظور دار المعارف، ١٩٨١ .

. مجلة كليّة التربية للبنات، الألغاز النحوية للأزهري، الدكتور حيدر جبار عيدان، وحسن عبد المجيد، العدد ١٣ سنة، ٢٠١٣.

. مجلة المورد، الأنوري وكتاباه الإيضاح والدستور، الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، العدد ١ المجلد ٣٢ ٢٠٠٥.

. المزهر، للسيوطيّ، تح محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط ٣، القاهرة، د . ت .

. معجم الفروق اللغويّة، لأبي هلال العسكري، ط ٢، قم، ١٤٢١ .

. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تح عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦هـ.

. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت، د . ت .

. المنهج الصوتي للبنية العربية، د عبد الصبور شاهين، بيروت، ١٩٨٠.

. هديّة العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١.

صلة الموصول ليست جملة

الأستاذ الدكتور سعيد جاسم الزبيدي
أستاذ النحو العربي/ قسم اللغة العربية/ كلية العلوم والآداب/ جامعة نزوى

الملخص:

يتناول هذا البحث مسألة نحوية سادت في كتب النحو منذ ما تبناه ابن هشام في تقسيم الجمل من زاوية الإعراب فمنها ما كان لها محل ومنها مالا محل لها ومنها صلة الموصول وقد عثرت على نصوص عند الأخفش الأوسط والفراء والطبري ذهبوا فيها إلى أن الأسماء الموصولة أدوات مصدرية تؤول هي وما بعدها بمفرد مشتق فينتهي البحث إلى أن صلة الموصول ليس جملة.

المقدمة:

للنحو مفهوم واسع يتجاوز ما هو مبسوط في كتب النحو التعليمي؛ إذ يشمل: الصوتيات، والأبنية، والتراكيب[1]. فاقتصر على موضوعات مجزأة، قد لا يكون بينها رابط، وعانى منها المعلم قبل المتعلم!.

وقامت حركة عنيت بتجديد النحو، وتيسيره، وتضمنت آراء ناضجة، وسديدة[2]، ومنها ما تؤرخ به هذه الحركة: آراء إبراهيم مصطفى (ت١٩٦١هـ)، ومهدي المخزومي (ت١٩٩٣م) وغيرهما، ووضعت هذه الحركة أمرين ينبغي للباحثين أن يحققهما:

الأول: تهذيب النحو من الشوائب، وحذف ما يُستغنى عنه، وإلغاؤه، بما نبّه عليه ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) في كتابه (الرد على النحاة).

الثاني: ضمُّ المتشابه من مسائله، ودراسته في دائرة واحدة، وأعني هنا (الأساليب) صوراً، وعناصر، ودلالات.

وسعى كثير من الباحثين يقترحون، ويرسمون، وتوصلوا إلى نظرات متقدمة، ولكنها لم ينتظمها منهج، ولم تأخذ حقّها من التطبيق، فكانت جهوداً فردية لم يكتب لها الذيوع في الوسط التعليمي ولا سيما الدرس الجامعي بمراحله.

---

[1] ينظر: كمال بشر: دراسات في علم اللغة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، القسم الثاني، ص٨٤ .

[2] ينظر: نعمة رحيم العزاوي: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية/بغداد، د.ط، ١٩٩٥م، ص٥٧-١٨٢ .

ومن ذلك ما عرضته في موضوع (الاسم الموصول وصلته) سواءً في محاضراتي: في المراحل الثانوية، والمراحل الجامعية الثلاث: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، إذ تبنيت رأي الفرّاء (ت٢٠٧هـ) في تأويل (الذي وصلته) بمفرد[٣]، ومن خلال نظرته في الآيات القرآنية، ليصل إلى دلالتها في (معاني القرآن)، وظللت أتابع ما توصل إليه الفرّاء، فوجدت هذا الرأي يمتدّ امتداد مسيرة النحو العربي منذ سيبويه (ت نحو ١٨٥هـ)، حتّى يومنا هذا!، وتأثيره عميقاً في كتب (معاني القرآن) و(تفسيره)، فازددت قناعة بوجاهة من طرح مسألة (الذي وصلته) يكوّنان مفرداً: مشتقاً أو مصدراً، لينتفي بهذا التأويل أنّ (صلة الموصول) جملة لا محل لها من الإعراب التي ما زال هذا تتناقله: ألسنة المعلمين، وتكرره شفاه المتعلمين، ويرنّ صداها في قاعات الدرس!.

إنّ النصوص التي سأذكرها: من كتب النحويين، وتأويل أصحاب معاني القرآن وتفسيره كفيلة بإسقاط هذه العبارة التي لا تقوى على مقاومة هذا التوجيه.

فاستقامت عندي خطة هذا البحث على الوجه الآتي:

- مقدمة.
- المبحث الأول: الاسم الموصول: مفهومه، ومصطلحه.
- المبحث الثاني: ما قاله النحويون، وضمّ آراء ثلاثة وعشرين نحوياً، فضلاً عما تناوله المحدثون.
- المبحث الثالث: ما قاله المفسرون: وضمّ خمسةً وعشرين مفسراً بضمنهم مفسرون محدثون.
- الخاتمة ونتائج البحث.

المبحث الأول

الموصول: مفهومه، ومصطلحه

يدعو هذا البحث إلى إعادة النظر في الدرس النحوي وموضوعاته، على وفق ما ورد في (القرآن الكريم) من صور التعبير، والانطلاق منها لصياغة نهج جديد، ومن ذلك (الموصول) مفهوماً، ومصطلحاً، وتقسيماً، ودلالة، وما يشكّله وصلته، وعائده، وحذف أي مبحث افتراضي لم ينطلق من واقع الاستعمال، وهذا ميدان بسط فيه النحويون الكلام بما أثقل الدرس، وأشكل على المتعلم.

---

[٣] ينظر: سعيد جاسم الزبيدي: المشكل في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني، دار كنوز المعرفة/الأردن، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٦٢-١٦٤ .

وطفقت أنقّر عمن تناول موضوع (الموصول وصلته)، فوقفت على:

- الاسم الموصول وصلته – دراسة في معاني القرآن للفراء، للأستاذ الدكتور كاظم إبراهيم كاظم، وهو بحث يقع في (١٧) صفحة، منشور في مجلة التواصل اللساني، المجلد٤، العدد١، سنة ١٩٩٢م، المغرب.
- الموصولات في اللغة العربية – التأصيل والإحالة، رسالة ماجستير أعدها زكريا محمد حسن، كلية الآداب/جامعة مؤتة، سنة ٢٠٠٩م.
- رأي الفرّاء في (الذي) بحث للمؤلف: سعيد جاسم الزبيدي، منشور في كتاب: المشكل في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني، دار كنوز المعرفة/الأردن، ط١، سنة ٢٠٠٩م، ص١٦٢-١٦٥.
- الاسم الموصول في صحيح مسلم – دراسة نحوية دلالية، للباحث حبيب الرحمن حافظ محمد مظهر الحق الأركاني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/كلية اللغات/جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، سنة ٢٠١١م.
- الاسم الموصول وجملة صلته في النحو العربي – عرض وتأصيل، للباحثين: فراس عبدالعزيز عبدالقادر، وشيبان أديب رمضان الحيالي، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين/كلية الآداب/جامعة الموصل، العدد ٦١، السنة ٢٠١٢م.
- الاسم الموصول ودلالته بلاغياً في سورة البقرة، للباحث أحمد عبدالحميد علي خزنة، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/جامعة المدينة العالمية/ماليزيا، سنة ٢٠١٣م.
- الأسماء الموصولة العامة في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية للباحث مطيع سليمان محمد القريناوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/كلية الآداب/الجامعة الإسلامية/غزة – فلسطين، سنة ٢٠١٤م.

ولم أجد في هذه الأبحاث من اعتمد على ما تناقض فيه النحويون في (الموصول) و(صلته)، وما اجترحه أصحاب (معاني القرآن) و(تفسيره)، بالاستقراء الكافي الذي توليت عرضه في هذا البحث، وعلى الوجه الآتي:

- **الاسم الموصول: مفهومه:**

إنّ "معنى الموصول أَنْ لا يتمّ بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتمّ اسماً، فإذا تمّ بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة[٤]".

---

[٤] ابن يعيش: شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، وإسماعيل عبدالجواد عبدالغني، المكتبة التوفيقية/القاهرة، د.ط، د.ت، المجلد الثاني، ص١٠١ .

ليس بالبحث حاجة إلى عرض مسائله: أصله، وتعريفه، وبنائه، وأنواعه، ودلالته، وما يعرض لـه، ولصلته، وغير ذلك، إذ يهدف هذا البحث إلى بيان نظرة جديدة في الاسم الموصول، وصلته، ونبدأ بسرد الألفاظ التي وردت مصطلحاً، أو ما يقاربه في استعمال النحاة:

- **الاسم الموصول: مصطلحه:**

من إشكاليات المصطلح النحوي – التي بسطنا جانباً منها في كتابنا (من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي – رواية اللغة)[٥] – تعدّده في الباب النحوي الواحد، ومن ذلك (الاسم الموصول) الذي كتبت له السيادة أكثر من غيره، وسارت به كتب النحو منذ (كتاب سيبويه) حتى يومنا.

وردت مصطلحات أخرى لم تكتب لها السيرورة، لأسباب منها: أنها وردت في موضع إيضاح وشرح لحقيقة (الاسم الموصول)، أو في تصنيفه بإزاء أنواع (المعارف)، أو أقسام (الكلمة). وسأسوقها هنا على الوجه الآتي:

غير الموقت: استعمل الفرّاء (ت٢٠٧هـ) هذه العبارة وأراد بها غير المحدد، أي أنه مبهم، وشمل بعبارته هذه: النكرة[٦]، وأسماء الشرط[٧]، والاسم المبدوء بأل الجنسية[٨]، والاسم الموصول[٩]، ولم يستعمله غيره[١٠].

– المبهم: ورد هذا اللفظ عند المبرد[١١]، وابن السرّاج[١٢] في (الاسم الموصول) "لوقوعه على كلّ شيء من حيوان، وجماد، وغيرهما[١٣]. واستعمله الزمخشري (ت٥٢٩هـ) [١٤]، وتابعه ابن يعيش

---

[٥] ينظر: سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي، ورواية اللغة، دار كنوز المعرفة/الأردن، ط١، ٢٠١٣م .

[٦] معاني القرآن، تحقيق الجزء الأول: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م، ١/٧، ١٨٥، ٢/٢٥٠ .

[٧] نفسه، ١/٢٤٣-٢٤٤ .

[٨] نفسه، ١/٣٠٩ .

[٩] نفسه، ٢/١٠٣ .

[١٠] ينظر: سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية، ص٥٠-٥١ .

[١١] ينظر: المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/القاهرة، د.ط، ٢٠١٠م، ٣/١٣٠ .

[١٢] ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ٢/٢٦٢.

[١٣] ابن يعيش: شرح المفصل، ٢/١٠٢ .

[١٤] ينظر: المفصل: طبعة مدينة كريستيانيا النروجية، ١٨٧٩م، ص٥٩ .

(ت٦٤٣هـ)[١٥]، وورد عند الأصوليين[١٦].

– الاسم الناقص: لأنه يحتاج إلى صلة وعائد[١٧] ، واستعمله ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)[١٨] ، وأحمد محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ) وأبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)[١٩] ، وذكره القرطبي (ت٦٧١هـ)[٢٠].

– الكنايات: مصطلح متأخر استعمله مهدي المخزومي (ت١٩٩٣م)، وأراد به أن يجمع (الضمائر) و(أسماء الإشارة) في تصنيف جديد[٢١].

– الضمير[٢٢]: جمع في هذا المصطلح الأستاذ يعقوب عبد النبي (توفي بعد سنة ١٩٤٥م) في مخطوطة حملت عنوان (النحو الجديد) التي قدمها إلى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤١م، ولم تر النور حتى الآن، وقال: إنّ الضمير خمسة أنواع: شخصي، وإشاري، وموصول، وشرطي، واستفهامي، تحلّ محلّ الاسم، وتنوب عنه[٢٣]،

وتلقّفها تمّام حسّان (ت٢٠١١م) في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، فقصر مصطلح (الضمائر) على: ضمائر الشخص، وضمائر الإشارة، وضمائر الموصول[٢٤]، وتابعه تلميذه فاضل مصطفى الساقي (ت بعد ٢٠٠٥م)[٢٥] ، وضمّن هذا (ولسن بشاي) محاضرته التي ألقاها

---

[١٥] ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠٢/٢ .

[١٦] ينظر: مصطفى جمال الدين: البحث النحوي عند الأصوليين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام/ بغداد، د.ط، ١٩٨٠م، ص٧١ .

[١٧] ينظر: ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مكتبة المتنبي/القاهرة، ١٩٤١م، ص٣٠ .

[١٨] ينظر: نفسه، ص٣٠ .

[١٩] ينظر: الأنباري: أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٧م، ص٣٨٠ .

[٢٠] ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق صدقي جميل العطّار، والشيخ عرفان العشا، دار الفكر/ بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م، ١٠٤/٤ .

[٢١] ينظر: مهدي المخزومي: في النحو العربي –قواعد وتطبيق، ط٣، ١٩٨٥م، ص٤٦–٥٢ .

[٢٢] ورد في كتاب: مدخل إلى نحو اللغات السامية: سباتينو موسكاتي، وأنطوان شبتلر، وأدفارد أولندورف، وفلهام فون زودن، ترجمة مهدي المخزومي وعبدالجبار المطلبي، عالم الكتب/بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٩١: "ترتبط الأسماء الموصولة في عدة لغات سامية بـ (الضمائر المحددة)" .

[٢٣] ينظر: يعقوب عبدالنبي: النحو الجديد، بحث في مخطوط مقدم إلى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤١م، نقلاً عن: عبدالوارث مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي – دراسة نقدية، دار القلم/الكويت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٢٦–١٢٧ .

[٢٤] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب/القاهرة، ط٦، ٢٠٠٩م، ص١١٠ .

[٢٥] ينظر: أقسام الكلام العربي بين الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي/القاهرة، د.ط، ١٩٧٧م، ص٢٤٥ .

في كلية الآداب/جامعة القاهرة في يوم الأربعاء ١٩٧٤/٧/٢٧م، ما ذكره يعقوب عبدالنبي فأعاد صياغتها على وفق منهج غربي لوحدات الكلام، فكانت:

– وحدات خاصة بالضمائر: الضمائر الشخصية، وضمائر الاستفهام، وضمائر الإشارة، والضمائر الموصولة، وضمائر الشرط[٢٦]، وربّما يخرج باحث آخر بتصنيف جديد!.

وبعد:

فقد عرضنا الألفاظ التي أريد بها بدلاً من مصطلح (الاسم الموصول) فلم تنل من الاستعمال ما يجعلها مصطلحاً مناسباً؛ لأنّ أغلب هذه الألفاظ وردت في تصنيف مجترحيها وحدات الكلام! وما زالت دعوتنا قائمة إلى استقراء شامل للمصطلح على وفق ما بلغته صناعة (المصطلح) وإصدار معجم موحّد[٢٧].

المبحث الثاني

ما قاله النحويون

استقريت في هذا المبحث ما قاله النحويون: من سيبويه حتّى المعاصرين، لأضع بين يدي الباحثين والدارسين آراءهم، والتعليق عليها بما يحقق العنوان الذي اخترناه (صلة الموصول ليست جملة) وعلى الوجه الآتي:

- **قال سيبويه (ت نحو ١٨٥هـ):**

"هذا باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة (الذي) في المعرفة: إذا بُني على ما قبله، وبمنزلة الاحتياج إلى الحشو، ويكون بمنزلة رجل، وذلك قولك: هذا مَنْ أعرِفُ منطلقاً، وهذا مَنْ لا أعرف منطلقاً، أي هذا الذي قد علمت أني لا أعرفه منطلقاً، وهذا ما عندي مهيناً، وأعرف ولا أعرف، وعندي حشو لهما يتمّان به فيصيران **اسماً**، كما كان (الذي) لا يتمّ إلا بحشوه"[٢٨].

وقال في موضع آخر: "لأنّ أَنْ وتفعل بمنزلة اسم واحد كما أنّ **(الذي) وصلته بمنزلة اسم واحد**، فإذا قلت: هو الذي فعل، فكأنّك قلت: هو الفاعل"[٢٩].

وكرر مثل هذا فقال: "وأَنْ بمنزلة الذي تكون مع الصلة بمنزلة **الذي مع صلتها اسماً** فيصير: يريد أنْ يفعل، بمنزلة يريد الفعل، كما أنّ الذي ضرب بمنزلة الضارب"[٣٠].

---

[٢٦] ينظر: عبدالوارث مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي – دراسة نقدية، ص١٨٥ .

[٢٧] ينظر: سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي ورواية اللغة، ص١٠٥ .

[٢٨] الكتاب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل/بيروت، ط١، د.ت، ٨٢/٢ .

[٢٩] نفسه، ٦/٣ .

[٣٠] نفسه، ٢٢٨/٤ .

من المسائل الخطيرة الشأن التي أفدتها من النظر في (كتاب سيبويه):

١- أنّ سيبويه لم يدرج (الاسم الموصول) في المعارف، قال: "المعرفة خمسة أشياء: الأسماء التي هي أعلام خاصة، والمضاف إلى معرفة إذا لم ترد التنوين، والألف واللام والأسماء المبهمة، والإضمار"[٣١]. وعنى بـ(الأسماء المبهمة) أسماء الإشارة[٣٢].

٢- كرّر سيبويه في نصوصه الثلاثة أنّ (الذي) و(صلته) بمنزلة اسم واحد، والرأي واضح!.

- **وقال أبو الحسن الكسائي (ت١٨٩هـ)** تعليقاً على قوله تعالى: ﴿... تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾"أجاز أن يكون (الذي) بمعنى الذين أي **على المحسن**"[٣٣].

تأول الكسائي (الذي وصلته) بمشتق منطلقاً من النصّ وتفسيره.

- **وقال الفرّاء (ت٢٠٧هـ)**: "وقوله: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾[٣٤]، تماماً **على المحسن**... وإن شئت جعلت (الذي) على معنى (ما) تريد: تماماً على ما أحسن موسى، فيكون المعنى: تماماً على **إحسانه**[٣٥].

وقال تعليقاً على قوله تعالى: "﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾[٣٦] يريد: **كخوضهم** الذي خاضوا[٣٧].

فجعل الفرّاء (الذي وصلته) بتاويل مفرد: مشتقاً ومصدراً، على ما يتطلبه المعنى.

- **وقال الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)**: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾[٣٨]:

"وقد أروح إلى الحانوت أبشره ... بالرحل فوق ذرى العيرانة الأُجُدِ

قال أبو الحسن: أنشدني يونس هذا البيت هكذا، وجعل: (الذي يبشر) اسماً للفعل، كأنه (**التبشير**) كما قال (فاصدع بما تؤمر) أي اصدع بالأمر"[٣٩]. وقوله: "﴿وَيَسْتَجِيْبُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾ أي: استجاب، فجعلهم **هم الفاعلين**"[٤٠].

---

[٣١] نفسه، ٥/٢ .

[٣٢] نفسه، ٥/٢ .

[٣٣] معاني القرآن، جمع وتحقيق عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة/القاهرة، د.ط، ١٩٩٨م، ص١٣٩ .

[٣٤] من الآية ١٥٤ – سورة الأنعام .

[٣٥] معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وعبدالحليم النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م، ٣٦٥/١ .

[٣٦] من الآية ٦٩ – سورة التوبة .

[٣٧] معاني القرآن، ٤٤٦/١ .

[٣٨] من الآية ٢٣ – سورة الشورى .

[٣٩] معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي/القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ٥١١/٢ .

[٤٠] نفسه، ٥١١/٢ .

جعل الأخفش (الذي وصلته) مؤولاً بمفرد: مصدراً مشتقاً، على وفق ما ذهب إليه يونس بن حبيب.

- **وقال أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ):** "فإنما الصلة والموصول **كاسم واحد** لا يتقدم بعضه بعضاً"[(٤١)].

جعلهما المبرد اسماً واحداً، ولم يخرج عمّا قاله سيبويه.

- **وقال الزجاج (ت٣١١هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "ومعنى (على الذي أحسن) يكون على (تماماً **على المحسن**)، المعنى تماماً من الله **على المحسنين**"[(٤٢)].

تأولهما الزجاج مشتقاً، على وفق المعنى الذي تؤديه الآية.

- **وقال أبو بكر ابن السراج (ت٣١٦هـ):** "إنّ (الذي) لا يتمّ إلا بصلة، وإنّه وصلته بمنزلة **اسم مفرد**"[(٤٣)].

كرّر ما قاله سيبويه والمبرد.

- **قال أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "... وأجاز الكسائي والفرّاء أن يكون... المعنى عندهم **على المحسن**"[(٤٤)]. نقل النحاس ما قاله الكسائي والفرّاء في أنّ (الذي وصلته) مؤولاً بمشتق، ولم يعلّق لا رفضاً ولا تأييداً!.
- **وذكر أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)** ما قاله الفرّاء في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ فقال: "وهكذا قال البغداديون أو من قال منهم في قوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ إنّ المعنى: وخضتم **كخوضهم**"[(٤٥)]. وأضاف: "قوله: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾ كأنّه: ذلك **تبشير** الله عباده"[(٤٦)]. فذهب إلى تأويل (الذي وصلته) بمصدر، وكأنّه رأى وجاهة في هذا الذي قاله البغداديون (يعني بهم الكوفيين).

---

(٤١) المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، د.ط، ٢٠١٠م، ٣/١٩١ .

(٤٢) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٢/٣٠٦ .

(٤٣) الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ٢/١٣٨ .

(٤٤) إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، دار المعرفة/ بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م،(مجلد واحد)، ص٢٩٣ .

(٤٥) المسائل الشيرازيات، تحقيق حسن بن محمود هنداوي، كنوز أشبيليا/ المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٦٠ .

(٤٦) نفسه، ص٣٦١ .

- **وقال الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت٥٣٩هـ):** "فأما (الذي) فإنّما وقعت في الكلام ليتوصلوا بها إلى وصف المعارف بالجمل... لأنها مع ما بعدها في تأويل **<u>الاسم الواحد</u>** المعرفة"[٤٧].

تكرر عدّ (الذي وصلته) اسماً واحداً.

- **ولم يذكر أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)** الوجه في (الذي) وصلته أنّهما يؤولان بمفرد[٤٨]. وقال في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "وفي الذي وجهان: أحدهما أنه جنس... والثاني أنّ (الذي) هنا مصدرية أي **<u>كخوضهم</u>**، وهو نادر"[٤٩]. ولم يقف على ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ...﴾ بذكر التأويل بالمصدر[٥٠].

عدّ العكبري الرأي الذي يجعل من (الذي وصلته) مؤولاً بمصدر نادراً.

- **وقال أحمد بن الحسين بن الخبّاز (ت٦٣٩هـ):** "(ولا يجوز الفصل بين الصلة) والموصول بشيء أجنبي منهما؛ لأنّ الصلة والموصول بمنزلة **<u>اسم مفرد</u>**"[٥١]. كرّر ابن الخبّاز أنّ (الذي وصلته) اسم مفرد.

- **وقال أبو علي الشلوبين (ت٦٤٥هـ):** "وقلنا في هذه (الذي والتي...) إنّها موصولات اسمية، وفرّقنا بينها وبين الموصولات الحرفية، مع أنّ كل واحد من النوعين لا معنى للموصول فيه وحده، وإنّما له معنى مع غيره، **<u>وكل واحد من النوعين مع ما بعده اسم مفرد</u>**"[٥٢].

ساوى الشلوبين بين الموصولات الحرفية والموصولات الاسمية في أنّهما يكونان مع صلتهما اسماً مفرداً.

- **قال ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ):** في (الذي) "فهو مع الجملة بمثابة الألف واللام **<u>مع المفرد</u>**[٥٣].

---

[٤٧] البيان في شرح اللمع لابن جني، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمّار/الأردن، ط١، ٢٠٠٢م، ص٥٨٦-٥٨٧ .

[٤٨] إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ٢٢٦/١ .

[٤٩] إملاء ما منّ به الرحمن، ١٨/٢ .

[٥٠] نفسه، ٢٢٤/٢ .

[٥١] توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جنّي، تحقيق فايز زكي محمد دياب، دار السلام/القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٤٩٤ .

[٥٢] التوطئة، تحقيق يوسف أحمد المطوّع، مكتبة الثقافة الدينية/الكويت، د.ط، ١٩٨٠م، ص١٦٧ .

[٥٣] الإيضاح في شرح المفصّل، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية، د.ط، ١٩٨٢م، ٤٨١/١.

عدّ ابن الحاجب أنّ (الذي وصلته) اسم مفرد.

- **وقال ابن مالك (ت٦٧٢هـ):** "قلت: حاصل كلام أبي علي أنّ الذي على ثلاثة أقسام: موصولة، وموصوفة مستغنية بالصفة عن الصلة، ومصدرية محكوم بحرفيتها، وهذا المذهب أيضاً **هو مذهب الفرّاء** رحمه الله، **وهو الصحيح**، وبه أقول"(٥٤). وكرر موقفه هذا أكثر من موضع(٥٥).

مذهب ابن مالك واضح في أنّه يتبنّى ما رآه الفراء، ويراه صحيحاً.

- **وقال الرضي الاسترباذي (ت٦٨٦هـ):** "إنّ الموصول مع صلته التي هي جملة: بتقدير **اسم مفرد**"(٥٦).

تكرر هذا الرأي في جعل الاسم الموصول وصلته اسماً مفرداً.

- **وقال شمس الدين محمد بن أحمد القرشي الكيشي (ت٦٩٥هـ):** "الموصول وإنْ تعرّف بالصلة لكنّه غير مستقل المفهوم بدونها، فكأنهما **شيء واحد**"(٥٧).

جعل الكيشي (الذي وصلته) شيئاً واحداً.

- **وقال أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ):** "وأمّا الذي فزعم يونس والفرّاء وتبعهما ابن مالك أنه يسبك منها ومن صلتها مصدر، وخُرّج عليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾، و﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾، وقال: التقدير: ذلك تبشير الله، وخضتم كخوضه، **والصحيح منع ذلك وهو مذهب البصريين**"(٥٨).

رفض أبو حيان ما رآه يونس والفرّاء وابن مالك أن يكون (الذي وصلته) مصدراً.

- **أمّا ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)** فله رأيان:

- الأول: "هذا باب الموصول: وهو ضربان: حرفي، واسمي، فالحرفي: كلّ حرف أُوّل

---

(٥٤) شرح التسهيل، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة/القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ٢١٩/١ .

(٥٥) نفسه، ٢١٩/١، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٥٦) شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس/بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م، ١١/٣.

(٥٧) الإرشاد إلى علم الإعراب، تحقيق عبدالله علي الحسيني البركاتي ومحسن سالم العميري، منشورات جامعة أم القرى/ السعودية، ط١، ١٩٨٩م، ص٣٧٣ .

(٥٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى أحمد النمّاس، المكتبة الأزهرية للتراث/القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ٥٢١/١ .

مع صلته بمصدر، وهو ستة: أنّ، وأنْ، وما، وكي، ولو، والذي... ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾"[٥٩].

عدّ ابن هشام (الذي) حرفاً مصدرياً ، ومثّل له بالآية (٦٩) من سورة التوبة التي سبقه إلى هذا الفراء ومن تبعه، وما يستوقف النظر أنّ ابن هشام لم يدرج (الذي) في حروفه التي ساق معانيها في (مغني اللبيب)!.

- والآخر: ذهب إليه في (مغني اللبيب) فقال في أربعة نصوص: "وبلغني عن بعضهم أنّه كان يلقن أصحابه أن يقولوا: إنّ الموصول وصلته في موضع كذا، محتجاً بأنهما ككلمة واحدة، والحق ما قدمته لك"[٦٠].

فتأمل كيف نقض ما قاله في (أوضح المسالك)!، وقال: "فأما وقوع الذي مصدرية فقال به يونس، والفرّاء، والفارسي، وارتضاه ابن خروف، وابن مالك، وجعلوا منه ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ و(خضتم كالذي خاضوا)..." [٦١]

وقال: "يجوز في نحو ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ... ﴾ كون الذي أحسنه، وكونه موصولاً حرفياً فلا يحتاج لعائد أي تماماً على إحسانه، وكونه نكرة موصوفة فلا يحتاج إلى صلة... وهذان الوجهان كوفيان، وبعض البصريين يوافق الثاني"[٦٢]. يشمّ من هذا النصّ رائحة العصبية!. وقال: "وأمّا ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ فقيل: الذي مصدرية، أي ذلك التبشير الله"[٦٣]. وهذا أثر ما قاله المفسرون! وبعد هذا نجد ابن هشام مترجحاً، ولا ندري أي الرأيين يتبنّى؟!.

- **وتابع خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)** ما ذكره ابن هشام في أوضح المسالك في كون (الذي) **موصولاً حرفياً**[٦٤].

  يرى الأزهري أنّ (الذي) موصول حرفي.

- **وقال السيوطي (ت٩١١هـ)**: "... واسمي، وهو (الذي) لذكر فَرْدٍ عالم وغيره، وزعم يونس

---

[٥٩] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/صيدا-بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م، ١٢٦/١ .

[٦٠] معني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، مؤسسة الصادق/طهران، ط١، ١٣٧٨هـ، ٥٣٥/٢ .

[٦١] مغني اللبيب، ٧٠٩/٢ .

[٦٢] نفسه، ٧٣٧/٢ .

[٦٣] نفسه، ٧٣٧/٢ .

[٦٤] شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل سود العيون، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ١٤٨/١.

والفرّاء وابن مالك وقوعها مصدرية"[٦٥].

وذكر في موضع آخر، فقال: "وذهب يونس، والفرّاء، وابن مالك إلى أنّ (الذي) قد يقع موصولاً حرفياً فيؤول بالمصدر وخرّجوا عليه ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ أي كخوضهم، والجمهور منعوا ذلك"[٦٦].

وقال في موضع آخر: "الموصول والصلة: حرفيّاً كان أو اسمياً، كجزء اسم، فأشبه شيء بهما الاسم المركب تركيب مزج"[٦٧].

يبدو أنّ السيوطي وقع فيما فرّ منه في النصّ الأخير حين عدّ الموصول حرفياً واسمياً وصلتهما بمثابة الاسم الواحد! ويعود هذا التناقض إلى ترجح النحويين الذين سبقوه في هذا.

- **وقال الأشموني (ت٩١٨هـ)**: "الموصول الحرفي: كل حرف أوّل مع صلته بمصدر، وذلك ستة: (أنّ، وأنْ، وما، وكي، ولو، **والذي**) نحو... ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾"[٦٨].
  عدّ الأشموني (الذي) موصولاً حرفياً، وهذا تكرار لما قيل!.
- **وقال الصّبان (ت١٢٠٦هـ)**: "إنّ الصلة متممة للموصول فهي **كالجزء منه**"[٦٩].

عدّ الصبّان (الذي وصلته) **اسماً واحداً**، وقد سبق ذكر هذا الرأي عند كثير ممن سبقوه!.

- **أمّا النحاة المعاصرون فوقفوا من (صلة الموصول) موقفين:**

الأول: تجلّى في عدّ (صلة الموصول) جملة لا محل لها من الإعراب، وهم الأغلب إنْ تدريسياً وإنْ تأليفاً، ويمثلهم فخر الدين قباوة في كتابه (إعراب الجمل وأشباه الجمل) إذ تبنّى (مذهب الجمهور)[٧٠] على زعمٍ لم يثبت هذا الجمهور من خلال استقرائنا النحويين موضع البحث.

الثاني: موقف الناقد الذي لم يستطع أنْ ينفذ بجرأة إلى حلّ هذا الإشكال: أللصلة محل أم لا محل؟ ويمثله شوقي ضيف إذ قال: "وضعت جملة الصلة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وهو وضع غير دقيق منطقياً(!!) لأنّ الاسم الموصول في مثل: (أقبل الذي حاضرَنا أمسِ) لا يفهم معناه، ولا يتمّ إلا مع ذكر صلته فهي تلزمه لزوم الخبر للمبتدأ، والنعت للمنعوت،

---

(٦٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبدالسلام محمد هارون وعبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة/ بيروت، د.ط، ١٩٩٢م، ٢٨٢/١ .

(٦٦) همع الهوامع، ٢٨٥/١ .

(٦٧) نفسه، ٣٠٢/١ .

(٦٨) شرح الأشموني، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية/ صيدا-بيروت، ٢٠١٠م، ١٦٦/١ .

(٦٩) حاشية الصبان، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية/ القاهرة، د.ط، د.ت، ١٢/٢ .

(٧٠) إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي/ حلب، ط٥، ١٩٨٩م، ص١١٦ .

وكان ينبغي أن توضع في طائفة الجمل التي لها محل من الإعراب، وأن يكون محلها هو نفس محل الاسم الموصول"[٧١].إلّا أنّ شوقي ضيف لم يطبق هذه النظرة في كتابه (تجديد النحو) فتراجع عنها، فقال: "جملة الصلة: دائماً الاسم الموصول تتبعه جملة لا صلة له، وهي لذلك خاضعة لا تستقلّ أبداً"[٧٢]. فتأمل!.

خلاصة القول:

ترجح النحويون في تناول موضوع (الموصول وصلته) فمنهم لم يدرج الأسماء الموصولة في (المعارف)[٧٣]، ومنهم من خلط بين الموصول الاسمي والموصول الحرفي، ومنهم بحث في أصل لفظه، وغير هذا كثير في (الصلة) و(العائد) على ما هو مبسوط في مؤلفاتهم. إنّ اللافت للنظر في (الذي وصلته) تعدد، واختلاف، فمن ذلك:

- من عدّها اسماً واحداً – على ما تقدّم بيانه – وهم الأغلب على اختلاف عباراتهم: (بمنزلة اسم واحد)، (الصلة والموصول كاسم واحد)، (أنّه وصلته بمنزلة اسم مفرد)، (في تأويل الاسم الواحد)، (كأنهما شيء واحد)، (وأشبه شيء بهما الاسم المركب تركيب مزج)، وقال بهذا: سيبويه، والمبرّد، وابن السراج، والشريف عمر الكوفي، وابن الخبّاز، والشلوبين، وابن الحاجب، والرضي الاستراباذي، والكيشي، وابن هشام (في أحد قوليه)، وخالد الأزهري، والسيوطي، والأشموني، والصّبان، وهؤلاء ما أمكنني الوقوف على آرائهم المذكورة آنفاً.
- مَنْ أوّلهما بمفرد (مشتق ومصدر): يونس بن حبيب، والكسائي، والفرّاء، والأخفش، والزّجاج، وأبو علي الفارسي، وابن مالك.
- ومنهم من عرض هذين الرأيين ولم يعلّق: أبو جعفر النحاس، وأبو البقاء العكبري.
- ومنهم من رفض هذه الآراء، ولم يجد لها وجهاً: أبو حيان الأندلسي، وابن هشام في أحد قوليه.
- وجرى الدرس النحوي التعليمي على أنّ (الذي) اسم موصول، وأنّ (صلته) جملة لا محل لها من الإعراب! وهذا ما دعانا إلى النظر في كتب النحو.

---

[٧١] تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، دار المعارف/القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٩٣ .

[٧٢] تجديد النحو، دار المعارف/القاهرة، ط٥، ٢٠٠٣م، ص٢٦١ .

[٧٣] ينظر: كتاب سيبويه، ٥/٢ .

المبحث الثالث

ما قاله المفسرون

لعلّ أصحاب (معاني القرآن) و(تفسير القرآن) أكثر توفيقاً من النحويين في توظيف ما تلقفوه منهم من مسائل نحوية لتوجيه معنى الآيات، ودلالتها، انطلاقاً من الآيات نفسها، فوجدت أنّ المفسرين يجعلون تلك المسائل في خدمة النصّ القرآني، فظهر أنّ المعنى هو الأصل في آيات ثلاث:

- ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ من الآية ١٥٤ – سورة الأنعام.
- ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ من الآية ٦٩ – سورة التوبة.
- ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ من الآية ٢٣ – سورة الشورى.

وبتأويلهم هذه الآيات أفادوا مما قدّمه النحويون من آراء –وإن اختلفوا –لبيان أنّ التعبير القرآني قد يتجاوز ما ساد في الدرس النحوي التعليمي على وجه الخصوص، وأعرض ما قاله المؤولون وعلى الوجه الآتي:

- **قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "أراد: آتينا موسى الكتاب تماماً **على المحسنين** ... وقد يتصرف إلى معنى آخر، كأنه قال: آتيناه الكتاب إتماماً منّا **للإحسان** على من أحسن"[٧٤].
- **وقال أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "فقال بعضهم: معناه تماماً على **المحسنين**"[٧٥]. وقال: "وعلى هذا التأويل الذي تأوله الربيع... تماماً على **إحسانه** في الدنيا في عبادة الله، وقال آخرون في ذلك
معناه: ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً على **إحسان الله** إلى أنبيائه..."[٧٦].
وقال في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "(كالذي خاضوا)... وخضتم أنتم أيها المنافقون **كخوض** تلك الأمم قبلكم"[٧٧].
وقال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ... ﴾: "**البشرى** التي يبشّر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا"[٧٨].

---

[٧٤] تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية/بيروت، د.ط، د.ت، ص٣٩٧–٣٩٨ .

[٧٥] جامع البيان في تفسير آي القرآن، دار الكتب العلمية/بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ٣٩٨/٥ .

[٧٦] جامع البيان، ٣٩٩/٥ .

[٧٧] نفسه، ٣٠٤/٧ .

[٧٨] نفسه، ١٤٢/١١ .

ظهر الطبري في هذه النصوص إلى أنّ التأويل على هذا الوجه يتطلبه السياق في النصوص الثلاثة.

- **وقال أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ):** "وقوله: خضتم **كالخوض** الذي خاضوا فيه"[٧٩].

أوّله بمصدر.

- **وقال أبو جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ):** في قوله تعالى: ﴿...تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ... ﴾ "وقوله ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها: قال الربيع والفرّاء: تماماً **على إحسانه** ...

الثاني: قال مجاهد: تماماً **على المحسنين** ...

الثالث: قال ابن زيد: تماماً **على إحسان** الله إلى أنبيائه .

الرابع: قال الحسن وقتادة: لتمام كرامته في الجنّة على **إحسانه** في الدنيا.

الخامس: قال أبو علي: تماماً **على إحسان** الله إلى موسى بالنبوة"[٨٠].

– وفي قوله تعالى: ﴿...وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ...﴾ لم يعرض إلى (الذي خاضوا)[٨١].

– وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ لم يعرض إلى (الذي يبشّر الله عباده)[٨٢].

عرض الطوسي أقوالاً خمسة في الذي وصلته تُجمع على تأويلهما بمصدر أو مشتق.

- **وقال الكرماني (محمود بن حمزة، ت نحو ٥٠٥هـ):** في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "أي: خاضوا فيه، فحذف الجار، ثم حذف الضمير. الأخفش –وهو الغريب–: إنّ (الذي) هنا بمنزلة (ما) المصدرية، والتقدير: خضتم **كخوضهم**، ومن الغريب: خضتم كالذي خاضوا، فحذف النون. العجيب: (الذي) بمنزلة (من)، فكما جاء من يستمعون بلفظ الجمع كذلك جاء الذي خاضوا بلفظ الجمع، وفيه بُعْد"[٨٣].

---

[٧٩] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق علي بن عاشور، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٦٦/٥.

[٨٠] التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، منشورات ذوي القربى/طهران، ط١، ١٤٣١هـ، ٣٢١/٤.

[٨١] نفسه، ٢٥٥/٥ .

[٨٢] نفسه، ١٥٨/٩ .

[٨٣] غرائب التفسير وعجائب التأويل، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية/جدة – مؤسسة علوم القرآن/بيروت، د.ط، ٢٠١٠م، ٤٦٠/١ .

عرض كلّ ما قيل من وجوه في (الذي) وتأويله مع صلته بمصدر، وعدّ ذلك غريباً.

- **وقال البغوي (الحسين بن مسعود، ت٥١٦هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "اختلفوا فيه، قيل: تماماً **على المحسنين** من قومه... و(الذي) بمعنى ما... تقديره: آتيناه الكتاب يعني التوراة، إتماماً عليه للنعمة **لإحسانه** في الطاعة والعبادة"[٨٤].

وقال: في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ "أي كما خاضوا... وذلك أنّ (الذي) اسم ناقص مثل ما"[٨٥].

لم يخرج البغوي عن تأويل (الذي وصلته) بمصدرٍ أو مشتقٍ.

- **وقال مكي بن أبي طالب القيسي (ت٥٣٧هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "من رفع (أحسن) أضمر (هو) ابتداءً و(أحسن) خبره، والجملة صلة (الذي)، ومن فتحه جعله فعلاً ماضياً، صلة (الذي) وفيه ضمير يعود على (الذي) تقديره: تماماً على **المحسن**"[٨٦].

تابع مكي من تأوّل (الذي وصلته) بمشتق.

- **وقال جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ):** "﴿... تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...﴾: تماماً للكرامة والنعمة، على الذي أحسن، على من كان **محسناً**، صالحاً"[٨٧]
  - وقال في: " ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: كالفوج الذي خاضوا، و**كالخوض** الذي خاضوه"[٨٨].
  - وقال في: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا...﴾: "... أو ذلك **التبشير** الذي يبشّره الله عباده"[٨٩].

أوّل الزمخشري (الذي وصلته) في الآيات الثلاث بمشتق، ومصدره، على وفق من سبقه.

- **وقال ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "قالت فرقة: (الذي) بمعنى (الذين)، و(أحسن) فعل ماضٍ صلة الذين، وكأنّ الكلام: آتينا

---

[٨٤] معالم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمر وسليمان مسلم الحرش وعثمان علي ضميرية، دار طيبة/الرياض، ط١، ١٩٨١م، ٢٠٥/٣ .

[٨٥] نفسه، ٧١/٤ .

[٨٦] مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط٤، ١٩٨٨م، ٢٧٨/١ .

[٨٧] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان/الرياض، ١٩٩٨م، ٤١٤/٢ .

[٨٨] الكشاف، ٦٦/٣ .

[٨٩] نفسه، ٤٠٣/٥ .

موسى الكتاب تفضلاً على **المحسنين** من أهل ملته، وإتماماً للنعمة عندهم هذا تأويل مجاهد"[٩٠].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "قوله: ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: الكاف التي قبله، وفي (الذي) وجوه... الثاني: إنّ (الذي) صفة لمفرد مفهم للجمع، أي: وخضتم **خوضاً**"[٩١].

نقل ابن عطية الوجوه التي ذكرها من سبقه في تأويل (الذي وصلته) بمشتق ومصدر، ولم يعلّق.

- **وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "قال الحسن، وقتادة: تماماً لكرامته في الجنة إلى **إحسانه** في الدنيا، وقال الربيع: هو **إحسان** موسى بطاعته، وقال ابن جرير: تماماً لنعمنا عنده على **إحسانه** في قيامه بأمرنا ونهينا... فعلى هذين القولين يكون (الذي) بمعنى (ما)... وهي تحتمل **الإحسان**... "[٩٢].

ولم يذكر شيئاً في ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾.

نقل ابن الجوزي ما قاله غيره، ورأى فيه ما يحتمله المعنى!.

- **وقال الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "ففيه وجوه: الأول: معناه تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن، أي على كل من كان **محسناً** صالحاً"[٩٣].

- وقوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ "قال الفراء: يريد **كخوضهم** الذي خاضوا فـ(الذي صفة مصدر محذوف دلّ عليه الفعل"[٩٤].
- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ "واعلم أنّ هذه الآيات دالّة على تعظيم حال الثواب من وجوه... الرابع: أنّه تعالى أعاد البشارة على سبيل التعظيم"[٩٥].

نقل الرازي ما قاله غيره، ولم يعلّق فكأنه يقبل تأويل (الذي وصلته) بمشتق مصدر.

---

[٩٠] المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي/القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ٥/٤٠١-٤٠٢ .

[٩١] نفسه، ٣/٥٧-٥٨ .

[٩٢] زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي/ بيروت، ط٣، ١٩٨٤م، ٣/١٥٢-١٥٣ .

[٩٣] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ١٤/٦٠٥ .

[٩٤] نفسه، ١٦/١٠٣ .

[٩٥] نفسه، ٢٧/١٤١ .

- **وقال أبو عبدالله القرطبي (ت٦٧١هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "قال مجاهد: تماماً على **المحسن** المؤمن، وقال عبدالله بن زيد: معناه: تماماً على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه، وقال الربيع بن أنس: تماماً على **إحسان** موسى من طاعته لله"[٩٦].
  - وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "و(خضتم) خروج من الغيبة إلى الخطاب، ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: أي **كخوضهم**"[٩٧].

تكرر هذا الرأي القائل بتأويلهما بمفرد عند القرطبي.

- **وقال أبو البركات النسفي (ت٧١٠هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "التفسير ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ على من كان **محسناً** صالحاً يريد جنس المحسنين، دليله قراءة عبدالله (على الذين أحسنوا) أو: أراد به موسى عليه السلام، أي: تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كلّ ما أمر به"[٩٨].
  - في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "(وخضتم) في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ كالفوج الذي خاضوا، أو **كالخوض** الذي خاضوه"[٩٩].

تأوّل النسفي (الذي وصلته) بمفرد من غير أن ينسب هذا الرأي لمن سبقه.

- **ونقل أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)** في المواضع الثلاثة آراء غيره، وردّها: – في الآية ١٥٤ من سورة الأنعام، فقال: "﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾... أي على من كان **محسناً**... وقيل: (الذي مصدرية) وهو قول كوفي، وفي (أحسن) ضمير موسى، أي تماماً على **إحسان** موسى بطاعته... وهذا سائغ على مذهب الكوفيين، وهو خطأ عند البصريين"[١٠٠].
  - وفي الآية ٦٩ من سورة التوبة قال: " ﴿...وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾... أي **كالخوض** الذي خاضوا قاله الفرّاء، وقيل: كالخوض الذين خاضوا... أي **كخوض** الذين، وقيل: الذي مع ما بعدها يُسبك منهما مصدر أي: **كخوضهم**"[١٠١].

---

[٩٦] الجامع لأحكام القرآن، تحقيق صدقي جميل العطّار والشيخ عرفان العشا، دار الفكر/بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م، ١٠٤/٧ .

[٩٧] نفسه، ١٠٤/٨ .

[٩٨] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيّب/بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ٥٤٩/١ .

[٩٩] نفسه، ٦٩٣/١ .

[١٠٠] البحر المحيط في التفسير، تحقيق الشيخ زهير جعيد، دار الفكر/بيروت، د.ط، ٢٠٠٥م، ٦٩٣/٤–٦٩٤ .

[١٠١] نفسه، ٤٥٦/٥–٤٥٧ .

- وفي الآية ٢٣ من سورة الشورى: " ﴿...ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ وقال الزمخشري: أو ذلك **التبشير** الذي يبشره الله عباده، انتهى. ولا يظهر هذا الوجه... ومن النحويين من جعل الذي مصدرية، حكاه ابن مالك عن يونس، وتأويل عليه هذه الآية، أي ذلك **تبشير** الله عباده، وليس بشيء... وقد ثبتت اسمية الذي"[١٠٢].

ينقل أبو حيّان هذه الآراء في (الذي) ولا يوافقها إذ ثبت عنده أنّ (الذي) اسم لا ينسبك مع صلته مصدراً، ولم يقنع بما قاله الآخرون: كوفيين وبصريين.

- **وقال السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ):**

- في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "ويجوز أن يكون (الذي) مصدرية و(أحسن) فعل ماضٍ، وصلتها، والتقدير: تماماً **على إحسانه**... وهو رأي يونس والفرّاء"[١٠٣].
- وفي قوله تعالى: ﴿...وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ...﴾ "... وفي (الذي) وجوه:... الرابع: أنّ (الذي) **تقع مصدرية**، والتقدير: وخضتم خوضاً **كخوضهم** ومثله:

فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ في المرسلين ونصراً كالذي نُصِروا

أي كنصرهم، وقول الآخر:

يا أمّ عمرٍ جزاك اللهُ مغفرةً ردّي عليّ فؤادي كالذي كانا

أي ككونه، وقد تقدّم أنّ هذا مذهب يونس والفرّاء"[١٠٤].

- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ "قوله: ﴿يبشّر الله عباده﴾ كقوله: ﴿كالذي خاضوا﴾ وقد تقدّم تحقيقه... وأمّا على رأي يونس فلا يحتاج إلى عائد لأنها عنده مصدرية، وهو قول الفرّاء وأيضاً؛ أي ذلك **تبشير** الله عباده... وقال الزمخشري: أو ذلك **التبشير** الذي يبشّره الله عباده"(٣)[١٠٥].

لم يخرج السمين عمّا قاله شيخه أبو حيّان، ولكنه لم يمنع هذا التوجيه.

- **قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ):** "(ثمّ أتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن)... واختار

---

[١٠٢] نفسه، ٩/٣٣٢-٣٣٤ .

[١٠٣] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الشيخ على محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م، ٣/٢٢١ .

[١٠٤] نفسه، ٣/٤٨٣ .

[١٠٥] نفسه، ٦/٨٠ .

ابن جرير أنّ تقديره (ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً) على **إحسانه**، فكأنه جعل الذي مصدرية، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ أي **كخوضهم**"[١٠٦].

يذهب ابن كثير إلى ما ذهب إليه الطبري في تأويلهما بمصدر، ويوافقه.

- **لم يعرض البيضاوي (ت٧٩١هـ)** لقوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بما يجعل (الذي) وصلته في تأويل مصدر [١٠٧].

- وذكر في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ ثلاثة أقاويل منها: "أو **كالخوض** الذي خاضوه"[١٠٨].

- وقال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا...﴾ ""أو ذلك **التبشير** الذي يبشّره الله عباده"[١٠٩].

ينقل البيضاوي ما قيل ولم يعلّق.

- **وقال أبو الحسن البقاعي (ت٨٨٥هـ):** في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "(كالذي) أي: **كخوضهم** الذي (خاضوا) وهو ناظر إلى قولهم (إنّما كنّا نخوض ونلعب)، قال أبو حيّان: وهو مستعار من الخوض في الماء"[١١٠].

تأوّل البقاعي (الذي وصلته) في هذه الآية بمصدر.

- **وقال السيوطي (ت٩١١هـ):** "أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن مجاهد: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قال: على المؤمنين **المحسنين**، وأخرج عن أبي حاتم عن أبي صخر في قوله: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قال تماماً لما قد كان من **أحسانه** إليه"[١١١].

نقل السيوطي المأثور عن مجاهد وعن ابن أبي حاتم تأويلهما (الذي وصلته) بمشتق ومصدر، ولم يعلّق

- **وقال أبو السعود (ت٩٥١هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "تماماً على **المحسنين**..."[١١٢].

---

(١٠٦) تفسير القرآن العظيم، بإشراف محمود عبدالقادر الأرناؤوط، دار الأخيار/الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ص٥٥٦ .

(١٠٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ٣٢٨/١ .

(١٠٨) نفسه، ٤١١/١ .

(١٠٩) نفسه، ٣٦٢/٢ .

(١١٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، طبعة دائرة المعارف العثمانية، ٥٢٣/٨ .

(١١١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر/ بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م، ٣٨٦/٨ .

(١١٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ٤٦٢/٢ .

- وفـي قولـه تعـالى: "﴿وَخُضْـتُمْ﴾ أي دخلـتم فـي الباطـل ﴿كَالَّـذِي خَاضُـواْ﴾... أي **كالخوض** الذي خاضوه"[113].
- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾: "أي لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ **والبشارة**"[114].

تأول أبو السعود الآيات الثلاث أنّ (الذي وصلته) فيها بمشتق ومصدر، ولم ينسب ذلك إلى سابقيه.

- **وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ):** في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "وقيل تماماً على **إحسان** موسى بطاعة الله عزّ وجلّ قاله الفراء"[115].
  - وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "...أو **كالخوض** الذي خاضوا..."[116]

تبنى الشوكاني رأي الفراء وكرره مثلما تناقله الآخرون.

- **وقال أبو الثناء الآلوسي (ت١٢٧٠هـ):**

- فـي قولـه تعـالى: ﴿تَمَامـاً عَلَـى الَّـذِي أَحْسَـنَ﴾ ... وظـاهره أنّ (الـذي) موصـول حرفي"[117].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ "... قال الفرّاء: إنّ الذي تكون مصدرية، وخـرّج هـذا عليـه أي **كخوضهم**، وهـو كمـا قـال أبـو البقـاء نـادر"[118].

- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ "... ومن النحويين من جعل الذي **مصدرية** حكاه ابن مالك عن يونس وتأول عليه الآية أي ذلك **تبشير** الله تعالى عباده، وليس بشيء"[119].

رأى الآلوسي أنّ (الذي) موصول حرفي، ثمّ نسب للعكبري رأياً حين عدّ هذا نادراً، ثمّ رفض التأويل أخيراً، وقال: ليس بشيء.

---

[113] نفسه، ٣/١٦٧ .

[114] نفسه، ٦/١٥-١٦ .

[115] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة/بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٤٥٩ .

[116] فتح القدير، ص٥٨٤ .

[117] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق أبي عبدالرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار، المكتبة التوفيقية/القاهرة، د.ط، د.ت، ٥/٨٨ .

[118] نفسه، ٦/١٨٧ .

[119] نفسه، ١٢/٥٨٣ .

- **وقال محمد بن يوسف اطفيّش (ت١٣٣٢هـ):**

- في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي عليه، أي على موسى فوضع الظاهر وهو الذي موضع الضمير ليصفه **بالإحسان**... وقيل: الذي **حرف مصدر**، أي على إحسان موسى، أو على إحسان الله، **ولا نسلّم** مصدرية الذي"(١٢٠).
- وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "الذي اسم موصول واقع **على الخوض**... أي على الخوض الذي خاضوه... **ولا كما قال الأخفش**: إنّ الذي موصول مشترك، **ولا كما قيل**: إنّ الذي موصول حرفي هنا، أي وخضتم كخوضهم"(١٢١).
- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾: "أي (ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده)، وجعل يونس (الذي) حرف مصدر أي (ذلك تبشير الله عباده)..."(١٢٢).

ردّ اطفيّش القول في مصدرية (الذي) في موضعين، ولم يعلق على رأي يونس ابن حبيب!، وكرر ذلك في كتابه (تيسير التفسير)(١٢٣).

- **وقال محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ):**

- في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ "أي تماماً لإحسان المحسنين..."(١٢٤).
- في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ " أي: وخضتم في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله **كالخوض** الذي خاضوه... وقد ادّعى الفرّاء أنّ (الذي) يكون **موصولاً حرفياً** مؤولاً بالمصدر... وهو ضعيف"(١٢٥).

ردّ ابن عاشور رأي الفرّاء في تأويل (الذي وصلته) بمفرد، وضعّفه.

- **وقال محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ):**

- في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "فقيل: المعنى: تماماً على **إحسان**

---

(١٢٠) هيميان الزاد الداعي إلى دار المعاد في تفسير القرآن، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة/سلطنة عمان، د.ط، ١٩٨٨م-١٩٩١م، ١/٦ ص٣٢٧ .

(١٢١) نفسه، ٢/٧ ص١٩٠-١٩١ .

(١٢٢) نفسه، ٢٥١/١٣ .

(١٢٣) ينظر: تيسير التفسير للقرآن الكريم، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة/سلطنة عمان، ٥٠٢/٣، ٨٣/٥-٨٤، ٤٧٨/١١-٤٧٩ .

(١٢٤) تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ/بيروت، طبعة جديدة منقحة، د.ت، ١٣١/٧ .

(١٢٥) نفسه، ١٤٨/١٠-١٤٩ .

موسى بالنبوة والكرامة... وقيل: المعنى: تماماً لكرامته في الجنة على **إحسانه** في الدنيا"[١٢٦].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "بما أوتوا من أعراض الدنيا من أموال وأولاد **والخوض** في آيات الله"[١٢٧].
- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾: "تبشير للمؤمنين الصالحين..."[١٢٨].

نقل الطباطبائي المعاني التي ذكرها سابقوه للآيات الثلاث، ومنها التأويل بالمصدر لاسم الموصول (الذي) مع صلته، وبصيغة التمريض (قيل) التي يبدو فيها أنه لا يتبنى ذلك!.

- وقال: مفسرون معاصرون:

إبراهيم عبدالله رفيدة،

ومحمد رمضان الحربي،

ومحمد مصطفى صوفية،

ومصطفى الصادق العربي،

وأحمد عمر أبو حجر،

في كتابهم (معاني القرآن الكريم – تفسير لغوي موجز)

- في قوله تعالى: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: "﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ على المؤمن الذي أحسن أي: فعل الحسن... **والإحسان**..."[١٢٩].
- وفي قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾: "﴿الَّذِي خَاضُواْ﴾... هي **مصدرية** والمعنى وخضتم **كخوضهم**"[١٣٠].

وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾: "**فالبشارة** إنّما تكون لهم... والتبشير: معناه الإخبار بما يظهر أثره على البَشَرَة"[١٣١].

انطلق هؤلاء المفسرون مما قاله أصحاب معاني القرآن، وهم متفقون على تأويل (اسم الموصول وصلته بمفرد).

---

[١٢٦] الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط٥، ١٩٨٣م، ٣٨٢/٧–٣٨٣ .

[١٢٧] نفسه، ٣٣٧/٩ .

[١٢٨] نفسه، ٤٢/١٨ .

[١٢٩] معاني القرآن الكريم – تفسير لغوي موجز، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية/طرابلس–ليبيا، ط١، ٢٠٠١م، الربع الأول، ص٤٩٤ .

[١٣٠] نفسه، الربع الثاني، ص١٥٦ .

[١٣١] نفسه، الربع الرابع، ص٢٥٩ .

خلاصة القول:

يبدو لي أنّ ما قدّمه النحويون من آراء كان عوناً مساعداً على تفسير القرآن[١٣٢] – بمناهجه المختلفة – ونموّه وتطوّره حتّى يومنا هذا، فأصبح من الوضوح أن نلحظ رأياً بصرياً، أو رأياً كوفياً، أو رأياً منسوباً لأحد النحاة واللغويين، في توجيه آية ما، وهذا ما نحن بصدده في بسط ما ذكره المفسرون في (الذي وصلته) من خلال آيات ثلاث:

- ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾، ١٥٤/ الأنعام.
- ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾، ٦٩/ التوبة.
- ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾، ٢٣/ الشورى.

وانقسموا على:

_ فقد انطلق أصحاب معاني القرآن، وأغلب المفسرين من سياق الآيات، وما تعنيه من دلالة فرأوا أنّ (الذي) و(صلته) ينسبك منها مفرد (سواءً أكان المفرد مشتقاً أم مصدراً)،

- فالفريق الأول: أصحاب (معاني القرآن): الكسائي، والفرّاء، وابن قتيبة، والزجاج، ومكي القيسي.
- والفريق الثاني: المفسرون: الطبري، والثعلبي، والطوسي، والكرماني، والبغوي، ومكي القيسي، والزمخشري، وابن عطية الأندلسي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والبيضاوي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني.

والفريق الثالث: رفض تأويل (الذي وصلته) بمفرد، ومنعوه وهم: أبو حيّان الأندلسي، والسمين الحلبي، والعكبري، والآلوسي، وابن عاشور، والطباطبائي، ومؤلفو (معاني القرآن الكريم – تفسير لغوي موجز).

وقد رأينا أنّ غالبيتهم ينقلون ما ذهب إليه أصحاب معاني القرآن في أنّهم رأوا أنّ (الذي وصلته) يؤولون بمفرد: مشتق، أو مصدر، وهو ما يخلص إليه البحث ويطمئن.

الخاتمة ونتائج البحث

ظهر لنا من استقراء آراء النحويين أنهم ناقضوا أنفسهم في بيان (الذي) مما يثير جملة أسئلة:

١– أهو اسم أم حرف؟ أهو كلمة أم جزء منها؟.

٢– أصلته جملة مستقلة أم غير مستقلة ليكون لها محل من الإعراب أم لا يكون؟

[١٣٢] إيجناس جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبدالحليم النجار، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، د.ط، ٢٠١٣م، ص١١٥ .

وتولّت النصوص عرض هذا، وللباحث المدقق أن يجيب على هذه الأسئلة!.

ويقترح البحث في ضوء ما توصل إليه من نصوص نحوية، وما انتزعه المفسرون من دلالة في تفسير الآيات الثلاث موضع البحث ما يأتي:

١- أن يُدرس (الذي وسائر الموصولات) بمصطلح:

_ (الموصول) بلا قيد الاسمية والحرفية.

_ أو أدوات الوصل.

_ أو الأدوات المصدرية.

٢- أنّ (صلته) تنسبك مع (الذي) وغيره باسم مفرد: مشتق أو مصدر، في ضوء ما ذكره النحويون، وما تأوّله أصحاب معاني القرآن، والمفسرون الذين انطلقوا من سياق آيات ثلاث – ذكرناها في المبحث الثالث، بما يحمله النصّ من دلالة.

٣- إعادة النظر في توجيه الجمل الأخرى التي لا محل لها من الإعراب على وفق نظر دلالي ينطلق مما تناثر من آراء لم يكتب لها الذيوع وعلى الوجه المقترح:

أ- الجملة المعترضة (أو الاعتراضية) فقد وجدت إشارات عند من يراها (حالية).

ب- الجملة التفسيرية: سواء بأداة أم بغير أداة، قد تكون بدلاً أو عطف بيان.

ج- الجملة الاستئنافية: تلحق بالجمل التابعة.

د- جملة جواب القسم، وجواب الشرط غير الجازم يدرسان على وفق أسلوبين يتكونان من جملة كبرى.

وقد وجّهت أحد طلبة الماجستير ممن أتوسم فيه خيراً أنْ ينهض بدراسة (الجمل التي لا محل لها من الإعراب) عرضاً ونقداً للوصول على حلّ إشكالية ما له محل، وما ليس له محلّ في الجمل.

٤- الدعوة إلى تبني (نحو القرآن) في تصحيح ما وقع من وهم في كتب النحو.

المصادر:

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق مصطفى أحمد النمّاس، المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٧م.

٢- الإرشاد إلى علم الإعراب: شمس الدين محمد بن أحمد القرشي الكيشي (ت٦٩٥هـ)، تحقيق عبدالله الحسيني البركاتي، ومحسن سالم العميري، منشورات جامعة أم القرى/ السعودية، ط١، سنة ١٩٨٩م.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود محمد ابن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، تحقيق عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، سنة ١٩٩٩م.

٤- أسرار العربية: أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، د.ط، سنة ١٩٥٧م.

٥- الأسماء الموصولة العامة في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية: مطيع سليمان محمد القريناوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ غزة –فلسطين، سنة ٢٠١٤م.

٦- الاسم الموصول في صحيح مسلم –دراسة نحوية دلالية: حبيب الرحمن حافظ محمد مظهر الحق الأركاني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية/ ماليزيا، سنة ٢٠١١م.

٧- الاسم الموصول وجملة صلته في النحو العربي – عرض وتأصيل: فراس عبدالعزيز عبدالقادر، وشيبان أديب رمضان الحيالي، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين/ كلية الآداب/ جامعة الموصل، العدد (٦١)، سنة ٢٠١٢م.

٨- الاسم الموصول ودلالته بلاغياً في سورة البقرة: أحمد عبدالحميد علي خزنة، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية/جامعة المدينة العالمية/ماليزيا، سنة ٢٠١٣م.

٩- الاسم الموصول وصلته –دراسة في معاني القرآن للفرّاء: كاظم إبراهيم كاظم، بحث منشور في مجلة التواصل اللساني/المغرب، المجلد الرابع، العدد الأول، سنة ١٩٩٢م.

١٠- الأصول في النحو: أبو بكر السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٧م.

١١- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ابن خالويه (٣٧٠هـ)، مكتبة المتنبي/ القاهرة، د.ط، سنة ١٩٤٠م.

١٢- إعراب الجمل وأشباه الجمل: فخر الدين قباوة، دار القلم العربي/ حلب، ط٥، سنة ١٩٨٩م.

١٣- إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق زهير غازي زاهد، دار المعرفة/ بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٨م.

١٤- أقسام الكلام العربي بين الشكل والوظيفة: فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي/ القاهرة، د.ط، سنة ١٩٧٧م.

١٥- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، سنة ١٩٧٩م.

١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): البيضاوي (ت٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا- يروت، د.ط، سنة ٢٠٠٤م.

١٨- الإيضاح في شرح المفصّل: ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية، د.ط، سنة ١٩٨٢م.

١٩- البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية/ بغداد، د.ط، سنة ١٩٨٠م.

٢٠- البحر المحيط في التفسير: أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ زهير جعيد، دار الفكر/ بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٥م.

٢١- البيان في شرح اللمع لابن جنّي: الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت٥٣٩هـ)، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمّار/الأردن، ط١، سنة ٢٠٠٢م.

٢٢- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية/بيروت، د.ط، د.ت.

٢٣- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب العاملي، منشورات ذوي القربى/ طهران، ط١، سنة ١٤٣١هـ.

٢٤- تجديد النحو: شوقي ضيف، دار المعارف/القاهرة، ط٥، سنة ٢٠٠٣م.

٢٥- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ/ بيروت، طبعة جديدة منقحة، د.ت.

٢٦- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، بإشراف محمود عبدالقادر الأرناؤوط، دار الأخيار/الرياض، ط١، سنة ٢٠٠٣م.

٢٧- توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جنّي: أحمد بن الحسين الخبّاز (ت٦٣٩هـ)، تحقيق فايز زكي محمد دياب، دار السلام/ القاهرة، ط٢، سنة ٢٠٠٧م.

٢٨- التوطئة: أبو علي الشلوبين (ت٦٤٥هـ)، تحقيق يوسف أحمد المطوّع، مكتبة الثقافة الدينية/الكويت، د.ط، سنة ١٩٨٠م.

٢٩- تيسير التفسير للقرآن الكريم: محمد بن يوسف اطفيّش (ت١٣٣٢هـ)، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان.

٣٠- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، شوقي ضيف، دار المعارف/ القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٣م.

٣١- جامع البيان في تفسير آي القرآن: أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٣، سنة ١٩٩٩م.

٣٢- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق صدقي جميل العطار، والشيخ عرفان العشّا، دار الفكر/بيروت، د.ط، سنة ٢٠٠٢م.

٣٣- حاشية الصبّان: محمد علي الصبّان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية/ القاهرة، د.ط، د.ت.

٣٤- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧١م.

٣٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوّض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية/بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٣م.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: أبو الثناء الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق أبي عبدالرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار، المكتبة التوفيقية/ القاهرة، دزط، د.ت.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي/بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٤م.

٣٨- شرح الأشموني: الأشموني (ت٩١٨هـ)، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية/صيدا-بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٣٩- شرح التسهيل: ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة/ القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٠م.

٤٠- شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٠م.

٤١- شرح الرضي على الكافية: الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس/ بنغازي، ط٢، سنة ١٩٩٦م.

٤٢- شرح المفصّل: ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تحقيق أحمد السيد سيّد أحمد، وإسماعيل عبدالجواد عبدالغني، المكتبة التوفيقية/القاهرة، د.ط، د.ت.

٤٣- غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية/جدّة- مؤسسة علوم القرآن/بيروت، د.ط، سنة ٢٠١٠م.

٤٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة/بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٤م.

٤٥- في إصلاح النحو العربي -دراسة نقدية: عبدالوارث مبروك سعيد، دار القلم/ الكويت، ط١، سنة ١٩٨٥م.

٤٦- في النحو العربي -قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي، ط٣، سنة ١٩٨٥م.

٤٧- كتاب سيبويه: سيبويه (ت نحو ١٨٠هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل/ بيروت، ط١، د.ت.

٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان/الرياض، ط١، سنة ١٩٩٨م.

٤٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق علي عاشور، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٢م.

٥٠- اللغة العربية معناها ومبناها: تمّام حسّان، عالم الكتب/القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٩م.

٥١- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي/ القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٨م.

٥٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيّب/بيروت، ط١، سنة ١٩٩٨م.

٥٣- مدخل إلى نحو اللغات السامية: سباتينو موسكاتي، وأنطوان شبتلر، وإدفارد أولندورف، وفلهام فون زودن، ترجمة: مهدي المخزومي وعبدالجبار المطلبي، عالم الكتب/بيروت، ط١، سنة ١٩٩٣م.

٥٤- مذاهب التفسير الإسلامي: إيجناس جولد تسيهر، ترجمة: عبدالحليم النجار، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، د.ط، سنة ٢٠١٣م.

٥٥- المسائل الشيرازيات: أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق حسن بن محمود الهنداوي، كنوز إشبيليا/ السعودية، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

٥٦- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي (ت٥٣٧هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٤، سنة ١٩٨٨م.

٥٧- المشكل في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني: سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

٥٨- معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر، وسليمان مسلم الحرش، وعثمان جمعة ضميرية، دار طيبة/ الرياض، ط١، سنة ١٩٨٩م.

٥٩- معاني القرآن: الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٠م.

٦٠- معاني القرآن: الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العلمة للكتاب/ القاهرة، د.ط، سنة ٢٠٠٠م.

٦١- معاني القرآن: الكسائي، تحقيق عيسى شحاتة عيسى، دار قباء/القاهرة، د.ط، سنة ١٩٩٨م.

٦٢- معاني القرآن الكريم – تفسير لغوي موجز: إبراهيم عبدالله رفيدة ومحمد رمضان الحربي ومحمد مصطفى صوفية ومصطفى الصادق العربي وأحمد عمر بو حجر، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية/طرابلس-ليبيا، ط١، سنة ٢٠٠١م.

٦٣- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب/بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٧م.

٦٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، مؤسسة الصادق/طهران، ط١، سنة ١٣٧٨هـ.

٦٥- المفصل في صناعة الإعراب: الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، طبعة مدينة كريستيانيا النروجية، سنة ١٨٧٩م.

٦٦- المقتضب: المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/القاهرة، د.ط، سنة ٢٠١٠م.

٦٧- من إشكاليات العربية – المصطلح النحوي ورواية اللغة: سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط١، سنة ٢٠١٤م.

٦٨- الموصولات في اللغة العربية – التأصيل والإحالة: زكريا محمد حسن، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة مؤتة، سنة ٢٠٠٩م.

٦٩- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسن الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط٥، سنة ١٩٨٣م.

٧٠- النحو الجديد: يعقوب عبدالنبي (ت بعد ١٩٤٥م)، بحث مخطوط مقدم إلى مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤١م، نقلاً عن: عبدالوارث مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي –دراسة نقدية.

٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والدرر: البقاعي (ت٨٨٥هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية.

٧٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون وعبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة/ بيروت، د.ط، سنة ١٩٩٢م.

٧٣- هيميان الزاد الداعي إلى دار المعاد في تفسير القرآن: محمد بن يوسف اطفيّش (ت١٣٣٢هـ)، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان، د.ط، سنة ١٩٨٨م-١٩٩١م.

سكان بغداد وأحوالهم الإجتماعية
في مؤلفات الرحالة والكتّاب الاجانب

الأستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي
مركز احياء التراث العلمي/ جامعة بغداد/ كلية الآداب

الملخص:

يهدف البحث الذي نحن بصدده إلى إلقاء الضوء على سكان بغداد في مؤلفات الرحالة والكتاب الأجانب وتقديرات أعدادهم في مختلف العهود بآعتماد المنهج الوصفي–التاريخي. ولقد قُدِّرَ عددهم في زمن هارون الرشيد (٧٨٦–٨٠٩م) بنحو نصف مليون نسمة. في حين آنخفض عدد سكانها عند وقوعها بقبضة الصفويين عام ١٥٠٨ إلى ٣٠٠٠٠ نسمة فقط. ووصف تيكسيرا (١٦٠٤) سكانها بأنهم من العرب المتحضرين واقليات أُخرى. ثم تناقص عددهم إلى النصف بحسب تقديرات تافرنييه سنة ١٦٥٢، حيث تمثل هذه المرحلة إنهياراً في معالمها الحضارية. وبعد ١٤٢ عاماً آزداد عدد سكانها إلى ١٠٠ الف نسمة كما أشار إلى ذلك (أوليفيه). ولكن بعد الفيضان والطاعون الذي حدث بعد حكم داود باشا (بعد عام ١٨٣١) آنخفض عدد سكان االمدينة إلى ٢٧ ألف نسمة كما ذكر المبشر (كروفس). وبدأ العدد يتزايد إلى ٦٠ ألف نسمة كما أشار إلى ذلك فيلكس جونس سنة ١٨٥٣. وفي زمن مدحت باشا تضاعف الرقم المذكور، وقدّر لوريمر عددهم سنة ١٩٠٥ بنحو ١٤٠ ألف نسمة.

وبحسب الإحصاءات الرسمية بلغ عدد سكان مدينة بغداد سنة ١٩٣٧ بحوالي ٣٦٧ ألف نسمة عدا الأجانب. وبأكثر من نصف مليون بموجب تعداد عام ١٩٤٧. وضعف هذا العدد بموجب تعداد عام ١٩٥٧. وفي تعداد عام ١٩٦٥ بلغ الرقم (١,٦ مليون نسمة)، وبنحو ضعف هذا الرقم (٣,٢ مليون) في تعداد عام ١٩٧٧. وبعد عشر سنوات آرتفع العدد إلى (٣,٨ مليون) . وبعد عقد آخر من الزمن وصل الرقم إلى ٤,٥ مليون نسمة. وبموجب تقديرات عام ٢٠٢١ وصل سكان مدينة بغداد إلى ٦,٥ مليون نسمة وهو يمثل ٧٤٪ من سكان محافظة بغداد البالغ عددهم نحو ٨,٨ مليون نسمة. وابرز ما لاحظته بغداد بعد عام ٢٠٠٣ هو تزايد عدد العشوائيات فيها إلى ١٠٢٢ تجمعاً عشوائياً، أي بأكثر من ربع (٢٨٪) عدد عشوائيات العراق بسبب الهجرة المتزايدة إلى المدينة ولاسيما من جنوب العراق.

المقدمة:

على الرغم من أن موضع بغداد عريق في حضارته، موغل في قدمه، حيث يعود إلى زمن نبوخذ نصر الثاني أو زمن أقدم منه، إلّا أن المنصور أبي جعفر قد أحيا هذا الموضع ببناء دار السلام سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م؛ لتكون أولاً لسان تاريخ، ولتكون ثانياً قوة دافعة، ولتصبح ثالثاً نبعاً

مميزاً ينفع الناس ويمنح الإنسانية أكمل وأنضج حضارة، حيث عُدّت أعظم تجربة معمارية قام بها العرب المسلمون في العصر العباسي، وفيما تركته من تأثير واضح في المدن التي اختطها العرب في البلاد الإسلامية عبر حكمهم الطويل.

وقد ظلّت مدينة بغداد محتفظة بهذا المركز المرموق حتى الربع الأول من القرن الرابع للهجرة/العاشر الميلادي، حيث أصابها التدهور في أحوالها بصورةٍ خاصة وأحوال العراق بصورةٍ عامة، حين غزاها الأعاجم من الفرس والترك.. وما رافق هذا الغزو من عوامل الدمار والتخريب نتيجة الحروب التي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء.

ويتحدد موضوع الدراسة بسكانها، وهم حركة الحياة، لأنهم يعدّون ثروة الأمة ولولاهم ما جادت الأرض بخيراتها، وما انتشر العمران وما قامت حضارةٌ فيها. فالسكان هم اليد التي تعمِّر والتي تحرث الأرض وتدير المصانع، وهم العقول التي تفكر وتبدع.

تقدير حجم السكان:

روي عن الخطيب البغدادي أن عدد سكان مدينة بغداد في المرحلة المزدهرة من العصر العباسي بلغ (في ضوء عدد الحمامات) نحو ١.٥ مليون نسمة[١] أو مليوني نسمة مؤيدة برواية الطبري بحسب تقدير صاحب التمدن الاسلامي[٢]. كما قُدّر عدد منازلها بنحو (١٢٥) ألف منزل[٣]. ولم يتجاوز عدد سكانها تخميناً بحسب تقدير آخر عن ثلاثة أرباع المليون نسمة[٤]. ومهما بالغ المبالغون لا يصل عدد سكان مدينة بغداد على عهد هارون الرشيد بأكثر من (نصف مليون) نسمة.

أما عدد سكان المدينة المدورة فقد أجرى الدكتور عبد العزيز حميد عملية حسابية لتقدير الدور في ٤٥ ربضا من أرباضها الموزعة على أربعة أماكن بين أبوابها (بحسب تقدير اليعقوبي) وتوصل إلى ان نفوس المنطقة السكنية في المدينة المدورة هي في حدود(٢٦٠) الف نسمة كحد

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص١١٧- ١١٨، ابن الجوزي، مناقب بغداد، تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري البغدادي ، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ، ص٢٤.

[٢] جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٢، دار الهلال ، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٨٧- ١٨٨، علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦، ص٢٢، ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية فؤاد جميل ومصطفى جواد، ج٢، مطبعة شفيق ، بغداد، ١٩٦٢، ص٥٨.

[3] A.A.Duri," Baghdad," Encyclopaedia of Islam, New Edition , Vol.I, P.899.

[٤] مصطفى جواد وآخرون، بغداد- عرض تاريخي مصور، منشورات نقابة المهندسين العراقية، مؤسسة رمزي للطباعة ، بغداد ، ١٩٦٩، ص٧٨.

أعلى لعمق المنطقة السكنية الذي اقترحه الاستاذ هرتسفيلد وأيّده الاستاذ كروسويل. واذا أخذنا الحد الادنى لعمق تلك المنطقة سينخفض عدد السكان الى(٢٠٠) الف نسمة[٥].

إن تقاطر العدد المتزايد من الناس على مدينة بغداد المدورة كان لا بد أن يؤثر في توسع المدينة. وفي نفس الوقت صارت القرى الواقعة في الأطراف والموجودة منذ القدم منازل سكنها الناس واتصل بعضها ببعضٍ. وبدأ العمران في منطقة الكرخ، وما حولها يتسع منذ سنة ١٥٧هـ عندما أمر المنصور بإخراج أهل السوق من مدينته المدورة ونقلهم إلى الكرخ حيث خطّ لهم الأسواق واتسع عددهم زمن المهدي[٦].

واتسمت مدينة بغداد الشرقية في نهاية القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) بكثرة سكانها كما وصفها اليعقوبي[٧]. وكانت تضم ثلاث محلات هي: الرصافة، الشماسية، المخرَّم. وبلغ امتداد الرصافة ٧ كم طولاً و٢ كم عرضاً[٨]. ويعّد قصر الخليفة الكبير مركز السكان، وكان يشغل ثلث مساحة المدينة، وحوله شبكة من الأسواق والدروب[٩].

ولم يبقَ مسكوناً أيام ياقوت(٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) من المحلات التي ذكرها ابن جبير (٥٤٣هـ/١١٤٨م)[١٠]، أي من القسم القديم من بغداد الشرقية، سوى الرصافة وأبو حنيفة ودار الروم[١١]. أما الجانب الغربي، فقد سبق الجانب الشرقي في الخراب، فما شاهده ابن جُبير لايعدو أن يكون (الأثر الطامس)[١٢].

وأشهر ثلاث محلات مزدحمة بالسكان في بغداد الغربية كانت تشمل(باب المحول، وباب الروم، والكرخ). وظلّت الكرخ أكثر المحلات إزدحاماً بالسكان واحتفاضاً بهيئتها واشتهرت بنشاطها التجاري[١٣].

---

[٥] عبد العزيز حميد، تنقيبات جامعة بغداد في البحث عن المدينة المدورة ، ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٨.

[٦] صالح أحمد العلي، بغداد مدينة السلام: الجانب الغربي، المجلد الثاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥، ص٣٩، ٥٣.

[٧] كي لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس ، ط١، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٦، ص١٧١.

[٨] أمين الريحاني، قلب بغداد، مطبعة صادر ، بيروت، ١٩٣٥، ص٤٦.

[٩] كي لسترانج، مصدر سابق، ص٢٨٧– ٢٨٨.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، مطبعة عبد الحميد احمد، مصر، ١٩٣٧، ص١٧٨– ١٨٠.

[١١] كي لسترانج، مصدر سابق، ص٢٨٧– ٢٨٨.

[١٢] ابن جبير ، مصدر سابق، ص١٧٩، أمين الريحاني، مصدر سابق، ص٤٦

[١٣] المصدر نفسه(ابن جبير)، ص١٧٩– ١٨٠، كي لسترانج، مصدر سابق، ص١٢١– ١٢٢، ١٩٩، ٢٧٣، ٢٨٤– ٢٨٨.

ويتحدّث ابن عبد الحق(حوالي ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) عن حي القُرَّية وحي الرملية الآهل بالسكان، وسوق دار الرقيق، ودار القز[١٤]. فضلاً عن وجود محلات أُخرى في بغداد الغربية مثل محلة الشارع والحربية.

وتتباين مستويات الأحياء السكانية من الناحية الاجتماعية، فهناك احياء ارستقراطية مثل الظاهر والشماسية والمأمونية ودرب عون، وأحياء فقيرة مثل قطيعة الكلاب ونهر الدجاج، وكانت البيوت تتكون من طابقين، أما بيوت العامة فمن طابق واحد[١٥].

وقد بولغ في تقدير عدد القتلى من سكان مدينة بغداد بعد احتلال المغول لها سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ووصلت بعض التقديرات إلى ٧٠٠ الف نسمة[١٦]، إلّا ان التقدير الذي ذكره الدكتور عبد العزيز الدوري، وهو مئة الف نسمة[١٧]، يبدو أنه رقم معقول.

وفي إحدى مراحل تدهور المدينة وتفككها قُدِّر عدد سكانها عند وقوعها في قبضة الصفويين عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م بحوالي ٣٠٠٠٠ نسمة[١٨]. ووجد (رالف متش) عام ١٥٠٨أن بغداد لم تكن كبيرة جداً، ولكنها كانت مزدحمة بالسكان، وأكد ذلك أيضاً الرحالة الإيطالي (فيدريجي)، وهو أحد تجار البندقية، الذي زار بغداد في سنة ١٥٦٣ حيث يكثر فيها الغرباء من التجار؛ لأنها نقطة انطلاق إلى بلاد فارس وتركيا وأرمينيا وبلاد العرب[١٩].

وأكد تلك المعلومات أيضاً (غاسبارو بالبي) في رحلته إلى مدينة بغداد عامي ١٥٧٩ و١٥٨٠[٢٠]. ويذكر (الاخوة شيرلي) شهرة مدينة بغداد سنة ١٥٨٩ بجسرها المزدحم بحركة مرور التجار القادمين من مختلف الجهات، ويتكون سكانها من العرب والأتراك والأرمن واليهود[٢١]. [٢٢]

---

[١٤] عبد العزيز الدوري، بغداد،" دائرة المعارف الاسلامية"، ط١، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٤، ص١٢١.

[١٥] المصدر نفسه، ص٩٢.

[١٦] بترمان وكارل رتر ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤، ص٨٦.

[١٧] عبد العزيز الدوري، بغداد، مصدر سابق، ص١١٨.

[١٨] محمد صادق الحسيني، عمران بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٣٠ ص٢٠٦- ٢٠٨.

[١٩] رحلة فيدريجي إلى بغداد، ترجمة الأب الدكتور بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد٤، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٦٥-١٦٦.

[٢٠] رحلة بالبي إلى العراق، عربها عن الإيطالية وعلق عليها الأب الدكتور بطرس حداد، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٧١.

[٢١] بغداد في رحلة الاخوة شيرلي سنة ١٥٨٩ (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مراجعة الدكتور شمران العجلي، تحقيق الدكتور عبد الجبار ناجي، والدكتور انيس عبد الخالق محمود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص١٢٥-١٢٦).

[٢٢] عبد العزيز الدوري، مصدر سابق، ص١٢٩.

وقدّر الرحالـة البرتغـالي (بـدرو) عـام ١٦٠٤ عـدد منـازل شـرقي بغـداد بمـا يتـراوح بـين (٢٠ و٣٠) الف منزل. ولكن لا يعرف هل جميعها كانت مشغولة بالسكن أو أن بعضها كان خالياً من السكان.

وفي السنة نفسها (١٦٠٤) تحّدث الرحالة البرتغالي (بيتر تيكسيرا) عن مدينة بغداد، ووصفها بأنها اصغر حجماً من البصرة، وتشابه أية مدينة أوربية في ذلك الحين على الرغم من خلوها من الأبنية الحجرية الفخمة[٢٣].

ووصف تيكسيرا سكان بغداد بأنهم من العرب المتحضرين، والبقية من الاتراك والأكراد وعدد محدود من العجم الفرس، فضلاً عن ٢٠٠-٣٠٠ بيت من اليهود، وعشرة بيوت من المسيحيين الأرمن و٨٠ بيت من النساطرة. وسكان بغداد عموماً ذو بشرة بيضاء، وجميلو الشكل، وذو مزاج لطيف واجتماعيون. ومعظم الرجال يمتطون صهوة الحصان، وهم يرتدون ملابسهم النظيفة النضرة الغالية الثمن، وكذلك النسوة فغالبيتهن جميلات، وتسير النساء في الشوارع وهن محجبات وعلى وجوههن شاش أسود أو احمر قانٍ جميل؛ لذا فإنهن يتمكن من رؤية كل شيء من دون أن يراهن أحد، وأحياناً لا يغطين أنفسهن. وتضم الضاحية الجنوبية لبغداد ثلاثة آلاف بيت مأهولة بالسكان، ويعيش الباشا في القلعة مع الناس التابعين له وعددهم يتراوح ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ شخص[٢٤].

وذكر الرحالة (ديللا فاليه) في عام ١٦١٦ أن المسيحيين وفدوا إلى بغداد منذ سنوات قليلة (في مطلع القرن السابع عشر) هرباً من الحروب والقلاقل في البلدان الأخرى، وكان عددهم قليلاً. وكمثال على هؤلاء الوافدين: (حماة الرحالة المذكور) وابنتها (زوجته) التي جاءت من آمد (ديار بكر) وكانت ابنتها حينذاك بعمر أربع سنوات، وكانتا لا يتكلمن الأرمنية، فالعربية هي لغتهما. وزوجته كسائر الناس تلف وجهها بقناع أسود اللون يُبرز جمالها[٢٥].

وغادر مدينة بغداد الكثير من السكان في سنة ١٦٢٣ على أثر آحتلال الصفويين للمدينة وَذَبْحِ عدداً من السكان[٢٦]. وذكر الرحالة الفرنسي "توماس هربرت" وجود ١٥٠٠٠ عائلة كانت

---

[٢٣] سارا سيرايت، رحلة البرتغالي إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة فؤآد قزانجي، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، ١٩٨٩، ص٢٤٨.

[٢٤] رحلة بيتر تيكسيرا من الهند إلى إيطاليا عن طريق البر، لندن، ١٧١٦، ترجمة انيس عبد الخالق محمود، ص ٣٥-٤٥ (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب ، مصدر سابق، ص ١٤٤-١٤٥).

[٢٥] رحلة ديللا فاليه إلى العراق، ترجمة الأب الدكتور بطرس حداد (عن النص الإيطالي)، بغداد، ٢٠٠٢، ص ص ٤١-٤٩، ٧٤-٩٥، تعليق المترجم.

[٢٦] بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، مصدر سابق، ص١٨.

تسكن بغداد سنة ١٦٢٧[٢٧]. وبحسب رحلة "بروفنس" سنة ١٦٢٨ كانت بغداد مدينة مزدحمة بالسكان[٢٨].

ويذكر الرحالة الأب فيليب الكرملي (١٦٢٩) أن سكان بغداد يتكونون من الكلدانيين الذين يتكلمون العربية، والمسلمون هم الغالبية العظمى وبينهم الكثير من المسيحيين والأرمن واليعاقبة والنساطرة واليهود[٢٩].

وفي سنة ١٦٣٠ أصاب بغداد وباء عنيف فتناقص سكانها إلى ١٥٠٠٠ نسمة[٣٠]. وفي عهد حكم حسن باشا انتشرت المجاعة ومرض الطاعون، فملئت أزقة بغداد جثث الموتى[٣١].

وبعد سلسلة من الحصار بين العثمانيين والصفويين والذي أدى إلى مقتل عددٍ كبيرٍ من أبنائها ودخول السلطان العثماني مراد الرابع إليها سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م قدّر عدد سكانها بحوالي ١٥٠٠٠ نسمة، وكان جانبها الغربي خراباً[٣٢]. غير ان المصادر أشارت إلى أن مراد الرابع عند استيلائه على مدينة بغداد فرّ ٣٠٠٠٠ فارس من باب الظلمة الكائنة في جنوب المدينة، وتسمّى أيضاً باب الظلام، وهي باب كلواذا. مما يعني أن عدد سكان بغداد كان أكثر من الرقم المشار إليه (وهو ١٥٠٠٠ نسمة) [٣٣].

وفي تلك المدة زار الرحالة الفرنسي (تافرنييه) مدينة بغداد مرتين وكتب عنها سنة ١٦٣٢ حينما كانت تحت وطأة الاحتلال الصفوي قائلاً :((... وحالتها العمرانية سيئة وهي غير مأهولة بما يناسب رقعتها)) [٣٤]. وقدّر تافرنييه سكانها سنة ١٦٥٢ بحوالي (١٥) الف

---

[٢٧] المصدر نفسه، ص١٨٦.

[٢٨] رحلة باسيفيك دو بروفنس إلى الشرق عام ١٦٢٨، ترجمة الدكتور يوسف حبي (عن النص الفرنسي)، مجلة المورد، المجلد ١٤، العدد الاول، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٧-٥٨.

[٢٩] الرحلة الشرقية للاب فيليب الكرملي، ترجمة وتعليق الدكتور بطرس حداد (عن النص اللاتيني)، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، بغداد، ١٩٨٩، ص١٥٦، ١٦٢.

[٣٠] بغداد في مؤلفات الرحالة الاجانب من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مصدر سابق، ص١٩.

[٣١] ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط٦، مطبعة أركان، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥، ص١١٩.

[٣٢] محمد صادق الحسيني، مصدر سابق، ص٢٠٦- ٢٠٨.

[٣٣] بترمان وكارل رتر، مصدر سابق ، ص١٣.

[٣٤] العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه، ص٨٥- ٨٦ (عن: علاء موسى كاظم نورس، أحوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط١، هيئة كتابة التاريخ ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص١١).

نسمة[٣٥]، وعن تلك المرحلة تحدّث ريجارد كوك قائلاً: ((وهوت حال بغداد مرة أخرى الى الحضيض الأوهد، ولعلّ هذا الوقت هو بدء زوال مابقي من مشيدات عهد الخلفاء وانهيار المدارس والحياة الثقافية في المدينة انهياراً نهائياً))[٣٦].

ويذكر "اوليا جلبي" (١٦٤٥-١٦٥٢) سيماء أهالي بغداد بأنه ذو لون حنطي ويمتازون بحسن الصورة وجمال المنظر، ويطلق معظم رجال بغداد لحاهم. ويتسم فتيانها بجمال ملائكي ومنظر أخّاذ. اما فتياتها فصاحبات جمال وذوات حواجب مقوسة وأهداب كالسهام، وغمزات تترية يحاكين الغزلان في الحسن، وذوات وجوه نورانية وكأنهن آيات شمس ساطعة. ويتخاطب أهالي بغداد بالعربية والكردية والفارسية وبكل فصاحة وبلاغة، ويجيد العوام اللغتين الأرمنية والهندية[٣٧].

وبحسب رحلة (تيفينو) عام ١٦٦٤ كانت الأماكن المأهولة بالسكان كثيرة بالرغم من وجود أماكن اخرى خالية منهم، وكان السكان يطحنون القمح بالرحى التي تحركها الجياد بدورانها او باليد، ويستعملون النفط للإنارة[٣٨].

وقد حدد الرحالة الألماني (نيبور) سنة ١٧٦٥ مركز التجمع السكاني في القسم الواقع على نهر دجلة القريب من سراي الوالي. وبذلك فإن القسم الأعظم من داخل المدينة كان مهدماً وغير مسكون، ويمكن ان يعزى إلى الحروب التي تعرضت لها المدينة في وقت قريب[٣٩].

وفي عهد نيبور استمرت الأزقة ضيقة وقذرة والدور مرتفعة تتألف من عدة طوابق وأطرافها محاطة بالجدران، وغُرس النخيل في وسطها[٤٠]. كما أن واجهاتها المطلة على الأزقة والشوارع تكون خالية من المنافذ والشبابيك. ويتوسط هذه البيوت رحبة صغيرة (صحن) مربعة الشكل تشرف عليها أحسن غرف الدار. وهذا الطراز من البناء لا يتفق وطقس بغداد لخلوها من وسائل التهوية الطبيعية؛ ولذلك فإن السكان يبنون في كل بيت سردابا يقضون فيه معظم أوقات النهار، وفي السرداب مجرى للهواء (بادكَير)[٤١]، ويستخدم السكان سطوح المنازل للنوم ليلاً.

---

[٣٥] المصدر نفسه، ص٨٦، ٢٠٨، بترمان، وكارل رتر، مصدر سابق، ص٢١.

[٣٦] ريجارد كوك، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢ عن: علاء موسى نورس، ص١١-١٢.

[٣٧] رحلة أوليا جلبي، ترجمة صبحي ناظم توفيق، (عن: اللغة العثمانية أي التركية القديمة)، المجلد الرابع، اسطمبول، ١٨٩٨، إشراف أحمد جودت، ص٣٩٢-٤٣٢.

[٣٨] بغداد في مؤلفات الرحالة الاجانب، مصدر سابق، ص٣٩٦-٣٩٧.

[٣٩] نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الألمانية الدكتور محمود حسين الأمين، مراجعة سالم الآلوسي، وزارة الثقافة والارشاد، سلسلة الكتب المترجمة (رقم٢) ، دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد، ١٩٦٥، ص٢٩.

[٤٠] المصدر نفسه، ص٢١، ٢٩.

[٤١] المصد نفسه، ص ٢٩.

وقد أصاب مرض الطاعون أعدادا كبيرة من سكان مدينة بغداد سنة ١٧٧٣ وقضى على (٥٠-٦٠ الف نسمة منهم[٤٢]. وبعد سنة ١٧٧٤ عاد الى المدينة شيء من النشاط وبخاصةٍ في عهد سليمان باشا (١٧٧٧-١٨٠٢) الذي كان حازماً في إدارته فارتفع عدد السكان[٤٣] إلى (٧٠) الف نسمة، من العرب و(٢٠) الف من الإنكشارية[٤٤].

وقدّر بوشامب سكان مدينة بغداد سنة ١٧٨٢ بما يتراوح بين (١٠٠-١٥٠) الف نسمة، ويرى أن السكان العرب أكثرهم طيبةً في هذا الكون[٤٥]. وذكر الرحالة الإنكليزي (جاكسون) سنة ١٧٩٧ أن دُور مدينة بغداد كانت تتكون من طابق واحد عدا بيوت الوزراء والقادة والأثرياء، وكانت تمتد مع امتداد نهر دجلة لمسافة ثلاثة أميال (أقل من ٥كم) وطول أسوارها زهاء الميلين (نحو٣ كم)[٤٦].

سكان بغداد بحسب رحلة أوليفيه (١٧٩٢-١٧٩٤):

تزايد نفوس مدينة بغداد إلى اكثر من (١٠٠) ألف نسمة لغاية عام ١٧٩٤. بيد أن تقدير كل من الرحالة الفرنسي " لوي جاك روسو" في عام ١٨٠٨، الذي كان وكيلاً للعلاقات التجارية منذ مدة طويلة، والتاجر (ليوني) الذي عاش في هذه الاقاليم لأكثر من أربعين عاماً، فضلاً عن رئيس الأساقفة الكرمليين، كان تقديرهم لا يزيد عن (٨٠) الف نسمة (٥٠ الف من العرب، ٢٥ ألفا من الترك، بما فيهم الإنكشارية وحرس الباشا، وألف من الأكراد، وألف وخمسمئة من المسيحيين أو الأرمن و٢٥٠٠ من اليهود). ولقد تأكد بأن نفوس مدينة بغداد آزداد ما بين ٣٠-٤٠ ألف نسمة منذ أن تولى سليمان باشا مقاليد الحكم في مدينة بغداد ولغاية هذه المرحلة، كان بينهم (١٢ أو ١٥) ألف من الفرس الذين هربوا من بلادهم بسبب الاضطرابات الأهلية هناك قرابة ما يزيد عن النصف قرن. كما استوطن الكثير من اليهود والأرمن فيها لغرض التجارة مع تركيا والهند التي يوليها الباشا جلَّ إهتمامه. وقد وجدنا سكان بغداد وهم الأكثر لطافةً، وكبارهم أكثر أدباً وثقافةً، والتجار أكثر نشاطاً ونباهةً من سائر تجار مدن الإمبراطورية

---

[٤٢] بترمان وكارل رتر، مصدر سابق، ص٢٦- ٢٧، احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ ، القسم الاول، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد، ١٩٦٣، ص٣٥٣.

[٤٣] عباس فاضل السعدي، محافظة بغداد: دراسة في جغرافية السكان، ط١، مطبعة الازهر، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧١.

[٤٤] مصطفى جواد وآخرون، بغداد عرض تاريخي مصور ، مصدر سابق، ص٧٩.

[٤٥] بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة ١٧٨٢، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب ، مصدر سابق، ص ٤٢٤-٤٣١).

[٤٦] علاء موسى نورس، مصدر سابق، ص٢٣.

العثمانية. كما ان التعصب الديني أخف حدةً، والحسد فيها أقل انتشاراً وعنفاً بين أبناء المدينة الواحدة[٤٧].

أما النساء فإنهن يتحصن في غرف الحريم، كما هو شأن المدن الأخرى، ويبقين بمعزلٍ عن الرجال. وعندما يخرجن فإنهن يتحجبن بالكامل. وفيما بينهن يكثرن من التزاور، وغالباً ما يحتفلن بالأعياد، ويبدأ الانشراح على أنغام الموسيقى ويرقصن بكل حرية. والنساء اللاتي ينتمين إلى طبقة الأغنياء فإنهن جميلات جداً على وجه العموم، رشيقات القوام؛ لأن أغلبهن ينحدرن من الرقيق الجورجيات والشركسيات والقوقازيات، ودُفعت في شرائهن أسعار مرتفعة جداً وكثيراً ما يثرثرن ويتكلمن بعناية فائقة، وعادةً فإنهن يتكلمن التركية والعربية. اما عند خروج النساء العامة إلى الطرقات فإنهن لا يتحجبن إلّا من حيث المظهر، وغالباً ما يتحررن من هذا الإلتزام. وهن نحيلات أكثر من كونهن بدينات، قوامهن معتدل، الرأس بيضوي، والأنف معتدل البروز، وغالباً ما يكون ضامراً مديداً، ملامحن قياسية، عيونهن سوداء كبيرة، بشرتهن سمراء داكنة، ووجوههن جميلة بصورة اعتيادية أفسدها قليلاً وضع الكحل على الحاجبين وحول العينين. فضلاً عن وضع اللون الأزرق على شفاههن، وهي الطريقة المتبعة في جميع جهات البحر المتوسط، كما يضعن في أحد المنخرين حلقة من ذهب. وهن في الأغلب لا يملكن سوى قميص أزرق واحد يستر أجسادهن، ومنديلاً حول الرأس (عصابة)، ولا يتكلمن سوى اللغة العربية[٤٨].

وفيما يخصّ الزينة والملابس فإن النساء الغنيات يعملن على إظهار أعلى درجات الزينة، فيرتدين أجمل الأقمشة الهندية، ويضعن فوق رؤوسهن خماراً وطاقيّة كبيرة مرتفعة، مسطحة ومستديرة من الأمام ومنحنية قليلاً نحو الخلف، مربوطة بمنديل من (الموسلين) المنقوش المطرز بالذهب أو الفضة، وفي بعض الأحيان تزين بألماس أو بأحجار كريمة أخرى. والنسوة في بغداد حافيات الأقدام داخل منازلهن ولا يرتدين الأحذية إلّا عند خروجهن، ويقمن بصبغ أيديهن وأرجلهن بلونٍ برتقالي، وأظافرهن باللون الأسود. ويستخدمن اللون نفسه لمعالجة شعرهن[٤٩].

ووصف (جاك لوي روسو) سكان بغداد سنة ١٨٠٩ بأنهم معتدّون بأنفسهم، جريئون، نشطون، ويغلب على الطبقة الدنيا الجهل والخرافات والبطالة. كما يوجد في بغداد عدد كبير من الفرس وهم يروجون بضاعتهم التجارية مع إيران وقندهار وأغلبهم رجال مثقفون. ويوجد عدد قليل من المسيحيين، بعضهم كاثوليك يتبعون العقيدة الكلدانية وسريان أو أرمن، والبعض الآخر لهم

---

(٤٧) أوليفيه، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين، (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، مصدر سابق، ص٤٨٩-٤٩٠.

(٤٨) المصد نفسه، ص٤٩٠-٤٩١.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٩١-٤٩٢.

كنيسة خاصة. اما اليهود فهم منعزلون في أحد أحياء المدينة ويتعرضون إلى إهانات الاتراك، وهم منافقون ودساسون ومخادعون بحسب وصفه[٥٠].

وفي عام ١٨١٦ سادَ الأمن وازدهرت التجارة ولم يؤذَ أحداً من النصارى، وقدّر عدد سكان مدينة بغداد بحوالي (١٠٠) ألف نسمة[٥١]، وإن كان تقدير بكنغهام أقل من ذلك الرقم[٥٢]. وأكد (كربوتر) الرقم المذكور عام ١٨١٨، وكذلك المنشيء البغدادي وإن ذكر بيتاً وليس نسمة[٥٣].

وفي حكم داود باشا(١٨١٦- ١٨٣١) كانت بغداد أغنى ولاية بعد مصر وبلغ عدد سكانها(١٢٠) الف نسمة، ثلثا العدد من المسلمين وهم من العرب والفرس والأتراك، والثلث الآخر من اليهود والمسيحيين[٥٤] والقادة العسكريين كانوا اتراكاً أو مماليك، أما التجار والصُّناع فكانوا من العناصر الآخرى[٥٥].

إلا إن ريجارد كوك ذكر أن بكنغهام قدّر سكان بغداد في زمن داود باشا مابين (٥٠- ١٠٠) الف نسمة، وهبط الى(٥٠) ألف نسمة بعد الفيضان والطاعون[٥٦]. في حين انخفض الرقم الى(٨٠) الف عند فريزر[٥٧]. وفي تقدير غيره انخفض الرقم الى (٣٠) الف نسمة[٥٨] والى (٢٠) الف نسمة بعد ذلك الحادث بحسب قول (ولستيد) الذي زار العراق سنة ١٨٣٠- ١٨٣١، وكذلك (ايلوي) الذي كان في بغداد سنة ١٨٣٥[٥٩].

وذكر المبشر (كروفس) في يومياته انه توصل بعد التدقيق والتحقيق أن عدد الذين هلكوا بعد حادث الفيضان والطاعون بلغ ثلثي سكان بغداد ولم يبق منهم سوى (٢٧) الف نسمة. على حين قدر السائح (سادوتكيت) نفوس المدينة سنة ١٨٣٧ بحوالي (٤٠) الف نسمة[٦٠].

---

[٥٠] جان باتيست جاك لوي روسّو، وصف باشوية بغداد سنة ١٨٠٩، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسن، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص١٩-٢١.

[٥١] اكرم فاضل (ترجمة)،" بغداد في آثار المستشرقين الفرنسيين"، مجلة المورد، ١٩٧٩، ص٤٨٣.

[٥٢] جيمس كوك، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، ج١، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٨، ص١٩٩.

[٥٣] عبد العزيز الدوري، بغداد، مصدر سابق، ص١٤٨.

[٥٤] جيمس ريموند ولستيد ، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، مطبعة ثويني، بغداد، ١٩٨٤، ص٧.

[٥٥] سليم طه التكريتي(ترجمة)،" بغداد في دوائر المعارف العالمية"، مجلة المورد، ١٩٧٩، ص٤٨٣.

[٥٦] ريجارد كوك، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٤ ، احمد سوسة ، فيضانات، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٤.

[٥٧] بترمان وكارل رتر، مصدر سابق، ص٦٦.

[٥٨] دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الرابع ، ص١٥.

[٥٩] احمد سوسة، فيضانات ، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٣.

[٦٠] المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٣.

وأكد والي بغداد رشيد باشا للرحالة (بترمان) الذي ألّف كتابه سنة ١٨٥٠ أن عدد سكان مدينة بغداد لايتجاوزون ٣٦ الف نسمة. وبسبب تعاطي الموظفين الرشوة كانوا يقدرون عدد الدور بأقل من حقيقته؛ لذلك كانت القناعة العامة أن عدد سكان المدينة يتراوح مابين (٦٠ و ٨٠) الف نسمة[٦١]. أما فيلكس جونس فقد قدّر العدد سنة ١٨٥٣ بنحو (٦٠) الف نسمة[٦٢]. وعلى نقيضها ظهرت تقديرات كبيرة لسكان المدينة.

وفيما يلي وصفٌ لحالة السكان عام ١٨٥٣ كما ذكرها فيلكس جونس[٦٣]: تضم مدينة بغداد خليطاً من السكان عددهم ستون ألفاً على حين تتحمل مساحتها أربعة أضعاف هذا العدد، ولامثيل لهذا الخليط السكاني واللغوي فيها، في أي مكان آخر والأتراك هم الطبقة الحاكمة ويشغلون الحيز الشمالي منها. ولليهود والنصارى محلات مستقلة خاصة بهم. أما غالبية السكان فهم المسلمون ويشغلون أغلب أقسام المدينة ولامثيل للتسامح بين الأديان في أي مكان آخر في العالم الاسلامي كما في بغداد. ويلاحظ أنهم يتمتعون بالكثير من الحرية حيث يمكن لليهودي أو المسيحي ان يمتطي ظهور الخيل في حين لايسمح بذلك لهم أو لغير المسلمين في سائر المدن الاسلامية، بل عليهم ركوب البغال فقط أو المشي على الأقدام للدلالة على الاختلاف الديني، ويمتهن اليهود مهنة الصرافة ويعاملون بكل ثقة من قبل كافة الطبقات ويشغلون هذه الوظيفة بمهارة واضحة.

أما اللغة السائدة بين عموم السكان فهي العربية العامية، هذا ويتكلم مسيحيو بغداد اللغة نفسها وكذلك اللهجة بقليل من التحريف وإهمال بعض الحروف. أما لغة الطبقة الحاكمة فهي التركية وتليها الفارسية بين التجار. وتشيع اللغات الكردية والآثورية (الكلدانية) واللرية(اللورستانية) بين الطبقات الدنيا والعمال والحمالين . ويمكن سماع العبرية في محلات بغداد القديمة الخاصة باليهود. أما المسيحيون من المذهب الروماني فيتكلمون العربية العامية السائدة عند عامة بغداد، هذا ويمكن سماع مايقرب من ثلاث عشرة لغة في غرفة واحدة حينما يجتمع الانكليز والفرنسيون والروس والهنود على مائدة المقيم البريطاني.

واستناداً إلى تسجيل النفوس في بغداد الذي أجراه مدحت باشا سنة ١٨٦٩ بلغ عدد الذكور ٦٥٦٨٣ نسمة وبضمنهم ٢٤١١ شخصاً من الأجانب[٦٤].

---

(٦١) بترمان وكارل رتر، مصدر سابق، ص٨٥– ٨٦.

(62) Felix Jones, Memoirs F. Jones, Bombay, 1857, P.315.

(٦٣) نجلة اسماعيل العزي،" تصوييات واستدراكات على بغداد في سنة ١٨٥٣ لفيلكس جونس"، مجلة المورد(تصدرها وزارة الثقافة والاعلام، بغداد) ، المجلد ٨، العدد ٤، ١٩٧٩، ص٦٨٧– ٨، Felix Jones, op. cit.,p.315.

(٦٤) جريدة الزوراء، العدد ٩، جمادي الاولى سنة ١٢٨٦هـ/٩ آب ١٨٦٩م.

واستمر تباين التقديرات في السنوات اللاحقة ، ففي سنة ١٨٨٨ زارت السائحة الالمانية السيدة(يفيفر) العراق، وذكرت أن عدد نفوس بغداد يتراوح مابين(٥٠- ٦٠) الف نسمة. وزار بعدها السائح البريطاني (كراتان كيري) المدينة وأشار الى أن عدد سكانها يصل في الحالات الاعتيادية الى(٨٠) الف نسمة(٦٥)، وفي تقدير غيره (٩٠) ألف شخص بين عامي ١٨٩٠و١٩٠٠ وقد يصل الى(١٠٠) الف نسمة(٦٦) أو أكثر.

سكان مدينة بغداد في مطلع القرن العشرين(١٩٠٥-١٩٠٦):

وصف الباحث البريطاني لوريمر سكان مدينة بغداد في مطلع القرن العشرين بقوله: إنّ عددهم بلغ نحو (١٤٠٠٠٠) نسمة(٦٧). وكان عدد السكان قبل انتشار مرض الطاعون في المدينة عام ١٨٣١ ضعف هذا العدد. والعربي في العراق غير متعصب، أما اليهود فهم قوم متعصبون جداً، لكنهم يمارسون عقيدتهم الدينية بكل حرية، وهم منهمكون بالأعمال التجارية وإقراض المال بالربا، ويتزوجون وهم صغار السن. ويشكل الأتراك خمس السكان والذين يتولون المناصب المهمة هم أتراك من أوربا. وينتمي معظم الأكراد إلى الفيلية. والكلدانيون المسيحيون قلة ويعملون خدماً وملاحين على السفن النهرية، وهم يحتكرون هذا الحرفة وبلدتهم هي قرية تلكيف الواقعة بالقرب من مدينة الموصل، وينتشر التعليم بينهم ويعمل بعضهم كتبة في البنوك، ويحتكر المسيحيون في بغداد مهنة القانون. والمهنة الشائعة لدى الصابئة هي صناعة الحلي الذهبية والفضية(٦٨).

ويرتدي المسلمون في بغداد العباءة والزبون بوصفهِ زيّا وطنيا ولكنهم بدأوا يقلدون الأوربيين في ملابسهم وانتعالهم الأحذية. ويتألف لباس الرجل الاعتيادي من قميص قطني أو ثوب وعباءة صوفية وكوفية وعقال. ويتوقف العمل عند غروب الشمس، ولا يخرج الرجال من بيوتهم في الليل. ولا يصحب الرجال النساء في الشوارع حتى لو كنَّ زوجاتهم أو قريباتهم. والقهوة هي المشروب المفضّل الشائع بين السكان. ويبلغ مهر المرأة ما بين ١٠٠-١٠٠٠ بشلك (٤-٤٠ جنيهاً إسترلينياً) تدفع لوالدها أو لأهلها الأقربون. ويذكر (لوريمر) أن مسلمي العراق غير

---

(٦٥) احمد سوسة، فيضانات، مصدر سابق، ٣٧٤/١.

(٦٦) سليم طه التكريتي، مصدر سابق، ص٤٨٣، A.A.Duri, Op.Cit,Vol.1, P.907.

(67) Handbook of Mesopotamia, Vol 1, London, 1917,P. 89.

(٦٨) ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ط٢، ج١، الدوحة، ص ص٢٤٤-٢٥٦، ٩٤٤-٩٨٤، ج٣، ص٩٥٨ – ١٠٥٠. راجع ايضاً: عباس فاضل السعدي، "العراق كما يراه لوريمر في مطلع القرن العشرين: ١٩٠٥- ١٩٠٦"، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٨، ص ٣٦-٤٣.

متعصبين، واللغة السائدة هي العربية، إلّا ان الطبقات الرسمية تكتب وتتكلم باللغة التركية، واللغة الفارسية واسعة الانتشار في المراقد المقدسة، ويتكلّم الاكراد واليهود كل بلغته[٦٩].

ومن نواحي بغداد المعظم (الأعظمية) التي ترتبط بالكاظم بجسر مكون من ٢١ قارباً وعدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة. كما ترتبط الكاظمية بمدينة بغداد/الكرخ بطريق الترام الذي تسحبه الخيول الذي أنشأه مدحت باشا سنة ١٨٧٠. والناحية الأخرى في بغداد هي "وعلى حدِّ قوله القرارة" (الكرادة الشرقية) ويوجد فيها أربعة معامل للخمور، ويملكها أربعة من اليهود. وتزوِّد هذه المعامل العراق التركي كله بالخمور، ولا وجود فيها للمحلات التجارية. واضمحلت القرارة منذ عام ١٨٩٠ ولم يبق فيها إلّا القليل من الشرطة، واتخذت مكاناً للتفتيش الصحي للمراكب المسافرة إلى بغداد خاصةً عندما ينتشر الوباء في جنوب دجلة[٧٠].

ويحدثنا السيد محمد رؤوف السعودي عن بغداد خلال المدة من ١٩١٤–١٩١٥ فيقول إنّ بغداد كانت تمتد من الباب الشرقي حتى باب المعظم ويبلغ طولها في الجانب الشرقي ٣ كم، وزهاء ٢ كم عرضاً، ويقدر نفوسها بجانبيها بربع مليون نسمة[٧١].

وقد يكون التقدير المذكور مبالغ فيه، فقد قُدِّر العدد بحسب مصادر أُخرى سنة ١٩١٧ بنحو ١٦٣٥٠٢ نسمة[٧٢]. وفي تقدير آخر ١٨٥ ألف نسمة منهم ١٢٩٨٠٠ نسمة من المسلمين[٧٣]. وفي عام ١٩٢٧ إزداد العدد إلى ٢٠٠ الف نسمة منهم ١٥٠ الف نسمة في الرصافة و٥٠ ألف في الكرخ (ومن التقدير الإجمالي ١٣٤ ألف من المسلمين و٥٠ ألف من اليهود و(٥) آلاف من النصارى و١١ ألف من الأديان الأخرى)[٧٤].

ويصف فخري الزبيدي ملابس أهالي بغداد بعد الحرب العالمية الأولى بقوله: إنّ الرجل يرتدي الزبون وفوقه رداء يسمّى عباءة ويضعون على رؤوسهم قبعة (طربوش) إما مع العمامة أو بدونها أو الكوفية مع العقال. أما النساء فيرتدين في بيوتهن ثياباً بسيطة للغاية مفتوحة من وسطها حتى الصدر حيث يغطى بصدرية مصنوعة من قماش شاش (كريشة). وهن لا يخرجن

---

[٦٩] المصدر نفسه (لوريمر)، ج١، ٢٤٤–٢٥٦، ٩٤٤– ٩٨٤.

[٧٠] عباس فاضل السعدي، "أسماء ومواقع في العراق وشمال الخليج العربي عند لوريمر في مطلع القرن العشرين"، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني، ٢٠١٩، ص٧١–٧٢.

[٧١] فخري الزبيدي، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٣.

[٧٢] المصدر نفسه، ج١، ص١٢٦.

[٧٣] ريجارد كوك، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٤.

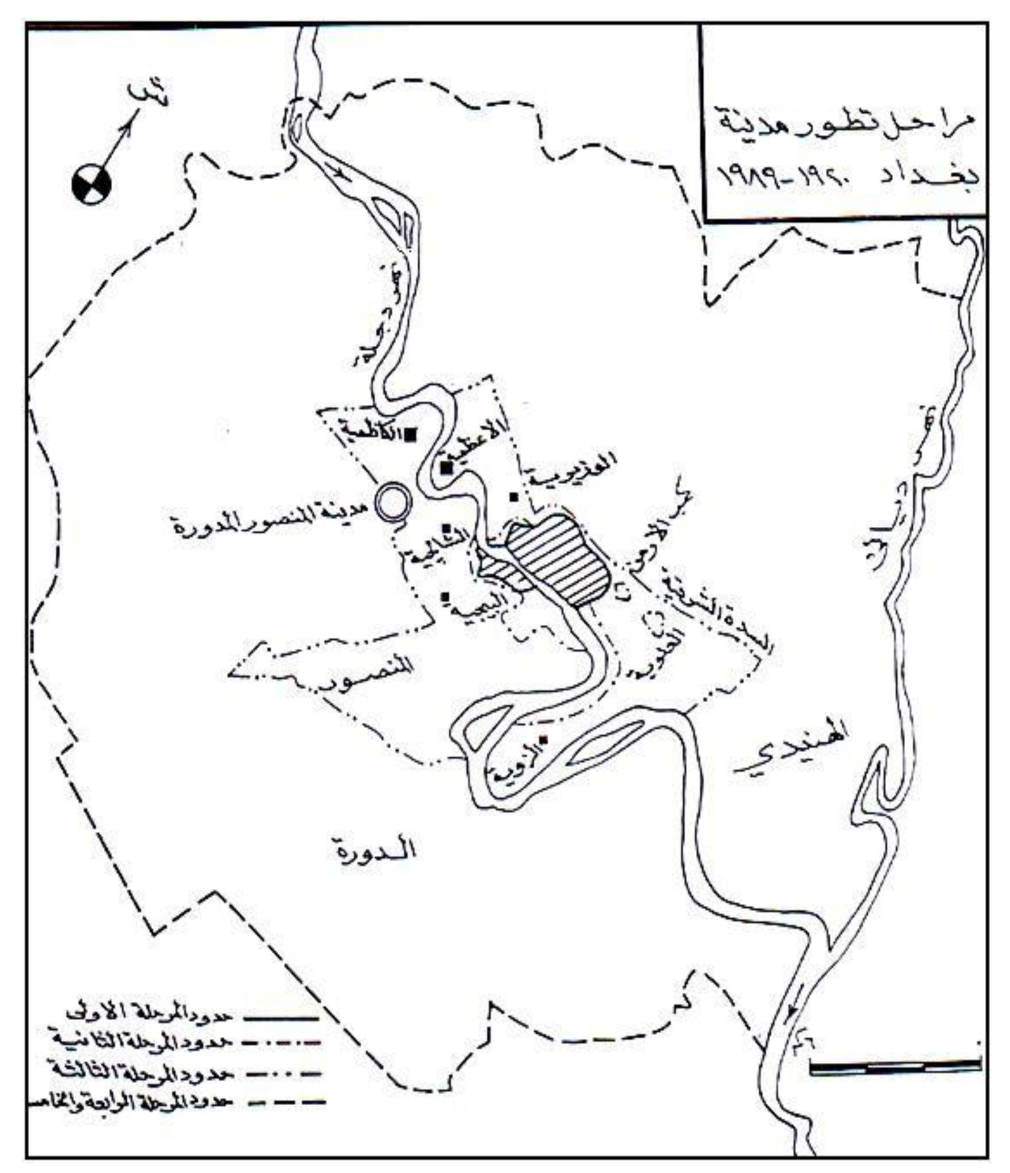
[٧٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٧، صالح فليح حسن ، تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦، ص٦٠.

إلى الطرق سافرات، بل يلبسن رداءً يسمّى إزار يشبه العباءة، وعلى وجوههن نقاباً، وهو غطاء قصير يسمّى

(بوشي) منسوج من شعر الحصان.أما من لم تلبس الإزار فيرتدين ردائين ويضعن على وجوههن نقاباً خفيفاً أيضاً[٧٥].



شكل (١) مراحل تطور مدينة بغداد (١٩٢٠ – ١٩٨٩)



المصدر: أحمد سوسة ، أطلس العراق الإداري ، ص٥، نسرين محمود حمزة، مركز بغداد، أُطروحة دكتوراه ، ١٩٩١، ص١٧.

---

[٧٥] فخري الزبيدي، مصدر سابق، ص٢٦، إميل أوبليه، فصول من كتاب بغداد، باريس، ١٩١٧ (عن: بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ترجمة وتعليق الدكتور وليد كاصد الزيدي، دار المناهج، عمان، ٢٠٠٩، ص٤٠–٦٧.

وفيما يلي عدد سكان محلات بغداد/الرصافة خلال المدة من ١٩١٧-١٩٢٢:

الجدول (١)

نفوس بغداد/الرصافة (من دفاتر المختارين): ١٩١٧-١٩٢٢

المحلة	المسلمون	اليهود
١. الشيخ سراج الدين	٦٧٣	٤
٢. الدشتي	٥٠٥	٢٢
٣. فرج الله	١٢٧٠	–
٤. بني سعيد إسلام	١٣٣٦	–
٥. الحيدر خانه	١٩٠٦	٢٠٦
٦. جديد حسن باشا	٢٧٩٢	٩٢
٧. راس القرية	٢١٦٨	–
٨. السيد عبد الله	١٣٧٣	–
٩. قهوة شكر	١٩٨٣	–
١٠ الهيتاويين	١٩٠٩	٢١٤
١١ الحاج فتحي	٣٤٣١	–
١٢ رأس القرية	١٠٤٣	٩٥٠
١٣ الطوب وقمر الدين	١٣٤٣	٩
١٤ تحت التكية	–	١٥٨٩
١٥ العاقولية	٩٥٢	٢٨٥
١٦ الباردو جية	٢٦٣٤	–
١٧ إمام طه	٦٤٦	١٣٥
١٨ قنبر علي إسلام	١٣٥٥	–
١٩ الكبيسات	٤٣٠	٥٧٨
٢٠ تبة الكرد	٧٩٩	–
٢١ عمار سبع ابكار	١٦٨٥	٨٧
٢٢ السور	٨٢٥	–
٢٣ السنك	٧٤٨	–
٢٤ القشل	١٣٩٦	١٩١٠

٢٥ صبابيغ الآل	٢٤٦٤	١٣٧
٢٦ القاطرخانة	١٠٦١	٣٧
٢٧ سوق الغزل	١٨٣٢	٦٥٩
٢٨ أبو شبل	٤٨١	٢٠٠٤
٢٩ عشيرة بنـي عميرفـي تل صخر	١١١١	–
٣٠ الباب الوسطاني	٧٠٠٠	–
٣١ التوراة	٢٩	٤٤١٧
٣٢ خان لاوند	١٦٢٦	–
٣٣ الميدان	٣١٤٣	٢٠
٣٤ المهدية	١٧٦٨	١٣١
٣٥ فاضل عيفان	٢٥١٢	–
٣٦ شــور حمــام. حمــام المالح	١٧٣٠	٣٠
٣٧ الخالدية	٧٨٤	٧٧
٣٨ القره غول	٢٢٤٠	٣٠
٣٩ حنــون كبير ،حنــون صغير وابيض	–	٥٣٧
٤٠ بني سعيد يهود	–	٤٩٥٨
٤١ العزة أو العزات	٢١٥٨	–
٤٢ المربعة	٧٠٠	٧
٤٣ الدهانة	٨٥٢	٨٠٨
٤٤ حضرة الشيخ	٧٥٣٦	–
٤٥ طاطران أبو سيفين	–	٦٦٤٢
٤٦ قره شعبان	٦٢٠	٣٤
٤٧ الكولات	١٥٧٩	٩٠
٤٨ الست هدية	١٨٦٠	١٤٧٠
٤٩ قنبر علي يهود	–	٦٩٨٥

٥٠ باب الاغا	٨٥٥	١٣٠٤
٥١ الجوبة	٩٩٠	–
٥٢ شريعة نجم (بين باب المعظم والأعظمية)	٣٠٠٩	–
المجموع	٨٢١٨٥	٣٦٤٥٨

المصدر: فخري الزبيدي، بغداد من ١٩٠٠ حتى ١٩٣٤، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢٨-١٣٠.

وفي المدة الواقعة بين قيام المملكة العراقية ومنتصف الثلاثينيات دخل الى مدينة بغداد أجناس مختلفة من السكان لغرض العمل؛ فضلاً عن منتسبي الجيش البريطاني المكون من الانكليز والهنود والباكستانيين. وظهرت منطقة سكنية جديدة تقع الى الجنوب الشرقي من الرصافة وهي كمب الأرمن (كمب الكيلاني) يسكنها الأرمن المهاجرون الذين طردتهم تركيا في اثناء الحرب العالمية الأولى[٧٦]. كما أُنشئت أحياًء حديثةً بمظاهر غربية كالبتاويين والعلوية والوزيرية والصالحية، وكان يغلب على بيوتها الثراء النسبي[٧٧].

والهجرات السابقة تجعل اختلاط السكان وتعدد قومياتهم وأديانهم وطوائفهم في مدينة بغداد أمراً طبيعياً، وأكد ذلك السير (وليس بدج) بقوله: " كانوا خليطاً من السنة والشيعة واليهود والأرمن والكلدان الكاثوليك والنساطرة اليعاقبة والبروتستانت، فمن الغريب أن لا يحدث بينهم ما يعكر صفو الحياة والسلام إلّا لماماً" [٧٨].

---

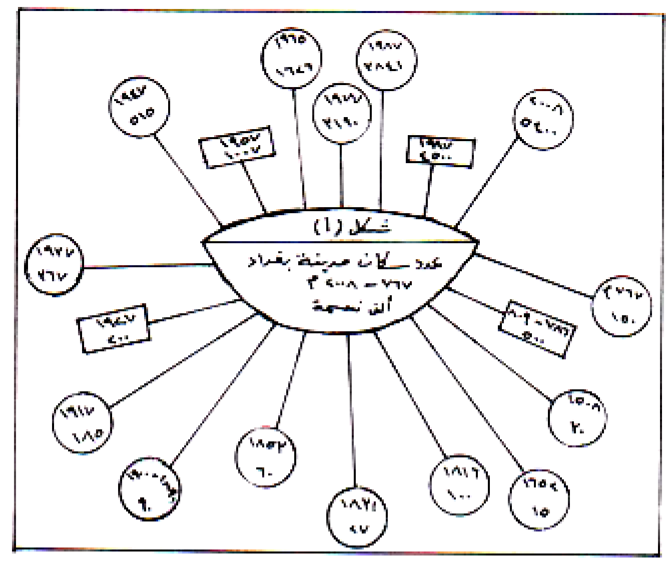
[٧٦] نسرين محمود حمزة، مركز بغداد(التقليدي): دراسة في البناء الوظيفي والعمراني ١٩٢٠- ١٩٨٩، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب ، جامعة بغداد، تموز ١٩٩١، ص٣٢.

[٧٧] خالص الأشعب، مصدر سابق، ص٣٨، ٤٣- ٤٤.

[٧٨] السير وليس بدج، ص٤٤-٤٥ (عن: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص١٠٩).

الشكل (٢)

عدد سكان مدينة بغداد (ألف نسمة)



وأشار إحصاء عام ١٩٣٧ إلى أن عدد سكان مدينة بغداد بلغ نحو (٣٦٧٤٥٠) نسمة عدا الأجانب[٧٩]. وسكان المدينة ضمن حدود أمانة العاصمة سنة ١٩٤٧ وصل الى ٥١٥٤٥٩ نسمة وبادخال القرى يصبح عددهم(٥٥٠٢١٣) نسمة[٨٠]. وسكان المدينة سنة ١٩٥٧ بلغ ٧٩٣١٨٣ نسمة، وبإضافة سكان الصرائف يصبح العدد ١.٠٠٧.٠٢٨ نسمة[٨١]. ويلاحظ ان الهجرة الى بغداد ولاسيما من الجنوب استمرت حتى عام ١٩٥٥ بإعداد كبيرة، حيث كان نحو ثلث سكان المدينة (٣٢٪) من المهاجرين[٨٢].

وفي المدة ١٩٤٧– ١٩٥٧ بلغ معدل النمو السكاني لمدينة بغداد نحو ٥,٢٪ وتراوحت كثافة السكان بين ١٣٦٠ نسمة/كم٢ في الكرادة الشرقية و١٣٢٨٠ نسمة/كم٢ في الاجزاء القديمة من مدينة بغداد، في كل من الكرخ والرصافة.[٨٣]

وفي عام ١٩٦٥ ارتفع عدد سكان المدينة الى ١٦٢٦٢٣٠ نسمة[٨٤]. واستمر العدد في

---

[٧٩] دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الرابع، دار الفكر، ١٩٣٣، ص٢٠(تعليق السيد عبد الرزاق الحسني).

[٨٠] أحمد سوسة، أطلس بغداد، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٩٥٢، ص١٨.

[٨١] صالح فليح حسن، مصدر سابق، ص٦٨– ٦٩.

[٨٢] حسن الخياط،" الاقاليم الوظيفية لمدينة بغداد الكبرى"، مجلة الاستاذ ، بغداد، المجلد ١٣، ١٩٦٦، ص٢٧٤.

[٨٣] G. S. Shiber, Recent Arab CitY Growth, Kuwait, 1967, PP. 150–170, (عن: خالص الأشعب، مصدر سابق، ص ٥٥–٥٦).

[٨٤] مصطفى جواد وآخرون، بغداد – عرض تاريخي مصور، مصدر سابق، ص٨٠.

الزيادة حتى وصل الى ١٩٤٩٤٩٨ نسمة عام ١٩٦٨[٨٥].

وازداد عدد سكان بغداد في عقدين من الزمن (١٩٤٧– ١٩٦٨) أربع مرات تقريباً، حيث جاوزت نسبة نمو سكان المدينة في المدة من ١٩٥٧– ١٩٦٥ على ٦.١٪ ، وهي تعادل اكثر من ضعف نسبة الزيادة الطبيعية للقطر كله[٨٦]. ويعزى هذا النمو الى عاملين رئيسين هما: ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية لسكان المدينة ، وقوة الجذب العالية التي تتمتع بها المدينة بالنسبة لسكان الأرياف من جنوب العراق بعامة ومن المناطق المجاورة الاخرى عموماً[٨٧].

وقدِّر عدد المهاجرين بين تعدادي ١٩٥٧ و ١٩٦٥ بنحو ٢٣٦٣٠٩ مهاجر[٨٨]. وازداد عدد سكان المدينة سنة ١٩٧٧ إلى٣١٨٩٧٠٠ نسمة بحسب التعداد المذكور.

ورافق زيادة سكان مدينة بغداد توسع مساحتها إلى ٨٥٠ كم٢، بعد أن كان في مرحلة سابقة نحو ١٠٠ كم٢، حيث إتخذ هذا التوسع شكلاً طولياً مع امتداد نهر دجلة وامتداد الطرق الرئيسة وحول نوى وظيفية ومعمارية كالأسواق والجوامع أو تقاطع الطرق. ويصل الازدحام أشده في المدينة القديمة، إذ يصل أفراد البيت الواحد فيها إلى ٩ أفراد، مقابل ٥ أفراد في الأحياء الحديثة[٨٩].

وفي عام ١٩٨٧ ارتفع عدد سكان مدينة بغداد إلى ٣٨٤١٢٦٨ نسمة، ووصل الرقم في التعداد الأخير لعام ١٩٩٧ الى ٤.٥ مليون نسمة[٩٠]، وتشير توقعات عام ٢٠٢١ إلى أن العدد يصل إلى ٦,٥ مليون نسمة، أي ٧٣,٧٪ من سكان محافظة بغداد والبالغ ٨,٨ مليون نسمة بحسب بيانات وزارة التخطيط للعام المذكور.

إتضح مما تقدم تزايد الهجرة السكانية من جميع محافظات العراق وبالأخص الجنوبية منها إلى مدينة بغداد، مما تسبب في اختناقها واضطراب أحوالها وتفشي الأمراض فيها وانتشار البطالة وتردي التعليم. والأخطر من ذلك تجاهل حكومات ما بعد عام ٢٠٠٣ القانون الذي كان يمنع امتلاك العائلة للعقار التي ليس لها تسجيل سكاني في محافظة بغداد بحسب تعداد عام ١٩٥٧. رافق ذلك تجاهل قانون أمانة بغداد وتصميم المدينة الأساسي الذي يمنع قطع البساتين

---

[٨٥] صالح فليح حسن، مصدر سابق، ص٧٠.

[٨٦] مكي محمد عزيز،" بعض مظاهر تحضر المهاجرين في مدينة بغداد"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، المجلد ٨، حزيران ١٩٧٤، ص٧٥– ٧٦.

[٨٧] عباس فاضل السعدي، محافظة بغداد، مصدر سابق، ص٧٢.

[٨٨] أمانة بغداد– معاونية التصاميم (عن: نسرين محمود حمزة، مصدر سابق، ص٥٥).

[٨٩] خالص الأشعب، مصدر سابق، ص٦٤–٦٧.

[٩٠] تعدادات السكان للأعوام المذكورة (١٩٧٧، ١٩٨٧).

والأراضي الخضراء داخل التصميم المذكور. فضلاً عن تجاوز المهاجرين على تلك الأراضي وبناء العشوائيات غير النظامية فيها والبالغ عددها في بغداد وحدها ١٠٢٢ تجمعاً عشوائياً، أي ٢٧,٧٪ من عدد العشوائيات في العراق. مما أدى إلى الضغط على الخدمات التي تتطلب توفيرها تلك العشوائيات. فضلاً عن الفساد المالي والإداري، مما صعّب إيجاد الحلول لتلك المشاكل وتوفير الخدمات ومعالجة البطالة. الأمر الذي سهّل على دول الجوار الإعتداء على حدود العراق الدولية ومياهه الإقليمية وقطع مياه الأنهار الدولية المتجهة إليه. وتقع المسؤولية كاملةً على الطبقة الحاكمة وأحزابها.

المصادر:

١.ابن جبير، الرحلة، مطبعة عبد الحميد احمد، مصر، ١٩٣٧.

٢. ابن الجوزي، مناقب بغداد، تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري البغدادي ، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ.

٣.الأشعب، خالص حسني، مدينة بغداد: نموها، بنيتها، تخطيطها، الموسوعة الصغيرة (تسلسل ١٠٨)، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

٤. الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦.

٥. أمانة بغداد– معاونية التصاميم (عن: نسرين محمود حمزة، مركز بغداد(التقليدي): دراسة في البناء الوظيفي والعمراني ١٩٢٠–١٩٨٩، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب ، جامعة بغداد، تموز ١٩٩١).

٦. أوبليه، إميل، فصول من كتاب بغداد، باريس، ١٩١٧ (عن: بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ترجمة وتعليق الدكتور وليد كاصد الزيدي، دار المناهج، عمان، ٢٠٠٩).

٧. أوليا جلبي، ترجمة صبحي ناظم توفيق، (عن: اللغة العثمانية أي التركية القديمة)، المجلد الرابع، اسطمبول، ١٨٩٨، إشراف أحمد جودت.

٨. أوليفيه، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين، (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، مصدر سابق،

٩. بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، عربها عن الإيطالية وعلق عليها الأب الدكتور بطرس حداد، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد، ٢٠٠٥.

١٠. بترمان وكارل رتر، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤.

١١. بدج، السير وليس، (عن: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١).

١٢. بروفنس، باسيفيك دو، الرحلة إلى الشرق عام ١٦٢٨، ترجمة الدكتور يوسف حبي (عن النص الفرنسي)، مجلة المورد، المجلد ١٤، العدد الاول، بغداد، ١٩٨٥.

١٣. بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مراجعة الدكتور شمران العجلي، تحقيق الدكتور عبد الجبار ناجي، والدكتور انيس عبد الخالق محمود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣.

١٤. بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ترجمة وتعليق الدكتور وليد كاصد الزيدي، دار المناهج، عمان، ٢٠٠٩.

١٥. البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦ بوشامب، جزيف دي، بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة ١٧٨٢، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين.

١٧. بيتر تيكسيرا، الرحلة من الهند إلى إيطاليا عن طريق البر، لندن، ١٧١٦، ترجمة انيس عبد الخالق محمود، (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب).

١٨. تافرنييه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه (عن: علاء موسى كاظم نورس، أحوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط١، هيئة كتابة التاريخ ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص١١).

١٩. تعدادات السكان للاعوام من ١٩٥٧ إلى ١٩٩٧ وتقديرات عام ٢٠٢١ (وزارة التحطيط، الجهاز المركزي للإحصاء).
٢٠. التكريتي، سليم طه (ترجمة)،" بغداد في دوائر المعارف العالمية"، مجلة المورد، ١٩٧٩.
٢١. جريدة الزوراء، العدد ٩، جمادي الاولى سنة ١٢٨٦هـ/٩ آب ١٨٦٩م.
٢٢. جواد، مصطفى وآخرون، بغداد– عرض تاريخي مصور، منشورات نقابة المهندسين العراقية، مؤسسة رمزي للطباعة ، بغداد ، ١٩٦٩.
٢٣. حسن، صالح فليح، تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦.
٢٤. الحسيني، محمد صادق، عمران بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٣٠.
٢٥. حميد، عبد العزيز ، تنقيبات جامعة بغداد في البحث عن المدينة المدورة ، ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
٢٦. الخياط، حسن ،" الاقاليم الوظيفية لمدينة بغداد الكبرى"، مجلة الاستاذ ، بغداد، المجلد ١٣، ١٩٦٦.
٢٧. الدوري، عبد العزيز، بغداد،" دائرة المعارف الاسلامية"، ط١، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٤.
٢٨. ديللا فاليه، الرحلة إلى العراق، ترجمة الأب الدكتور بطرس حداد (عن النص الإيطالي)، بغداد، ٢٠٠٢، تعليق المترجم.
٢٩. دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الرابع، دار الفكر، ١٩٣٣، ص٢٠(تعليق السيد عبد الرزاق الحسني).
٣٠. روسّو، جان باتيست جاك لوي ، وصف باشوية بغداد سنة ١٨٠٩، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسن، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص١٩–٢١.
٣١. الريحاني، أمين، قلب بغداد، مطبعة صادر ، بيروت، ١٩٣٥.
٣٢. الزبيدي، فخري، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠.
٣٣. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٢، دار الهلال ، القاهرة، ١٩٥٨.
٣٤. السعدي، عباس فاضل، "أسماء ومواقع في العراق وشمال الخليج العربي عند لوريمر في مطلع القرن العشرين"، مجلة التراث الشعبي، بغداد، العدد الثاني، ٢٠١٩.
٣٥. __________، "العراق كما يراه لوريمر في مطلع القرن العشرين: ١٩٠٥– ١٩٠٦"، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٨.
٣٦. __________، محافظة بغداد: دراسة في جغرافية السكان، ط١، مطبعة الازهر، بغداد، ١٩٧٦.
٣٧. أحمد سوسة، أطلس بغداد، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٩٥٢، ص١٨.
٣٨. __________، فيضانات بغداد في التاريخ ، القسم الاول، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد، ١٩٦٣.
٣٩. سيرايت ، سارا، رحلة البرتغالي إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة فؤاد قزانجي، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد٤، ١٩٨٩.
٤٠. شيرلي، بغداد في رحلة الاخوة شيرلي سنة ١٥٨٩ (عن: بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مراجعة الدكتور شمران العجلي، تحقيق الدكتور عبد الجبار ناجي، والدكتور انيس عبد الخالق محمود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣).
٤١. العزي، نجلة اسماعيل ،" تصويبات واستدراكات على بغداد في سنة ١٨٥٣ لفيلكس جونس"، مجلة المورد(تصدرها وزارة الثقافة والاعلام، بغداد) ، المجلد ٨، العدد ٤، ١٩٧٩.
٤٢. عزيز، مكي محمد ،" بعض مظاهر تحضر المهاجرين في مدينة بغداد"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، المجلد ٨، حزيران ١٩٧٤.
٤٣. العلي، صالح أحمد ، بغداد مدينة السلام: الجانب الغربي، المجلد الثاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥.
٤٤. فاضل، اكرم (ترجمة)،" بغداد في آثار المستشرقين الفرنسيين"، مجلة المورد، ١٩٧٩.
٤٥. فيدريجي، الرحلة إلى بغداد، ترجمة الأب الدكتور بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد٤، بغداد، ١٩٨٩.
٤٦. فيليب الكرملي، الرحلة الشرقية ، ترجمة وتعليق الدكتور بطرس حداد (عن النص اللاتيني)، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، بغداد، ١٩٨٩.
٤٧. كوك، جيمس، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، ج١، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٨.
٤٨. كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية فؤاد جميل ومصطفى جواد، ج٢، مطبعة شفيق ، بغداد، ١٩٦٢.
٤٩. لسترانج، كي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس ، ط١، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٦.

٥٠. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ط٢، ج١، الدوحة، ص ص٢٤٤-٢٥٦، ٩٤٤-٩٨٤، ج٣.
٥١. لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط٦، مطبعة أركان، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥.
٥٢. نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الألمانية الدكتور محمود حسين الأمين، مراجعة سالم الآلوسي، وزارة الثقافة والارشاد، سلسلة الكتب المترجمة (رقم٢) ، دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد، ١٩٦٥.
٥٣. ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، مطبعة ثويني، بغداد، ١٩٨٤.
54. .Duri, A. A.," Baghdad," Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol.I.
55. Handbook of Mesopotamia, Vol 1, London, 1917.
56. Felix Jones, Memoirs of Felix Jones, Bombay, 1857 .
57. Shiber, G. S., Recent Arab City Growth, Kuwait , 1967.

تعدد الحمل وشجاعة العربية
التضمين والنيابة مثالين

الأستاذ الدكتور حسن منديل حسن العكيلي
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

الملخص:

يدرس البحث ظاهرتين لغويتين تدلان على مرونة اللغة العربية وحيويتها، اذ تفسر بتفسيرين مختلفين والظاهرة واحدة، وهي عندما يجتمع التضمين بين معاني الأفعال، والتناوب بين حروف الجر في التركيب، مثل: (سمع الله لمن حمد) إذ تضمن الفعل سمع معنى استجاب، لأن الفعل سمع لا يتعدى باللام وهذا هو التضمين. وقد تجتمع الظاهرتان في تركيب واحد كقوله تعالى: (عين يشرب بها) قالوا: ناب الحرف الباء عن الحرف من، وهذا هو التناوب، أما التضمين فتضمين الفعل يشرب معنى يروى بها. وتدل الظاهرتان على سعة اللغة العربية وشجاعتها ومرونة نظامها اللغوي وحيويته. فالموضوعان ظاهرة أسلوبية واحدة إلا أنهم اختلفوا في تفسيرها وتوجيهها وفي اصطلاحهما.

الكلمات المفتاحية: التناوب، الحمل على المعنى، النظام اللغوي، البصريون والكوفيون.

المقدمة:

ففي نظام اللغة العربية مرونة كبيرة، ذلك انه يتفرع الى أنظمة متعددة، تؤسس على المشابهة[(١)]، لذلك يمكن أن يحدث أكثر من حمل في التركيب الواحد أو يمكن تفسير ظاهرة العدول عن الأصل أكثر من تفسير كاختلافهم في اجتماع ظاهرتي تناوب حروف الجر والتضمين بين معاني الأفعال في التركيب اللغوي الواحد. وقد اختلف البصريون والكوفيون في تفسير هذه الظاهرة اللغوية المتعددة في الحمل على الرغم من أنهما ظاهرة واحدة تدل على شجاعة العربية، لكنهم اختلفوا في تفسيرها بين التناوب والتضمين.

وكلتا الظاهرتين باب واسع في العربية تشمل ظواهر لغوية متعددة وتدلان على سعة اللغة العربية وشجاعتها ومرونة نظامها اللغوي وحيويته، المؤسس على الترابط والمشابهة وتعلق الكلم بعضه برقاب بعض، ويفسّران كثيراً من ظواهر العدول والأساليب اللغوية والحمل على المعنى ومنه التضمين والتناوب، وبعضه خفي يشترط إعمال الفكر والتأمل فيه، يحوي أسرارا بيانية ومعاني ثانية دقيقة ودلائل إعجاز. وقد اختلف في تفسيرهما بين البلاغيين والنحاة.

---

(١) لقد فصلت القول بنظام اللغة العربية في أطروحة الدكتوراه (الثانية): الاعجاز القرآني في العدول عن النظام التركيبي والبلاغي في النص القرآني. دار الكتب العلمية. بيروت.

المبحث الأول:

تناوب حروف الجر:

درس النحاة واللغويون في مصنفاتهم ظاهرة[٢] نيابة الحروف بعضها عن بعض، وقد اختلفوا فيها خلافا مستفيضا بين المنع والتأييد، فجمهور البصريين ومن تبعهم من المتأخرين يمنعون إنابة حروف الجرّ بعضها عن بعض، ويحمل البصريون ما أوهم من هذه الحروف على تضمين الفعل فعلاً آخر يتعدّى بذلك الحرف، أو المجاز، وقد فسروا هذه الظاهرة بالتوسّع في الاستعمال.

وقد يلجؤون إلى التفسير البلاغي مع شيء من التكلف في بعض الأحيان، وأبرز هذا التكلف ما ينقله ابن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي يُعدّ من أكثر المانعين وأشدهم حماساً: "هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجًا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه، وأوقعه دونه"[٣].

بينما الأستاذ عباس حسن يذهب الى إجلال هذا المذهب ووصفه بالنفاسة قال: "لا شك في أن هذا المذهب نفيس؛ لأنه عملي وبعيد من الالتجاء إلى المجاز والتأويل ونحوهما من غير حاجة، فلا غرابة في أن يؤدي الحرف معاني متعددة مختلفة وكلها حقيقي، ولا غرابة في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد، لأن هذا كثير في اللغة، ويُسمّى بالمشترك اللفظي"[٤].

وقد أجاز الكوفيون نيابة حروف الجر بطريق الوضع؛ وذلك لأن حرف الجرّ لا يقتصر على معنى واحد؛ بل قد يأتي لمعانٍ متعددة[٥].

وعلى الرغم من أن المذهبين الكوفي والبصري قد هيمنا على أكثر آراء النحاة، لكن بعض النحويين قد تفرّد برأي خاص له في هذا الباب، فمنهم المبرّد (ت ٢٨٥هـ) إذ يرى أن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض إلا أنه اشترط أن يأتي الحرفان في معنى واحد في بعض المواقع[٦]، وقال ابن السراج (ت ٣١٦ هـ): "فهذه حقيقة تعاقب حروف الخفض فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز"[٧] .

---

[٢] عقد ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) { ص ٥٦٧– ٥٨١} بابًا خاصًا لحروف الصفات التي يقع بعضها موقع بعض ، وفي كتابه (أدب الكاتب) { ص ٥٠٦– ٦٢٠}. وذهب إلى مثل ذلك ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) وعقد لها فصلاً سّماه: (دخول بعض الصفات على بعض)، وعمل ابن السّيد البطليوسي (ت ٥١٢هـ) عمل سابقيه فخصص بابًا لذلك سماه: دخول بعض الصفات مكان بعض، وعقد الهروى (ت ٤١٥هـ) كذلك بابًا من كتابه (الأزهية) وعقد الثعالبي (ت٤٣٠هـ) في كتابه (سر العربية) فصلاً في وقوع حروف المعنى موقع بعض ، وغير ذلك .

[٣] الخصائص: ٢/ ٧–٨

[٤] النحو الوافي، ٤١٤/٢.

[٥] ينظر: مغني اللبيب لابن هشام ، ١١/١.

[٦] الكامل في اللغة والأدب ، ٨٢/٢

[٧] الأصول في النحو ، ٤١٤/١–٤١٥.

وقد كان ابن السِّيد البطيوسي أكثر توضيحًا لهذه الظاهرة ولاسيما شرط تقارب الحرفين. قال في ذلك: "هذا الباب أجازه قوم من النحويين أكثرهم من الكوفيين، ومنعه قوم أكثرهم من البصريين، وفي القولين نظر؛ لأن من أجاز دون شرط وتقييد، لزمه أن يجيز مثلا: (سرت إلى زيد)، وهو يريد (مع زيد) قياسًا على قولهم: "إن فلانًا لظريف عاقل إلى حسب ثاقب" أي: مع حسب، ولزمه أن يجيز (زيد في عمرو) أي: (مع عمرو)... هذه المسائل لا يجيزها من يجيز إبدال الحروف، ومن منع ذلك على الإطلاق لزمه أن يتعسف في التأويل لكثير مما ورد؛ لأن في هذا الباب أشياء كثيرة يعد تأويلها على غير البدل.

ولا يمكن للمنكرين لهذا أن يقولوا: إن هذا من ضرورة الشعر لأن هذا النوع قد كثر وشاع، وأنه يخصّ الشعر دون الكلام فإن لم يصح إنكار المنكرين له، وكان المجيزين له لا يجيزون من كل موضع، ثبت بهذا أنه موقوف على السماع غير جائز القياس عليه[٨].

- **شواهد من القرآن الكريم** يرى بعض النحاة والمفسرين بأنها من باب التناوب:

كقوله تعالى: (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بدينار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) ((آل عمران: ٧٥)، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) إن الباء في قوله (بدينار) وعلى يتعاقبان في هذا الموضع كما يقال: مررت به ومررت عليه." [٩].

ومن ذلك قوله تعالى: (ينظرون من طرف خفي) { الشورى : ٤٥ } فقد قال بعض النحاة إن (من) تنوب عن (الباء) [١٠] وروى بعض النحاة عن العرب أنهم يقولون: (ضربته من السيف) أي بالسيف، إلا أنه ذكر أنه يحتمل أن يكون لابتداء الغاية[١١]، وذكر آخر أنه يجوز في (من) أن تكون لابتداء الغاية، وأن تكون تبعيضية، وأن تكون بمعنى (الباء) وبكل قد قيل[١٢].

ومما جعله بعض النحاة من التناوب قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)

{آل عمران/١٢٣} فيرى العكبري في قوله تعالى (ببدر) أن (الباء) بمعنى (في)[١٣] ومن ذلك قوله تعالى: (إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر) {القمر،/٣٤} أي في سحر.

قال أحد الباحثين المعاصرين: ((وبالجملة لا يمكن إلغاء النيابة على وجه الإطلاق أو قبولها على وجه الإطلاق أيضًا استنادًا إلى عنصر السياق أو التركيب الذي يرد فيه الحرف المعيّن، فبطريق السياق يمكن قبول النيابة في أكثر من موضع رفضه الرافضون، ويمكن من طرف آخر رفض مبدأ النيابة في

---

[٨] الاقتضاب، ٣٣٨/١-٣٣٩

[٩] تفسير الطبري ، ٣١٥/٣.

[١٠] انظر : البرهان للزركشي ٤٤٥/٤

[١١] معاني القرآن للأخفش ،٣/ ٨٦- ٨٧.

[١٢] الدر المصون ، ٨٦/٦

[١٣] التبيان ، ١/ ٢٣١.

تراكيب استدل المجوزون بها على صحة النيابة، والذي يباعد بين النيابة أو عدمها زيادة على مبدأ السياق هو القدرة على تأويل ما يمكن تأويله بعيدًا عن النيابة أو إلقاء ما يمكن إلقاؤه في باب التضمين، فإن تعذّر هذا وذلك يمكن التسليم بنيابة الحرف المعين عن الحرف المعين الآخر)) [١٤].

والحق أنّ باب النيابة النحوية واسع ذكره النحاة في أبواب نحوية كثيرة، ومنه تناوب حروف الجر بعضها عن بعض. والفارق كبير بين تناول النحاة المعياري المنطقي للتناوب وبين التناول البلاغي الاسلوبي الذي يرى أن حرف الجر لا معنى له أصلا بذاته إنما يتحدد من السياق الذي يرد فيه؛ لذلك قالوا في تناوب حروف الجر بعضها عن بعض: "يُمسك النحاة منه بطرف؛ وأهل البيان بطرف، لأنه باب يسلط فيه النظر على المبنى والمعنى. وللعلماء فيه مذاهب شتّى وتأويلات مختلفة"[١٥].

وسنتناول التناوب في ضوء النظام اللغوي الأسلوبي البياني أو الدلالي أو العدول الذي يدل على معنى دقيق ثانٍ.

يرى النحاة أن لكل حرف معنى أصلياً كالباء للإلصاق وعلى للاستعلاء و(من) للابتداء، و(الى) للانتهاء، و(عن) للمجاوزة والكاف للتشبيه... وهكذا.

وهي معانٍ لا تفارقها وقد تصحبها معانٍ أخر أو تنوب عنها وتؤول اليها عن المعاني الأصلية[١٦] وتقع موقعها:

- كالباء تقع موقع (في) كقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (آل عمران:١٢٣) .

- وموقع (عن) كقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (الفرقان:٥٩)،

- أو (على) أو (من) أو (الى) وهكذا[١٧] كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ (طه:٧١)، يرى الكوفيون أنها بمعنى على وفيه خلاف[١٨].

---

[١٤] ظواهر لغوية تناوب حروف الجر، الدكتور سالم البلوشي، جريدة الوطن.
http://www.alwatan.com/dailyhtml/ashreea.html#10

[١٥] ينظر: تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم ٥.

[١٦] الجنى الداني ١٠٩.

[١٧] ينظر تفصيل ذلك: تناوب حروف الجر ٩.

[١٨] ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ ، والخصائص ٢/ ٣١٣ والبحر المحيط ٦/ ٢٦١ وشرح الاشموني ٢/ ٢٩٢.

- وقوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج:١) ، قالوا الباء بمعنى عن.
- وفي ذلك خلافات في التفسير والتأويل وتوجيه الإعراب وآراء مضطربة في كون هذه المعاني أصلية أو فرعية أو الأصل والعدول عنه وتناوب معاني الحروف بعضها عن بعض وأكثرها تأويلات وخلافات في التفسير والتقدير.

التضمين:

هو "إشراب لفظ معنى لفظ آخر"[١٩]، فالعرب "من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التضمين"[٢٠] وعرّفه الدكتور محمد حسن عواد بأنه توسّع "في استعمال لفظ توسعاً يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم"[٢١].

وله صلة بتعدي الفعل ولزومه والحقيقة والمجاز، وتأويل الشواهد بحسب قواعد التعدي واللزوم نحو قولهم في قوله تعالى: ﴿ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ (الصافات:٨) ، قالوا عداه بـ (إلى) لتضمن (يسّمعون) معنى الإصغاء[٢٢]. وفي قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج:١) أي دعا بعذاب[٢٣].

وذكر الزركشي تحته أوضاعاً مختلفة متوسعاً فيه كوضع النداء موضع التعجب أو تضمين معناه. وجمع القلة موضع الكثرة، والتذكير موضع التأنيث ووضع الفعل الماضي موضع الفعل المستقبل وعكسه وظواهر أخرى بيانية وبديعية وصوتيه وغيرها[٢٤].

وذكر السيوطي له أقساماً كتضمين الفعل الاسم والاسم الحرف وغير ذلك وفسّر في ضوئه ظواهر نحوية نحو بناء (أمسِ) على الكسر، لتضمنه معنى لام التعريف[٢٥].

المبحث الثاني:

ظاهرة الحمل في العربية:

إنّ أوسع ظاهرة للعدول عن معايير اللغة والنحو في اللغة العربية والنص القرآني وأوضحها، ظاهرة حمل اللغة العربية بعضها على بعض: بنيةً وتركيباً ودلالةً وإعرابا ووظيفةً نحوية. وإلحاق بعضها ببعض وإعطاء حكم بعضها لبعض ودلالته او بنيته أو إعرابه وغير ذلك. وهي ظاهرة تدل على نظام

---

[١٩] ينظر: مغني اللبيب ٢/ ٤٩٣ وشرح التصريح ١/ ٣٤٦ والنحو الوافي ٢/ ٤٦٣.
[٢٠] الاشباه والنظائر ١/ ١٠١ والتأويل النحوي ٢/ ١٢٤٥.
[٢١] تناوب حروف الجر ٥١.
[٢٢] البحر المحيط ٩٢/٩ .
[٢٣] المصدر نفسه ٣٧٢/١٠.
[٢٤] ينظر: البرهان ٣/ ٣٣٨-٤١٣.
[٢٥] الأشباه والنظائر ١/ ١٠٠.

اللغـة العربيـة الـذي يؤسـس علـى المشـابهة وتعلـق كـلام العـرب بعضـه برقـاب بعـض ورجوعـه الـى اصول واحدة.

والحمل باب واسع، تندرج تحته فروع كثيرة: كالحمل على المعنى والحمل على اللفظ والحمل على الموضع وعلى الإعراب، والعطف على المعنى والعطف على التوهم والحمل على النظير وعلى النقيض. ويضم كذلك باب النقل والمطابقة بأنواعه، وما عرف بـ: خطابات القرآن كخطاب المفرد بضمير المجموع وفروعها، وما سمّوه بالتناسب والمشاكلة في اللفظ والمعنى، والتضمين والتناوب وغيرها من أنواع العدول الكثيرة في اللغة العربية.

قال ابن جني: "اعلم انّ هذا الشرْج غور من العربية بعيد، ومذهب- فسيح قد ورد به القرآن (الكريم) وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في معنى الواحد"[٢٦].

وقال: "وقد رأيت من هذا النحو في هذه اللغة أكثر من ألف موضع ، نعم، ولعلّ الاستقراء وسَّعهُ أضعاف ذلك"[٢٧]. وقال: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً ، لا يكاد يُحاط به، ولعله لو جُمع أكثرهُ لا جميعه لجاءَ كتاباً ضخماً"[٢٨]. والى مثل هذا أشار كثير من النحاة، بأنه "أكثر من أن يُحصى"[٢٩].

ولذلك ليس من اليسير إدراك جميع أشكاله وفرزه عن الخلط في دراسته والانحراف بدراسته عن نظام اللغة العربية، وكثرة الاصطلاحات التي تدل عليه، وتناوله في أبواب نحوية عديدة ومستويات لغوية مختلفة: الشواذ، القراءات، الضرورات، المجاز. وفي ضوء الأصل المفترض الذي بنوا عليه مناهجهم في الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية، فقالوا: الأصل: أن يحمل على اللفظ، وهو الأقوى والأكثر والأفصح، ولجؤوا الى التأويل فيه حفاظاً على أصل المعنى ومخالفة ظاهر اللفظ معناه وخروج الكلام على مقتضى الظاهر[٣٠].

والأصل في الكلام أن يكون محمولاً على اللفظ وهو الكثير الجاري في لغة العرب وفيه تحصل المطابقة من حيث الإعراب والإفراد والتثنية والجمع والتأنيث والتذكير وغير ذلك. والحمل على اللفظ أولى لتطابق اللفظين وتساوى معنييهما؛ لأن العرب تختار مطابقة الألفاظ وتحرص عليها كما إنّ اللفظ أقوى لظهوره في الكلام"[٣١].

---

[٢٦] الخصائص ٣١١/٢ ، ١٣٨ ، ٣٧٢، ٤١٣. وينظر: سر صناعة الاعراب ١٣/١ والتنبيه ٣٤٠/١ والمحتسب ١٤٥/١.

[٢٧] الخصائص ٣٤٠/١.

[٢٨] المصدر نفسه ٣٠/٢.

[٢٩] الانصاف ٧٧٧/٢.

[٣٠] ينظر: المقتضب ٢٨/١ والرضي ٥٥/٢ والبرهان للزركشي ٣٧٧/٣ والاشباه والنظائر ٦٤/١.

[٣١] المصدر نفسه.

وفي ضوء النظام اللغوي للغة العربية يختلف تناول هذه الظاهرة اللغوية ولا حاجة للقول بالأصل والمطابقة العقلية، ذلك ان نظام العربية مبني على حمل الكلام بعضه على بعض في مستوياته المختلفة النحوية والصرفية والبلاغية، لذلك صنّف الدكتور على العنبكي الحمل على المعنى في العربية، على صنفين: ما يتصل منه بالقياس النحوي، وما يتصل بالأساليب وهو ما نعني به في هذا البحث.

إنّ النظرة الكلية لظواهر اللغة في ضوء نظامها، منهج علمي رصين ينبغي الالتزام به. فالحمل إما أن يكون على دلالة البنية أو شكلها، أو على المعنى الوظيفي النحوي او العمل النحوي، أو الإعراب وغير ذلك مما أطلقوا عليه تسميات مختلفة. وكلها مشروطة بسعة المعنى، أو إضافة معنًى ثانٍ، او تقوية المعنى الأول وتأكيده او جعله معنًى مؤثراً .

الحمل المزدوج من التناوب والتضمين:

تناول النحاة المتأخرون هذا الموضوع ضمن المسائل النحوية الخلافية بين البصريين والكوفيين، إذ نسب الى البصريين وتبعهم كثير من المعاصرين القول بتضمين الفعل معنى فعل آخر، خلافاً للكوفيين الذين يرون تعدد معاني الحروف، لذا أقروا بالتناوب بينها، ومنع ذلك البصريون ذلك ان للحرف معنًى واحداً ومذهبهم "إبقاء الحرف على موضعه الأول أما بتأويل او تضمين يقبله اللفظ ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعّدى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع احد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ. فكلاهما حمل على المعنى، لأن التجوز في الفعل أسهل لديهم منه في الحرف[٣٢].

البصريون لا يُجيز وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر، والكوفيون يجيزون ذلك تأدية حقيقة لا مجازية. وهذا من باب الاشتراك اللفظي – لديهم – وقد أيدهم الاستاذ عباس حسن لنأي هذا الرأي عن الالتجاء الى التأويل والمجاز في منهجه النحوي [٣٣]. وأكثر المعاصرين وافقوا البصريين لعدم استكمال أدلة التناوب "انما هي مسألة معجمية تندرج في بحث دلالات الألفاظ على وجه مباين للوجه أو الوجوه التي رسمها السلف" ونسبوا البحث عن دلالات معاني الحروف إلى العمل اللغوي وهو قول غير دقيق[٣٤].

وعلى هذا فالموضوعان ظاهرة أسلوبية واحدة إلا أنهم اختلفوا في تفسيرها وتوجيهها وفي اصطلاحها. وعلى الرغم من ذلك فان كتب النحو والبلاغة أقرّت بهما وعقدت لهما بابين منفصلين.

وليس الأمر مجرد مشابهة كما في منهج النحاة وفهم بعض المعاصرين لها فقد قام الدكتور محمد حسن عواد بتجربة فوضع حرفاً مكان آخر فتوصل الى كسر ذلك وإن سلم فباختلاف المعنى، قال:

---

[٣٢] الجنى الداني ٤٦ ومغني اللبيب ١/١١١.

[٣٣] ينظر: النحو الوافي ٢/ ٤١٤.

[٣٤] ينظر: النيابة النحوية ٧٤ وتناوب حروف الجر ٥-٧.

"إن الحرف لا يقع موقع غيره من الحروف إلا إذا أردنا معنى ذلك الحرف الأخير، و إلا صار الأمر ضرباً من العجمة وعدم البيان وفوضى التعبير[٣٥]. وهذه التجربة تجري على التضمين أيضاً إذ يتناوب فعلان المواقع او يشربان بعضهما معنى الآخر، ناهيك عن ان البلاغيين أجازوا ذلك من باب استعارة حرف معنى حرف آخر[٣٦].

فالمسالة بيانية فنية إبداعية خاصة بالنص والسياق، لها صلة بالمعنى والمقام أو الحال وليست شكلية، لذلك قالوا إنّ السياق يحدد معنى اللفظ ، ذلك انه يحمل على معانٍ متعددة بسبب نظام العربية ومرونته.

قال ابن جني في "باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض": "هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه"[٣٧]، أي انه باب عارٍ من الدقة، لتفاهته يستحق الغسل، ذلك أنهم يقولون إن (الى) تكون بمعنى (مع) و (في) بمعنى (على) ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (الصف: ١٤) وقوله تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ (طه: الآية٧١) قال ابن جني: "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له". وقال "واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا النحل في معنى ذلك (الفعل).. كقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)(البقرة: ١٨٧)، والأصل رفث بها أو منها لأن الرفث بمعنى الإفضاء الذي يتعدى بالى..."[٣٨].

ويرى الدكتور. محمد حسن عواد "إن مسألة التضمين لا أساس لها، لأنه لا دليل عليها، ولا حجة لأصحابها، وأحسب أن ما اندرج تحتها من شواهد يؤول الى جهة من جهتين: أما أن تكون هذه الشواهد مقحمة في باب التضمين إقحاماً، وأما أن تندرج تحت مبحث دلالات الألفاظ..."[٣٩].

وتناول شواهدها ثم خلص الى أن النيابة ترجع الى التركيب لا الحروف، والتضمين يرجع الى مبحث دلالات الألفاظ، سببه قولهم بالأصالة والفرعية للألفاظ وهذا يشترط معرفة الأقدم في نشأة الألفاظ[٤٠]، وردّ الشواهد معتمداً على التأويل كالقدامى، كما في قوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ (الانسان:٦)، و﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين:٢٨)، قال: وهم إنما عمدوا

---

[٣٥] ينظر: تناوب حروف الجر ١٩.

[٣٦] دراسات في فقه اللغة ٢٨.

[٣٧] الخصائص ٢/ ٣٠٨ وينظر: الجنى الداني ٣٨٨ .

[٣٨] الخصائص ٣١٠/٢.

[٣٩] ينظر: تناوب حروف الجر ٥٨.

[٤٠] المصدر نفسه ٥٨.

الى هذا فراراً من وقوع الباء موقع (من). وان (شرب الماء) معناه: (جرع الماء. وان شرب من الأضداد ، فإذا كان بمعنى جرع فهو متعدٍّ وإذا كان بمعنى (روي) فهو لازم[٤١].

فهو يرد قولهم بالتضمين وبالتناوب كلاهما، لأنهم يقولون بالأصالة والفرعية وأصل الفعل اللزوم، والتعدي فرع عليه، وأصل التعدي بحرف وهذا ما يعبرون عنه بالحمل على النقيض وعلى النظير[٤٢]. ويرى شواهدهم من الترادف والاشتراك اللفظي، وردّ القول بالتضمين، لأننا لا نعرف الأقدم والأصل في الألفاظ ودعا الى وضع معجم تاريخي بحسب أزمنة الألفاظ وعلاقة ذلك بالمجاز أو وروده في عصر الاحتجاج، وحمل على النحاة ومنهجهم المنطقي في ذلك[٤٣].

كزعمهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) (النمل:٧٢) ، فردفاً متعدٍّ في الأصل ولكنه تضمن معنى اللزوم، ويجوز أراد ردفكم فزاد اللام ويجوز أن ردفاً مما يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر او يكون قرب لكم، وقال الفراء: دنا لكم[٤٤].

وعدّ الدكتور ابراهيم السامرائي التضمين من نتائج تأثر النحو بالمنطق السلبي إذ أظهر قواعد وأحكاماً لم تكن وليدة الاستقراء، لذلك صادفوا ما يخالفها فلجؤوا الى التأويل والتقدير[٤٥]. قال في قوله تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ (الانسان:٦) ، "المعنى يشرب منها، لا عبرة لما قيل بـ (التضمين) أي: إن الباء تضمنت معنى (من)، وذلك لأن كلام الله جرى على لغة العرب، والعرب قد تصرّفت بلغتها تصرفاً واسعاً. ولله حكمة بالغة في وضع كلامه على هيئة لم يدركها البشر"[٤٦].

والحق أن نظام اللغة العربية يفسر لنا هذه الظاهرة تفسيراً واضحاً من غير افتراضات وتمحلات وتأويلات، كما مرّ بنا، فالتضمين اتساع في المعنى، وهو أسلوب مرتبط بالذائقة، يُلجأ إليه لغرض بلاغي مع تحقق المناسبة بين الفعلين ووجود قرينة يؤمن عليها اللبس كما ذهب مجمع اللغة المصري[٤٧]، فقد اختلف النحاة في الباء في (يشرب بها) بين الاصالة والزيادة. أما الأصالة فعلى خلافٍ أيضاً، إما على معنى الإلصاق او تضمين معنى (يروي بها وينقع ويلتذ) أو بمعنى (من)، او متعلقة ومجرورها بحال تقديره: يشرب ممزوجة بها ، وأما ان الضمير للكأس والمعنى: يشربون بتلك الكأس وغير ذلك من الخلافات والآراء الكثيرة.

وقد أثبت (تعالى) الباء بعد إجماله ما أعدّه للكافرين من سلاسل وأغلال وسعير. وفي ذلك ملمح اسلوبي يمكن استنباط دلالة ثانية دقيقة بحسب أذواق المفسرين والبلاغيين من خلال العدول عن

---

[٤١] ينظر: لسان العرب، مادة (شرب).

[٤٢] نفسه ٦٣-٧٥.

[٤٣] تناوب حروف الجر ٦٧-٧٦.

[٤٤] البحر المحيط ٣٦١/١٠ ولسان العرب ١١/ ١٧.

[٤٥] ينظر: من وحي القرآن ١٠٦-١١٧

[٤٦] من بديع لغة التنزيل ٣٠٢.

[٤٧] ينظر: النحو الوافي ٢/ ٤٤٣ وتناوب حروف الجر ٥٣.

أقيسة النحاة في مجيء الباء.

ومهما يكن من شيئ فأن النظام اللغوي للعربية يقوم على التعلق بعضه برقاب بعض – كما قال القدماء[٤٨]، والتشابه بين الظواهر اللغوية، ومنه التضمين والتناوب، فما يبدو خروجا عن القواعد المنطقية، هو من نظام العربية، وليس خروجاً عن نظام اللغة العربية المتماسك.

الخاتمة:

إنّ العدول في النصّ القرآني – ومنه التضمين والتناوب – هو خروج عن قواعد النحو وأقيسة النحاة (العقلية)، وليس خروجاً عن نظام اللغة العربية المتماسك، الذي يقوم على التعلق والتشابه بين الظواهر اللغوية، فما يبدو خروجا عن القواعد المنطقية، هو من العربية في مستوياتها الإبداعية وواقعها الاستعمالي ولاسيما في النصّ القرآني، ولا سبيل للنحاة الى ردّه وان خرج عن قواعدهم.

لذلك ميزت بين نوعين من العدول:

١- العدول النظامي – الأسلوبي، في ضوء نظام العربية لغة القران الكريم الذي يحمل الكلام فيه بعضه على بعض، في المستوى البياني البلاغي. وهو نظام العربية نفسه في مستوياتها الأخرى النحوية أو الصرفية وغيرها. كأنواع الحمول الكثيرة والتناوب والتضمين والمطابقة والنقل والمجاز الاسنادي وغيرهما.

٢- العدول النحوي – الصناعي ، وهو ما يبدو خروجاً على قواعد النحو بحسب المنهج العقلي التعليمي كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة وكل ما يدخل تحت باب (التقدير النحوي) لدى النحاة.

إنّ ظواهر العدول النظامي في النصّ القرآني كثيرة ، تناولها النحاة والبلاغيون بمصطلحات مختلفة في أكثر من باب، والشاهد الواحد يصلح الاستشهاد به في أكثر من باب، وذلك لمرونة نظام العربية وحيويته.

أدعو الى لم شتاته وتناوله تناولاً كلياً شاملاً لا جزئياً مفرّقاً كما في كتب التراث وان كان ذلك ليس هيناً. كالتضمين والتناوب والحمل على المعنى وعلى اللفظ وعلى الموضع والعطف على التوهم وحمل المفرد والمثنى والجمع بعض على بعض والاتساع والنقل وطرائق العرب في كلامها وسننها ومجازاتها وشجاعة العربية، والخروج على مقتضى الظاهر وفي أبواب نحوية وصرفية مختلفة.

---

[٤٨] ينظر: معاني الفراء ٣/ ٢١٥ وتأويل مشكل القرآن ٤٨ ، ومجاز القرآن١/٧ ، والحيوان ٣٢/٥ ، والصاحبي ٢٩، ٩٦ ، والخصائص ٢٦٢/٢، وفقه اللغة للثعالبي ٣٦ ، والكشاف ١١٦٤، والمفردات للراغب ٧٧ ، والمثل السائر ١٧١/٢ والجامع الكبير ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٧١ والفلك الدائر ٤/ ١١٩-٢١٢ ومغني البيب ٢/ ٤٧٥ ، والمزهر ٣٣/١. والتفسير الكبير ٣٠/ ٢٤١، وشرح الرضي ٢٨١/٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٥١٥ وحاشية الشهاب ٨/ ٢٨٨ ، وتفسير ابي السعود ٩/ ٣٨١ ، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨١.

المصادر:

- **القرآن الكريم**

- أسرار البلاغة، الأمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، تحقيق محمد رشيد رضا، ط١، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، ط٣ ، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤.
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط٢، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧.
- البرهان الكاشف في إعجاز القرآن ، عبد الواحد الزملكاني ، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٤.
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عمر الزركشي (٧٩٤هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، (د.ت).
- البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، دار الفكر ، بيروت.
- تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث ، القاهرة ١٩٧٧.
- (تفسير) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي (٦٠٥هـ) ، ط١ ، دار الفكر للطباعة، بيروت١٩٨١.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير (٦٠٦هـ) ، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد ، جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي١٩٥٦.
- الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) ، تحقيق: الدكتور طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل١٩٧٦.
- حاشية الخضري ، محمد الدمياطي الشافعي (١٢٨٧هـ) ، الطبعة الاخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٤٠.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك (١٢٠٦هـ) ، دار إحياء الكتب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).
- الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (د.ت).
- الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٥ .
- دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧هـ) ، ط١ ، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ، مطبعة الفجالة بمصر ١٩٦٩.
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، ط١ ، تحقيق: محمد اسماعيل واحمد رشدي. منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت٢٠٠٠.
- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك المسمى: (منهج السالك الى ألفية ابن مالك) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي١٩٣٩.
- شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد الأزهري (٩٠٥هـ) وبهامشه حاشية يس العلمي ، دار الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة (د.ت).
- شرح الكافية ، الرضي الاسترابادي (٦٨٦هـ) ، تحقيق: احمد السيد احمد ، المكتبة التوفيقية ، مصر (د.ت).

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، احمد بن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق: السيد احمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة (د.ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة حجازي ، القاهرة١٩٣٤.
- الفلك الدائر على المثل السائر، ابن ابي الحديد ، تحقيق: احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، ملحق بكتاب (المثل السائر) ، دار نهضة مصر ، القاهرة، (د.ت).
- الكامل ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاته ، دار نهضة مصر بالفجالة (د.ت).
- الكتاب ، ابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد ها رون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار غريب للطباعة١٩٨٨.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري ، (٥٣٨هـ) ، ط١، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢.
- الكليات ، ابو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) ، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٩٩٨.
- لسان العرب المحيط ، العلامة ابن منظور ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، تصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت (د.ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق: الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة (د.ت).
- مجاز القرآن ، ابو عبيدة (٢١٠هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين ، ط١ ، نشر الخانجي بمصر١٩٦٢.
- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) ، تحقيق: فائز فارس ، ط٢ ، الشركة الكويتية ١٩٨١.
- معاني القرآن ، الفراء ابو زكريا (٢٠٧هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، مطابع سجل العرب (د.ت).
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، اين هشام الانصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق: الدكتور اميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨.
- المغني في ابواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، تقديم امين الخولي ، وزارة الثقافة، مصر. (د.ت).
- المقتضب ، ابو العباس المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت).
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، ط٨ ، دار المعارف بمصر ١٩٨٧.
- النيابة النحوية في القرآن الكريم وأنماطها ودلالاتها ، الدكتور هادي نهر ، ط١ ، صنعاء ٢٠٠٢.

مُعجَمُ الدَوحةِ التاريخيِّ للُغةِ العربيّة
مَآخِذُ وحُلُولٌ

الأستاذ الدكتور عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

الملخّص:

لعلّ من أهم المعجمات التاريخية التي أُعلِن عن قرب انتهائها وظهرت صورتها جلية معجم الدوحة التاريخي الذي تشرف على إنجازه دولة قطر، وتبرز أهميته في جانبين: الأول المنهج المتبع في كتابته والمقدمة الرائعة التي مهّدت له والآخر أنه شارك في إنجازه أساتذة متخصصون كبار يُشار إليهم بالبنان فضلا عن إدخال فريق العمل في دورات تخصصية في هذا المجال وتوفير كل ما يحتاجونه من مستلزمات .

وبعد الاطلاع على جزء مما نُشر من هذا العمل المبارك على الموقع الرسمي في الإنترنت وقراءته قراءة منهجية وعلمية عنّت لي مجموعة من الملاحظات المنهجية والعلمية (من خبرة اكتسبتها على مدى خمس سنوات من عملي عضوا في لجنة علمية مكلفة بتأليف معجم العميد التاريخي لألفاظ القرآن الكريم الذي تشرف على إنجازه مؤسسة العميد العلمية التابعة للعتبة العباسية المقدّسة).

لذا ارتأيت أن أجمع هذه الملاحظات في بحث سمّيته (معجم الدوحة التاريخي مآخذ وحلول) اعتمدتُ في جمع مادته على عينة من المعجم المنشور تضمنت خمسة عشر جذرا من باب الهمزة، هي (أبب، أبت، أبث، أبج، أبح، أبخ، أبد، أبذ، أبر، أبز، أبس، أبش، أبص، أبض، أبط)، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسّمه على ستة مطالب:

اختصّ الأول منها بالكلام على أن الكلمة المطلوب شرحها شيء والمثال شيء آخر وجعلت المطلب الثاني معنيا بالكلام على التكرار في المعنى مع اختلاف الكلمات والجذر واحد، أو الكلمة واحدة والمعاني متكررة ، وخصصت المطلب الثالث للكلام على النقل من المعجمات بلا نص عن العرب، وكان المطلب الرابع معنيا بتشخيص كلام ونصوص لعلماء من خارج المدة التي حددها أعضاء كتابة المعجم وقالوا إنها تنتهي بنحو ٢٠٠ هـ في المرحلة الأولى للمعجم وهي المنشورة ، وخصصت المطلب الخامس للمسائل العلمية وآخر المطالب جعلته لمسائل منهجية متفرقة.

وقد تضمن البحث أمثلة واضحة لكل ما ذكر أعلاه ، وحاولت جاهدا أن أقترح حلولا لرفع هذه المؤاخذات التي أراها لا تصبّ في مصلحة هذا المعجم وأهميته .

المقدِّمة:

عُني اللغويون منذ نحو قرن من الزمن بفكرة المعجم التاريخي للغة العربية، وحاولوا جاهدين أن يؤلفوا معجما يحيط بكل معاني كلمات الجذر الواحد منذ استعمالها الأول، فكتبوا وألفوا، واختلفوا في بعض حيثيات المنهج المتبع، لكن أغلب تلك المحاولات لم تكتمل، ومنها ما قرُب اكتمالها ووضحت صورتها.

ولعلّ من أهم المعجمات التاريخية التي أُعلِن عن قرب انتهائها وظهرت صورتها جلية معجم الدوحة التاريخي الذي تشرف على إنجازه دولة قطر، وتبرز أهميته في جانبين: الأول المنهج المتبع في كتابته والمقدمة الرائعة التي مهّدت له والآخر أنه شارك في إنجازه أساتذة متخصصون كبار يُشار إليهم بالبنان فضلا عن إدخال فريق العمل في دورات تخصصية في هذا المجال وتوفير كل ما يحتاجونه من مستلزمات .

وبعد الاطلاع على جزء مما نُشر من هذا العمل المبارك على الموقع الرسمي في الإنترنت وقراءته قراءة منهجية وعلمية عنّت لي مجموعة من الملاحظات المنهجية والعلمية (من خبرة اكتسبتها على مدى خمس سنوات من عملي عضوا في لجنة علمية مكلفة بتأليف معجم العميد التاريخي لألفاظ القرآن الكريم الذي تشرف على إنجازه مؤسسة العميد العلمية التابعة للعتبة العباسية المقدّسة).

وخيرا فعل القائمون على معجم الدوحة التاريخي حين ذكروا في الموقع الإلكتروني أن العمل ليس نهائيا وأنه قابل للتعديل والتغيير والزيادة ما سنحت الفرصة وجدّ جديد وأن من دواعي المقدمة التي كتبوها له هي التفاعل البنّاء مع القارئ المهتم للرقي بالمعجم إلى الصورة المثلى مادة وعرضا.

لذا ارتأيت أن أجمع هذه الملاحظات في بحث سمّيته (معجم الدوحة التاريخي مآخذ وحلول) اعتمدتُ في جمع مادته على عينة من المعجم المنشور تضمنت خمسة عشر جذرا من باب الهمزة، هي (أبب، أبت، أبث، أبج، أبح، أبخ، أبد، أبذ، أبر، أبز، أبس، أبش، أبص، أبض، أبط)، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسّمه على ستة مطالب:

اختصّ الأول منها بالكلام على أن الكلمة المطلوب شرحها شيء والمثال شيء آخر، نحو أن تكون الكلمة اسما والمثال فعل، أو أن تكون الكلمة فعلا متعديا بحرف والمثال فعل بلا حرف، أو أن تكون الكلمة مفردا والمثال جمع، أو أن تكون الكلمة على وزن صرفي معيّن والمثال على وزن آخر، وغير ذلك من الاختلاف بين الكلمة ومثالها .

وجعلت المطلب الثاني معنيا بالكلام على التكرار في المعنى مع اختلاف الكلمات والجذر

واحد، أو الكلمة واحدة والمعاني متكررة، نحو تكرر المعنى بين الاسم والمشتق والفعل، أو بين الفعل ومصدره، أو بين المشتق والمصدر، أو بين العصرين الجاهلي والعباسي وغيرها .

وخصصت المطلب الثالث للكلام على النقل من المعجمات بلا نص عن العرب، فالمطلوب أن تُوثق معاني الكلمات المشروحة بنصوص عربية فصيحة، ولا يكفي الاعتماد على ما يذكره صاحب المعجم من معنى غير موثق بنص، في حين أن بعض ما وجدته في المعجم التاريخي هو نقل كلام الخليل وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني والأصمعي والصاحب بن عباد وأبي عبيدة والأزهري والجوهري وغيرهم مع أن الكلام المنقول عنهم غير موثق بنصوص عربية فصيحة.

وكان المطلب الرابع معنيا بتشخيص كلام ونصوص لعلماء من خارج المدة التي حددها أعضاء كتابة المعجم وقالوا إنها تنتهي بنحو ٢٠٠ هـ في المرحلة الأولى للمعجم وهي المنشورة، فاستُشهد بكلام عسكر السلمي ٢٣٢هـ والزيات ٢٣٣هـ والحارث بن أسد السلمي ٢٤٣هـ والصولي ٢٤٧هـ، ومنهم من تجاوز المدة بأكثر من قرن من الزمن المحدد نحو المقدسي ٣٦٨هـ والمعري ٤٤٩هـ وابن بختيشوع ٤٥٣هـ وابن حزم الأندلسي ٤٥٦هـ والباخرزي ٤٦٤هـ .

وخصصت المطلب الخامس للمآخذ العلمية المتعلقة بالمعنى، نحو عدم وضوح المعنى المذكور لعدد من الكلمات، وكون المعنى المذكور مجازيا لا حقيقيا، وتكرار المعنى بمعنى مرادف، والخلاف والغرابة بين الكلمة ومثالها، والتباين في المعنى بين المفرد والجمع والمفترض أنهما واحد، وذكر معنى معين لكلمة وما في المعجم خلافه مع أن الشاهد المعتمد في إثباته واحد، وغير ذلك من المسائل العلمية.

وآخر المطالب جعلته لمآخذ منهجية متفرقة، نحو النقص في المادة العلمية، وعدم ذكر الشواهد القرآنية، وعدم نسبة عدد من الأبيات الشعرية إلى أصحابها، والحكم على بناء معين بحكم غير صحيح، وزيادة في الشرح لا داعي لها وتأخير الساميات ووضعها بعد العربية، والإيهام في ذكر صاحب النص، والنسبة العائمة غير الموثقة، وغيرها من المسائل .

وقد تضمن البحث أمثلة واضحة لكل ما ذكر أعلاه، وحاولت جاهدا أن أقترح حلولا لرفع هذه المؤاخذات التي أراها لا تصبّ في مصلحة هذا المعجم وأهميته، وهذه الهنات التي شخّصتها لا تقلل من قيمة المعجم المبارك ولا من العمل والجهد الكبيرين المبذولَين فيه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الملحوظات شُخِّصت ودُوِّنت في الأشهر الثاني والثالث والرابع من العام ٢٠٢٢، ولما كان هذا المعجم قابلا للتغيير زيادة ونقصا كان من الطبعيّ ألا نجد بعض هذه الملحوظات في نسخته الحالية، ولا سيما أني قد أرسلت إلى القائمين عليه ملخصا

لغرض المشاركة في مؤتمرهم الذي أقيم في الشهر الخامس من العام ٢٠٢٢ نبّهتهم فيه على تلك المآخذ عموما لكنهم اعتذروا عن قبول مشاركة البحث مع أنهم أفادوا من الملخص فغيّروا في المعجم شيئا مما نبّهتهم عليه.

المطلب الأول: عدم المطابقة التامة بين الكلمة المراد شرحها ومثالها من كلام العرب:

لم يتحرَّ القائمون على المعجم المطابقة التامة بين الكلمة المراد شرحها ومثالها من كلام العرب، وكثيرا ما اختلف المثال في نوعه عن تلك الكلمة، في حين أن المطابقة التامة واجبة في المعجم التاريخي لطبيعته وخصوصيته، وفيما يأتي عدد من حالات عدم المطابقة بين الكلمة المشروحة ومثالها من كلام العرب:

١- الكلمة اسم والمثال فعل، ومن أمثلته ما ورد في مادة (أبب) أن الأبّ بمعنى القصد[١] ثم مُثِّلَ له بقول أبي نخيلة بن حزن الجماني:

مرّ مُدل كرشاء الغرب

فأبَّ أبَّ غنمي وأبّي[٢]

وثمة اختلاف بين الأبّ الذي هو اسم وأبَّ الذي هو فعل، والصحيح أن يؤتى بالمثال مطابقا للكلمة المشروحة، فإن كانت اسما فاسم وإن كانت فعلا ففعل، وهنا يكون المثال من كلام العرب هو المعيار في اختيار الكلمة المراد شرحها.

٢- الكلمة فعل متعدٍّ بحرف والمثال فعل غير متعد بحرف، ومن أمثلة ذلك ما ورد في المعجم (أبَّ للأمر: تهيأ لفعله)[٣] مستشهدين بقول حاتم الطائي:

وَدِدتُ وَبَيتِ اللَهِ لَو أَنَّ أَنفَهُ   هَواءٌ فَما مَتَّ المُخاطَ عَنِ العَظمِ

وَلَكِنَّما لاقاهُ سَيفُ اِبنِ عَمِّهِ   فَأَبَّ وَمَرَّ السَيفُ مِنهُ عَلى الخَطمِ[٤]

ويتبين الفرق بين الكلمة وشاهدها في أن الفعل في الشاهد غير متعد بحرف، في حين أنه متعدٍّ بحرف في الكلمة المراد شرحها.

٣- الكلمة مشتق متعدٍّ بحرف ومثالها غير متعد بحرف، ومن أمثلة ذلك (المؤتبّ للأمر:

---

(١) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

(٢) معجم مقاييس اللغة ٧/١

(٣) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

(٤) ديوانه: ٨٨

المتهيئ له)[٥] ، مستشهدين بقول رؤبة بن العجاج:

فاعلم بأني دائبٌ لدأبي

والوجه من أبابة المؤتبِّ[٦]

وهنا الخلاف واضح بين الكلمة ومثالها.

٤- الكلمة على وزن صرفي والمثال على وزن آخر، ومثالها (الآبد: الظبي) [٧] مستشهدين بقول الفرزدق:

طرقت نوار معرّسي دوّيّة نزلا بحيث ثقيل عفر الأبّد[٨]

وثمة فرق بين الكلمة ومثالها، فالآبد بوزن فاعل والأبّد بوزن فُعَّل، وحلها سهل يكون بتغيير الكلمة المراد شرحها بما يوافق الشاهد من كلام العرب.

٥- الكلمة مفرد والمثال جمع أو العكس، ومن أمثلة ذلك (الآبد: الوحشي الشارد) [٩] مستشهدين بقول زهير بن أبي سلمى:

كأنّ أوابد الثيران فيها هجائن في مغابنها الطلاء[١٠]

فالآبد مفرد والأوابد جمع، ومن ذلك أيضا (الأبلة: الأكمة الصغيرة) [١١] ذاكرين قول عمرة بنت زيد الخولانية:

قد كُللت بسديف فوق ذروتها كأن إشرافها من تحتها الأُبُلُ[١٢]

٦- الكلمة فعل مبني للمعلوم ومثالها فعل مبني للمجهول، ومن ذلك (ائتبر النخل: لقحه وأصلحه)[١٣] مستشهدين بقول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

الخِطء فاحشة، والبرّ نافلة كعجوة غُرست في الأرض تُؤتبر[١٤]

---

[٥] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

[٦] شرح ديوان رؤبة بن العجاج: ٣ / ٣٢٩

[٧] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٨] شرح ديوان الفرزدق: ١/ ٢٣٤

[٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[١٠] شعر زهير بن أبي سلمى: ١٢٥

[١١] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[١٢] كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير: ٢٠١/١

[١٣] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)

[١٤] تفسير الطبري: ٥٨٠/١٤

وكذلك (أبّر النخل: لقّحه) [١٥] مستشهدين بما ورد في الحديث النبوي: (من باع نخلا قد أُبِّرت فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع) [١٦]

٧- بين الماضي والمضارع، ومن أمثلة ذلك (تأبّق: استنكف وأنف) [١٧]مستشهدين بقول عاهان بن كعب:

ألا قالت بهانِ ولم تأبّقْ نعِمتَ ولا يليط بك النعيمُ[١٨]

وقد يكون الكلمة فعلا مضارعا ومثالها فعل ماض نحو (أبّسه: وبّخه وأنّبه) [١٩] مستشهدين بقول حاتم الطائي: (مع أني لا أحب أن تؤبِّس قومك بأموالهم) [٢٠]

٨- الكلمة مذكر والمثال مؤنث، ومن أمثلة ذلك (المأبور من النخل: الملقّح) [٢١] ومثالهم قول منسوب إلى هند بنت الخسّ الإيادية: (وخير المال مُهرة مأمورة أو سكّة مأبورة) [٢٢]

ومنها أيضا (الأبِل: الذي يتبع الخلفة التي ينبت في الكلأ اليابس بعد عام) [٢٣] مستشهدين بقول أبي الغمر العقيلي: (قد أبلت الإبِل إذا هملت، وهي الهاملة والأبِدة والأبِلة) [٢٤]

٩- الكلمة فعل متعدٍّ بحرف ومثالها فعل بلا حرف، ومن أمثلة ذلك (تأبّل الرجل عن امرأته: امتنع من غشيانها) [٢٥] مستشهدين بقول وهب بن منبّه الصنعاني: (تأبّل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاما لا يصيب حوّاء) [٢٦]، ولعلّ معترضا يقول إن الفعل هنا عُدّي بحرف أيضا وهو على، والجواب أن على هنا لتعليل التأبّل وليست لتعديته، وهي مختلفة عن (عن) الواردة في الشرح .

١٠- الكلمة فعل ثلاثي ومثالها فعل رباعي، مثال ذلك (أبس العجين وغيره: غيّره) [٢٧]

---

[١٥] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)

[١٦] مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٨/٩٢_٩٣ رقم الحديث: ٤٥٠٢

[١٧] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبق)

[١٨] النوادر في اللغة: ١٧٥

[١٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبس)

[٢٠] كتاب الأغاني: ٨/ ١٧٥_١٧٦

[٢١] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)

[٢٢] مجمع الأمثال: ١/٢٥٩

[٢٣] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[٢٤] الجيم: ١/٦٦

[٢٥] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[٢٦] غريب الحديث للهروي: ٥/٤٤٠، رقم الحديث: ١٠١٦

[٢٧] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبس)

مستشهدين بقول ابن الحدّاد المعافري السرقسطي: (وأمرغت العجين إذا صببت فيه ماء كثيرا، فلا يُؤبِسه شيء) [٢٨]

وهذا خطأ واضح لا يمكن تجاوزه ؛ لأن (يؤبس) مضارع آبَسَ بمد الهمزة، وهو فعل مزيد بالهمزة في أوله، ويختلف عن (أبس) الثلاثي المجرد، ولو كان مضارعا للثلاثي المجرد لقيل (يأبس)؛ لأن المعروف في حرف المضارعة أنه يُفتح مع الثلاثي ويُضم مع الرباعي .

المطلب الثاني: الكلمة واحدة والمعاني متكررة أو تكرار المعنى مع اختلاف الكلمات والجذر واحد:

قد تتعدد التعابير اللغوية والمعنى واحد، وفي هذه الحال لا داعي لذكر جميع تلك التعابير، ولا سيما إذا كان بعض ألفاظها المعني بالشرح واحدا، ومن أمثلة ذلك لفظة (أبد)؛ إذ تكررت كثيرا مع أن معناها واحد لم يتغير [٢٩] ، نحو (الأبد: الزمن الممتد بلا حد)[٣٠] مستشهدين بقول لقيط بن يعمر الإيادي:

والله ما انفكت الأموال مذ أبد من أهلها إن أصيبوا مرة تبعا [٣١]

و(أبد الأبَدين: مدى الدهر) [٣٢] في الحديث النبوي:(بل هي لأبد الأبدين) [٣٣]

و(أبد الأبَد: مدى الدهر) [٣٤] في الحديث النبوي (دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين، لا، بل لأبد أبد، بل لأبد أبد) [٣٥]

و(أبد الأبيد: مدى الدهر) [٣٦] في رواية عبيد بن شريّة الجرهميّ:

أتتْهمُ بالطائر الفريدِ

فغادرتهم كالهشيم المودي

أحدوثة لأبد الأبيدِ[٣٧]

---

[٢٨] الأفعال للسرقسطي: ١٦٧/٤

[٢٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)، ومن الجدير بالذكر أن هذه المادة والأمثلة التي سأذكرها كانت موجودة في المعجم وبعد أن نبهتهم عليها في ملخص أرسلته إليهم حذفوها منه واعتذروا عن قبول بحثي !!!

[٣٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٣١] ديوانه: ٧٤

[٣٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٣٣] الناسخ والمنسوخ في القرآن للهروي: ١٧٧

[٣٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٣٥] بحار الأنوار: ٢١ / ٤٠٤

[٣٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٣٧] التيجان في ملوك حمير: ١ / ٣٦٠

و(أبد الآبدين: مدى الدهر) [٣٨] في قول ابن عباس (هوت وهوى في إثرها أبد الآبدين)[٣٩]

و(أبد الآباد: مدى الدهر) [٤٠] في قول نسبوه إلى الكسائي: (لا آتيك أبد الأبيد وأبد الآباد) [٤١]

و (أبد الآبد: مدى الدهر)[٤٢] في قول الحارث بن أسد المحاسبي: (أثابه الله عليها ثوابا بغير حساب، وأسعده بها أبد الآبد) [٤٣]

ومنها أيضا (الآبد: الحيوان الشارد الوحشي)[٤٤] في قول امرئ القيس بن حجر الكندي:

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل[٤٥]

و(الآبد من الحيوان ونحوه: الوحشي الشارد) [٤٦] في قول زهير بن أبي سلمى:

كأن أوابد الثيران فيها   هجائن في مغابنها الطَلاءُ[٤٧]

ومنها أيضا (الآبدة: الطرفة المشكلة الغريبة) [٤٨]في قول عبيد بن الأبرص يسأل امرأ القيس:

(كيف معرفتك بالأوابد ؟ فقال: قل ما شئت، تجدني كما أحببت) [٤٩]

و(الآبدة من القصائد ونحوها: الخالدة الغريبة في بابها المتضمنة للحوشي من الألفاظ) [٥٠] في قول عبيد بن الأبرص:

صقعتُك بالغرّ الأوابد صقعة   خضعت لها، فالقلب منك جريضُ[٥١]

وكذلك (الأوابد من الشعر: الأبيات السائرة كالأمثال)[٥٢] في قول ابن رشيق القيرواني:

---

[٣٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٣٩] سنن البيهقي الكبرى: ٢٨٨/٦

[٤٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٤١] المحيط في اللغة (أبد)

[٤٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٤٣] دليل الفالح شرح كتاب النصائح للحارث المحاسبي: ١٥١

[٤٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٤٥] ديوانه: ٥٣

[٤٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٤٧] شعر زهير بن أبي سلمى: ١٢٥

[٤٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٤٩] ديوان امرئ القيس: ١١٢

[٥٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٥١] ديوانه: ٨١

[٥٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

(والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال، ...) [٥٣]

و(الآبدة من القوافي: الفائقة الباقية على مرِّ الزمن) [٥٤] في قول حسان بن ثابت:

لكل أناس مِيسم يعرفونه   وميسمنا فينا، القوافي الأوابدُ[٥٥]

وكذلك(تأبد الشخص وغيره: توحش) [٥٦] في قول أمية بن أبي الصلت:

لله نعمتنا، تبارك ربنا   رب الأنام ورب من يتأبدُ[٥٧]

و(تأبد الشخص: غضب وتعزّل)[٥٨] في قول بعض بني عم نصر بن شبيب (ماذا صنعت بنفسك وأهلك ؟، أفتُراك إذا فعلت هذا الأمر وتأبدتَ، السلطان يدعك وما تريد)[٥٩]

وكذلك (المتأبد: المتعبد المتنسك) [٦٠] في قول النابغة الذبياني:

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ   عبد الإله صرورةٍ متأبّدِ[٦١]

و(المتأبد: المتعزّل للعبادة المتفرغ لله مدى حياته)[٦٢] في قول أبي حيان التوحيدي: (والمذهب الأول مذهب الزهّاد والمتأبّدين، وأصحاب الورع والمتعبّدين)[٦٣]، ولا أرى داعيا لتكرار المعنى مع كل هذه العبارات المتقاربة المعنى .

المطلب الثالث: الاستشهاد بكلام أصحاب المعجمات وغيرهم بلا نصّ موثّق عن العرب:

الذي يطلع على هذا المعجم يجد كثيرا من الكلمات قد تم شرحها اعتمادا على كلام اللغويين فقط من دون أن يُوثق هذا الشرح بأي شاهد من كلام العرب شعرا كان أم نثرا، وسأورد عددا كبيرا من الأمثلة لهذه المسألة استخرجتها من الخمسة عشر جذرا عينة الدراسة وإني لعلى يقين أن من يبحث في غير هذه العينة يجد كثيرا مما نبّهت عليه .

من ذلك ما استعانوا فيه على شرح الكلمات بكلام الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، نحو (الأبد من الأتن: الولود التي تنتج كل عام)[٦٤] آخذين ذلك من قول الخليل: (وأتان

[٥٣] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٨٥/٢

[٥٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٥٥] ديوانه: ٥٠/١

[٥٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٥٧] شرح ديوان أمية بن الصلت: ٣٢

[٥٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٥٩] مقاتل الطالبيين: ٤٢٥

[٦٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٦١] غريب الحديث للهروي: ٤٨٥/٢

[٦٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[٦٣] أخلاق الوزيرين: ٦٩

[٦٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

أبد: في كل عام تلد)[٦٥]، وكذلك (الأبار: من حرفته صناعة الإبر)[٦٦] آخذين ذلك من قول الخليل: (والأبار: صانع الإبرة)[٦٧]، ومثله (أبز الشخص في عدوه: جعل يستريح ويمضي)[٦٨] مفيدين من قول الخليل: (يقال: فلان يأبز في عدوه أي يستريح ساعة ويمضي ساعة)[٦٩]، وكذلك (أبّس الشخصَ: غاظه وقابله بما يكره)[٧٠] من قول الخليل:(وأبّسته تأبيسا إذا قابلته بمكروه)[٧١]، وكذلك (الأبس: السلحفاة)[٧٢]، و(المؤابَس المذلَّل)[٧٣]، و(يأبضه: يعقله)[٧٤]، و(الرجل يضطبع بالثوب أو بالشيء إذا تأبطه) [٧٥]، و(قد يقال لإبط الكثيب نَجَفَة الكثيب، وهو الموضع الذي تصفّقه الرياح فتنجفه) [٧٦]، وكذلك ما ورد في معنى الإبارة وهي حرفة صانع الإبر[٧٧]، وكذلك (آبل) و(الآبل) و(تأبّل) و(الأبل)، و(أبلت)، و(الإبَّول) [٧٨]، و(الأبن) [٧٩] .

وممن استعانوا بكلامه أيضا أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ)، وذلك في مواضع منها (الأبث النشاط والحركة) [٨٠] مفيدين من قول أبي عمرو الشيباني: (لإبلُه لا تقرّ من النشاط والأبث) [٨١]، وكذلك (آبل الكلأ ونحوه: انقطع وفني) [٨٢] مستدلين بقول أبي عمرو: (بها كلأ لا يؤبل العام، أي لا يُقطع ولا يفنى) [٨٣]

---

[٦٥] العين: (أبد)

[٦٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)

[٦٧] العين: (أبر)

[٦٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبز)

[٦٩] العين: (أبز)

[٧٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبس)

[٧١] العين: (أبس)

[٧٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبس)، والعين: (أبس)

[٧٣] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبس)، والعين: (أبس)

[٧٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبض)، والعين: (أبض)

[٧٥] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبط)، والعين: (أبط)

[٧٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبط)، والعين: (أبط)

[٧٧] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)، والعين: (أبر)

[٧٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)، والعين: (أبل)

[٧٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبن)، والعين: (أبن)

[٨٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبث)

[٨١] الجيم: (أبث)

[٨٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[٨٣] الجيم: (أبل)

ومنهم كذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) في (إبرة الفرس: عظم وترة عرقوبه من أعلاه، وأصله لاصق بالكعب) [٨٤] مفيدين من قوله: (والإبرة عظم وترة العرقوب من أعلاه، وهو عظم صغير، وأصله لاصق بالكعب) [٨٥]

ومنهم أيضا أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ) في (الآبد من الطيور وغيرها المقيم في المكان الملازم له، صيفا وشتاء) [٨٦] مفيدين من قوله: (والطير التي تقيم بأرض شتاءها وصيفها أبدا، فهي الأوابد) [٨٧]، وكذلك (أبل بالمال ونحوه: أحسن رعايته والقيام عليه) [٨٨] مفيدين من قوله: (وقد أبل بالمال) [٨٩]

ومما استعانوا على شرحه بكلام الأصمعي (٢١٦هـ) (الإبل: المئة منها) [٩٠] مفيدين من قوله: (إذا كانت الإبل مئة قيل لها إبل، يقال: له إبلان أي مئتان من الإبل) [٩١]

ومنهم أيضا ابن دريد (٣٢١هـ) في (الإيبالة: الحزمة من أُبُل الحطب) [٩٢] مفيدين من قوله: (والإيبالة: الحزمة من أُبُل الحطب) [٩٣]

ومنهم أيضا الصاحب بن عباد (٣٢٦هـ) في (الأبَج: الأمد) [٩٤] مفيدين من قوله: (هذا آخر الأبَج) [٩٥]، وفي (ائتبط الوعاء وغيره: اطمأن واستوى) [٩٦] مفيدين من قوله: (وزمزمتُ الوعاءَ إذا حرّكته بعد الملء ليأتبط، أي يستوي) [٩٧]، وفي (أبله بالعصا ونحوها: ضربه بها) [٩٨] مفيدين من قوله: (وأبله بالعصا) [٩٩]، وفي (الإبلّة: الجماعة من الأصحاب) [١٠٠] مفيدين من

---

(٨٤) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبر)

(٨٥) كتاب الخيل: ٣٧

(٨٦) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

(٨٧) كتاب الحيوان: ٤٣٢/٣

(٨٨) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

(٨٩) النوادر في اللغة: ٥٨٨

(٩٠) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

(٩١) غريب الحديث لابن قتيبة: ٦٠٠/١

(٩٢) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

(٩٣) جمهرة اللغة: أبل

(٩٤) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبج)

(٩٥) المحيط في اللغة: أبج

(٩٦) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبط)

(٩٧) المحيط في اللغة: (أبط)

(٩٨) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

(٩٩) المحيط في اللغة: (أبل)

(١٠٠) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

قوله: (وهو من إبلّة سوء) [١٠١] .

ومنهم أيضا الجوهري (٣٩٣هـ) في (الأبْط: الحمل تحت الإبط) [١٠٢] مفيدين من قوله: (وأوّل الحمل الأبط ثم الضَبن ثم الحَضن) [١٠٣].

ومنهم أيضا ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) في قوله: (والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال، وأكثر ما تستعمل الأوابد في الهجاء) [١٠٤].

والمتابع لهذه النصوص المنقولة يجد أنها للعلماء أنفسهم، وليست نصوصا منسوبة إلى من يُحتجّ بكلامهم شعرا كان أو نثرا، بل هي مجرد معان ذكرها اللغويون قد يكون أغلبها اجتهادا منهم ما دامت غير موثَّقة، وهذا مما يجب على المعجم التاريخي تجنّبه .

المطلب الرابع: نقل نصوص لعلماء وأشخاص سنواتُ وفياتِهم بعد المئتين هجرية:

ذكر الإخوة القائمون على إنجاز هذا المعجم أنهم في المرحلة الأولى منه وهي تنتهي بسنة ٢٠٠ هجرية، أي أنهم يتوقفون على النصوص والكلمات المستعملة في تلك المدة ولا يتجاوزونها في هذه المرحلة على أمل أن يبدؤوا بالمرحلة الثانية التي تبتدئ بما بعد المئتين وتنتهي ب ٥٠٠ هجرية، ولكن المطالع لما كتب في هذا المعجم في مرحلته الأولى يجد أن كاتبيه قد تجاوزوا تلك المدة الزمنية التي حددوها، فنراهم استشهدوا بكلام ونصوص لعلماء وأشخاص من القرون الثالث والرابع والخامس.

فممّن استشهدوا بكلامه من القرن الثالث عسكر السلمي(٢٣٢هـ) في قوله:

فقتّلوا بعلاف حمْيرا أبدا   فهاربٌ إمّةَ النعمان أو عطِبُ[١٠٥]

وإبراهيم بن العباس الصولي(٢٤٧هـ) في قوله متحدّثا عن عبد الحميد الكاتب: (كان الكلام والله مرعى له يؤبّ منه ما شاء) [١٠٦]

وابن قتيبة(٢٧٦هـ) في قوله: (وعلى إثر المأبض، المرفق وهو كوكب أبيض، وتحته كوكب أصغر منه، يقال له إبرة المرفق) [١٠٧]

---

[١٠١] المحيط في اللغة: (أبل)

[١٠٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبط)

[١٠٣] الصحاح في اللغة: (أبط)

[١٠٤] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٨٥/٢

[١٠٥] التعليقات والنوادر دراسة ومختارات: ٧٣٤/٢

[١٠٦] المصون في الأدب: ٢٢٥

[١٠٧] الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة: ٣٣_٣٤

والبحتري(٢٦٨هـ) في قوله:

وذو الصبابة ما ينفكّ يُنصبه وجدا تأبّد آي الدمنة البالي[١٠٨]

ومن القرن الرابع قدامة بن جعفر البغدادي(٣٣٧هـ) في قوله: (تبارحوا بالشتم والخناء، وتقاذفوا بالسب والزنا، وتراحضوا بالبذاء والسباب، وترامَوا بالعضائه والمآبر) [١٠٩]

وإخوان الصفا(٣٥٠هـ) في قولهم: (فأما النفس، يعني الروح، فهي جوهرة سماوية، نورانية حية، علّامة فعّالة بالطبع، حسّاسة درّاكة لا تموت ولا تفنى، بل تبقى مؤبَّدة) [١١٠].

وأحمد بن محمد العروضي (٣٦٣هـ) في قوله: (وإنما فضل المتقدّم على المتأخر في تأليف الكتب، زيادة في شرح يستغلق، ....، أو حلّ شك يلتبس، ففتْحه بذهنه وكشفه ... أغرب، ومن الأبيدة أقرب) [١١١]

ومحمد بن أحمد المقدسي (٣٦٨هـ) في قوله: (يؤخذ من الإجّاص البعلبكي ....، ويلقى معه في الماء الحار من التُربُد الأبيب المصمَّغ المرضوض عشرة دراهم) [١١٢]

وأبو العلاء المعرّي(٤٤٩هـ) في قوله: (صوم الآبد أفضل من صوم المفطر على حرام) [١١٣]، وقوله:

تجاوزت عني الأقدار ذاهبة فقد تأبّدتُ حتى ملني الأبدُ[١١٤]

وقوله: (أبعَدوا النفرة، وأطالوا السفرة، وصحبوا الوحش المتأبّدة، ومرّوا بمنازل أناس خاوية)[١١٥]، وقوله: (والناس في الشام يُبغضون الأبّارين، وكذلك في العراق، ولا يرَون قتلهم إلا بحقّ)[١١٦]، وقوله: (إن زعمت أنك برّ فبرّ، وأبِرَّ، وإياك أن تأبِر، وإذا عاقبت فلا تُبِرْ)[١١٧]، وغيرها.

---

[١٠٨] ديوانه: ١٧٢٠/٣

[١٠٩] جواهر الألفاظ: ٤٣

[١١٠] رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: ٢٩٠

[١١١] الجامع في العروض والقوافي: ٣٣

[١١٢] مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء: ٥٦٩

[١١٣] الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: ٢٨

[١١٤] شرح اللزوميات: ٤٠٤/١

[١١٥] رسالة الصاهل والشاحج: ٦١٦

[١١٦] المصدر نفسه: ٢٢٨

[١١٧] الفصول والغايات: ١٦٢

ومن القرن الخامس الشريف المرتضى(٤٠٧هـ) في قوله:

وفي أرجاء دجلة مؤبِداتٌ وأدواء تريد لها علاجا[١١٨]

وقوله:

وتلاعبوا فيما أبرتَ لهم والجِدَ يوجد بعده اللعبُ[١١٩]

وابن سينا(٤٢٨هـ) في قوله: (ما كان أبرخُسْ قد يقرّ أن المرصود مخالف لحساب أهل عصره المبنيّ على جداول يسمونها الأبديّة) [١٢٠]، وقوله: (ومن السمك ما يقطع من بحر إلى بحر، أو من لجّة إلى شط، أو من شط إلى شط، ومنه ما يأبد) [١٢١]، وقوله: (وزعم قوم أن العقارب تسعة ألوان، البيض والصفر والحمر والرُمْد والكُهْب والخضر،...، ومنها خمريّة يُحَسّ من ضربتها نخس إبريّ، ووجع مؤذٍ) [١٢٢].

وابن بختيشوع (٤٥٣هـ) في قوله: (وأن المتخصص من العلماء من اعتمد لزوم قوانين العلم، وكان الحق بغيته، واليقين طلبته، وترك الهوى إيثاره، والصدق مراده، ومن تكن هذه أوصافه فخيره عامّ للآبدين به، وفوائده مجتباة للسامعين له) [١٢٣]

وابن حزم الأندلسي(٤٥٦هـ) في قوله: (ولم نجد لمن فرق بين الأجل الآتي والآبد، وبين الأجل الذي لا يأتي حجة أصلا) [١٢٤].

وعلي بن الحسين الباخرزي(٤٦٤هـ) في قوله: (وكنيته أبو المظفَّر، شاب حسن الوجه، ...، فهو منخرط في سلك الكتّاب لنجابته، وأبُوه إلى أصحاب المراتب على الباب، بحكم حجابته)[١٢٥].

وغير هؤلاء من العلماء الذين ينتمون إلى القرون الثلاثة المتأخرة، ومن الممكن بقاء هذه النصوص والإفادة منها حين المباشرة بالمرحلة الثانية المعنية بهذه القرون الثلاثة، أما أن نقول: إن العمل خاص بالمرحلة الأولى وينتهي بانتهاء القرن الثاني ثم نستشهد بنصوص ترجع إلى

---

[١١٨] ديوانه: ٢٢٥/١

[١١٩] ديوانه: ٧٥/١_٧٦

[١٢٠] الشفاء المنطق: ٤٦٥/٩

[١٢١] الشفاء المنطق: ١٠٢/٣

[١٢٢] القانون في الطب: ٣٢٧/٣_٣٢٨

[١٢٣] رسالة في الطب والأحداث النفسانية: ٢٣

[١٢٤] المحلّى: ٢١٥/١٠

[١٢٥] دمية القصر وعصرة أهل العصر: ٨٢٧/٢_٨٢٨

الثالث والرابع والخامس فهذا مما يُحسب على المعجم ويُعَدّ مأخذا عليه .

المطلب الخامس: مآخذ علمية متعلّقة بالمعنى:

قد يكون الشاهد على معنى الكلمة المراد شرحها مجازيا، نحو استشهادهم على أن (أبّ العشب ونحوه: ارتعاه) [١٢٦] مستشهدين بقول إبراهيم بن عباس الصولي: (كان الكلام والله مرعى له يؤبّ منه ما شاء) [١٢٧]، وكذلك استشهادهم على أن (الإباض: حبل يُشدّ به رسغ البعير إلى ذراعه)[١٢٨] بقول الشماخ بن ضرار الذبياني:

وكنت إذا ما شعبتا الأمر شكّتا عزمتُ ولم يحبل همومي إباضها[١٢٩]

وكذلك (إبط الروع ونحوه: الملاذ والملجأ) [١٣٠] مستشهدين بقول الصنوبري:

هم إبِط الروع إذا كلّت عن الروع الإبِط[١٣١]

وقد يكون المعنى المذكور للكلمة مخالفا لما ورد في بعض المعاجم مع أن الشاهد واحد في الموضعين، نحو قولهم إن (أباب الماء ونحوه: موجه المتعاظم) [١٣٢] مستشهدين بقول رؤبة بن العجاج:

قوّمن ساجا مستخفَّ الحمْل

تنشقّ أعراف الأباب الجَفْلِ

عن صُدُع يقمصن بعد الزجلِ[١٣٣]

في حين أن الأباب في لسان العرب هو الماء والسراب والشاهد في الموضعين واحد[١٣٤]، وقد ورد في تاج العروس ما يمكن أن يُعتذَر فيه ويكون حجة لهم ؛ إذ قال: " الأُباب بالضم معظم السيل والموج كالعُباب "[١٣٥] .

---

[١٢٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

[١٢٧] المصون في الأدب:٢٢٥

[١٢٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبض)

[١٢٩] ديوانه: ٢٢٤

[١٣٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبط)

[١٣١] ديوانه: ٢٤٧

[١٣٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

[١٣٣] شرح ديوان رؤبة بن العجاج: ٣٣٠/٢

[١٣٤] لسان العرب: (أبب)

[١٣٥] تاج العروس: (أبب)

وقد تكون غرابة في المثال مع عدم وضوح معناه، نحو (الآبد: ذكر النِعام) [١٣٦] مستشهدين بقول أبي العلاء المعري: (صوم الآبد أفضل من صوم المفطر على حرام) [١٣٧]

وقد يُكرر المعنى بالترادف أو بمعنى قريب من المعنى الأول، واللفظة نفسها نحو (الأبد: الزمن الممتد بلا حد) [١٣٨] و(أبد الأبدين: مدى الدهر) [١٣٩] و(أبد الأبد: مدى الدهر) [١٤٠]، و(أبد الأبيد: مدى الدهر) [١٤١] و (أبد الآبِدين: مدى الدهر) [١٤٢] و(أبد الآباد: مدى الدهر) [١٤٣] و(أبد الآبد: مدى الدهر) [١٤٤].

وكذلك في (الآبد: الحيوان الشارد الوحشي) [١٤٥] و(الآبد من الحيوان ونحوه: الوحشي الشارد)[١٤٦]، وكذلك نحو (المتأبّد: المتعبد المتنسك)[١٤٧] و(المتأبد: المتعزّل للعبادة، المتفرّد لله مدى حياته)[١٤٨]، وكذلك (أبّد الشعر ونحوه: أغرب فيه وجاء بالمستعصي من الألفاظ)[١٤٩] و(أبّد في الشعر ونحوه: ألغز فيه)[١٥٠].

وقد يكون المعنى متباينا بين الفعل والمشتقّ منه، نحو (أبّل و المؤبِّل)، إذ ورد أن (أبّل الرجل: اتخذ إبلا)[١٥١] مستشهدين بقول الطفيل بن عوف الغنوي:

فأبّل واسترخى به الشأن بعدما ..... أساف ولولا سعينا لم يؤبِّل[١٥٢]

---

[١٣٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٣٧] الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: ٢٨
[١٣٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٣٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤١] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٢] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٣] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٤] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٥] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٧] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٤٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٥٠] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)
[١٥١] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)
[١٥٢] ديوانه: ٩٧

وأنّ (المؤبِّل: القائم على رِعْية الغنم) [153] مستشهدين بقول أُمية بن أبي الصلت الثقفي:

سوق المؤبِّل للمؤَبْ   بَلِ صادرات عن بلادح[154]

وقد يُذكر معنيان لفعل واحد والصحيح أن المعنى واحد، نحو (تأبّل الرجل عن امرأته: امتنع عن غشيانها) [155] مستشهدين بقول وهب بن منبّه الصنعاني: (تأبّل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاما لا يصيب حوّاء) [156]، و(تأبّل عليه: حزن عليه) [157] مستشهدين بقول كراع النمل: (وتأبّل نوح على ابنه خمسمئة عام) [158].

والصحيح أنهما كلاهما بمعنى حزن، أما امتناع غشيان الزوجة في المثال الأول فهو بسبب الحزن وتابع له .

المطلب السادس: مآخذ منهجية متفرّقة:

١_ نقص في المادة المستقراة: من ذلك لفظة إيابة وهي مصدر الفعل أبّ إلى وطنه بمعنى نزع، إذ لم يرد هذا المصدر دالا على هذا المعنى في معجم الدوحة [159] مع أنه وارد في معجم لسان العرب، قال ابن منظور: " والأبّ: النزاع إلى الوطن، وأبّ إلى وطنه يؤبّ أبّا أبابة وإبابة: نزع، والمعروف عند ابن دريد الكسر، وأنشد لهشام أخي ذي الرُّمّة:

وأبّ ذو المحضر البادي إبابته   وقوّضت نية أطناب تخييمِ

وكذلك أبّت أبابة الشيء وإبابته: استقامت طريقته"[160]

٢_ عدم ذكر الشاهد القرآني: من ذلك عدم إيراد لفظ (أبّا) [161] الواردة في قوله تعالى: (وفاكهة وأبّا) [162]، وكذلك (أبدا) [163] الواردة نحو ثمان وعشرين مرة، منها قوله تعالى: (ولن

---

[153] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[154] شرح ديوان أمية بن أبي الصلت: ٢٥

[155] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[156] غريب الحديث للهروي: ٥/٤٤٠، رقم الحديث (١٠١٦)

[157] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[158] المجرّد في غريب كلام العرب ولغاتها: ٣٠٥

[159] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

[160] لسان العرب: (أبب)

[161] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبب)

[162] سورة عبس، الآية: ٣١

[163] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

يتمنوه أبدا بما قدم أيديهم) [١٦٤] وقوله تعالى: (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا) [١٦٥]

٣_ عدم نسبة عدد من الأبيات الشعرية إلى قائليها، من ذلك ذكرهم (الأبِث: الأشر النشيط) مستشهدين بقول الشاعر:

أصبح عمار نشيطا أبِثا

يأكل لحما بائتا قد كبِثا

مكتفين بالقول إنه من شواهد الأزهري[١٦٦]، في حين أن قائله معروف ذكره الجوهري، قال: " الأبِث: الأشر النشيط، قال أبو زرارة النصري:

أصبح عمار نشيطا أبِثا

يأكل لحما بائتا قد كبِثا "[١٦٧]

٤_ الحكم على بناء بحكم صرفي غير صحيح، من ذلك (المؤبَّد: مفعول بمعنى فاعل: الدائم المستمرّ مدى الدهر)[١٦٨]، ولا أعلم كيف استدلوا على كونه مفعولا بمعنى فاعل، مع أن المعنى يوحي بأنه وقع عليه الفعل لا أنه قام به .

٥_ الإيهام في ذكر اللفظة المطلوب شرحها، من ذلك قولهم (الأبيد من الحيوان: المتوحش)[١٦٩] مستشهدين بقول أبي العلاء المعري:

أبيدةُ، قالت للوعول، مُسرَّةً تبِدْنَ بحكم الله ثم أبيدُ[١٧٠]

والقارئ سيظن من أول وهلة أن الكلام على اللفظة الأخيرة (أبيد)، في حين أنها فعل مضارع ماضيه باد، بدليل (تبِدْنَ)، وهو فعل مضارع اتصل بنون النسوة فحُذفت ياؤه لالتقاء الساكنين، وأصله (تبيدْنَ)، وما كان هذا ليحدث لو أنهم كتبوا في الأعلى (الأبيدة) بدلا من الأبيد .

٦_ النسبة العائمة غير الموثقة، وأعني بها أن ينسبوا النص إلى شخص لا يذكرون اسمه

---

[١٦٤] سورة البقرة، الآية: ٩٥

[١٦٥] سورة المائدة، الآية: ٢٤

[١٦٦] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبث)

[١٦٧] تهذيب اللغة: (أبث)

[١٦٨] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[١٦٩] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[١٧٠] شرح اللزوميات: ٣٩٨/١

وإنما يكتفون بأنه أعرابي أو من القبيلة الفلانية أو ينسبونه إلى ابنة شخص أو امرأته، وغيرها، من ذلك أنهم نسبوا الكلام إلى (بعض بني عم نصر بن شبيب) [١٧١]، وإلى (ابنة رجل من الأعراب) [١٧٢]، و(بعض الأعراب) [١٧٣]، وإلى (رجل من تغلب) [١٧٤]، وإلى (رجل من أهل عمان) [١٧٥] وغيرها .

الخاتمة:

١. لم يتحرَّ القائمون على المعجم المطابقة التامة بين الكلمة المراد شرحها ومثالها من كلام العرب، وكثيرا ما اختلف المثال في نوعه عن تلك الكلمة، في حين أن المطابقة التامة واجبة في المعجم التاريخي لطبيعته وخصوصيته .
٢. قد تتعدد التعابير اللغوية والمعنى واحد، وفي هذه الحال لا داعي لذكر جميع تلك التعابير، ولا سيما إذا كان بعض ألفاظها المعنيُّ بالشرح واحدا .
٣. الذي يطلع على هذا المعجم يجد كثيرا من الكلمات قد تم شرحها اعتمادا على كلام اللغويين فقط من دون أن يُوثق هذا الشرح بأي شاهد من كلام العرب شعرا كان أم نثرا .
٤. لم يلتزم القائمون على إنجاز هذا المعجم بالمدة التي حددوها للمرحلة الأولى منه وتنتهي بسنة ٢٠٠ للهجرة، أي أنهم يتوقفون على النصوص والكلمات المستعملة في تلك المدة ولا يتجاوزونها في هذه المرحلة على أمل أن يبدؤوا بالمرحلة الثانية التي تنتهي ب ٥٠٠ للهجرة، ولكن المطالع لما كتب في هذا المعجم في مرحلته الأولى يجد أن كاتبيه قد تجاوزوا تلك المدة الزمنية التي حددوها، فنراهم استشهدوا بكلام ونصوص لعلماء وأشخاص من القرون الثالث والرابع والخامس .
٥. سجّل الباحث عددا من المآخذ العلمية على المعجم منها أنه قد يكون الشاهد على معنى الكلمة المراد شرحها مجازيا، وقد يكون المعنى المذكور للكلمة مخالفا لما ورد في المعجم العربي مع أن الشاهد واحد في الموضعين، وقد تكون غرابة في المثال مع عدم وضوح معناه، وقد يُكرر المعنى بالترادف أو بمعنى قريب من المعنى الأول، واللفظة نفسها، وقد يكون المعنى متباينا بين الفعل والمشتقّ منه، وقد يُذكر معنيان لفعل واحد والصحيح أن معناهما واحد .

---

[١٧١] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبد)

[١٧٢] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[١٧٣] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[١٧٤] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

[١٧٥] ينظر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: (أبل)

٦. سجّل الباحث عددا من المآخذ المنهجية منها النقص في المادة المستقراة، وعدم ذكر الشاهد القرآني، وعدم نسبة عدد من الأبيات الشعرية إلى قائليها، والإيهام في ذكر اللفظة المطلوب شرحها، والنسبة العائمة غير الموثقة، وغيرها .

المصادر:

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد)، أبو حيان التوحيدي (٤١٤هـ)، حققه وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
- ❖ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) تحقيق إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ.
- ❖ الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير، الحسن بن يعقوب الهمداني (٣٣٤هـ)، ج١، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسن الأكوع الحوالي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- ❖ الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٥٦م.
- ❖ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (١١١٠ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت –لبنان، الطبعة الرابعة .
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحُسَيْنيّ الزَبيديّ (١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ❖ التعليقات والنوادر دراسة ومختارات، أبو علي هارون بن زكريا الهجري (٣٠٠هـ)، ترتيب حمد الجاسر، ط١، ١٩٩٢م.
- ❖ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- ❖ تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، تقديم عبد السلام هارون وآخرين، دار القومية العربية، المؤسسة المصرية، الدار المصرية، مطابع سجل العرب، دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤_١٩٧٦م.
- ❖ الجامع في العروض والقوافي، أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي (٣٤٢هـ)، حققه وقدم له زهير غازي زاهد وهلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ❖ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت:٣٢١هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٤٥هـ.
- ❖ جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ❖ الجيم، أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، مراجعة محمد خلف الله أحمد وآخرين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٤_١٩٨٣م.
- ❖ الحيوان، الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥_١٩٦٩م.
- ❖ دليل الفالح شرح كتاب النصائح للحارث المحاسبي، إعداد علي أحمد عبد العال الطهطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ❖ دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي (٤٦٧هـ)، تحقيق ودراسة محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ❖ ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
- ❖ ديوان البحتري، عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م.
- ❖ ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١م.
- ❖ ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ❖ ديوان الشريف المرتضى، شرح محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ❖ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ❖ ديوان الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبّي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- ❖ ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، ط١، ١٩٩٧م.
- ❖ ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٧م.

❖ ديوان لقيط بن يعمر، حققه وقدم له عبد المعيد خان، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م.
❖ رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ)، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
❖ رسالة في الطب والأحداث النفسانية، أبو سعيد بختيشوع (٤٥٣هـ)، حققها وقدم لها فليكس كلاين فرانكه، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
❖ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، إخوان الصفا (٣٥٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.
❖ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٩٩٤.
❖ شرح اللزوميات نظم أبي العلاء المعري (٤٤٩هـ)، تحقيق منير المدني وآخرين، إشراف ومراجعة حسين نصار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢_١٩٩٤م.
❖ شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
❖ شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، قدم له وعلق حواشيه، سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت .
❖ شرح ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق ضاحي عبد الباقي محمد وآخرين، مراجعة محمود علي مكي وآخرين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨_٢٠١١ .
❖ شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.
❖ الشفاء والمنطق، ابن سينا (٤٢٨هـ)، تحقيق الأب قنواتي وآخرين، تصدير طه حسين باشا، مراجعة إبراهيم مدكور، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٦٣هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
❖ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت.
❖ غريب الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، ط١، ١٩٧٧م.
❖ غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي (٢٢٤هـ)، تحقيق محمد محمد شرف، مراجعة عبد السلام هارون وآخرين، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤_١٩٩٩م.
❖ الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ)، صنعه وفسّر غريبه محمود حسن زناتي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
❖ القانون في الطب، ابن سينا (٤٢٨هـ)، وضع حواشيه محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
❖ كتاب الأفعال، أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (٤٠٠هـ)، تحقيق حسين محمد محمد شرف، مراجعة محمد هدي علّام، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨_١٩٩٢م.
❖ كتاب الخيل، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ)، رواية أبي حاتم السجستاني عنه رواية أبي يوسف الأصبهاني عنه، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٥٨هـ.
❖ مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، محمد بن أحمد التيمي المقدسي (٣٩٠هـ)، تحقيق ودراسة يحيى شعّار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
❖ المجرّد في غريب كلام العرب ولغاتها، أبو الحسن الهُنائي المعروف بكراع النمل (٣٠٩هـ)، تحقيق محمد بن أحمد العمري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
❖ مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (٥١٨هـ) حققه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.
❖ المحلّى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، تحقيق محمد منير الدمشقي وأحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٣٥٢_١٣٤٧هـ.
❖ المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب .
❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥_٢٠٠١م.

❖ المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م.

❖ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م.

❖ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.

❖ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت .

❖ النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

❖ النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت _ القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

بنية المادة اللغوية بين المنهج والمعنى في معجم الدوحة _ نقد وبناء مادة (دَخَلَ) مثالاً

الأستاذ الدكتور عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة –كلية التربية الأساسية

الملخص:

في بحثي الموسوم (بنية المادة اللغوية بين المنهج والمعنى في معجم الدوحة – نقد وبناء، مادة " دخل " مثالًا) قدّمتُ رؤيتي الخاصة في بناء المادة اللغوية في المعجم اللغوي عندما يتّسم بالتاريخية، وقد اتخذت من مادة (دخل) في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية مثالًا على بيان هذه الرؤية عن طريق دراستها بوصفها تمثّل لبنة من لبنات هذا المعجم، ووجدت أنّ هناك بعضَ الملاحظ التي يجب أن تعمل على إعادة بناء المادة اللغوية من حيث التسلسل التاريخي لتطوّر المعاني للمفردات وأثر الشاهد فيها وغيرها من القضايا التي يُبْنى عليها المعجم التاريخي للغة العربية .

المقدمة:

تُعَدُّ المفردة اللغوية الأساس الذي يعتمد عليه بناءُ المعجم اللغوي بما حوته من معنى ولفظ شكّل مع بعضهما مادة استفاد منها المتكلم في توضيح ما أراده للتواصل مع الآخرين عن طريق سوقِهِ الكلمات في سياقات معينة لتومئ الى ما يطلبه من دلالات، ويحكمه في كلِّ ذلك البُعد الثقافي والاجتماعي، إلاّ أنَّ المفردة اللغوية لم تكن مجرد لفظ ومعنى وإنما هي تحمل كذلك مجمل ما يبوح به الواقع الاجتماعي والثقافي من قيم تبرز هوية المتكلم كفرد أو مجتمع، لذا أن اللغة لاتُعدُّ وسيلة تواصل اجتماعي فقط بل تمثل الروح التي يعيش فيها متكلمو اللغة، وعليه أن المفردات اللغوية تحمل في طياتها قيماً دلالية ومعرفية وعادات اجتماعية وآفاق ثقافية فهي تحيى مع حياة المجتمع الذي وُجِدت فيه وتموت أو تضعف معه تبعاً للظروف التي يمرُّ بها، فهي حاكمة عليها عن طريق حياة الفرد والمجتمع .

إذاً كان اهتمام علماء العربية باللغة لم يأتِ إلّا بسبب من أهميتها وسموِّها وأثرها في الحياة العامة للمجتمع، لذا أوْلوها عناية فائقة في متابعة حياتها منذ نشأتها وشبابها ونظارتها حتى في كهولتها وعجزها .

ولعل ما قامت به بعض المؤسسات العلمية المهمة في قراءة تاريخ اللغة عن طريق مفرداتها وألفاظها يُعدُّ عملا كبيراً لأنه يؤرخ لحياة المفردة العربية الذي عن طريقها تتضح ملامح الأثر الثقافي والاجتماعي والحضاري للغة العربية .

بيد أن هذا العمل الكبير يحتاج الى جهد علمي واسع بسبب اتساع العربية وصعوبة الإحاطة بكلّ مكوناتها[١] وعلومها وفنونها فهي (أوسع اللغات مذهباً وأوسعها ألفاظاً ولا يحيط بها من الناس الا نبيٌ[٢] أو وصيٌ بني، ولعلّ الموجودَ منها دون ما ذهب بذهاب أهله)[٣]، فاذا كان هذا موقف مَنْ تمرّس في شؤونها وخبر علومها فما بال الآخرين وخاصة مَنْ استحكمت العامية في كلامه وسلوكه الثقافي فهو أعجز من أن يستطيع أن يتلقّاها وهي التي (لم تكن تُؤخَذ إلّا بالسماع والتلقين أو الرواية الواضحة ببلج الحق وثلج اليقين)[٤] عبر أصول حياتها والمتكلمين بها، فربما تجد مفردة في عصر ما لها معنى معين بحكم الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقد تجد له معنى ثانياً في عصر آخر بسبب ظروف أخرى وهكذا، أو تجد معاني لمفردة ما _ أيضا _ قد ماتت بعوامل الزمن ولم يبقَ إلّا ما استُعِمل مجازاً حتى ظُنَّ أن هذا المعنى من أصل الوضع لأنّه قد نُسِي المعنى الأصل (الحقيقي) الأول للمفردة فبدا عند جمع اللغة كأنّه أصلًا ، حتى لوحِظ أكثر من أصلٍ للمفردة الواحدة، وهذا الأمر ممّا يبعث على القول أنّ الظنَّ كان هو الحاكم في تحديد المعنى الأصل من هذه الأصول المتعددة للجذر الواحد .

لذا عقدتُ العزم في دراستي هذه لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية لما وجدْتُ من جهدٍ كبير في تتبّع تطوّر دلالة ألفاظ العربية بين الحقيقة والمجاز ويُثق كلَّ مفردة من مفرداتها حتى شكَّل ذاكرة لها[٥]، فالألفاظ اللغوية محكومة بين هذين الاتجاهين دلالياً يسوقهما متكلم اللغة بحسب حذقه بها وتمكُّنه من أدواته النحوية والبلاغية وباقي فنون اللغة، فيحسم معناها بسياقها الذي ترد فيه سعةً أو تضييقاً بحسب طريقة استعماله في نظم المفردات وترتيبها فضلاً عن طريقة اختياره لصيغة المفردة كي تكون أعلقَ في النفس من نظيرتها الأخرى في إيصال المعنى وفهمه، فضلاً عن إدخال معانٍ ثانية عند استعمال صيغة أخرى للجذر نفسه، فمثلاً في الفعل " تشكّى" الذي هو على وزن " تفعَّل" يدلُّ على إدخال الناس في " الشكوى" (فإذا أراد الرجل أن يدخل في أمر حتى يُضاف ويكون من أهله فانك تقول "تفعَّل" وذلك تشجَّع وتصَّبر وتحلَّم وتجلَّد وتمرَّأ وتقديرها تمرّأً أي صار ذا مرؤة)[٦]، فأضافت صيغة "تفعّل " معنى اضافيا وكذلك اسم الفاعل من "تشكّى" فانه لم يدل على الشكوى وحدها بل دلّ على مَنْ قام بإدخال نفسه في الشكوى وأراد أن يتَّصف بهذه الصفة، فيكون عندئذ قد زاد على مّنْ قام بالشكاية الذي يدلُّ عليه

---

[١] ظ: مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ١٢

[٢] الرسالة /الإمام الشافعي : ٤٢

[٣] الطراز الاول والكناز / ابن معصوم المدني :١١/١

[٤] م . ن: ١ /٦

[٥] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٩

[٦] الكتاب / سيبويه :٧١/٤

اسم الفاعل (شاكّ)، وهذا مما يعني أن اشتقاق الكلمة قد زاد من وضوحها وأدّى الى دلالات لم تكن لتُعرَف لولا تبيِّن الاشتقاق لها[٧].

وربما يأتي المعنى للمتكلم باللغة عن طريق اكتسابه للخبرات المحيطة به وهذه الخبرات تأتي عن طريق الحواس أي يكون المعنى في الأصل معنى حسيّاً ثم في مرحلةٍ أخرى أصبح أكثر تجريداً لأنّ المعنى الأول هو قد أتى النفس من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والرويّة، لذا رجَّح بعضهم المعنى الحسّي في كونه أسبق في الوجود من المعنى المجرَّد[٨] .

وقد تنبّه القائمون على معجم الدوحة الى قابلية التطوّر في العربية عَبْرَ زمانها فعدّدوا ما حدث في العربية المولّدة بعد عصر الاحتجاج تطوّرًا في العربية ذاتها لأن ما وقع كان امتدادًا له ومنتميًا إليه في الأنظمة الصوتية والنحوية والمعجمية[٩] فضلًا عمّا جاء من تعدّد الأصول للمفردة الواحدة، وهو ما قام به ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في معجم مقاييس اللغة إذ ذكر الزمر الدلالية للجذر اللغوي الواحد ويُرجِع معجم الدوحة ذلك الى التأثير المتبادل بين العربية وأخواتها الساميات [١٠].

أي أن المعنى الحسّي هو الأصل، ثم جاء بعده المعنى المجرَّد متطوِّرا عنه عَبْرَ حياة المفردات، وهناك ألفاظ كثيرة قد تطوَّر فيها المعنى الحسّي الى معنى مجَّرد كما في الجذر اللغوي (بنى) فهو بناء الشي بضم بعضه الى بعضه، تقول : بنيتُ البناء أبنية [١١]، ثم تطور هذا المعنى الحسي فقيل : فلانٌ بنى بأهله، أي دخل فيها، تشبيهاً ببيوت الأعراب ذوي الأمصار[١٢].

هذا التحوّل في دلالة الألفاظ ومعانيها عن طريق الاستعمال يُعطي للغة مرونةً وقابليةً على التحوّل ومواكبة التطورات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المتكلّم بها، غير أنه يُضفي على جامع اللغة العربية صعوبة في الإمساك بهذه المعاني المتطوّرة عن الأصل الحقيقي وكذلك صعوبة الإحاطة بها، لذا نجد كثيراً من المعجمين قد وقعوا في وهم التفريق بين الحقيقة والمجاز في المفردة، فنجد معجماً قد أشار الى المعنى المجازي في بيت من الشعر لا يراه معجمي آخر وفي الشاهد نفسه، وهذا ربما راجع الى عدم الاتفاق على مفهوم موحَّد لمصطلحات المجاز قبل نقدها

---

[٧] حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز / الدكتور سمير أحمد معلوف : ١٧٢

[٨] دراسات في فقه اللغة / الدكتور صبحي الصالح : ١٨٠ – ١٨٢، ظ : م . ن : ١٧٦ .

[٩] ظ : مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ١٧

[١٠] ظ : مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٢٢ – ٢٣

[١١] ظ : الخصائص/ ابن جني /٢٠٠/١

[١٢] ظ : م . ن : ١ / ٣٧ – ٣٨ .

من قبل السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابة (مفتاح العلوم) .

إذاً كان دوران المفردة اللغوية في الاستعمال قد أعطاها الحرية في إنتاج معانٍ لم تكن متصوّرة لولا هذه الحركة التي انطلقت أصلاً من حيوية اللغة، والمكتسبة من حيوية المتكلم بها فكان لهذا الأمر منحيان، الأول وسَّع من دلالة المفردة وجعلها في عطاء دلالي متجدّد عَبْرَ عصور حياتها، والثاني أنه صَعَّبَ الأمر على جامع اللغة – خاصة المعجمي– بسبب هذا الاتساع الكبير والشموخ العالي للغة، فاحتاج الى جهد جبار للإلمام بكلِّ تفرعات هذه الحركة ودرجات تطورها عَبْرَ عقود زمانها لذلك تقرّر اعتماد منهجين في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية قائمين على الاستقصاء الشامل للنصوص العربية والانتقاء التمثيلي في مراحل كتابة هذا المعجم[١٣].

لهذا أن ملاحقة هذه التطورات يحتاج الى جهدٍ ليس بالهين أبداً، ولا يستطيع الفرد لوحده أن يلمّ أو يحيط بكلِّ تلك الأحداث ليؤرخ لمفردات اللغة بل يحتاج هذا الأمر الى مؤسسات كبيرة تتولّى هذا العمل لأجل وصف اللغة عَبْرَ محطات حياتها، فكان إذاً لزاما علينا أن نستعمل المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في عملية نقد ما ذهب إليه مُعْجَم الدوحة التاريخي للغة العربية، وذلك عن طريق دراسة نقدية للبنية الخارجية والداخلية للمفردة اللغوية فيه، فاخترت مادة (دَخَلَ) مثالاً لهذا المعجم الكبير .

بِنية معجم الدوحة التاريخي للغة العربية

بُنيت المعجمات اللغوية منذ أول معجم لفظي –وهو كتاب العين –الى آخر ما أُلِّف فيها في العصر الحديث على أسس وقواعد كانت تلائم المرحلة التي أُلِّف فيها المعجم أو بُنِيَ عليها، وقد اختلفت هذه القواعد المنهجية من معجم الى آخر حتى استقامت على أربعة مناهج أو مدارس[١٤]، كان الغرض منها تنظيم عملية جمع المفردات اللغوية والإحاطة بها وعدم الإهمال أيٍّ منها أو تركها، لأن الإهمال والترك لمفردة معينة أو جذر لغوي يُسجَّل عيباً على العمل المعجمي فتوجَّهُ اليه سهام النقد والتجريح، وقد أُلِّفت في ذلك كتب كثيرة تستدرك ما فاتهم من المواد اللغوية أو ما أهملوها[١٥]

---

[١٣] مقدمة المعجم التاريخي للغة العربية : ١٧ – ١٨ .

[١٤] هي المدرسة الصوتية للخليل في كتاب العين ومدرسة الجمهرة لابن دريد ومدرسة القافية في الصحاح للجوهري والمدرسة الألفبائية في أساس البلاغة للزمخشري .

[١٥] منها كتاب (فائت الجهرة) لأبي عمرو الزاهد (ت٣٤٥هـ) وكتاب (التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري) ألّفه الحسن بن محمد الصاغاني (ت٥٦٠هـ) وكذلك كتاب (ما أهمله الجواهري من لغة الصاغاني) للصاغاني – أيضا – الّفه بعد التكملة وأراد به إيراد ما غفل عنه أو أهمله فيها وليس

إذاً كان الحركة المعجمية عَبْرَ عصور نشأتها وتطورها قد تناولت بنية المعجم العربي الداخلية والخارجية، ولعلّ هذا الاهتمام لم يكن إلا لأجل الحفاظ على اللغة من الخطأ أو الانطماس، فضلا عن رصد حركة تطور ألفاظها ومعانيها، لذا سأرصد البنيتين الخارجية والداخلية لمعجم الدوحة عن طريقمادة (دخل) مثالاً عليه .

أولا : البنية الخارجية

لمّا كان المعجم اللغوي نظاماً لحفظ المفردات، فلا بدَّ أن يكون قد بُنِيَ على أسس وقواعد تبرزه كبنية معجمية فتكون البنية هي القانون الذي يفسر تكوينه ومعقوليته[١٦]، والبنية في الأصل كما يقول ابن فارس (ت ٣٩٣هـ) من (بَنَي : الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه الى بعض ... وتقول : قوسٌ بانيةٌ وهي التي بَنَت على وَتَرِها، وذلك ان يكاد ينقطع للصوقهِ بها) [١٧] .

فمن المعنى اللغوي نستشف منه ضّم الشيء الى الشيء والتصاقه به، ويتمظهر هذا الضم بأشكال متعددة تبعاً لغرض البناية وطبيعة استعمالها، لذا يوجب أن يكون هنالك تنسيق بين العناصر الكلية والجزئية المكونة لها، فإذاً (مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنية الثابتة التي تقدم الكلّ على أجزائه بحيث لا يفهم هذا الجزء خارج الوضع الذي يشغله داخل المنظومة الكلية)[١٨]، ويضم له قوة الرصف وأن يكون له شكل يتميز عن غيره، فالأبنية متعددة بتعدد الأغراض، وربما تختلف البنى في الغرض الواحد إذا اقتضى أن يكون له أكثر من شكل، كبنى المعاجم التي تتعدد في منهجها وبنائها على أساس النظام الذي يعتمده المؤلف، فهنالك النظام الصوتي والنظام الأبنية ونظام القافية والنظام الألفبائي، وإنما تفرّقت هذه المعجمات على طبيعة ضم أجزاء المعجم ومفرداته بين طياته وأصوله، فكانت قضية ترتيب المفردات في المعجمات – كما يذكر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية – قضية محورية شائكة في المعجم العربي القديم، وما زالت الى يومنا هذا [١٩].

في الصحاح، ولذلك أُلحقت موارد بهوامش التكملة المخطوطة[١٥] وغيرها، فضلاً عن ملاحقة أصحاب المعاجم فيما وقعوا فيه من فائت بعض المعاني للمواد واللغوية أو رصد الخطأ والتحريفات مثل كتاب (تصحيح لسان العرب) للعلامة أحمد تيمور باشا أو مخالفتهم للنهج المتبع في جمع المفردات وترتيب معانيها واستيفائها .

[١٦] ظ: مشكلات البنية/ الدكتور زكريا ابراهيم : ٣٣ .

[١٧] مقاييس اللغة/ ابي فارس : بني .

[١٨] ظ : مشكلات فلسفية/ الدكتور زكريا ابراهيم : ٣٢- ٣٤ .

[١٩] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٣٢

ولمّا كان أساس عمل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في ضم مفردات معجمه هو مخارج الأصوات وتقليبات المفردة الواحدة ونوع البنية المكونة لتلك اللفظة فقد جمع مفرداته بما يناسب هذا المنهج ووزعها على أساس هذه البنية فكانت هذه الأصول الثلاثة هي المؤلِّفة للبنية الخارجية لكتاب العين . فهنا قد فرضت هذه الثيمات نوع البنية الملائمة لعمله، لكن مع كلِّ ذلك كلّه فقد وقع تداخل بين الجذور في أغلب المعجمات، وقد سمّاه ابن جني (ت ٣٩٣ هـ) بـ (تداخل الأصول) أو (تزاحم الأصول)[٢٠] على الكلمة الواحدة .

أما في معجم الدوحة التاريخي في مواده اللغوية فقد اختار القائمون عليه طريقة في ترتيب مواده اللغوية، إذ لم يأخذ بالترتيب الألفبائي للمداخل في العربية، وإن أخذ به في ترتيب الجذور لأنّه – بحسب القائمين عليه – يثير إشكالات جوهرية، فضلًا عن الصعوبات الكامنة في الترتيب الألفبائي[٢١] فضلًا عن ذلك كانت الصيغة الصرفية المكونة للألفاظ هي الحاكمة على البنية الخارجية في مادة (دخل) أو غيرها، المكوِّنة من الأسماء بصيغتها المعلومة (فَعَل، فَعْل، فُعْل) فضلاً عن اسم الجنس (فُعَّل) والأفعال في حالات تعدّي الفعل بنفسه أو بحرف أو أن يكون الفعل ملازماً للبناء للمجهول .

فضلاً عن الصفة الملازمة للأشياء والمثنى والجمع وغيرها من أبواب الصرف العربي الذي استُعملت في المواد اللغوية الأخرى، كالجذر طرد ودخن ودخر وغيرها ثم ذُيّلت بالنظائر السامية للجذر العربي[٢٢] .

ففي مادة (دَخَلَ) يختار (دَخَل) {اسم} بهذه الصيغة ثم يورد معانيها للصيغة الاسمية وقبلها بذكر سنة الشاهد اللغوي وهي سنة (٢٤٩ ق هـ = ٣٨٠ م) فمثلاً يقول: (الدخل: المكر والخديعةُ) ثم يورد شاهداً شعرياً فيقول: (قال يعني – الشاعر لقيط بن يعمر الإيادي – ينصح قومه مُخلِصاً ويحذرهم من غزو الفُرس لهم [٢٣]:

هذا كتابي إليكم، والنذيرُ لكـم فمن رأى رأيَهُ منكم ومَنْ سمِعا ؟

لقد بَذَلْتُ لكمْ نُصحي بلا دَخَلٍ فاستقيضوا، إنَّ خير العلمِ ما نفعا

ثم يورد معنى آخر للاسم (دَخَل) – بفتح الدال والخاء – وهو مكان يُلجأ إليه ويُختَبأُ فيه ويستشهد عليه بشاهد للأخطل (ت ٥٠هـ – ٦٧٠م)[٢٤]،

---

[٢٠] الخصائص / ابن جني :

[٢١] ظ : مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٣٢

[٢٢] ظ : م . ن : ٣٥ –٣٦

[٢٣] معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : مادة (دخل)

[٢٤] شعر الأخطل برواية السكري : ١٢١

وقد فكَكَتُ عن الأسرى وثاقَهمُ   وليس يرجون تلجاء ولا دَخَلًا

وقد تنقَّذتهم من قعـر مظلمةٍ   إذا الجبانُ رأى أمثالها زَحَلًا

وهكذا حتى يستوفي جميع معاني الاسم (دَخَل) ثم يورد الصيغة الاسمية الثانية (دَخْل) – بفتح الدال وسيكون العين – مع ذكر معانيها التي منها : دَخْلُ الشيء : باطنهُ وما ينطوي عليه مما لا يرى،

ترى الفتيانَ كالنّخل   وما يُدريكَ ما الدَّخْلُ ؟

لابنة الخُسن الإيادية (ت ٢٠٢ ق هـ – ٤٢٦م)[٢٥] وبعدها يورد بقية المعاني لهذه الصيغة.

ثم يأتي على الأفعال فيبدأها بالفعل المتعدّي بالحرف، وقد ذكر منها ثلاث حروف (في، على، الباء) من دون أن يفرِّق بين المعاني الحسّية والمعاني المجازية لأن ارتباط الفعل المتعدّي بحرف يحكم معنى ذلك الحرف فيأخذ به الى معاني المجازية أو الحسّية بحسب الحالة الواردة، وهنا يكون توسع في الدلالة عن طريق استعمال الحرف فمثلاً يورد: دخَلَ في الأمر: خاض فيه مع غيره، ودَخَلَ على غيره: جاء إليه حيث يجلس، ودَخْل بالمرأة: بنى بها وجامعها، وغيرها من الاستعمالات المقترنة بأحد حروف الجر، ثم يستشهد بشاهد شعري أو قرآني بتسلسل زمني مشيراً فيه الى تاريخ المعنى المذكور[٢٦] .

وهكذا يستمر المعجم في ذِكْرِ صيغ الفعل المتعدّي واللازم ومن ثم اسم الجنس والصفة والصفة المشبهة والفعل الملازم للبناء المجهول، وما أن ينتهي من ذلك حتى يعود الى إيراد صيغة إسمية أخرى (دُخْل) – بضم الدال وسكون العين – فيقول: (الدُّخْلُ: العيبُ في الحَسَب .

رَفَدْت ذوي الأحسابِ منهم مرافدي   وذا الدُّخْلِ حتى عادَ حُرّاً سنيدها

من دون أن يذكر اسم القائل، ويقول : (من شواهد الخليل)[٢٧] .

في هذا التقسيم والتوزيع لفروع المادة اللغوية الخارجي في الحقيقة لم يُؤشِّر الى الغاية المطلوبة خارجياً من المعجم أي الى التسلسل التاريخي فلما كان معجم الدوحة يهتم بالجانب التاريخي ألفاظ العربية فأن من الأفضل أن يكون للزمن من أثر واضح وحاكمية على البنية الخارجية للمعجم، لأنها تُعبّر عن الصورة التي يتسم بها المعجم، فالبنية تُعدُّ مخصِّصة للمضمون، مثلاً نجد في حياتنا العامة عدداً من الأبنية والعمارات وهي كلّها مؤلَّفة من الطابوق

---

[٢٥] ظ : كتاب العين/ الفراهيدي: مادة (دخل)، ظ : المعجم الكبير : مادة (دخل)

[٢٦] ظ : معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : مادة (دخل)

[٢٧] ظ : م . ن : مادة (دخل)، ظ : كتاب العين/ الفراهيدي : مادة (دخل) ،.

والجص، لكن لكلّ مؤسسة شكلها الخارجي الذي يشير اليها، فالشكل الخارجي للمسجد يختلف عن المدرسة والمدرسة تختلف عن بناية البيت، فلكلّ مؤسسة منها شكلها الخاص بها وإن بُنِيَتْ من مادة مشتركة وهي الطابوق والجصّ، فالوظيفة هي محدِّدة للشكل الخارجي والداخلي كذلك.

في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية رأيت في مواده اللغوية التي نُشِرت مؤخراً يهتم بتاريخ المفردات اللغوية عبر عصور حياتها، ولعلَّ الذي صدر منه لحدِّ الآن كماي ذكر الدكتور عزالدين البوشيخي المادير التنفيذي للمعجم أنه فتح (نحو مائة ألف مدخلٍ معجميٍّ مرتّبة ترتيبًا من أقدم نقشٍ أو نصٍّ حتى عام ٢٠٠ هـ)[٢٨]

وهذا يدعونا الى أن نضع مؤشراً دالاً على البعد التاريخي له، وذلك عن طريق تفعيل الزمن الدال على المعنى بشاهد لغوي (شعر، نثر، قرآن) أي أن تكون للزمن حاكمية في ترتيب المعاني في البنيتين الخارجية والداخلية، فضلا عن الصيغة الصرفية التي تعاهدها هذا المعجم، وإن كانت لا تشير بشكل كبير الى دلالة التطور التاريخي لمعاني المفردات في البنية الخارجية له، فيكون توزيع المواد اللغوية محكوما بالزمن فضلاً عن الصيغة التي تمثل توزيعا ثانوياً داخل بوابة الزمن.

حاكمية الزمن في بناء الهيكل الخارجي للمادة اللغوية

كلّ حالة تطورية يدخل الزمن فيها عاملاً يشير الى مراحل ذلك التطور فيبرز واضحاً للإشارة الى تلك المراحل التي تمرّ بها تلك الحالة قيد الدراسة، ولما كان معجم الدوحة التاريخي للغة العربية يهتم بتطورات مفردات اللغة العربية فلا بدّ من تحديد الزمن التي تمر فيه اللفظة المراد معرفة تطور دلالتها عبر عصور حياتها وقد استعمل منهجًا في ترتيب ألفاظه إذ رتَّب مداخله ترتيبًا تاريخيًا من الأقدم الى الأحدث على الرغم من وجود محاذير أشار إليها، منها عدم معرفة تاريخ ظهور اللفظة، فضلًا عن ظهور أكثر من تاريخ واحدٍ وفي نصّ واحدٍ، وكذلك ظهور لفظ معيَّن في تاريخ سابقٍ. لظهور غيره في المدوَّنة النصيّة[٢٩]، لذا اتخذ المجلس العلمي فيه قرارًا لخّص فيه علّة الاختيار بقوله : (نظرًا للطبيعة الخاصة للمعجم التاريخي تقرّر ترتيب جميع المداخل ترتيبًا تاريخيًا من الأقدم الى الأحدث، وترتيب المعاني المتعدّدة تاريخيًا)[٣٠]

لكن كانت سمة الزمن غير واضحة على المعجم في بنيته الخارجية بشكل جيد كي تكون دليلاً على ذلك عن طريق تقسيم اللفظة ومعانيها وتوزيعها على عصور حياتها كعناوين بارزة

---

[٢٨] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية :

[٢٩] م . ن : ٣٦

[٣٠] م . ن : ٣٦

ومؤشرة على ذلك فيُشار الى معنى المفردة في العصر الجاهلي عن طريق الاستشهاد عليها بشاهد شعري أو نثري .

وعند الانتقال الى عصر آخر سنجد هنالك تطورات في معاني المفردات بسبب من تطور حياة الناس واتساع آفاق الثقافة لهم وهذا مما يعمل على ظهور دلالات لم تكن واضحة في الأزمان السابقة على العصر، فعندما تطوّرت حياة الناس وُلِدَت البيئة المناسبة لظهور تلك المعاني فاستوعبتها المفردات عن طريق الاستعمال المباشر لها، وهكذا بالنسبة للعصور التالية، فطالما نجد دلالات ومعاني أخرى لم توجد في العصور السابقة لها وخاصة إذا وقعت حوادث لها أثر كبير في تغير حالة المجتمع الدينية أو السياسية أو الاجتماعية فهنا تبرز الحاجة بشكل واضح الى استيعاب المستَجَدّ من الدلالات المعبِّرة عن التغيرات الحادثة بسبب حالة انتقال المجتمع من وضع الى آخر، كما حدث ذلك عند ظهور الإسلام، إذ أدار الإسلام ظهره عن كثير من القيم الاجتماعية والدينية فماتت بسبب ذلك كثيرٌ من المفردات أو أُهملت معانيها، لذا ينبغي أن يُلاحَظ هذا في هيكلية المعجم الخارجية لأنّ هذا التغيير عمل على إحداث تغيرات في معاني المفردات بما يُناسب الحالة الدينية أو الاجتماعية وسُمي ذلك انتقالاً في الدلالة من نحو لفظة (الزكاة) التي كانت تعني النماء فانتقل معناها الى طهارة الأموال بإخراج حقٍّ منها الى دعم الدولة الإسلامية وكذلك لفظة (الحج) التي تعني في العصر الجاهلي القصد فاستُبدِل معناها الى المناسك العبادية في الطواف حول الكعبة والصفا والمروة وغيرها من المناسك الأخرى، ولا ننسى لفظة (الصوم) التي تعني الامتناع فانتقلت في الإسلام الى الحالة العبادية المعروفة فضلاً عن لفظة (الكافر والمنافق) وغيرها من الالفاظ التي أحدث الإسلام فيها ثورة كبيرة بانتقالها الى معانٍ جديدة لم يكن للجاهليين عهدٌ فيها .

فهكذا كان الإسلام يُمثل عصراً جديداً ومرحلة متطورة عن سابقتها أفاضت بأثره على كلِّ مناحي الحياة ومنها اللغة وقد ظهر أثر ذلك في القران الكريم الذي فارق كثيراً من القيم العربية في أسلوب استعمال ألفاظه فاكسبها قوة في استخدام معانٍ جديدة وهيمنةً على سلوك المتكلمين بها اجتماعياً ودينياً وثقافياً، لذا يُعد عصر الإسلام مرحلة مهمة في تطوّر اللغة بمفرداتها ومعانيها ويجب أن يُلتفت إليها في صناعة المعجم التاريخي، ويمكن أن نتجاوز بهذا التطور الى العصور اللاحقة كالعصر الأموي والعباسي فكلّ عصر له هويته التي تختلف عن العصر الذي سبقه من حيث الثقافة والعادات والتقاليد وغيرها التي تؤثر في اللغة فتكتسب اللغة من هذه التطورات إمكانات جديدة تختلف عن سابقها وعليه فإن كلّ مرحلة من مراحل الحياة العربية يجب أن تكون معياراً زمانياً واضحاً في صناعة المعجم التاريخي أو تُسجَّل باباً من أبواب البنية الخارجية له لتكون دليلاً على طبيعة المعجم التاريخي

للغة العربية [٣١].

إنّ اختلاف اللغة وطبيعتها قد رُصِدَ من قبل علماء العربية الكبار كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن الاعرابي وغيرهم [٣٢]، إذ كانوا يرون أن ارتباط الاستشهاد باللغة يكون بالزمن، فكان لديهم مقياس العصر على المادة اللغوية هو المهيمن في قضية الاستشهاد[٣٣]، وقد عالج الدكتور محمد حسن عبد العزيز ألفاظ العربية بالمنهج التاريخي لإظهار تطوّر المفردات، حي يقول: (وقد عالجت هذه الموضوعات تاريخيًا بتتبّع مدلول الكلمة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث من كتابات المؤرخين والفلاسفة والفقهاء والأدباء)[٣٤] متأثّرًا بمنهج الغربيين حين عدّوا الزمن حاكمًا على اللغة [٣٥].

- **حاكمية الصيغة الصرفية :.**

تُسجّل الصيغة الصرفية في البنية الخارجية لهيكل بناء المادة اللغوية معجمياً أمراً مهماً وذلك أنها تمثّل بوابة ثانوية تخترق أو تزخرف بوابة الزمن عند توزيع المواد اللغوية على بوابات الزمن، فيكون التوزيع الصرفي لتلك المواد داخلاً ضمن حدود الزمن، فمثلاً عندما نوزع (مادة دَخَلَ) في البنية الداخلية نقوم بتوزيع معانيها عَبْرَ بوابات الزمن المذكور سابقاً، ثم نقوم أيضاً بتوزيع ثانٍ في كلّ بوابة من بوابات الزمن للمادة اللغوية اعتماداً على الصيغ المتوفرة من تلك المادة لكلّ عصر من عصور التطور لها واقترح أن توزَّع بحسب التسلسل الاتي[٣٦] :

١- الأسماء بأنواعها ويشمل اسماء الأعيان واسماء الفاعلين والمفعولين واسماء الزمان والمكان وغيرها .
٢- المصادر بأنواعها وتشمل المصدر الاعتيادي ثم مصادر الأفعال المجردة والمزيدة ثم المصدر الميمي والمرة وغيرها .
٣- الأفعال وتقسم بحسب اللزوم والتعدّي أولا ثم في حالة التعدّي تذكر الأفعال المتعدّية

---

[٣١] أرى ذلك من باب إحداث بنية جديدة قابلة على استيعاب التطورات في المفردة تاريخيًا، فالحوادث الكبرى في تاريخ الأمم تعمل على إحداث تغيّرات كبيرة على كلّ مفاصل الحياة للمجتمعات ومنها اللغة .

[٣٢] ظ : الاستشهاد والاحتجاج باللغة/ الدكتور محمد عبد : ١٣٢ .

[٣٣] ظ : م . ن : ٢٤٧ .

[٣٤] المعجم التاريخي للغة العربية/ الدكتور محمد حسن عبد العزيز : ٢٨٦ .

[٣٥] ظ : م . ن : ٢٤٩ – ٢٥٠

[٣٦] إنما أقترح ذلك لأن أصل البحث يطرح بنية أخرى تُظهر الأثر التاريخي عن طريق البنية الصرفية للمادة اللغوية .

بحرف ثم الأفعال المتعدّية لمفعول به واحد ثم الاثنين ثم الثلاثة وقبل ذلك نهتم بالفعل اللازم وأحواله .

على أن تُراعى في هذه التقسيمات تطور الدلالة، فهنا ينبغي استعمال عنصر أخر هو ما انطوت عليه اللفظة من المعاني الحسية بوصفها معاني الأُوَل التي قامت عليها الألفاظ ثم تطورها الى معانٍ مجردة ومن ثم المجازية، فهنا قد ضمنّا تسلسلا تاريخياً ضمنيا لتطور معاني المادة اللغوية من أصل الوضع الى ما آلت إليه من معانٍ أخرى أكثر تطوراً من الأولى، فهذه التقسيمات للصيغ الصرفية ستشكّل صورة مزخرفة في بوابة كلّ مرحلة من مراحل تطور دلالة المفردات اللغوية في العربية، في حين كان معجم الدوحة يرى (أنّ الاشتقاق قد لا يسمح بتقديم بعض الصيغ على بعض، فليس في التصريف ما يُثبِت مثلًا أوليّة اسم الهيأة على اسم المرّة في ترتيب مشتقات الثلاثي المجرد، ولا ما يُثبِت عكس ذلك)[٣٧]

ثانياً : البنية الداخلية :

بعد أن أوضحت ملامح البنية الخارجية لتوزيع الموارد اللغوية، فلا بد أن نعمل على إنشاء البنية الداخلية لكلّ مادة لغوية، حيث توزع فيها المعاني والدلالات لكلّ جذر لغوي وما يُشتُقَ منه من مفردات، وأجد أنه يجب أن يُراعى في كلّ مفردة التسلسل في المعاني ونبدأ بالمعاني الحسية بوصفها تمثّل المعاني الأُوَل للمفردات للغوية التي تطورت عنها بقية المعاني المجردة والمجازية والاستعمالات الدلالية الأخرى لها، فهنا عن طريق هذا التسلسل نُراعي حالة الزمن الفاعل في مجمل قضية التطور الحاكمة على عمل معجم الدوحة التاريخي اللغة العربية .

على ضوء ما قدّمْتُ من رؤيتي في إنشاء المعجم التاريخي في أصوله العامة من دون الخوض في وقائعه وتفصيلاته لأن المجال هنا لا يتسع الى ذلك ولكن كان بودّي أن أُجمل ما يجب ان تستوعبه كل مادة لغوية في بنيتها الداخلية وأرى أنها تتمثل بما يأتي:

١-دلالة الشاهد على المعنى، وتُحدَّد عن طريق الضوابط الآتية :

أ- أن لا يكون الشاهد يتيماً أو مفرداً، لأن في ذلك سنفتقد إمكانية معرفة التطور في دلالة اللفظة .

ب-معرفة نسبة الشاهد الى قائله وعصره، وهو خلاف ما يذهب إليه معجم الدوحة، إذ اعتمد الشواهد المجهولة في المعجمات العربية حتى آخر القرن

---

[٣٧] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٣٥- ٣٦

الرابع الهجري[٣٨].

ت-أن لا يكون قائله مغموراً أو مجهولاً ضمانة لقوته على المعنى.

ث-شيوع الشاهد واستعماله وروده في أمهات كتب اللغة والأدب.

ج- ضبط الشاهد شكلاً ومضموناً إذ قد يُروى الشاهد بصور متعددة أو قد يُنتَسب الى أكثر من قائل .

ح- ملاحظة دقة المعنى في الشاهد وانطباقه على دلالة المعنى اللغوي، في حين كان معجم الدوحة لا يرى ذلك مهمًا، فعنده (أنه ليس بالضرورة أضل الاستعمالات تمثيلًا للمعنى وإيضاحًا لدلالة اللفظ)[٣٩] .

٢- الظواهر اللغوية للمفردة المعجمية، ويمكن تمثيلها بما يأتي:

أ- القراءات القرآنية للمفردة، وهذا مما يُعطي مؤشراً الى كيفية استعمال المفردة في القبائل العربية أو على ألسنة القراء .

ب-اللغة التي تنتسب اليها المفردة، فضلا عن الإشارة الى غرابة المفردة أو فرادتها وأثر ذلك على استعمالها كشاهد لغوي.

ت-ملاحظة كونها معربة أو دخيلة أو منقولة عن معنى سابق عليها، وهذا ما أكده معجم الدوحة إذ عدَّ المولّد دالًا على تجاوز لمرحلة كانت اللغة فيها واصفة للمَلَكة الشعرية الأدبية العربية [٤٠].

ث-فصاحة المفردة وبلاغتها .

٣- الظواهر الصرفية والنحوية والأسلوبية وأثر ذلك في استعمال المفردة والإشارة فيها الى دلالتها ومعناها .

٤- الاستعانة بالنظائر السامية للمفردة اللغوية العربية والاستفادة منها للدلالة على التطوّر التاريخي لها، وهذا ما أكّد عليه معجم الدوحة وعَنِيَ به[٤١] .

إذ نجد عن طريق هذه الظواهر تقدماً في استعمال المفردة من حيث دلالة المعنى في عصر معين دون عصر آخر، ذلك أن متكلم اللغة سيكون له أسلوبه الخاص في زمانه وعصره يختلف عن أسلوب المتكلم الآخر في زمان سابق عليه أو متأخر عنه تبعاً لعوامل الثقافة والمجتمع والتقاليد وغيرها، فهنا ستتحمل المفردات معاني ودلالات تختلف بين هؤلاء المتكلمين في

---

[٣٨] م . ن : ٤٣

[٣٩] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية : ٤٣

[٤٠] ظ :م . ن : ١٧

[٤١] ظ : م . ن : ٢١

عصورهم المختلفة، فتختلف باختلاف الأعصر والأزمنة .

لكن هذه المحددات المذكورة انفاً ربما لا نجدها كلّها في المادة اللغوية، وقد نجد بعضها دون بعضها الآخر بسبب من حيوية المفردة وإمكاناتها في التطور، فضلاً عن توفر الشاهد في زمانه وطريقة استعماله من قبل المتكلم آنذاك .

- على ضوء ما تقدم من ترتيب البناء الداخلي للمفردة اللغوية سنُناقش ما ورد في (مادة دَخَلَ) في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية كمثال على ذلك .

ابتدأ المعجم في ترتيب معاني الجذر اللغوي (دَخَلَ) بالاسم، وأجد أنّ الابتداء به غير موحٍ بالتسلسل التاريخي لتطور الدلالة للجذر اللغوي المذكور، فالاسم هو ما دلّ على الذات أي يجب أنّ يأتي متأخراً عن دلالة الحدث للجذر فالدخول مصدر من الفعل دَخَلَ قال ابن فارس: (دَخَلَ: الدال والخاء واللام أصل مطَّرد منقاس وهو الوُلوج، يُقال : دَخَلَ يدخُل دُخولاً)[٤٢] فَحَدَثُ الدخول المسمى مصدراً، لا يمكن أن يتحقق من دون فاعلٍ يفعله في زمان ومكان محدَّدين، لذا سيكون الفعل متأخراً عن المصدر لاقترانه بالزمان والمكان، وعليه ستكون المصادر (الدُّخول، والمَدْخَل والمُدْخَل والمُداخلة والإدخال) مقدمةً على الأفعال لكن هذه المصادر لم نرى لها من وجود في معجم الدوحة، وقد وردت لها أمثلة كثيرة، قال تعالى: **﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾** [٤٣] ، يقول الجوهري (ت ٣٩٩هـ): (والمَدْخَلُ بالفتح : الدِّخول وموضع الدخول أيضاً، وتقول : دخلتُ مَدْخَلاً حسناً، دخلت مَدْخَل صدقٍ، والمُدْخَل بضم الميم، الإدخال)[٤٤]، قال الاعشى قيس (ت ٧ هـ):

أرى الناس هرّوني وشُهِّرَ مَدْخَلي وفي كُلِّ مَمشى أرصَدَ الناسُ عقربا[٤٥]

والمَدَخَل : المذهب والسيرة .

ومن مصادر (دَخَلَ) – أيضاً – المداخلة بمعنى المشاركة والالتباس، وقال سلامة بن جندل (ت ٢٣ ق هـ)[٤٦]:

مداخلة من نسْجِ داود سكّها كحبِّ الجنا من أُبْلُمٍ متفلِّقِ

على أن نُوزَّع هذه المصادر بحسب توفّر الشاهد اللغوي لها كمصداق للمعنى على أبواب البنية

---

[٤٢] مقاييس اللغة/ ابن فارس : دَخَلَ .

[٤٣] سورة الاسراء/ الآية ٨٠ .

[٤٤] الصحاح/ الجوهري : دَخَلَ .

[٤٥] ديوانه: ١١٣ .

[٤٦] الأصمعيات/ الأصمعي : ١٣٥ .

الخارجية المقترنة بالزمن، فيُقدّم ما ذُكِر من معانٍ مقرونة بشواهدها التي في العصر الجاهلي ثم الإسلامي والأموي ثم العصر العباسي وهكذا .

وإذا انتهينا من المصادر نتّجه الى الأفعال بوصفها باباً تأتي بعد المصادر فتقدم ما كان منها لازماً بوصف اللزوم فيها أصلاً، ثم ما تطوّرت عنها من الأفعال المتعدّية بحرف وبعدها الأفعال المتعدّية بنفسها الى المفعول به الواحد أو المفعولين، وإنَّ مجيئها بعد المصادر كونها حَدَثاً غير أنَّه اقترن بزمانٍ ومكانٍ معينين ومحدّدين بدلالة الحدث .

أجد أنّ الفعل اللازم يجب أن يكون أصلاً لأنّه ألصق بالحدث من المتعدّي الذي آثر السهولة في تعدّيه الى مفعوله ومتطوّراً عن سابقه[٤٧]، وكان يرى الدكتور مصطفى جواد أنّ الفعل المتعدّي هو الأصل، فيقول : (إنَّ الأصل في الأفعال التعدّي، لأن الحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها تعتمد على التعدّي وأنّ اللزوم عارض طارئ، وعلى هذا فكون الأفعال التي يكثر فيها اللزوم مثل " فَرِحَ يفرَحُ " والتي يغلب اللازم مثل " سَهُل يسهَلُ حديثة الوجود بالنسبة الى غيرها من ضروب الثلاثي المجرد، ويكون الضرب الذي خالف هذين الوزنين من الأفعال اللازمة مثل " دخل وخرج ونام " من باب العلاج الذاتي محدداً بحيث يكون معدوماً)[٤٨]، غير أن هذا الرأي لم يلق قُبولاً لدى الدكتور ابراهيم السامرائي فردَّه بقوله : (والذي أراه أنّ الفعل أصله قاصر لازم ثم يُصار من هذه الحالة الى المتعدّي وذلك جرياً على طبيعة العربية المتشبّثة أبداً بالإيجاز)[٤٩]، والإيجازُ تطوّرٌ في طريقة عمل الفعل اتجاه مفعوله، فإذا راد المتكلم أن يكون أكثر التصاقاً بالحدث تعدّى به الى مفعوله بحرف، وإذا اراد التخفيف تعدى بنفسه إليه [٥٠]، ونجد ذلك واضحاً في الفعل (دَخَلَ) فقد يتعدّى الى مفعوله بنفسه، أو بحرف الجر، فممّا جاء متعدّياً بنفسه قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ** ﴾ [٥١] وقوله سبحانه : ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [٥٢] وقوله سبحانه : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً** ﴾ [٥٣]، وأما ما جاء متعدّياً الى مفعوله بحرف الجر قوله سبحانه : ﴿ **وَرَأَيْتَ النَّاسَ**

---

[٤٧] إنما أبحث في أصالة الفعل هنا لبيان الأقدمية في هذه الأفعال، وفي وضوح تسلسلها ستكون السمة التاريخية واضحة في المفردات – الأفعال – ضمن مادة الجذر اللغوي الواحد .

[٤٨] المباحث اللغوية في العراق / الدكتور مصطفى جواد : ٧ .

[٤٩] الفعل زمانه وابنيته / د . ابراهيم السامرائي : ٨٣ – ٨٤ .

[٥٠] ظ : الجهود واللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني / د . عادل النصراوي : ٣١٣ .

[٥١] سورة البقرة / الآية ٢١٤.

[٥٢] سورة الإسراء / الآية ٧ .

[٥٣] سورة آل عمران / الآية ٣٧ .

﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ [٥٤]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ [٥٥]، (فنجد من مجمل هذه الآيات المباركات أن الفعل (دَخَلَ) إذ تعدّى بنفسه فأن الدخول يكون أقل تمكّناً من الذات المدخول فيها والتي وقع عليها مُنْتجُ الفعل وهو المفعول (الدخول) وعندها يتعدّى بحرف الجر، فأن الدخول يكون أكثر تمكناً على من يقع عليه أو فيه أو به)[٥٦] أو إليه وبينه.

لذا ينبغي أن يكون الفعل اللازم متقدماً في البنية الداخلية للمادة اللغوية لأصالته، ثم بعد ذلك المتعدّي بحرف وبعده المتعدّي بنفسة لأنه لم يكن إلا بعد تطوّر وقع في اللفظة فآثر التعدّي على اللزوم، وكلّ تطور لا بدَّ أن يكون مصحوباً بتطور في معنى الفعل ودلالته، أما عن طريق اقترانه بحرف جر معين أو عن طريق تعدّيه بنفسه .

وأجد أن دلالة الفعل المتعدّي بحرف يختلف فيه قوة الفعل المتولد من جراء الحدث باختلاف الحرف المقترن فيه وبحسب المعنى المتولد عنه قوةً او ضعفاً، ففي الفعل (دَخَلَ) الدال في مجمل معانيه على عموم الولوج [٥٧] سواء أكان الظرفُ مادياً أم معنوياً، أو كان مُبْهماً أم محدوداً، ويختلف الولوج باختلاف الحرف الذي يتعدّى بواسطته الى مفعوله، على أن التعدّي ب (في) يكون هو الأصل لمناسبته الظرفية مع الفعل (دَخَلَ) وإن تجد العرب قد عدَّتهُ على غير ما كان عليه فإنه يكون من باب الاتساع في التعبير، ويصطلح عليه علماء اللغة من نحو أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) بالمحاذاة[٥٨]، ويرى الدكتور رياض البديري أنه ضربٌ من مجاز لتحقيقه معنى لا يحققه الاستعمال الحقيقي للغة [٥٩] من نحو ما جاء في قول الإمام عليّ بن أبي طالب (علية السلام) في نهج البلاغة، حيث قال: (فوالله ما أبالي دخلت الى الموت أو خرج الموت إليّ)[٦٠] فهنا قد تضمن الفعل (دخل) معنى الوصول حين عُدِّيَ بالحرف (الى) (ويكون معنى الكلام وصلت الى غاية العمر ونهاية المطاف والأجل وهي مرحلة الموت ، ودخلت فيها كونها ظرفا بمعنى الزمن من دون معرفة الظرفية في الاشتمال كالبيت والإناء إذ الملحوظ في الموت مسألة العمر)[٦١] .

---

[٥٤] سورة النصر/ الآية ٦ .

[٥٥] سورة النساء/ الآية ٢٣ .

[٥٦] الجهود اللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني/ الدكتور عادل النصراوي : ٣١٤ .

[٥٧] ظ:مقاييس اللغة/ابن فارس : مادة دَخَلَ

[٥٨] ظ: الاصول في النحو /١٧١/١، الصاحبي في فقه اللغة/ ابن فارس ٢٣٠-٢٣١، ظ : معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: مادة (دخل) .

[٥٩] ظ: تعدّي الفعل بالحرف في نهج البلاغة / الدكتور رياض كريم البديري :٣٧٥- ٣٧٦

[٦٠] نهج البلاغة/الإمام علي (ع) : الخطبة ٥٤

[٦١] تعدّي الفعل بالحرف في نهج البلاغة/ الدكتور رياض كريم البديري : ٣٧٥

إذاً استعمال حرف آخر غير الحرف (في) لتعدّي الفعل (دَخَلَ) هو تجاوز على الأصل واتساع في المعنى وتطور عنه ، وهذا ما لم يلتفت إليه معجم الدوحة في مادة (دخل) مع أهميته .

لذا بعد ما قدمتُ ينبغي أن يكون التعدّي للفعل (دخل) بالحرف (في) وهو الأصل وما تعدّى بغيرهِ يكون بعده لأنّه تطور عنه في المعنى، فتكون مسألة التعدّي بـ (في) تمثّل أقدم دلالة للفعل، وهذا ما لم يَعِر له معجم الدوحة اهتمام مع أهميته الكبيرة .

إنّ عملية أدراج تعدّي (دَخَلَ) من دون النظر الى ما قدمت ستكون عملية التطور غير واضحة المعالم، وربما يكون التعدّي بالحرف (الباء) هو الذي يأتي بعده من حيث التطور في المعنى لما فيه من معنى الاستحكام والإلفة من نحو قوله تعالى ﴿**وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ** ﴾[٦٢] وقوله سبحانه ﴿ **وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ** ﴾[٦٣] ومن ثم ما جاء من دلالة (دخل) على الدخول على وجه الاستعلاء حين عدّاه بالحرف (على) متجاوزاً معنى الاستحكام ومخفّفاً من معنى الولوج، قال تعالى ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً**﴾[٦٤] فدخول زكريا (عليه السلام) على مريم (عليها السلام) من دون استئذان كونها في مقام عياله والمتسلط عليها، ونجد قرين هذا المعنى في قول الإمام علي (عليه السلام) حين وصف الاعتداء على الانبار وقتْلَ عامله فيها : (هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قَتَلَ حسانَ بن ثابت البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلَها وقُلُبَها وقلائدَها ورعاثَها)[٦٥]، وهكذا لباقي الحروف التي تعدّى بها الفعل بحرف .

إذاً نلحظ التطور في دلالة الفعل (دخل) ابتدأ باللازم ثم بالمتعدّي بحرف (في) وغيره من الحروف الأخرى وقياسه قوة الحدث المقترنة بالحرف عينه، ثم بدت الدلالة أكثر تطوراً عندما تعدّى الى مفعوله نفسه، وهو كثير في لغة العرب ولغة التنزيل عند إسقاط حرف الجر بعد أن تضمنت الظرفية، وهو أمر يستدعيه الإيجاز الذي جرت عليه العربية [٦٦] الذي يُعدُّ تطوراً في دلالة الألفاظ واتساعاً لها واستدامة للعربية، ولو التفت صُنّاع معجم الدوحة الى هذه القضية لكان ذلك ألصق بالحالة التاريخية لتطوّر المفردة الذي اتّسم بها هذا المعجم .

---

[٦٢] سورة النساء / الآية ٢٣

[٦٣] سورة المادة / الآية ٦١

[٦٤] سورة ال عمران / الآية ٣٧

[٦٥] نهج البلاغة /الإمام علي : الخطبة ٢٧

[٦٦] ظ: الفعل زمانه وابنيته / الدكتور إبراهيم السامرائي ٨٦

إذ إنَّ استدامة اللغة تعتمد على هذه التطورات التي يجب أن ترصدها المعجمات العربية عن طريق عمل المعاجم التاريخية المبنية على التسلسل المنطقي للتطور بملاحظة المعاني الدقيقة التي تكتنفها الألفاظ عَبْرَ عصور حياتها .

لذا على المعجمي أو جامع اللغة في أي عصر من عصورها التاريخية وخاصة ما ستكون علية اللغة العربية عند الأجيال العربية القادمة أن يتنبّه الى كلّ هذه الثيمات الدقيقة لملاحظة نوع التطور في اللغة وأفقه ومداه، فضلاً عمّا علق بها من شوائب قد تُسيء الى نظامها اللغوي المستحكم، لأن مثل هذه العلائق تعمل على تلوث اللغة بهذا الغث من اللغات الأخرى وقد يستحكم فيها، ومن ثم ينحدر المتكلم بهذا المستوى من اللغة الى أن يفرضها كقواعد لبنية العربية، وهنا ستقع الكارثة الكبرى، وقد يحدث صراع بين البنى الأولى وهذه التطورات الخارجية عن القوانين الجديدة، فربما يودّي بها الى الانتكاسة والضياع وربما الموت .

ولأجل إحداث استدامة لغوية عالية يجب أن نوجّه بضرورة الاستعمال الصحيح للمفردة في سياقها والمحافظة عليها من دخول العامي وجعل النظام اللغوي نظامًا ذا قدرة على الاستمرار في إنتاج ما يحتاجه المتكلم بها عَبْرَ الأزمان والعصور القادمة .

عودًا على بدء، في هذا التقسيم المنطقي والمتسلسل لحالات الفعل ابتداءً من اللازم الى المتعدّي بحرفٍ واحدٍ بدرجاته المتفاوتة في القوة والضَّعْف، ومن ثم التعدّي بنفسه، قد أوضح طبيعة التطور الذي يتناسب مع عنوان معجم الدوحة المقترن بتاريخية اللغة العربية غير أنّ المُلاحَظ في هذا المعجم الكبير أن لا يوجد أيُّ اهتمام لحالات الفعل مما أحاط بالمادة اللغوية في باب الفعل نوعاً من الخروج عن فضاء تاريخية اللغة وتطور مفرداتها، فتداخلت مفردات الجذر (دخل) مع حروفها من غير انتظام .

بعد أن اتضح التسلسل المنطقي للمواد اللغوية التي وُزِّعت على المصادر والأفعال، نذهب بعدها الى الاسم وهو متأخِّر عنهما لأنّه جاء دالاً على الذات التي تُوجِد الحدث في المصدر والفعل، والاسم –كما نعلم – هو اللفظ الدال على الذات، لذا فإنّ ما يُحدِثُه يحتاج الى لفظٍ دالٍ عليه فيكون بالنتيجة متأخِّراً عنه لأن الأشياء كانت موجودة قبل تسميتها، فالاسم متأخِّر عنها، قال الله تعالى :﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾[٦٧]، أي أسماء الأشياء من جمادات وحيوانات بعد أن لم يعلم لها اسم من قبل .

ثم بعد ذلك يأتي حقل الصفات الدالة على تلك الذوات التي وُسِمت لأجل تحديدها وتمييزها، فتكون الصفات متأخرة عن الأسماء .

---

[٦٧] سورة الإنسان / الآية ٣١

لكن الذي وجدتُه في معجم الدوحة لمادة (دخل) تداخلَ الأسماء مع الأفعال أو انفصالها عن بعضها بتخلُّل الأفعال بينها، فمثلاً ابتدأ المعجم في (دخل) بالاسم على صيغة (دَخَلَ) فيورد معاني المكر والخديعة، والمكان الذي يُلجَأ اليه، والغش والفساد، ثم يدرج بعدها مباشرة الصيغة الأسمية (دَخْل) فيورد لها معاني باطن الشيء وما ينطوي عليه، ومعنى العيب وما دخل على الإنسان من معاشه وصنعته، ثم نُفاجَأ بإدراج صيغة الفعل (دَخَلَ) المتعدّي بالحرف فيُوردِ معانيها بحسب اقتران الفعل بنوع الحرف، ثم يأتي بعده الفعل المتعدّي بنفسه (دَخَلَ) ويُورد معانيه، ثم صيغة (دَخَلَ) اللازم، على غير اهتمام بالظاهرة التاريخية لتطور المعاني، وما أن ينتهي من هذه الصيغ الفعلية حتى يعود بنا الى اسم الجنس (دُخَّل)، ثم الصفة لهذه الصيغة، وبعدها الصفة المشبَّهة (دَخَلَ)، وبعدها يعود بنا – ليُفاجِئنا مرة أخرى – الى الفعل بصيغة المبني للمجهول، ثم يختم المادة بالصيغة الأسمية (دُخْل)[٦٨] .

هذا التوزيع للمادة اللغوية في معجم الدوحة بهذه الطريقة يُضفي ضباباً مانعاً من ملاحظة تطوّر هذا الجذر عَبْرَ عصور حياته لعدم التسلسل الحقيقي والواقعي لتوزيع مفردات المادة (دَخَلَ) .

صياغة عبارة المعنى للمفردة اللغوية

يتصف العمل المعجمي عند ذِكر معاني المفردات ببعض السمات أو المواصفات التي تستمدُ عن طريقها أنَّ ما تقرأه معجماً لا بحثاً، ويمكن أن نحدِّد هذه السمات بما يأتي :

١- اختصار العبارة الدالة على المعنى .

٢- تكثيف المعنى وإيجازه .

٣- وضوح الشاهد ودلالته على المعنى المذكور .

٤- ذِكر اسم القائل على أن يكون معروفاً لا مجهولاً لأجل تقوية المعنى وترصينه

٥- ذِكر حال اللفظة على وفق ما يأتي :

أ- نسبتها الى قبيلتها .

ب- حالها من حيث الغرابة والفصاحة أو الفرادة إذا كانت إسلامية .

ت- حال المفردة في كونها أصلية أم معربة أو دخيلة .

ث- ذِكر حالها من حيث المعنى في كونه حسيّاً أم مجرَّداً أو مجازياً .

وهذه السمات أجد فيها إيحاءً يُشير الى تطور المعنى وقد أشار معجم الدوحة الى بعضها[٦٩]

---

[٦٨] ظ : معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: مادة (دخل)

[٦٩] مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: ١٧ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٣ .

فأصالة المفردة تعني قِدَمَها وسبقَها على المفردات المعرَّبة أو الدخيلة، كما أنّ المعنى الحسّي هو المعنى الذي وُضِع في أصل الوضع للمفردة، ثم تطوّر الى المعاني المجرّدة، ومن ثم يأتي نشاط المتكلم وثقافته وأسلوبه في رصف المفردات واستثارتها في إنتاج معاني أخرى عن طريق المجاز، وهذا يومئ الى حالة تطورية في المعنى وتُعَدُّ من مستلزمات المعجم التاريخي للغة العربية الذي يرصد المعاني للمفردات عَبْرَ عصور حياة اللغة .

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصّل إليها البحث أدرجها بما يأتي:

١- لم تتضح بشكلٍ جليٍّ الظاهرة التاريخية في معجم الدوحة بسبب من تداخل الأزمنة في ترتيب مكونات المادة اللغوية الواحدة عَبْرَ مكوناتها الفرعية .

٢- جعل المعجم في بنيته الداخلية أنَّ البنية الصرفية هي الحاكمة على تسلسل مفردات المادة اللغوية وإهمال حاكمية الزمن في ذلك وهو الأهم في قضية تطور المعاني عَبْرَ أزمان حياة اللفظة .

٣- لم يَعِر المعجم للمعاني الحسية من أهمية بوصفها المادة الأصل في دلالة المفردات ثم تليها المعاني المجازية التي تمثّل تطوراً لها .

٤- ينبغي في تكوين البنية الداخلية للمادة اللغوية أن يُراعى دلالة الشاهد على المعنى في الظواهر الصرفية والنحوية والأسلوبية وباقي الظواهر اللغوية الأخرى .

المصادر

* الاستشهاد والاحتجاج باللغة – رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث – الدكتور محمد عيد – عالم الكتب – ١٩٨٨ م .

* الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط٤.

* الأصول في النحو – لأبي بكر محمد بن سهيل السراج النحوي البغدادي (ت سنة ٣١٦هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي .

* تعدّي الفعل بالحرف في نهج البلاغة، دراسة دلالية في الاستعمال اللغوي السائد واتساع التعبير – الشيخ الدكتور رياض كريم عبد الله البديري – دار روافد – دار المحجة البيضاء – بيروت = الطبعة الأولى – ٢٠١٥ م – ١٤٣٦ هـ .

* الجهود اللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، الدكتور عادل عباس هويدي النصراوي، العتبة العلوية المقدسة، الرسائل الجامعية، ٣٥، العراق، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

* حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز – الدكتور سمير أحمد معلوف – منشورات اتحاد الكتّاب العرب – مطبعة اتحاد الكتّاب العرب – دمشق – ١٩٩٦ م .

* الخصائص – صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) – تحقيق محمد علي النجار – دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد – جمهورية العراق – ط٤ – ١٩٩٠م.

* دراسات في فقه اللغة – الدكتور صبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – ط٣ – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

* ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس – شرح وتعليق الدكتور محمد حسين – مكتبة الآداب بالجماميز – المطبعة النموذجية .

* الرسالة – للإمام محمد بن إدريس الشافعي – تحقيق الدكتور عبداللطيف الهميّم والدكتور ماهر ياسين الفحل – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

* شعر الأخطل أبي مالك غيا بن غوث التغلبي، صنعة السكري، رواية أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م .

* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أبو الحسن أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – حققه وقدّم له مصطفى الشويمي – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.

* صحاح اللغة وتاج العربية _أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) _ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار _ دار العلم للملايين _ بيروت _ الطبعة الرابعة _ ١٤٠٧ هـ .

* الطراز الأول والكناز لما عليه لغة العرب المعوّل/ للإمام اللغوي الأديب السيد علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) – تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – قم – إيران – مطبعة ستارة – الطبعة الأولى – ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

* الفعل زمانه وأبنيته، الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* المباحث اللغوية في العراق – الدكتور مصطفى جواد – القاهرة – معهد الدراسات العربية – ١٩٥٥م.

* كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د . ن .

* مشكلات البنية _ زكريا ابراهيم _ الناشر مكتبة مصر _ الفجالة .

* المعجم التاريخي للغة العربية _ وثائق ونماذج، الدكتور محمد حسن عبد العزيز . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – جمهورية مصر العربية، القاهرة، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م .

* معجم الدوحة التاريخي للغة العربية _ منشور على الشبكة العالمية الالكترونية، مادة (دخل) .

* المعجم العربي، نشأته وتطوره _ الدكتور حسين نصّار_ دار مصر للطباعة – نسخة منقحة ومزيدة – ١٩٨٨م _ ١٤٠٨ هـ .

* مقاييس اللغة _لأبي الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)_ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ ٢٠٠٨ م _ ١٤٢٩هـ .

* المعجم الكبير

* مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية ١١-١١-٢٠٢٠ المنشور على الشبكة العالمية الالكترونية .

* نهج البلاغة _ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب_ تحقيق السيد هاشم الميلاني _ مكتبة العتبة العلوية المقدسة _ الطبعة الرابعة _ ٢٠١٠م _ ١٤٣١هـ .

المُغَالَطاتُ النَّحْوِيَّةُ
[اعْتِرَاضَاتٌ نَحْويّةٌ ومغالطاتٌ لَفظِيَّةٌ وَمَعْنَويّةٌ]
تأْليفُ سَعِيد بن مُحَمّد الصَّفَارِيّ

تحقيق/ الأُسْتَاذ الدُّكْتُور حُسَيْن عَليّ حُسَيْن الفَتْليّ

وزارة التربية/ الكلية التربوية/ بابل

المُلَخَّص:

تتلخَّصُ فِكْرَةُ البَحْثِ فِي تحقيقِ مَخْطُوطَةٍ فِي النَّحْوِ لسَعِيد بن مُحَمّد الصَّفَارِيّ، وهي رِسالةٌ قصيرةٌ أَتَى فيها المُؤلِفُ على تناولِ ثلاثينَ مسألَةً نَحْويّةً ومُغَالَطاتٍ لَفْظِيَّة ومَعْنَوِيَّة والأَجْوِبَة عَنْهَا بِصُورَةِ (الْمَسْأَلَة وَالجَواب) مُضَمِّنًا إيَّاهَا بعضًا من الاعْتِرَاضَاتِ عَلى كتابِ الكَافِيَةِ لابنِ الحَاجِبِ، انتهجَ المُؤلِفُ فِيهَا نَهْجَ المَناطِقَةِ مُسْتَعْمِلًا مُصْطَلَحاتِهم وَعِبَاراتِهم الّتي انْفَرَدُوا بِهَا دونَ غيرِهِم، فَهُو يفترضُ اعتراضًا ويجيبُ عليهِ بأُسلوبٍ مَنْطِقيّ مَعَ وضوحٍ فِي العبارةِ وإشراقٍ فِي الدِّلالةِ و جودةٍ ومهارةٍ فِي الاِخْتِصَارِ، وَخِلَاصَةُ عَمَلِهِ فِي هذهِ الرِّسَالةِ هُوَ ردُّ كَلَامِ النَّحْوِيِّينَ، وَإِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى مَا يُقابِلُهُ .

وَقَدْ اعْتَمَدْتُ فِي تحقيقِها عَلَى ثَلاثِ نُسَخٍ خَطِيّةٍ، الأُوْلَى: النُّسْخَةُ المَحْفُوظَةُ فِي مكتبةِ المَرْعَشي وَهِي مَنْسُوخَةٌ سَنَة (٩٧٠هـ) ورمزتُ لَهَا بالرَّمْزِ (أ) وَجَعَلْتُها الأَصَلَ الّذي يقومُ عليهِ التَّحقيقُ لكونِهَا الأَقدمَ والثَّانِيَةُ: النُّسْخَةُ المَحْفُوظَةُ فِي المكتبةِ الرَّضويةِ وَهِي مَنْسُوخَةٌ سَنَة (٩٧٤هـ) وَرَمَزْتُ لَهَا بالرَّمْزِ، (ب) أمَّا الثّالثةُ فهي نسخةُ مَرْكَزِ الإحياءِ وَهِي مَنْسُوخَةٌ سَنَة (١٢٧٠هـ) ورمزتُ لَها بالرمْزِ. (ج) الكلماتُ المِفْتَاحِيّةُ: النَّحْوُ، المُغَالَطاتُ النَّحْوِيةُ، الاعْتِرَاضَاتُ النَّحْوِيَةُ، سَعِيد بن مُحَمّد الصَّفَارِيّ.

مُقَدِّمةُ التَّحْقِيقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الّذي جَعَلَ عِلْمَ العَربيّةِ أَمَارةً باصِرَةً لِكَشْفِ معارفِ كتابِهِ العزيزِ وخِطابِهِ الشَّريفِ، الحَمْدُ للهِ الَّذي حَبَا الإنسانَ عَوامِلَ الخَلْقِ والتَّكريمِ والتَّعليم فَجَاءَ فِي أَحَسَنِ تقويم وأَبهى تَمييزٍ وأَبْيَنِ إعرابٍ، وصلّى الله على صَاحبِ المَوَاهبِ السَّنِيَّة والفرائِدِ البَهيّة النور الأَبْهَى مُحَمَّد الخيرِ وعَلى آلِهِ مَعَارجِ البَيَانِ، وذَخيرةِ العِلْمِ.

أَمّا بَعْدُ فَمِنْ بينِ مخطوطاتِ مكتبتِنا النَّحويّةِ الثَّمينةِ مخطوطَةٌ قصيرةٌ فريدةٌ فِي تأليفها أَلَا وَهِي: (المُغَالَطَاتُ النَحْوِيَّةُ) لسَعِيد بن مُحَمّد الصَّفاريّ، وَهي أَثرٌ لِهَذَا الْعَالِمِ الّذي أُرجِّحُ أَنْ

يكونَ مِنْ أَعلامِ القَرْنِ العاشِر الهِجْرِيّ، لكونِ أَقْدَمِ نُسْخَةٍ مِنْ مخطوطتِهِ هذهِ تعودُ لعامِ ٩٧٠هجرية.

لاشكَّ في أنَّ ثَقلَ المهمَةِ وضَخامَةَ العَمَلِ في اسْتنباطِ الأَحكامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ كتابِ اللهِ (عزَّ وجلّ) بوصفِهِ الأَصْل العَظِيم؛ هُوَ الّذي دَفَعَ سَعِيد بن مُحَمّد الصَّفَارِيّ – وغيرَهُ من العُلماءِ الأَفذاذِ– إِلى دراسةِ اللّغةِ باهتمامٍ بالغٍ والعنايةِ بها والتأليفِ المُعْجِبِ والتَّصنيفِ الباهِرِ في علومِها.

والمَخْطُوطَةُ نفيسةٌ فِي جنسِها فريدةٌ فِي بابِها وهي رِسالةٌ قصيرةٌ فِي النَّحْوِ أَتَى المؤلفُ فيها على تناولِ ثلاثينَ مسألةً نحويّةً ومغالطاتٍ لَفْظِيَّة ومَعْنَوِيَّة والأَجْوبَة عَنْهَا بِصُورَةِ (الْمَسْأَلَة وَالجَواب) مُضَمِّنًا إيَّاهَا بعضًا من الاعْتِرَاضَاتِ عَلى كتابِ الكَافِيَةِ لابنِ الحَاجِبِ.

وَقَدْ اعْتَمَدْتُ فِي تحقيقِها عَلَى ثَلاثِ نُسَخٍ خَطِيّةٍ، الأُوْلَى: النُّسْخَةُ المَحْفُوظَةُ فِي مكتبةِ المَرْعَشي وَهِي مَنْسُوخَةٌ سنة (٩٧٠هـ) ورمزتُ لَهَا بالرَّمْزِ (أ) وَجَعَلْتُها الأَصَلَ الّذي يقومُ عليهِ التَّحقيقُ لكونِهَا الأَقدمُ و الثَّانِيَةُ : النُّسْخَةُ المَحْفُوظَةُ فِي المكتبةِ الرَّضويةِ وَهِي مَنْسُوخَةٌ سَنَة (٩٧٤هـ) وَرَمَزْتُ لَهَا بالرَّمْزِ (ب)، أَمَّا الثّالثةُ فهي نسخةُ مَرْكَزِ الإحياءِ وَهِي مَنْسُوخَةٌ سَنَة (١٢٧٠هـ) ورمزتُ لَها بالرمْزِ (ج) وَسِرتُ في تَحْقِيقِها عَلى وَفْقِ مبادِئ فَنِّ التَّحقيقِ، مستعينًا بالأَدواتِ المَنْهَجِيّةِ لِغَرَضِ إظهارِها كَمَا أَرادَهُا مؤلفُهُا.

وَفِي ضَوْءِ القِراءَةِ الفاحِصَةِ الصَّبورِ لكلِّ مَا يتعلّقُ بِالنَّصِّ ومؤلّفِهِ، كَانَ هَذا التَّحقيقُ الّذي ائتلفَ فِي ثَلاثَةِ أَقسامٍ:

الأَوّلُ: ترجمةُ المُؤلّفِ، تَلَا ذلكَ وَصْفُ المَخْطُوطَةِ وبَيانُ أَهَمِّ سماتِها وأعقبتُ ذلكَ بيان مَنْهجِي في التَّحقيقِ.

الثَّاني: تحقيقُ النّصِ، وقُصِدَ مِنْهُ الوقوفُ إزاءَ كلّ تفصيلٍ مِنْ تفصيلاتِ المَخْطُوطَة بحسبِ ما يقتضيهِ المَحِلُّ مِنْ توثيقٍ أَو تخريجٍ أَو تعليقٍ أَو توضيحٍ؛ والغَرَضُ مِنْ ذلكَ إخراجُ المَخْطُوطَةِ بالصُّورةِ الّتي أَرادَ لهَا مؤلفُهُا أنْ تكونَ عَليها .

الثّالثُ: فِهْرسُ المَصادِرِ والمَراجِعِ الّتي نَهَلَ مِنْهَا المُحَقِّقُ .

وَيُطيبُ لِي –وأَنا أَخْتتمُ هذه المُقَدِّمَة الوَجيزةَ – أَنْ أَشْكُرَ كُلَّ مَنْ أَعانَني عَلى العُثورِ عَلى هذا المَخْطُوطَةِ وَ تَصْويرِهَا، عَصَمَنا اللهُ (جَلَّ جَلالُهُ) وإيّاكُم من المُغَالَطَاتِ وَقَوْلِ الزُّورِ، إنَّهُ أَكْرَمُ مَسْؤُولٍ،والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، وَصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الأَطيبينَ الأَطْهَرِينَ .

القِسْمُ الأَوَلُ: تَرْجَمَةُ المُؤلفِ وَوَصفُ المَخْطُوطَةِ

أولًا : التَّعْرِيفُ بالمُؤلِفِ وبِمَنْهَجِه[١]

ذَكَرَ صاحبُ الذَّرِيعَةِ أنّ المُؤلِفَ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ مُحَمّد الصَّفَارِيّ واسْمُ رسالتِهِ: المُغَالَطاتُ النّحْويَّةُ وقال: إنَّها ضِمْن مَجْمُوعَةٍ مِنْ موقوفةِ مَدْرسَةِ السَّيد البروجرديّ في النَّجَفِ[٢]، وكذلكَ وَرَدَ هَذا الاسْمُ فِي فَهَارِس مَكْتَبَةِ المَرْعَشي ونُسْخَتِها الخَطِيّة الّتي اعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا، بَيْنَمَا وَرَدَ اسْمُهُ فِي فَهَارِس مركزِ إحياءِ التّراثِ الإسْلَامِيّ وَمَكَتَبَةِ مَدْرَسَةِ سَبْهَسَالَار: سَعْدُ بنُ مَحَمّد الأنْصَارِيّ؛ ونظرًا لِقِدَمِ نُسْخَةِ مَخْطُوطَةِ المَرْعَشِي فإنَّ (سَعِيد بْنَ مُحَمّد الصَّفَارِيّ) هُوَ الأَصَحُّ مِمَّا وَرَدَ فِي بعضِ الفَهَارِسِ .

انتهجَ الصفاري في هذه الرّسالة النَّحوية نَهْجَ المَناطِقَةِ مُسْتَعْمِلًا مُصْطَلَحاتِهم وَعِبَاراتِهم الّتي انْفَرَدُوا بِهَا دونَ غيرِهم، فَهُو يفترضُ اعتراضًا ويجيبُ عليهِ بأُسلوبٍ مَنْطِقيّ مَعَ وضوحٍ فِي العبارةِ وإشراقٍ فِي الدِّلالةِ و جودةٍ ومهارةٍ فِي الاخْتِصَارِ، وهذا الصَّنِيعُ مارَسَهُ النَّحْوِيُّونَ لتأثرِهم ببيئةِ الدَّرْسِ العِلمِيّ آنذاكَ وَوَلَعِهِم بالعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ، وَغَالبًا مَا يكونُ بالمُنَاظَرَةِ المُتَخَيَّلَةِ والأَسئلةِ والأجوبةِ أَو الرُّدودِ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

أَفادَ الصّفاريّ في تأليفهِ لهذهِ الرّسالةِ من عددٍ من المصادرِ النحويةِ وغير النحويةِ، وقد أشارَ إلى بعضِها مثل الكَافِيةِ فِي النحوِ وشروحِها، وسَلَكَ فيها طريقة الإيجاز، فهو يكتفي بإيراد المسألة ولم يمثل إلّا نادرًا وهذا أمرٌ يبرّرهُ منهجُهُ الذي ارْتَضَى الإيجاز واخْتَارَهُ،، وَخِلَاصَةُ عَمَلِهِ فِي هذهِ الرِّسَالةِ هُوَ ردُّ كَلَامِ النَّحْوِيِّينَ، وَإِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى مَا يُقابِلُهُ.

ثَانِيًا: وَصْفُ المَخْطُوطَةِ

عثرتُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى عَلى ستِ نُسَخٍ لِهذهِ المَخْطُوطَةِ أهملتُ ثلاثًا منها لاسبابٍ مختلفةٍ، وَاكتفيتُ بثلاثِ نُسَخٍ[٣] مِنْهَا فِي التَّحْقِيقِ:

---

[١] يُنْظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٩٢/٢١، مع موسوعات رجال الشيعة ٣٧٨/١، وفِهْرس المخطوطات الإيرانية (دنا) ٧٤/٣، و ٢٥٢٥/١٢، والفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا) ٣/ ٦٠٥- ٦٠٦، و ٣٧٥/٤، ٥١٠/٨. و ٤٣١/١٤.

[٢] على أنني لَمْ أقفْ على هذه النّسخَةِ؛ لأنَّ المكتبة غير مفهرسة وهي الآن ضمن موقوفات مكتبة آية الله الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء .

[٣] أمّا النُّسَخ الّتي أَهملتُها لاسبابٍ مختلفةٍ فهي نسخةُ المُرعشي الثانية ضِمْنَ مجموعةٍ برقم ٥/ ١٠٦٨٣، ونسخةُ من مصورات مكتبة العتبة العباسية ضمن مجموعة برقم ١٥/ ٦٦٠،ونسخةُ مكتبة مجلس الشورى ضمن مجموعة برقم ١٧٤٧٣.

النُّسْخَةُ الأُولَى:

اعتمدتُ النُّسْخَةَ الأُولى أَصلًا وَهِي نُسْخَةُ مَكْتَبة المَرْعَشِيّ وَقَدْ اخْتَرتُهَا لنفاسَتِها وَلِتَقَدُّمِ نَسْخِهَا، وَرَمَزْتُ لَهَا بالرمزِ (أ) وَهِي مكتوبةٌ بخط نَسْخ تَعْليق، وَفِيها طَمْسٌ فِي نهايتِهَا.

النَّاسِخُ: لُطْفُ الله بن أَنو شروان، تاريخُ النَّسْخ: الجُمُعَةُ مِنْ شَهْرِ رَجَب سَنَة(٩٧٠هـ) (مُصَحَّحَةٌ) ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ برقمِ: (١٠/ ١٣٢١٥) وَقَعَتْ فِي ثَلاثَةِ أَلواحٍ (٧٦ أ –٧٨ ب)، فِي كلِّ لوحٍ صَحيفتان، وَفِي كُلِّ صَحِيفةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ سَطْراً (٩.٥× ١٦,٥)، حَجْمُ الصَحِيفَةِ (١٥× ٢٣سم)، ذُكِرتْ في فِهْرِسِ المَكْتَبَةِ فِي (ج ٣٣/ ص ٤٠٧) .

نهايَتُهَا: يكونُ الاسْتِثْنَاءُ قرينةً لتناولِه، قُلْتُ: لِأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ ... تناولِه، فَلَوْ كانَ...

وخَتَمَهَا النَّاسِخُ بقولِه: راقمُهُ لُطْفُ اللهِ [ابن أَنو شروان] عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي يومِ الجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةِ ٩٧٠ هِجْرية.

النُّسْخَةُ الثَّانيةُ:

هِي نُسْخَةُ المكتبةِ الرَّضَويةِ برقَمِ (٣٧٤٠١) الّتي أَحللتُها بالمرتبةِ الثَّانيةِ؛ لأنَّ تاريخَ نسخِها قريبٌ ممَّا قبلَها، إذْ نُسِخَتْ سَنَة(٩٧٤هـ)، وَهِي مكتوبةٌ بخط نَسْخ تعليق، وَأَتْمَمْتُ مِنْهَا بعضَ الكلماتِ المَطْمُوسَةِ مِن النُّسْخَةِ الأُولَى . وَيُوجَدُ عَلَى هامِشِ النُّسْخَةِ تصحيحاتٌ كَانَ يكتبُ في آخرِهَا صُحِحَ، وَهِي ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ برقْمِ: (٣٧٤٠١) وَقَعَتْ فِي أَرْبَعَةِ أَلواحٍ (١١ب – ١٣ أ) فِي كُلّ لَوْحٍ صَفْحَتانِ، وَفِي كُلِّ صحيفةٍ واحدٌ وعشرونَ سَطْراً (الطولُ ١٨.٥× العرضُ ١٠)، نهايتُهَا : فَيَصِحُّ الاسْتِثْنَاءُ، فَهَذا [...] .

وَخَتَمَهَا النَّاسِخُ بقولِه: هَذَا آخِرُ مَا وَجَدْتُهُ فِي نهايةِ الرِّسَالةِ وَلَمْ أَجِدْ مَا بَعْدَهُ .

النُّسْخَةُ الثَّالثةُ:

هِيَ نُسْخَةُ مَرْكَزِ الإحياءِ فِي قُم المُقَدَّسَةِ برقمِ (٤٣٦٧/٣) ورمزتُ لها بالرَّمزِ (ج) وهيَ نُسْخَةٌ متأخرةٌ، وواضِحةٌ وخطُّها جيِّدٌ مكتوبةٌ بخطٍ نسخيّ، النَّاسِخُ: مُحَمّد إِبْرَاهِيمَ بن مُحَمّد باقِر الخَوانْسَاريّ، نَسَخَهَا يومَ السَّبتِ ٢٤ صَفر ١٢٧٠هـ، ضِمْنَ مجموعةٍ (٥٩ب – ٦٣ ب) (مُحَدِث أَرْمَوي)، ذُكِرَتْ فِي فِهْرِس المَكْتَبَةِ في: ج٣/ ص ١٤٨٩. نهايتُهَا: لأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ متوقِفٌ عَلى تناولِه فَلَوْ كانَ تناولُهُ بالاسْتِثْنَاءِ لَزِمَ الدَّوْر فَهَذا مَا أَرَدْنَا إيرادَهُ فِي هذهِ الرِّسَالةِ تَمَتْ.

وختمَهَا النَّاسِخُ بقولِه: قَدْ فَرَغَ مِنِ اسْتِكْتَابهِ أَقلّ الطُلّابِ مُحَمَّد إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد باقِر الخُوانْسَارِي مَعَ كَثْرَةِ الاشْتِغَالِ والاسْتِعْجَالِ التَّامِ فِي يومِ السَّبتِ أَوّلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ رابِعِ وعِشْرِينَ شَهْرِ صَفَر المُظفَّر سَنَة سَبْعِينَ وَمئتينِ بَعْدَ الأَلفِ مِنَ الْهِجْرَةِ .

مَنْهَجُ التَّحقيقِ :

- نسخُ النَّصِّ مِن الأَصلِ المُعْتَمَدِ وثَبَّتُ الاِخْتِلَافَات بينَ النُّسخ فِي الهامِشِ.

- خرّجتُ الأَقوالَ والآراءَ من مظانِها: كُتُبِ اللُّغةِ والنَّحْوِ وغيرِها.

- ضَبْطُ الأَلفاظِ كتابةً وشكلًا وعنونةُ الموضوعاتِ ووضعُ علاماتِ التَّرقيمِ.

- إعادةُ كتابةِ بعضِ المفرداتِ على وَفْق الرَّسم الإِمْلَائيّ الحَديث مِنْ دونِ المَسَاسِ بالمَعْنَى أَو بمُرَادِ المُؤلفِ.

مصوراتٌ من المَخْطُوطَةِ

الصَّحِيفَةُ الْأُولَى مِن النُّسْخَةِ (أ)

الصَّحِيفَةُ الأَخِيرَةُ مِنَ النُّسْخَةِ (أ)

٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا والصلوة على محمد وآله الطاهرين أجمعين وبعد

فهذه أقل أنفاس نحوية ومغالطات لفظية ومعنوية جمعها الفقير المحتاج إلى رحمة

ربه الباري عبيد بن محمد الصفاري غفر الله له مهديًا إلى أرباب المحاضرة وطلاب

بحث المناظرة معترفًا بهوة النكت المورد عنها معتذرًا بأن الهدايا

على مقدار مهديها راجيًا ممن نظر أن يعفو بكرمه عن خطائه [illegible]

رعاية متوكلًا على الله [illegible] المغالطة الأولى أن نقول

قسم النحو غير محتاج إليه لأن معرفة كلام العرب إما أن تتوقف على تعلمه أو لا فعلى

سبيل الأول لأنها إن توقفت عليه افتقرت تعلمه إلى معرفتها أيضًا لكونه مصطلحًا و

قواعده عربية فيلزم إما الدور أو التسلسل وهما محالان وإن لم يتوقف عليه

يكون غير محتاج إليه والجواب أن نقول لا نسلم [illegible]

على لزوم الدور والتسلسل [illegible] اللفظ محال لأن الحرف لا يمكن التلفظ به إلا

بواسطة الحركات لأنها تلفظ اللفظ بالسواكن والحركات لا يمكن التلفظ بها إلا بواسطة

الحروف لعدم استقلالها بأنفسها فيلزم الدور وهو محال والموقوف على المحال

محال فوجود اللفظ محال والجواب لا نسلم أن التلفظ بالحروف والحركات معًا فلا يلزم الدور الباطل

ودور المعية جائز كما في الإضافات فإن أبوة الأب موقوفة على بنوة الابن

وبالعكس [illegible] اللفظ [illegible] هو دال بالوضع وإلى ما هو دال

بالطبع وما هو دال بالعقل [illegible] اللفظ وغيره [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٧

الصَّحِيفَةُ الْأَخِيرَةُ مِن النُّسْخَةِ (ب)

الصَّحِيفَةُ الأُولَى مِن النُّسْخَةِ (ج)

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين والصلوة على محمد وآله الطاهرين

اما بعد فهذه اعتراضات نحوية ومغالطات لفظية ومعنوية جمعها الفقير المحتاج الى رحمة ربه الباري

سعيد بن محمد الصفاري غفر الله له مهديا الى ارباب المحاضرة وطلاب الكتب والمناظرة ومعينا

بسهولة النكت الموقعة فيها معتذرا بان الحمد لله على عذره مهديها راجيا ممن ينظر

فيها ان يعفو بكرمه عن خطائه ويذكر مؤلفه بصالح دعائه متوكلا على الله وعليه فليتوكل

المتوكلون المغالطة الاولى ان نقول تعلم النحو غير محتاج اليه لان معرفة كلام العرب اما ان يتوقف

على تعلمه او لا يتوقف لا سبيل الى الاول لانها ان توقف عليه افتقر في تعلمه الى العوامل لكون

مصطلحاته وقواعده عربية فيلزم اما الدور واما التسلسل وهما محالان موجبان لا يتوقف

عليه فلا يكون محتاجا اليه الجواب ان نقول لم لا يجوز ان يحصل معرفة النحو بتفهيم واضعه لا بنحو

اخر فلا يلزم الدور ولا التسلسل الثانية وجود اللفظ محال لان الحرف لا يمكن

التلفظ بها الا بواسطة الحركات لامتناع التلفظ بالسواكن ابتداء والحركات لا يمكن التلفظ

بها الا بواسطة الحروف لعدم استقلالها بنفسها فيلزم الدور وهو محال والموقوف على

المحال محال فوجود اللفظ محال الجواب لم لا يجوز ان يتلفظ بالحروف والحركات معا فلا يلزم

دور التقدم ودور المعية جائز كما في المتضايفات فان ابوة الاب موقوفة على بنوة الابن مع

وبالعكس وهذا التوقف ليس بمحال الثالثة اللفظ ينقسم الى ما هو دال بالوضع والى ما هو دال بـ

٩

الصَّحِيفَةُ الْأَخِيرَةُ مِن النُّسْخَةِ (ج)

انما قلنا انه تعريف العام بما هو اخص منه لان المدفوع اعم من الفاعل لاشتماله المبتدأ والخبر

والخبر فيكون تعريفه تعريفا للعام بالخاص وانما قلنا انه غير جامع لان الخاص اخفى من العام لكونه

اكثر وجودا فيكون تعريف الاعرف بالاخفى لا يكون جائزا الثلثون الاستثناء الموجب بالحلال

المستثنى منه في الكلام الموجب نحو جاءني القوم الا زيدا مثلا اما ان يكون عاما او خاصا

فان كان عاما يلزم مجيء جميع الناس وهو باطل وان كان خاصا لم يتناول المستثنى يقينا

فلا يصح الاستثناء فان قلت لم لا يجوز ان يكون الاستثناء قرينة التناول له قلت لان

الاستثناء موقوف على تناوله فلو كان تناوله بالاستثناء لزم الدور فهذا ما اردنا

ايراده في هذه الرسالة تمت قد فرغ من استكتابها افل الطلاب

محمد ابراهيم بن محمد باقر الخونساري مع كثرة الاشتغال والاستعجال

التام في يوم السبت قبل طلوع الشمس رابع وعشرين شهر صفر

المظفر سنة سبعين ومائتين بعد الالف من الهجرة

١٢٧

القِسْمُ الثّانِي: النَّصُّ المُحَقَّقُ

[مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَالصَّلاةُ والسَّلَامُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ الطَاهِرِينَ، أَمّا بَعْدُ... فهذِهِ اعْتِرَاضَاتٌ[٤] نَحْوِيّةٌ، ومغالطاتٌ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيّةٌ[٥]، جَمَعَهَا الفَقِيرُ المُحْتَاجُ إلى رَحْمَةِ ربّهِ البَارِي سَعِيدُ بْنُ مُحَمّد الصَّفَارِيّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مُهْدِيهَا إلى أَرْبابِ المُحَاضَرَةِ وَطُلابِ البَحْثِ والمُناظَرَةِ مُعرِّفًا بسهولةِ النُّكَتِ المُودَعَةِ فِيها مُعْتَذِرًا بأَنَّ الهَدَايا عَلى مِقْدَارِ مُهْدِيها راجيًا

---

[٤] الاعتراضُ في اللّغة: ((الاعْتِرَاضُ: المَنْعُ، قَالَ الصَّاغَانيُّ: والأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الطَّرِيقَ المَسْلُوكَ إذا اعْتَرَضَ فِيهِ بِنَاءٌ أَو غَيْرُهُ، كالجِذْعِ أَو الجَبَل، مَنَعَ السَّابِلَةَ من سُلُوكِه، فوَضَعَ الاعْتِرَاضَ مَوْضِعَ المَنْعِ لهذَا المَعْنَى، وَهُوَ مُطَاوِعُ العَرْضِ. يُقَالُ: عَرَضْتُه فاعْتَرَضَ)) تاج العروس مادة (عَرَضَ): ٤٠٨/١٨، أمّا في الاصطلاح: فالاعتراضُ هو:((ردُّ الحكم النَّحويّ أَو وصفُه بعدمِ الاستقامة لحجةٍ نحويّة)). اعتراضات الرَّضيّ على سيبويه في شرحِ الكافِيَةِ : ١٩.

[٥] المغالطةُ في اللّغةِ: (غَلِطَ) فِي الْأَمْرِ مِنْ بَابِ طَرِبَ. وَ(أَغْلَطَهُ) غَيْرُهُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (غَلِطَ) فِي مَنْطِقِهِ وَغَلِتَ فِي الْحِسَابِ وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لُغَتَيْنِ بِمَعْنًى. وَ(غَالَطَهُ) (مُغَالَطَةً). وَ(غَلَّطَهُ تَغْلِيطًا) قَالَ لَهُ غَلِطْتَ. وَ(والمَغْلَطةُ والأُغْلُوطةُ) بِالضَّمِّ مَا يُغَلَّطُ بِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ. يُنظر: لسانُ العربِ (غَلَطَ) ٣٦٢/٧.

المغالطةُ فِي الاصطلاح : ((المغالطةُ مركبةٌ مِنْ مقدماتٍ شبيهةٍ بالحَقِّ، ولا يكون حقًا، وتُسَمى: سفسطة، أَو شبيهةٌ بالمقدمات المشهورة، وتسمى: مشاغبة، وهي أيضًا: قول مؤلَفٌ من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة)).التعريفات للجرجانيّ : ٢٢٣.

أَمَّا الفَرْقُ بينَ الغَلَطِ والمُغَالَطَةِ أَو مَا شَابَهَهَا فسيكونُ كلّ مَا كانَ عنْ قصدٍ أَو تعمُّدٍ فَهُوَ مُغَالَطَةٌ، وكلّ مَا كانَ عنْ غيرِ قصدٍ أَو تعمدٍ أو عفويًا فهو غَلَطٌ، فالّذي يمشي ويتعثر في مشيتهِ لَمْ يُغالطْ بلْ يَغْلَطُ، أَمَّا الّذي يَمْشِي وَيوقِعُ نفسَهُ فهو مُغالطٌ، وأَسبابُ المغالطاتِ كثيرةٌ وكذلك أَهدافُها . قالَ المعريّ :

ولمَّا رأيتُ الجَهْلَ فِي النَّاسِ فاشِياً   تجاهلتُ حتَّى ظُنَّ أنّي جاهِلُ .

لم يكنْ المعريّ هنا جاهلًا بل مُتجاهل، أَي يدعي الجهلَ أَو يُظهِرهُ، لكنَّ لهذا الادعاء غايةً في نفسهِ. يُنظر: ديوان سقط الزند، أَبو العلاء المعريّ ٥٧ .

والمغالطاتُ على قسمينِ : المغالطاتُ اللّفظيةُ وهي ستةٌ؛ لأنَّ الغَلَطَ إمَّا أنْ يكونَ لاشتراكٍ في جوهر اللَّفظِ المُفْرَدِ، أَو في هيئتهِ أو في نفسهِ أو هيئتهِ اللّاحقة بهِ من خارجٍ أَو في التركيبِ المحتملِ لمعنيين، أو في وجودِ التَّركيبِ وعدمهِ، فَيَظُن المركب غير مركبٍ، أَو غير المركبِ مركبًا، وهذه الستة ثلاثة أنواع منها ما يتعلق باللّفظِ المُفْرَد، وثلاثة راجِعَةٌ إلى التَّركيبِ =

وامّا المَعْنوية وهي سبعةٌ ؛ لأنَّها تقع إمَّا في أَجزاء القضايا، بأَنْ يؤخذ بدل ما هو جزء ما يشبهه من اللوازم والعوارض، كمن رأى إنسانًا أبيض يكتب أن كل كاتب يكون كذلك، فأخذ الابيض بدل الكاتب، أو بأن يؤخذ مع الجزء ما ليس منه، أو يخلى ما هو منه. يُنْظر: في الغَلَطِ وَالمُغَالَطة أو السَّفْسَطة اللّغويَّة ٥٧.

مِمَّنْ يَنْظُرُ فِيهِ أَنْ يَعْفُو بكرمِهِ عَنْ خَطَئِهِ، وَيَذْكُرَ لِمؤلفِهِ بصالِحِ دُعائِهِ مُتَوكِلًا عَلى اللهِ وعليهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ.

المُغَالَطَةُ الأُوْلَى:

أَنْ تَقُولَ: تَعلُّمُ النَّحْوِ غيرُ محتاجٍ إليهِ؛ لِأَنَّ معرفةَ كلامِ العَرَبِ إِمَّا أَنْ يتوقّفَ على تعلّمِهِ أَوْ لا يتوقفُ لا سَبيلَ إلى الأَوَّلِ؛ لأَنَّها إنْ توقّفَ عليهِ افتقرَ فِي تعلُّمِهِ إلى نَحْوٍ أَيضًا؛ لكونِ مصطلحاتِهِ وقوانينهِ عربيّة فَيَلْزَمُ إمَّا الدَّوْرُ[٦]، وإمّا التَّسَلْسُلُ[٧] وَهُمَا محُالَانِ، فَوَجَبَ أَنْ لَا يتوقفَ عليهِ، وحينئذٍ غَيْرُ مُحْتاجٍ إليهِ.

الجوَابُ: أَنْ تقولَ: لِمَ لَا يجوزُ أَنْ يحصلَ معرفة النَّحْوِ بتفهيمِ واضعِهِ لَا بِنَحْوٍ آخر فَلَا يَلْزَم الدّوْر وَلَا التَّسَلْسُل .

[المُغَالَطَةُ] الثّانيةُ :

وجودُ اللَّفظِ مُحَالٌ؛لأَنَّ الحُرُوفَ لَا يُمْكِنُ التلفظُ بها[٨] إلّا بواسطةِ الحركاتِ؛ لامتناعِ التَّلَفُّظِ بالسّواكنِ ابتداءً[٩]، وَالْحَرَكَاتُ لايمكنُ التلفّظُ بِها إلّا بواسطةِ الحروفِ[١٠]؛ لعدمِ استقلالِها بنفسِها فيلزمُ الدّور وهُوَ محالٌ والموقوفُ على المحالِ محالٌ فوجودُ اللّفظِ مُحَالٌ.

---

(٦) الدَّوْرُ في اللّغةً: ((الدَّالُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالَيْهِ. يُقَالُ دَارَ يَدُورُ دَوَرَانًا. وَالدَّوَّارِيُّ: الدَّهْرُ؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ بِالنَّاسِ أَحْوَالًا. قَالَ: وَالدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيُّ)). معجم مقاييس اللّغة (دَوَرَ) ٢/٣١٢.

الدَّوْرُ في الاصطلاح: ((هُوَ تَوقفُ الشَّيء على ما يتوقف عليهِ، وَيُسَمَى: الدَّوْرُ المصرح، كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس، أو بمراتب، ويسمى: الدور المُضْمَر، كما يتوقف(أ) على (ب)، و (ب) على (ج) و (ج) على (أ))). التعريفات للجرجاني ١٤٠. وقيل أيضًا: ((هو أنْ يكونَ شَيْئَانِ كلّ مِنْهُمَا عِلةٌ للآخَر بواسطةٍ وبدونها)) شرحُ المواقفِ، السيد الشريف الجرجاني ١/ ٤٤٤.

(٧) التَسَلسُلُ فِي اللّغةِ: السِّلْسِلَةُ اتِّصَالُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ سِلْسِلَة الْحَدِيدِ، وَسِلْسِلَة الْبَرْقِ الْمُسْتَطِيلَةُ فِي عَرْضِ السَّحَابِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَسَلْسَلَ الْمَاءُ فِي الْحَلْقِ، إِذَا جَرَى. يُنْظَرُ: مُعْجَمُ مَقَاييسُ اللّغَة (سَلَّ): ٣/ ٦٠.

التسلسل اصطلاحًا: ((هو ترتيب أمور غير متناهية، وأقسامه أربعة: لأنه لا يخفى؛ إمَّا أَنْ يكون في الآحاد المجتمعة في الوجود، أَو لم يكن فيها، كالتسلسل في الحوادثِ والأول إما أَنْ يكون فيها ترتيب أو لا، والثاني كالتَّسلسلِ في النفوسِ الناطقة، والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيًا كالتسلسل في العلل والمعلولات والصفات والموصفات، أو وضعيًا كالتسلسل في الأجسام، والمستحيل عند الحكيم الأخير دون الأولين.)) التعريفات، الجرجاني٥٧.

(٨) في (ب) لأنَّ الحرف لايمكن التلفظ به .

(٩) (ابتداءً) ساقطة من (ب) .

(١٠) ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ١/ ١٩. والإبانة في اللغة العربية ١/ ٨٨ .

الجَوَابُ لِمَ لَا يجوزُ أنْ يُتلفظَ بالحروفِ والحركاتِ معًا فَلَا يَلْزَمُ دَوْر التّأخُرِ وَدَوْر المَعيّةِ جائزٌ كَما في الْإِضَافَاتِ فإنَّ أُبوّةَ الأَبِ موقوفةٌ على بنوّةِ الابنِ وبالعَكْسِ وهَذا التَّوقُّفُ لَيْسَ بِمُحَالٍ .

[المُغَالَطَةُ] الثّالثةُ :

اللّفظُ ينقسمُ إلى مَا هُوَ دالٌ بالوَضْعِ وإلى مَا هُوَ دالٌ بالطَّبْعِ[11]، وَأَمّا مَا هُوَ دالٌ بالوَضْعِ فَهُوَ مُنْقَسِمٌ إلى اللَّفْظِ وغيرِهِ كالدَّوالِّ الأَربعِ[12] ينتجُ أنَّ اللَّفظَ يَنْقَسِمُ إلى اللَّفْظِ والدَّوَالِ الأَرْبَعِ؛ لأَنَّ المُنْقَسِمَ إلى المُنْقَسِمِ إلَى الشَّيْءِ مُنْقَسِمٌ إلى ذَلِكَ الشَّيْءِ.

الجَوَابُ لا نُسَلِّمُ أنَّ المُنْقَسِمَ إلَى المُنْقَسِمِ إلى الشَّيْءِ مُنْقَسِمٌ إلى ذلِكَ الشَّيْءِ، وَإنَّما يكونُ كذلكَ لَوْ كانَ المُنْقَسِمُ الأَوّلُ أَعَمّ مِنْ الثَّاني مِنْ كُلّ الوجوهِ أَمَّا إذا كَانَ أعمّ مِنْ وَجْهٍ وأَخَصّ مِنْ وَجْهٍ فلاَ يصدقُ ذلِكَ أَلَا تَرى أَنَّ قولَنا: الانسانُ ينقسمُ إلى الأَبيضِ والأَسودِ والأبيضُ مُنقَسِمٌ إلى الانسانِ والحَجَرِ مَعَ كَذِبِ النَّتِيجَةِ .

[المُغَالَطَةُ] الرّابِعَةُ:

قَالَ النَّحْوِيُّونَ :(التَّاءُ) فِي الكَلِمَةِ لِلْوَحْدَةِ[13]، وفيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ (التَّاءَ) لَوْ كَانَت لِلْوَحْدَةِ يَلْزَمُ تعريفُ الكَلِمَةِ الْمُقَيَّدَةِ بالوحدةِ لَا الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ باطِلٌ. إذْ التَّعريفُ إنمَّا يكونُ للحقيقةِ مِنْ حيثُ هِي .

[الجَوَابُ]: وَالحَقُّ أَنَّ (التَّاءُ) فِي الكَلِمَةِ إنَّما كانَتْ لِلْوَحْدَةِ إذَا كانَتْ حقيقةً لغويةً أَمَّا إذا صَارَتْ مَنْقُولَةً نَحْوِيّةً لَمْ يبقَ لهَا دِلَالَةٌ عَلى الوَحْدَةِ وَبِهَذَا انْدَفَعَ سُؤال مَنْ قالَ: الْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الكَلِمَةِ لتعريفِ الْجِنْسِ فيصلحُ للوقوعِ عَلَى الْكَثِيرِينَ، و(التَّاءُ) لِلْوَحْدَةِ فَلا تَصْلُحُ للوقوعِ على كَثِيرِينَ بَيْنَهُمَا مُنَافَاةٌ .

---

(11) يقولُ ابنُ يعيش « وقوله: (بالوَضْعِ) فصلٌ ثالثٌ، احترز به من أُمورٍ، منها ما قد يدلّ بالطبَعِ، وذلك أنّ من الألفاظ ما قد تكون دالّةً على معنى بالطبع لا بالوضع، وذلك كقول النائم: (أَخْ)، فإنّه يُفْهَم منه استغراقُه في النَّوم، وكذلك قوله عند السعال: (أَحْ)، فإنّه يفهم منه أَذى الصدر؛ فهذه ألفاظٌ، لأنّها مركَّبةٌ من حروفٍ ملفوظٍ بها، ولا يقال لها كَلِمٌ، لأنّ دلالتها لم تكن بالتواضُع والاصطلاح » يُنْظَرُ: شرح المفصّل ١/ ٧١ .

(12) يُقْصدُ بالدَّوالِ الأَرْبَعِ هي: (الإِشَّارَةُ، وَالخَطِّ، والعقْدُ، والنَّصْبُ، إذْ كُلّ مِنْهُا مُفيدٌ وَلَيسَ بلفظٍ). يُنْظَرُ: شرح كتاب الحدود في النَّحو ٨٠، فتح ربّ البرية في شرح نظم الآجرومية ٢٥.

(13) تاء الوحدة: وهي التاء التي تلحق أسماء الأجناس الطبيعية مثل: شجر وثمر وتمر.. للتفريق بين الواحد والجمع، وقد اصطلح عليها النحويون (تاء الوحدة) مثل: شجرة وثمرة وتمرة. يُنظر: شرح الرضيّ على الكافية ١/ ٢٣، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ١/ ٢٦٩، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ١/ ١٢٨، وحاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك ١/ ٣٩ .

[المُغَالَطَةُ] الخَامِسَةُ :

لقائلٍ أنْ يقولَ: تعريفُ الكَلِمَةِ [١٤] مَنْقُوضٌ باللّفظِ المرُكَّبِ إذَا وُضِعَ أَيضًا لِمَعْنًى مُفْرَدٍ كقولِنَا: عبدُ اللهِ، وبَعْلَبَكَّ، فإنَّهُ يصدُقُ عليهِ مركّب[١٥] أَنَّهُ لفظٌ وُضِعَ لمِعَنًى مفردٍ؛ لكونهِ كذلكَ فِي الجُمْلَةِ[١٦]، فَيَجِبُ أَنْ يكونَ كلمةً مَعَ أَنَّهُ ليسَ كذلكَ. فالصَّوَابُ أَنْ يُذْكَر فيهِ قَيْدٌ آخَر فَيُقالُ[١٧]: الكَلِمَةُ لفظٌ وُضِعَ لمِعْنَى مُفْرَدٍ مِنْ حيثُ هُوَ كذلِكَ.

[المُغَالَطَةُ] السَّادِسَةُ:

الكَلِمَةُ لَا يُمكِنُ وُجُودهَا في الخَارِجِ إلَّا فِي ضِمْنِ الأقسامِ[١٨]؛لامتناعِ وجودِ الكُليّ في الخَارِجِ، وكلُّ واحدٍ مِن الأَقسامِ لَا يُمكِنُ وُجُودُهُ في الخَارِجِ[١٩] بدونِ الكَلِمَةِ؛ لِتَوَقُّفِ الكُلِّ على جُزْئِهِ فيلزمُ الدَّور[٢٠]، وَهُوَ مُحالٌ فَيَكُونُ وُجُودُ الكَلِمَةِ والْأَقْسَام مُحَالَين.

الجَوَابُ: الكَلِمَةُ محتاجةٌ إلى فصلِ كُلِّ واحدٍ من الْأَقْسَامِ ؛لِيَتَحَصَّلَ بِهِ، وكُلّ واحدٍ مِنَ الْأَقْسَامِ محُتاجٌ إلى الكَلِمَةِ، فَلَا يلزمُ الدَّوْرُ.

[المُغَالَطَةُ] السَّابِعةُ:

الكَلِمَةُ: إمّا اسْمٌ،أَوَ فِعْلٌ، أَوَ حَرْفٌ [٢١]، وَكُلُّ واحدٍ مِنْها يَمْتَنِعُ أَنْ ينقسمَ إلى الأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فالكَلِمَةُ تمتنعُ أنْ تَنْقَسِمَ إلى الأَقسامِ الثَّلَاثَةِ.

الجَوَابُ: إنَّ مَوْرِدَ التَّقسيمِ لَا بُدَّ أَنْ يكونَ أَعَمَّ مِنْ كُلّ واحدٍ مِنَ الأَقسامِ، فَلَوْ لَمْ ينقسمْ كلُّ واحدٍ مِنَ الأَقسامِ لا يلزمُ أَنْ لَا يَنْقَسِمَ المَوْرِدِ الّذي هُوَ[٢٢] أَعَمُّ .

---

(١٤) الكَلِمَةُ: هِي اللَّفظةُ الدَّالةُ عَلى مَعْنًى مُفْرَدٍ بِالْوَضْعِ. يُنْظَر: المفصل في صنعة الاعراب ٢٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٧٠/١.

(١٥) (مركبٌ) ساقطة من (ب) .

(١٦) في نسخة (ب) (كلمة) بدل (جملة) .

(١٧) في نسخة (ب) (فقيل) بدل (فيقال) .

(١٨) (ضمن الأقسام) ساقطة من (ب) .

(١٩) (في الخارج) ساقطة من (ب) .

(٢٠) مَرَّ تعريف الدور في المغالطة الأولى .

(٢١) (الكلمة) تنحصر في هذه الأقسام الثلاثة، ودليل الحصر أن الواقع ثلاثة: ذات، وحدث، ورابطة للحدث بالذات. فالذات الاسم، والحدث الفعل، والرابطة الحرف؛ ولا يختص انحصار الكلمة في الأنواع الثلاثة بلغة العرب لأن دليل الانحصار عقلي، والأمور العقلية لا تختلف باختلاف اللغات. يُنْظر: شرح شذور الذهب ٣٥.

(٢٢) (هو) ساقطة من (أ) .

[المُغَالَطَةُ] الثَّامِنَةُ :

لَوْ كَانَتِ الكَلِمَةُ جنسًا لِلاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ فَفَصل كُلّ[٢٣] واحدٍ مِنْهَا إِمَّا أَنْ يكونَ كلمةً أيضًا وَهُو باطلٌ؛لامتناعِ أَنْ يَتَّحِدَ الجِنْسُ والفَصْلُ، أَوْ لَا كَلِمَة؛ لانْتِفَاء الواسِطَةِ بينَ النَّقيضينِ وَهُوَ باطِلٌ أَيضًا[٢٤]؛ لِامْتِنَاعِ أَنْ يجتمعَ الشيءُ مَعَ نَقِيضِهِ .

الجَوَابُ: إنْ أَرَدْتُمْ بِالْـلّاكَلِمَة[٢٥] هَذَا العَدَمَ الْمَخْصُوصَ فَلَا نُسَلِّمُ لُزوم اجتماعِ الشَّيْءِ مَعَ نقيضِهِ؛ فَإِنَّ هَذا الْمَفْهُوم كَمَا يَصْدُقُ عَلى نَقِيضِ الكَلِمَةِ كذلكَ يَصْدُقُ عَلَى أَشْيَاءَ أُخَر غيرِ نَقِيضِها كاقترانٍ بأَحدِ الأَزْمنةِ الثّلاثةِ مثلًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

[المُغَالَطَةُ] التَّاسِعَةُ :

مَوْرِدُ القِسْمَةِ بينَ الاِسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ كَلِمَةٌ، وكُلُّ كلمةٍ إمّا اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ أَوْ حَرْفٌ، فَالمَوْرِدُ إِمَّا اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ أَوْ حَرْفٌ، وَأَيًّامَا كَانَ يَلْزَمُ انْقِسَام الشَّيءِ إِلى نَفْسِهِ و إِلى غيرِهِ وَهُوَ مُحَالٌ .

الجَوَابُ: إنْ أَرَدْتُمْ بقولِكِم: كُلّ كلمةٍ فَرْد فَرْد[٢٦] مِنَ الكَلِمَةِ، فَلَا نُسَلِّمُ اتحادَ الوَسَطِ ؛لِأَنَّ الكَلِمَةَ الَّتِي هِي المَوْرِدُ كَلِمَةٌ، وإِنْ أَرَدْتُمْ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذلكَ بحيثُ يَشْمِلُ الكَلِمَةَ أَيضًا فَلَا نُسَلِّمُ صِدْقَ الكُبْرَى .

[المُغَالَطَةُ] العَاشِرَةُ :

لَا يجوزُ الحُكْمُ بأَنَّ الاِسْمَ كَلِمَةٌ؛ لأنَّ الكَلِمَةَ أَعمُّ من الاِسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، فَلَوْ كَانَ الاِسْمُ كَلِمَةً يَلْزَمُ أَنْ يكونَ الخاصُّ نفسَ العامِّ وَهُوَ محُالٌ .

الجَوَابُ: إِنَّما يلزمُ ذلكَ أَنْ لَوْ كانَ مَعْنى الحَمْل أَنَّ الموضوعَ نفسُ المَحْمُولِ، وليسَ كذلكَ بَلْ المرادُ أَنَّ مَا صَدَقَ عليهِ المَوضُوعُ صَدقَ عليهِ المَحْمُولُ، وَلَا امتناعَ في صدقِ الْخَاصِّ والعَامِّ على شيءٍ واحدٍ باعتبارينِ مُختلفينِ .

[المُغَالَطَةُ] الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

لَا شَيْءَ مِنَ الكَلِمَةِ الّتي هِيَ مَوْرِد القِسْمَةِ بمتشخِّص؛ لأَنَّها كُليّةٌ، وَكُلّ موجودٍ فِي الخَارِجِ

---

[٢٣] (كلّ) ساقطة من (ب) .

[٢٤] (الثلاثة) ساقطة من (ب) و(ج) .

[٢٥] أُجيز دخول (أل) على حرف النفي (لا) المتصل بالاسم مثل (اللاكلمة)، وأُجيزَ في تخريجها أحد وجهين: أولهما: اعتبار (لا) النافية غير عاملة، على أنْ يعرب ما بعدها بحسب موقعه في الجملة، ثانيهما: اعتبار (لا) مركبة مع ما بعدها ويعرب المركب بحسب موقعه في الجملة. يُنْظر: معجم الصواب اللّغوي ١٥٢.

[٢٦] كذا في (أ) و (ب) (ج).

مُتَشَخِصٌ فَلَا شَيْءَ من الكَلِمَةِ بموجودٍ فِي الخَارِجِ، لكنَّ الكَلِمَةَ جُزْءٌ مِنْ أَفْرَادِهَا مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ، فَتكونُ مَوْجُودَةً في الخَارِجِ وَلَا مَوْجُودَةً فيهِ، وَهُوَ محَالٌ.

الجَوَابُ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الكَلِمَةَ الّتي هِي جزءٌ مِنْ أَفرادِهَا هِيَ الكليةُ الّتي كَانَتْ مَوْرِدَ التَّقْسِيمِ، فَإنَّ الجُزْءَ حقيقةُ الكَلِمَةِ فَقَط، وَالمَوْرِدُ الحقيقةُ مَعَ قيدِ الكليَّةِ وَبَيْنَهُما تَغايرٌ.

[المُغَالَطَةُ] الثّانيّةَ عَشْرَةَ:

الكَلِمَةُ الّتي هِي مَوْرِدُ القِسْمَةِ إمَّا أَنْ تكونَ أَحَدَ أَقْسَامِ الثَّلاثَةِ أَوْ لَا، وَعَلى التَّقْدِيرَيْنِ فالقسمةُ باطلةٌ أَمَّا عَلى تَقْدِيرِ الْأَوَّلِ فَلأَنَّهُ يَلْزَمُ انْقِسَام الشَّيء إلَى نفسِهِ وإلَى غيرِهِ وَهُوَ مُحَالٌ، وأَمَّا على تقديرِ الثَّاني فلانَّهُ يَلْزَمُ القِسْم الرَّابِع فَيبطلُ الحَصْر.

الجَوَابُ: إنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنّها لَوْ لَمْ تَكُنْ أَحدَ الأَقسامِ الثَّلاثةِ يَلْزمُ أَنْ يكونَ قسمًا رابِعًا وَإنَّما يَلْزَمُ لَوْ اقترنَ بِهَا[٢٧] فَصْلٌ يُمَيِّزُهَا عَنْ سائرِ الأَقْسَامِ أَمَّا إذا لمْ يَقْتَرِنْ بِهَا فَصْلٌ فَلَا يكونَ نفسَ الأَقْسَامِ الأَقْسَامِ وَلَا قِسْمًا رَابِعًا، بَلْ يكونُ موردَ القسمةِ فَقَطْ .

[المُغَالَطَةُ] الثَّالثةَ عَشْرَةَ:

كلُّ واحدٍ مِنَ الاِسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ يجبُ أَنْ يكونَ مُنْقَسِمًا إلَى الأقسامِ الثَّلاثةِ؛ لأنَّ الانْقِسامَ إلى الأقسامِ الثَّلاثةِ[٢٨] لازِمٌ للكلمةِ، والكَلِمَةُ لازِمَةٌ لِكُلِّ واحدٍ مِنْهَا لُزُوم الجُزْءِ للكُلِّ، ولَازِمُ اللَّازِمِ للشَّيءِ لَازِمٌ لذلِكَ الشَّيْءِ .

الجَوَابُ: إنَّا لَا نُسَلِّمُ أنّ[٢٩] الانقسامَ لازِمٌ للكلمةِ الّتي هِي جُزْءٌ مِنَ الاِسْمِ وَالْفِعْلِ، وَإنَّمَا هُوَ لَازِمٌ للكَلِمَةِ الكُليّةِ وَالّتي هِي جُزْءُ حَقيقَة الكَلِمَة فَقْط .

[المُغَالَطَةُ] الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

الكَلِمَةُ صادِقَةٌ عَلى الفِعْلِ، وَلَا شَيْءَ مِنَ الاسْمِ بِصَادِقٍ عَلى الفِعْلِ يَنْتِجُ مِنَ الشَّكْلِ الثَّاني وَلا شَّيءَ مِنَ الكَلِمَةِ باسْمٍ وَهُوَ باطِلٌ .

الجَوَابُ: إنْ أَخَذْت الصُّغْرَى كُليّة فَصْدقُهَا مَمْنُوعٌ، وَإنْ أَخَذْتَها جُزئيةً تكونُ النتيجةُ بَعْضَ الكَلِمَةِ ليسَ باسْمٍ، وَهُوَ حَقٌّ .

[المُغَالَطَةُ] الخَامِسَةَ عَشْرَةَ :

يجبُ أنْ يَصْدُقَ الفِعْل عَلَى[٣٠] جمَيعِ أَقْسَامِ الكَلِمَةِ ؛لأَنَّه لو لَمْ يَصْدُقْ عَلَيهِ صَدَقَ نَقِيضه

---

[٢٧] (بها) ساقطة من (أ) .

[٢٨] (الثَّلاثةُ) ساقطة من (أ) وأتممتها من (ب) و(ج) ..

[٢٩] (أَنَّ) ساقطة من (أ) وأتممتها من (ب) و(ج) .

[٣٠] (على) ساقطة من (أ) وأتممتها من (ب) و(ج) .

عليهِ؛ لِامْتِنَاعِ الخُلُوِّ عَنْهما فَيَصْدُقُ اللّافِعْلُ عَلى الفِعْلِ وَهُوَ مُحَالٌ .

الجَوَابُ: لَا نُسَلِّمُ امْتِنَاع الخُلُوِّ عَنْهُما لجِوَازِ أَنْ يَصْدُقَ الفِعْل على بعضٍ واللّافِعْلِ عَلى بعضٍ آخَرَ عَلَى أَنَّ نقيضَ المُوْجَبَةَ الْكُلِّيَّة، السَّالِبَة الجُزْئيَّة فَلَوْ لَمْ يَصْدُقِ الفِعْل عَلِى جمَيعِ أَقسامِ الكَلِمَةِ لَزِمَ صِدْقُ اللافِعْلِ عَلَى بَعْضِ أَقسامِهَا وَهُوَ حَقٌّ .

[المُغَالَطَةُ] السَادِسَةَ عَشْرَةَ :

قَالُوَا: الكَلّامُ مَا تَضَمَّنَ كَلِمَتَيْنِ بِالْإِسْنَادِ، ولقائِل أَنْ يقولَ هَذَا التَّعْرِيف غيرُ جامِعٍ؛ لخروجِ الْجُمْلَةِ الْمَنْفِيَّةِ عِنْهُ نَحْوُ قَوْلِنَا: لَيْسَ زَيْدٌ قائِمًا، فإِنَّها إِنَّما تَضَمَّنَتْ كَلِمَتينِ مَعَ نَفِي اسْنَادِ أَحَدِهِمَا إلى الآخرِ مَعَ أَنَّهَا كَلَامٌ .

الجَوَابُ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ فِيهَا نَفِيَ الاسْنَادِ، لمَ لَا يجَوزُ أَنْ يكونَ اسنادُ النَّفِي، والحَقُّ أَنَّها سُمِّيَت كَلَامًا مَجَازًا بتبعيّةِ الجُمْلَةِ الثّبوتيَّةِ لَا بِالْأَصَالَةِ .

[المُغَالَطَةُ] السَابِعَةَ عَشْرَةَ:

كُلَّمَا كَانَ الكَلامُ مَوْجُودًا كَانَ الاسْمُ مَوْجُودًا لكونِهِ جُزْءَهُ، وَ كُلَّمَا كانَ الاسْمُ مَوْجُودًا لَا يَصِحَّ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، يَنْتُجُ مِنَ الشَّكْلِ كُلَّمَا كَانَ الكَلَامُ مَوْجُودًا لَا يَصِحَّ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ باطِلٌ .

الجَوَابُ: إِنَّ الضَّمِيرَ المَجْرُور فِي الكُبْرَى إِنَّمَا يعودُ إِلى الاسْمِ فتكونُ النَّتِيجَةُ كُلَّمَا كَانَ الكَلَامُ مَوْجُودًا لَا يَصّحَّ السُّكُوتُ عَلى الاسْمِ، وَهُوَ حَقٌّ .

[المُغَالَطَةُ] الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ :

كلُّ كَلَامٍ مُرَكَبٌ، وَكُلُّ مُرَكَبٍ إِمّا أَنْ يَصُحَّ السُّكُوتُ عليهِ وَإِمَّا أَنْ لا يَصُحَّ السُّكُوتُ عليهِ، فيلزم انقسام الكلام إلى ما يَصّحُّ السُّكُوتُ عَلْيْهِ وإِلى ما لا يَصّحَّ السُّكُوتُ عَلْيْهِ، (وَهُوَ باطِلٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلامٍ يَصّحُ السُّكُوتُ عَلْيْهِ) [٣١] .

الجَوَابُ :إِنَّما يلزمُ انْقِسَام الكَلَامِ إلى القِسْمَينِ المَذْكُورينِ إنْ لو كانَ صِدْقُ المُنْفَصِلَةِ مُسْتَلْزِمًا لصدّقِ كلّ واحدٍ مِنْ جُزْأَيها وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

[المُغَالَطَةُ] التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ :

لَوْ كَانَ الاسْمُ كَلِمَةً لَزِمَ أَنْ يكونَ الكَلَامُ أَيضًا كَلِمَةً، والمَلْزُومُ حَقٌّ واللازِمُ مثلُهُ. بيانُ الملازَمَةِ أَنَّ الكَلِمَةَ كَمَا (وَقَعَتْ جُزءًا مِنَ الاسْمِ)[٣٢] وَقَعَتْ جُزءًا مِن الكَلَامِ أَيضًا، فَلَوْ كانَتْ الجُزْئيةُ يَصِحُّ صِدْقُها على الاسْمِ وَجَبَ أَنْ يَصِحَّ صدقُهَا عَلى الكَلامِ أَيضًا، وَإِلّا يَلْزَمُ التَّحَكُمُ .

---

[٣١] ما بين القوسين ساقط من (أ) وأتممناه من (ب) و (ج) .

[٣٢] ما بين القوسين ساقط من (أ) وأتممناه من (ب) و (ج) .

الجَوَابُ: إنَّ أَجْزاءَ الشَّيءِ عَلى قِسْمَينِ: قِسْمٌ يتَمَايَزُ فِي الوُجُودِ الخَارِجِي كَالمادَّةِ وَالصَّورَةِ لَا يَصّحُّ صدقُهُ على المَجْمُوعِ؛ لامتيازِهِ عنهُ في الخارِجِ، وَقِسْمٌ لَا يَتَمايَز فِي الوُجُودِ بَلْ يَتَّحِدُ فيهِ كالجِنْسِ والفَصْلِ ويَصُّحُ صِدْقُهُ عَلى المَجْمُوعِ لاتحادِهِمَا فِي الوُجُودِ الخَارِجِي فالكَلِمَةُ جِنْسٌ للاسْمِ، وَمَادَةٌ للكلامِ، فَلَوْ صَحَّ صِدْقُهُا عَلى الاسْمِ لِكَونِهِمَا مُتَحدينِ فِي الوُجُودِ لَا يَلْزَمُ صِدْقهُ عَلى الكَلَامِ لِتَغَايُرِهُمَا فِي الوُجُودِ.

[المُغَالَطَةُ] العُشْرُون:

اعْتَرَضُوُا بأَنَّ تعريفَ الكَلَامِ يَقْتَضِي أنْ يكُونَ الكَلامُ مُغَايِرًا للكلمتينِ مَعَ الاسْنَادِ[٣٣]؛ لِأَنَّ الْمُتَضَمِّنَ لابُدَّ وأَنْ يكونَ مُغَايِرًا للمُتَضَمَّنَ، وَلَيْسَ كذلكَ؛ لأنَّهُ لَا مَعْنَى للكَلَامِ بلَا مَجْمُوعِ الكَلِمَتَيْنِ مَعَ الاسْنَادِ.

الجَوَابُ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الكَلِمَتَيْنِ مَعَ الاسْنَادِ كَلَامٌ إذْ الكَلَامُ هُوَ الاسْمَانِ أَوْ فِعْلٌ وَاسْمٌ، وَهُمَا أَخَصُّ مِنَ الكَلِمَتَينِ، أَوْ نَقُولُ: هذِهِ مَادَةُ الكَلَامِ وَإِنَّما يصيرُ كلَامًا إذا اتَّصَلَتْ بِهِ صُورَةُ الكَلَامِ؛ لمّا ثَبَتَ أَنَّ كُلّ مُرَكَبٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْ مَادَةٍ وَصُورَةٍ .

[المُغَالَطَةُ] الحَادِيَةُ والعِشْرُونَ:

الجُمْلَةُ يجبُ أَنْ تكونَ قِسْمًا مِنَ المُعْرَبِ، وَهُوَ باطِلٌ؛ لِأَنَّها قِسْمٌ مِنْ خَبرِ الْمُبْتَدَإِ، وَهُوَ قِسْمٌ مِنَ المَرْفُوُعِ الّذي هُوَ قِسْمٌ مِنَ المُعْرَبِ ليكونَ قِسْمًا مِنَ المُعْرَبِ، وَهُوَ باطِلٌ؛ لأنَّ الجُمْلَةَ غيرُ قَابِلَةٍ للإعرابِ.

الجَوَابُ: إنَّما يَلْزَمُ ذلكَ لَوْ وَقَعَتِ التَّقْسِيمَاتِ باعتبارٍ واحدٍ، أَمَّا إذا وقعتْ باعتباراتٍ مختلفةٍ فلَا يَلْزَمُ.

[المُغَالَطَةُ] الثَّانيةُ والعُشْرُونَ:

الاسْمُ مُنْقَسِمٌ إِلَى المُعْرَبِ وَالمَبْنِيّ، وَالمَبْنِيّ مُنْقَسِمٌ الى الِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، فالاسْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى الِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، وَهُوَ مُحَالٌ. الجَوَابُ: بِمِثْلِ مَا مَرَّ .

[المُغَالَطَةُ] الثّالثةُ والعُشْرُونَ:

قَالَ النَّحْوِيُّونَ: الْإِعْرَاب مَا اخْتَلَفَ آخِرُ الكَلِمَةِ بِهِ إِلَى آخِرِهِ [٣٤]. لقائِل أَنْ يَقُوُلَ: هَذَا التَّعريفِ غيرُ جامعٍ لِإعراب مِثْلُ عبدِ اللهِ وأَبـي عَمْرو[٣٥] وامريءِ القَيْسِ وابنِ الحَاجِبِ أَعلامًا، فانَّهُ اخْتَلَفَ بِهِ أَوسْطُ الكَلِمَةِ إلى آخرِهِ .

---

[٣٣] (الكَلَامُ مُغَايِرًا للكلمتينِ مَعَ الاسْنَادِ) مكررة في (أ) والتصحيح من(ب).

[٣٤] يُنْظَرُ: الكَافِيَة في النَّحْوِ ١١، وأَمالي ابن الحاجب ٢/ ٦٠٢، وشرح الرَّضيّ على الكَافِيَة ١/ ٥٦.

[٣٥] في نسخة (ب) وأبي عمر والصواب ما أثبتناه .

الجَوَابُ: أَنْ يُقال: هَذَا الّذي صَارَ وَسْطًا للكلمةِ كانَ آخِرًا لهَا فِي الأَصْلِ وَقَدْ عَرَضَ لَهُ بالعَلَميةِ بأنْ صارَ وَسْطًا للكَلِمةِ، وَالعِبْرَةُ للأَصْلِ لَا لِلعَارِضِ.

[المُغَالَطَةُ] الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:

قَالَ النَّحْوِيُّونَ[٣٦] غَيْرُ المُنْصَرِفِ مَا فيهِ عِلَتَانِ مِنْ تِسْعٍ [٣٧]. لقائلٍ أَنْ يَقُولَ: مجموعُ العِلّتينِ إمَّا أنْ لَا يكونَ سببًا تامًّا في مَنْعِ الصَّرْفِ أَوْ يَكُونَ، وَهُمَا باطلانِ أَمّا الأَوّلُ فَلِانَّهُ لَوْ لَمْ يكنْ سببًا تامًا في مَنْعِ الصَّرْفِ وَجَبَ أَنْ يَنْصَرِفَ الاسْمَ مَعَهُمَا وَلَيْسَ كَذلِكَ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِانَّهُ لَوْ كَانَ سببًا تامًّا يَلْزَمُ اجتماعُ سببينِ تامَّينِ عَلى أَثَرٍ واحدٍ فِي بعضِ الأسْمَاءِ غَيْر المُنْصَرِفَةِ الّتي فِيهَا سَبْعَةُ أَسْبابٍ أَوْ خمَسةُ أَسْبابٍ نَحْوُ: كَرْمَان وَأَذْرَبيجان، وَهُوَ مُحَالٌ.

الجَوَابُ: إنَّ هذهِ الأَسبابَ أَمَاراتٌ لِعَدمِ الانْصرافِ لا عِلَل مُستقلة، وَلَا مَانِعَ مِنْ تَعددِ الأَمَارَات .

[المُغَالَطَةُ] الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:

قَالَ صاحِبُ الكَافِيَةِ: غَيْرُ المُنْصَرِفِ مَا فيهِ عِلَّتانِ مِنْ تِسْعٍ أَوْ واحِدَةٍ مِنْهَا تَقُومُ مَقَامَهُمَا[٣٨]، ثُمَّ قَالَ:- بَعْدَ ذلكَ- وَحُكْمُهُ أَنْ لَا كَسْرَ فيهِ وَلَا تَنْوِينَ وَيجَوزُ صَرْفُهُ لِلضَّرُورَةِ أَوْ التَّنَاسُبِ مِثْلُ [قراءةِ نَافِع والكِسَائِيّ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عاصِم]:﴿سَلَاسِلاً وَأَغْلَالًا﴾[٣٩] وَ ﴿قواريرًا ﴾[٤٠] .

قالَ بعضُ الشَّارِحِينَ: فيهِ نَظَرٌ؛لأَنَّ الصَّرْفَ على مَذْهَبِهِ عبارةٌ عَنْ تَعرّي الاسْمِ عَنْ السَّبَبينِ المُعْتَبَرَيْنِ أَوْ عَنْ السَّببِ القَائِمِ مَقَامَهُمَا، وَهُوَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ وَقَصْدِ التَّنَاسُبِ غَيْر مُجَرَّدٍ عَنْهُمَا[٤١]. فَبَطِلَ قَوْلُهُ: وَيَجُوزُ صَرْفُهُ .

---

[٣٦] (قال النحويون) ساقطة من (ب) .

[٣٧] يُنْظَرُ : أَوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٨٩/١، وضياء السالك إلى أَوضح المسالك ٨١/١، والكَافِيَة في النَّحوِ١٢، والكناش في فنيّ النحو والصرف ١٢٢/١ .

[٣٨] يُنْظَر : الكَافِيَة فِي النَّحْوِ١٢ .

[٣٩] سورة الانسان/ من الآية ٤، والحديث هنا عن القراءة بتنوين (سلاسلًا)، وهي قراءة نافع وهشام وأبي بكر والكسائي للتناسب؛ لأن ما قبله وما بعده منوّن منصوب، وقال الكسائي وغيره من أهل الكوفة إنَّ بعض العرب يصرفون جميع ما لا ينصرف إلا أفعل التفضيل يُنْظَر: الكنز في القراءات العشر ٧٠/١، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧/ ٤٠٧، والكَافِيَة في النَّحْوِ ١٢.

[٤٠] سورة الإنسان/ من الآية ١٥، و(قوارير) هنا رأس آية فنوّن ليناسب بقيّة رؤوس الآي في التنوين أو بد له وهو الألف في الوقف، وأما قواريرًا الثاني فنوّن ليشاكل قواريرًا الأَوّل . يُنْظر : الكشاف ٤/ ٦٧٦ وحاشية الصبان ٣/ ٢٧٣.

[٤١] يُنْظر : شرح الرَّضيّ على الكَافِيَة ١/ ١٠٦.

وَأَقُولُ : لِمَ لَا يجوزُ أَنْ يعودَ الضَّميرُ فِي قولِهِ وَيجوزُ صَرْفُهُ إِلى الحُكْمِ لَا إِلى غيرِ المُنْصَرفِ أَيْ: وَيجوزُ رَدُّ حُكْمِ غَيْرِ المُنْصَرِفِ عَنْهُ للضَّرُورَةِ أَوْ التَّنَاسُبِ وَحينئذٍ سَقَطَ السُّؤالِ .

[المُغَالَطَةُ] السَّادِسَةُ وَالعُشْرُونَ:

قَالَ صَاحِبُ الكَافِيَةِ: العَدْلُ خُرُوجُهُ عَنْ صيغتِهِ الأَصليّةِ[٤٢]. قَالَ بعضُ الشَّارحينَ: الصَّوابُ أَنْ يَقُولَ: العَدْلُ إخراجُهُ عَنْ صيغتِهِ[٤٣]؛ لأَنَّ العَدْلَ مُتَعَدٍّ بِمَعْنَى[٤٤] مَعْدُول وَالخُرُوجُ لَازِمٌ[٤٥]، وَفيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الإِخْرَاجَ صِفَةُ الوَاضِعِ[٤٦]، وَالعَدْلَ صِفَةَ الاسْمِ، فَلَا يَجوز تفسيرُ أَحَدِهِمَا بالآخَرِ.

الجَوَابُ: بأَنَّ الإِخْرَاجَ كَمَا يَكُونُ لِلْمُخْرَجِ كَذلكَ يكونُ صفةً للمُخْرِجِ فَيَصِحّ تَفْسِيرُ العَدْلِ بِهِ .

[المُغَالَطَةُ] السَّابِعَةُ وَالعُشْرُونُ:

قالَ صاحبُ الكَافِيَةِ: التَّأْنيثُ بالتّاءِ شَرْطُهُ العَلَمِيَة[٤٧] وَفيهِ نَظَرٌ؛لأَنَّ الشَّرْطَ لَا يَلْزَمُ مِنْ وُجودِهِ وُجُودُ المَشْرُوطِ، والعَلَمَيَة يَلْزَمُ مِنْ وُجودِهَا وُجُود المَنْعِ مِنَ الصَّرْفِ فَلَا تَكُونُ العَلَمِيّةُ شَرْطًا بَلْ سَبَبًا مُسْتَقِلًّا، وَكَذَا القَوْلُ فِي عَلَمَيّة العُجْمَةِ وَالتّركيبِ وَغيرِهما[٤٨].

الجَوَابُ: إنَّ الشَّرْطَ قَدْ يَلْزَمُ مَعَهُ وُجُودُ المَشْرُوطِ لَا لِكَونِهِ شَرْطًا بَلْ لِأَنَّهُ شَرْطٌ أَخَر فَلِمَ لَا تَجوزُ العَلَمِيَةُ كذلِكَ.

[المُغَالَطَةُ] الثَّامِنَةُ وَالعُشْرُونَ:

إِنْ تَقُول: خَبَرُ الْمُبْتَدَإِ لَا يجوزُ أَنْ يكونَ (جمُلةً؛ لأَنَّهُ لو وَقَعَ جملةً، فإِمَّا أَنْ تكونَ)[٤٩] اسميَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً أَوْ غَيْرَهُمَا، فِإنْ كانَتْ اسميَّةً يَلْزَمُ أَنْ يكونَ خَبَرُ المبتدأ مساويًا لِلْكُلِّ فِي تَمَامِ الحَقِيقَةِ فَيَلْزَمُ تَرَكُّبُ الشَّيءِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ مُحَالٌ، وَإِنْ كَانَتْ فِعْليةً أَوْ غيرَهُا يَلْزَمُ تَرَكُّبُ الشَّيءِ مِنْ قَسميهِ[٥٠] وَهُوَ باطِلٌ ؛لِأَنَّ قَسِيمَ الشَّيءِ لَا يجتمعُ مَعَهُ، وَكُلّ جُزْءٍ مجتمع مَعَ الكُّلِ.

---

[٤٢] يُنْظَرُ : الكَافِيَة في النَّحْوِ ١٢ .

[٤٣] يُنْظَرُ : شرح الرَّضيّ على الكَافِيَة ١/١١٣، و الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب ١٠٦.

[٤٤] في (ب) و (ج) (لمجيء) والصواب ما أثبتناه .

[٤٥] يُنْظَرُ : الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب ١٠٦.

[٤٦] في(ب) و(ج) صفة الوضع .

[٤٧] يُنْظَرُ : الكافية في النَّحْوِ ١٢ .

[٤٨] في (ج) وغيرهما .

[٤٩] ما بين القوسين ساقط من (أ) وأتممناهُ من (ب) و(ج) .

[٥٠] في (أ) و(ب) وقسمه .

الجَوَابُ: إنَّا لَا نُسَلِّمُ امْتِنَاع مُسَاوَاةِ الجُزْءِ للكلِّ في تَمَامِ الحَقيقةِ فَإنَّ الإنسانَ جزءٌ مِنْ أفرادِهِ مَعَ المُسَاوَاةِ في تمامِ الحقيقةِ وإنَّما يزيدُ الأَفرادُ عليهِ بالعوارضِ المُشَخّصّاتِ، وَلَا نُسَلِّمُ أيضًا امْتِنَاع تَرَكُّبِ الشَّيءِ مِنْ قَسِيمَيهِ فإِنَّ الوُحَدَةَ قَسيمُ الكَثْرَةِ مَعَ أَنَّ الكَثْرَةَ مُؤَلَفَةٌ مِنْ الوَحْداتِ، قَوْلُهُ: لأنَّ قَسِيمَ الشَّيءِ لَا يجتمعُ مَعَهُ وَكُلّ جُزْءٍ يجتمعُ مَعَ الكُلّ. قُلْنَا: إنْ ارَدْتُم عَدَمِ الاجْتِمَاعِ فِي الوُجُودِ فَالصُّغْرَى مَمْنُوعةٌ وَإنْ أَرَدْتُم عَدَم الاجْتِمَاعِ فِي الصِّدقِ فالكُبْرَى ممنوعةٌ.

[المُغَالَطَةُ] التَّاسِعَةُ وَالعُشْرُونَ:

قالَ صاحِبُ الكَافِيَةِ: المَرْفُوعَاتُ هِيَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى عِلْمِ الفَاعليةِ[٥١]. لقائِلٍ أَنْ يقولَ: هَذا تعريفُ العامِ بِمَا هُوَ أَخَصُّ مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ جائزٍ، إنَّما قُلْنَا: إنَّهُ تعريفُ العَامِ بِمَا هُوَ أَخَصُّ مِنْهُ؛ لِأَنَّ المَرْفُوعَ أَعَمُّ مِنْ الفَاعِلِ لانقسامِهِ إليهِ وَإلى الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ (فَيكُوُنُ تَعريفُهُ تَعْرِيفًا لِلعَامِ) [٥٢] بِالخَاصِّ وَإنَّما قُلْنَا: إنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ ؛لأَنَّ الخَاصَّ أَخْفى مِنَ العَامِ لِكَونِهِ أَكْثَرَ قيودًا وَتَعريفُ الأَعْرَفِ بالأَخَفَى لَا يكونُ جائزًا .

[المُغَالَطَةُ] الثَّلَاثُونَ :

الِاسْتِثْنَاءُ المُوْجَبُ باطِلٌ؛ لأَنَّ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي الكَلامِ المُوجَبِ نَحْوُ:(جَاءَنِي القَوْمُ إلّا زَيْدًا) [٥٣] –مثلًا– إمَّا أَنْ يكونَ عامًّا أَوْ خاصًّا فَإنْ كانَ عامًّا (يَلْزَمُ مَجِيء جَمِيع النَّاسِ)[٥٤] وَهُوَ باطِلٌ، وَإنْ كَانَ خاصًّا لمَ يتناولْ (الْمُسْتَثْنَى يقينًا فَلَا يَصِحُّ الاسْتِثْنَاءُ، فَإنْ قُلْتَ: لِمَ لَا يجوزُ)[٥٥] أَنْ يكونَ الاسْتِثْنَاءُ قرينةً لتناولِهِ، قُلْتُ: لِأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ(متوقِفٌ عَلى)[٥٦] تناولِهِ فَلَوْ فَلَوْ كانَ(التَّنَاوُلُ متوقفًا على الاسْتِثْنَاءِ لَزِمَ الدَّوْر .

الجَوابُ: لِمَ لَا يَجُوزُ أنْ يكونَ خاصًا مَعْهُود الجَمَاعَةِ فَيَعْرِفُ المُخَاطَبُ دُخُول زَيْد فِيهِمُ فَيَصِحُّ الاسْتِثْنَاءُ، فَهَذا مَا أَرَدْنَا إيرادَهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ تَمَتْ) [٥٧].

[...] [٥٨] راقمُهُ لُطْفُ اللهِ [ابن أنو شروان] عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي يومِ الجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَة ٩٧٠ [هِجْرية] .

---

[٥١] يُنْظَرُ: الكَافِيَة في النَّحْوِ ١٤ .

[٥٢] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٣] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٤] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٥] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٦] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٧] ما بين القوسين فيه طمس أتممناه من (ب) و (ج) .

[٥٨] ما بين المعقوفتين فيه طمس.

القِسْمُ الثَّالِثُ : مصادِرُ التَّحقيقِ ومراجِعُهُ

القرآن الكريم

- الإبانـة فـي اللّغـة العربيّـةِ ، سَلَمَة بـن مُسْلِمِ العَوْتبي الصُـحاري (ت ق ٥ هـج)، ط١، تحقيـق : الـدكتور عبد الكريم خليفـة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
- إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاريّ، أحمد بن محمّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلانيّ القتيبيّ المصريّ، أبو العباس شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ .
- اعتراضات الرَّضيّ على سيبويه في شرح الكَافِية، محمّد بن عبد الله بن صويلح المالكي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٥هـ .
- أَمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل –بيروت، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .
- أَوضحُ المسالكِ إلى أَلفيةِ ابن مالك، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق : مُحَمّد محيي الدين عبد الحميد، دارُ العُلومِ الحديثة، بيروت، ١٤٠٢هـ –١٩٨٢م .
- تاجُ العروسِ من جواهِرِ القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين المعاصرين، الكويت، (د.ت) .
- التعريفات، علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمّد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبيّ ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور علي محمّد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ .
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أَبو محمّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المراديّ المصريّ المالكيّ (ت ٧٤٩هـ)،تحقيق : عبد الرحمن عليّ سليمان، ط١، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م .
- حاشية الصبّان على شرح الأُشموني لألفية ابن مالك، مُحَمّد عليّ الصبّان (ت ١٢٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- دُستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
- ديوان سقط الزّند، أبي العلاء المعرّي (ت ٤٤٩ هـ).شرح وتعليق د. ن . رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت) .
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مُحَمّد محسن بن علي بن مُحَمّد رضا الطهراني النجفيّ المعروف بآغا بزرك الطهرانيّ(ت١٣٨٩هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ .
- شرح الرضيّ على الكافية، رضي الدين محمّد بن الحسن الاستراباذي النحويّ (٦٨٦ هـ)، تحقيق وتعليق : يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- شرح المفصّل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا مُحَمّد بن علي أَبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصليّ، المعروف بابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- شرحُ المواقفِ، السيّد الشريف علي بن محمّد الجرجَانيّ (ت ٨٦١هـ)، وَمَعَهُ حاشيتا السَّيالكوتي والجلبيّ على شرح المواقف، ضَبَطَهُ وصحَّحَهُ: محمود عمر الدّمياطي، دار الكتب العلمية، (د.ت) .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله أبو مُحَمّد جمال الدين ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغنيّ الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع –سوريا (د.ت) .
- شرح كتاب الحدود في النَّحو، عبد الله بن أحمد الفاكهيّ النَّحويّ المكيّ (ت ٩٧٢ هـ)، تحقيق: الدكتور المتولي رمضان أحمد الدميريّ، ط٢، مكتبة وهبة –القاهرة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
- ضياء السالك إلى أَوضح المسالك، محمّد عبد العزيز النجار، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

❖ فتح ربّ البرية في شرح نظم الآجرومية، نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطيّ، أحمد بن عمر بن مساعد الحازميّ، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
❖ فهرس المخطوطات الإيرانية (دنا)، تأليف: مصطفى درايتي، المحرر: دكتور مجتبى درايتي، مؤسسة الجواد (ع) للثقافة والبحوث، طهران ، ١٣٨٩هـ .
❖ الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، تأليف : مصطفى درايتي، المحرر مجتبى درايتي، ط١، منظمة الوثائق والمكتبة الوطنية للجمهورية الاسلامية الإيرانية، طهران، ١٣٩٠هـ.
❖ الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، نور الدين عبدالرحمن الجاميّ (ت ٨٦٨هـ)، تحقيق : أسامة طه الرفاعي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ، ١٩٨٣م .
❖ في الغَلَطِ وَالمُغَالَطَة أو السَّفْسَطَة اللّغويَّة، الدكتور فيصل غازي مجهول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) .
❖ الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصريّ المالكيّ (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق : الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م .
❖ الكَشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ .
❖ الكناش في فنيّ النَّحو والصرفِ، أَبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمّد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخَوَّام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م .
❖ الكنز في القراءات العشر، أبو محمَّد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على بن المبارك الواسطيّ (ت ٧٤١هـ)، تحقيق : الدكتور خالد المشهداني، ط١، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
❖ لسانُ العربِ، محمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ .
❖ مع موسوعات رجال الشيعة، السيد عبدالله شرف الدين، دار الارشاد، بيروت،١٩٩١م.
❖ معجم الصواب اللّغويّ، الدكتور أَحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
❖ معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ الرازيّ، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
❖ المُفَصّل في صنعةِ الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الدكتور علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت،١٩٩٣م .

فوائد الصبّان (١٢٠٦هـ) النحوية في حاشيته على الأشموني (الأفعال أُنموذجاً)

الأستاذة الدكتورة نجلاء حميد مجيد

الباحث أحمد موسى حميد

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية

الملخص:

يهدف البحث إلى الوقوف على الفوائد التي وردت في حاشية الصبّان على شرح الأشموني، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي؛ للوصول إلى نتائج البحث، وقد قُسم البحث إلى مقدمة، وثلاث فوائد في الأفعال الأولى: حذف الخبر من الأفعال الناقصة، والثانية: الأوجه الإعرابية لـ(كان)، والثالثة: الموقع الإعرابي للجملة بعد المعلق، ونختم هذه الفوائد بخاتمة توضّح أهم ما توصّل إليه البحث.

الكلمات المفتاحية:

الصبّان، فوائد، حذف خبر الافعال الناقصة، أوجه إعرابية، الجملة بعد المعلق

المقدمة:

ذكر العلاّمة الشيخ أبي العرفان محمد بن علي الصبّان الشافعي المصري[١] في حاشيته على شرح الأشموني (٩٠٠هـ) على ألفية ابن مالك (٦٧٢هـ) فوائد متعددة عنون كل منها بـ (فائدة)، وعرّف اللغويون الـ(فائدة) بأنّها: ((ما أَفادَ اللهُ العِبادَ من خَيْرٍ يستفيدونَه ويَستحدِثونه، وقد فادَتْ له من عندنا فائدة، وجمعها الفوائد. ويقال: أفادَ فلان خَيراً واستفادَ))[٢]، وأصل الفائدة من الفيد والفائدة ((مَا اسْتَفَدْتَهُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ))[٣]

أمّا في الاصطلاح فلم نجد من عني بإفراد تعريف لها بوصفها مصطلحاً علمياً، إلا أنّ الكفوي ذكر أنّ (الفائدة) في الاصطلاح هي: ((مَا يَترتَّب على الشَّيء وَيحصل منه من حيثُ إنَّها حاصل منه))[٤]، وعُرّفت على أنّها:((الشيء المتجدد عند السامع يعود إليه لا عليه.))[٥]

هذا المصطلح (الفائدة) صار عُرفا شائعا في التأليف والشروح والحواشي والتعليقات،

---

[١] يُنظر: فهرس الفهارس:٧٠٥/٢

[٢] كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٧٩/٨ (باب الدال والفاء)

[٣] مختار الصحاح، للرازي : ٢٤٥(ف ي د)

[٤] الكليات للكفوي: ٦٩٤ (فصل الفاء)

[٥] التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين القاهري: ٢٥٦(فصل الألف)

ولا يختص بالنحو وعلوم العربية فقط، بل نجده في مؤلفات علوم القرآن والحديث والسيرة والفلسفة، وقد وظّف العلماء هذا المصطلح في مؤلفاتهم لغرض ((تقييدُ بها ما يمرُّ بهم من الفوائد، والشوارد، والبدائع؛ من نصٍّ عزيز، أو نقلٍ غريب، أو استدلالٍ محرَّر، أو ترتيبٍ مُبتكر، أو استنباطٍ دقيق، أو إشارةٍ لطيفة، يُقيِّدون تلك الفوائد وقتَ ارتياضهم في خزائن العلم ودواوين الإسلام، أو مما سمعوه من أفواه الشيوخ أو عند مناظرة الأقران، أو بما تُمليه خواطرهم وينقدح في الأذهان))(٦).

وكَثُرَ استعمال هذا المصطلح عند العلماء في الفترة الزمنية التي كَثُرَ فيها كتابة الشروح والحواشي، فنجد أنّ الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك استعمل (تنبيه) و(تنبيهان) و(تنبيهات). أمّا الصبّان فاستعمل مصطلحاً مغايراً للشارح فقال (فائدة)، (فائدتان)، (فوائد) لكي لا يقع القارئ أو الباحث في الشبهة بين كلام الشارح وكلام المُحشّي، وهذه المصطلحات مترادفة وتؤدي الغرض ذاته.

ويورد الصبّان لفظة (فائدة) في حاشيته عندما يريد أن يزيد كلاما على كلام الشارح، فيه رأي أو توضيح في الموضوع ذاته، لم يذكره الناظم ولا الشارح أو أنّهما تطرقا للموضوع لكنّ الصبّان يزيد في الفائدة زيادات وآراء تزيد الشرح وضوحا، وتُكمّله علميا، و بلغ عدد هذه الفوائد عند الصبان(إحدى وثمانين) فائدة متنوعة في موضوعاتها بين الصرف والنحو والسيرة والتأريخ، اختص بحثنا بتسليط الضوء على ثلاث فوائد نحوية في باب الأفعال، نُظهر فيها علمية الصبّان وسعة اطلاعه من خلال عرضنا لآرائه واستدراكاته واستشهاداته النحوية التي بثها في الفائدة.

أمّا منهجنا الذي اتبعناه في دراسة الفائدة اقتضى: وضع عنوانا للفائدة، وذكر مقدمة تكون مناسبة لموضوع الفائدة وتسهّل على القارئ فهمها، وذكر ما قاله الشيخ الصبّان وعنونه (بفائدة) نصا، وتخريج الفائدة، وتخريج الآراء النحوية التي ذكرها الصبّان في الفائدة والتحقق من صحتها ونسبتها إلى قائلها، وتفصيل القول في الفائدة مبينين آراء النحاة فيها مراعين الأقدم فالأقدم من النحاة، وتوصّل البحث إلى مجموعة من النتائج والملاحظ تكفلت الخاتمة ببيانها.

حذف الخبر من الأفعال الناقصة

الفعل: هو ما دلّ على وقوع حدث مقترن بزمن محدد، والفعل يكون مسندا ويرفع فاعلا يكون مسندا إليه ويكتفي الفعل بهذا المرفوع ويكوّن معه كلاما إنْ كان الفعل لازما.(٧) أمّا إذا كان الفعل متعدّيا فإنّه يحتاج إلى نصب المفعول؛ ليتمّ معه الكلام.

---

(٦) بدائع الفوائد: ٥-٦(مقدمة المحقق)

(٧) يُنظر: الأصول في النحو لابن السراج :٣٨/١، ٥٤، وأسرار العربية، لأبي البركات الأنباري : ٣٩.

وهناك أفعال تُسمّى بالناقصة تدخل على الجمل الاسمية فترفع المبتدأ كما يرفع الفعل الفاعل ويُسمّى اسمها، وتنصب الخبر كما نصبت الأفعال المفعول ويُسمّى خبرها.[٨] فلا تكتفي برفع الاسم فاعلا لها، بل تتعدى إلى نصب الخبر ولا تستغني عنه، وهذه الأفعال هي ((كان ويكون، وصار، وما دام، وليسَ، وما كان نحوهن من الفعل))[٩].

وسميت هذه الأفعال بالناقصة؛ لأنّ أصل الأفعال أنْ يُتِمَّ بها المعنى مع مرفوعها فتكتفي برفع الفاعل، أمّا الأفعال الناقصة فهي لا تكتفي بالمرفوع ولا تكوّن معه كلاما بل تحتاج إلى المنصوب لتتم الكلام، ولا تستغني عنه.[١٠] وعلى رأي أكثر النحويين سميت بالناقصة؛ لأنها تدلّ على الزمن فقط دون الحدث[١١]، ويُبطِلُ ابن الناظم (٦٨٦هـ) الرأي الأخير بقوله:((هذه الأفعال مستوية في الدلالة على الزمان، وبينها فرق في المعنى، فلابد فيها من معنى زائد على الزمان))[١٢]. فيُرجّح الرأي الأول في سبب التسمية.

وتحدّث الصبّان عن هذه الأفعال ومتى يصحّ الاقتصار على اسمها فقط وحذف خبرها في فائدة نحوية قائلا:

((ذكر في التسهيل أن (ليس) تختص بجواز الاقتصار على اسمها وحذف خبرها[١٣]. قال الدماميني (٨٢٧هـ): ((حكى سيبويه[١٤] (١٨٠هـ) (ليس أحد) أي هنا. انتهى)).[١٥] وقد بسّط المسألة صاحب الهمع فقال: ((قال أبو حيان[١٦] (٧٤٥هـ): نصّ أصحابنا على أنّه لا يجوز حذف اسم كان وأخواتها ولا حذف خبرها لا اختصارًا ولا اقتصارًا، أمّا الاسم فلأنه يشبه الفاعل، وأمّا الخبر فكان قياسه جواز الحذف لأنّه إنْ روعي أصله وهو خبر المبتدأ جاز حذفه، أو ما آل إليه من شبهه بالمفعول فكذلك، لكنه صار عندهم عوضًا من المصدر لأنه في معناه إذ القيام مثلًا كون من أكوان زيد، والأعواض لا يجوز حذفها. قالوا وقد يحذف في الضرورة[...][١٧] ومن النحويين من أجاز حذفه لقرينة اختيارًا وفصّل

---

[٨] يُنظر: أسرار العربية: ١١٦

[٩] الكتاب لسيبويه: ٤٥/١

[١٠] يُنظر: المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري: ٣٤٩

[١١] يُنظر: شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام: ١٣٧/١

[١٢] شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٩٨

[١٣] يُنظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك: ٥٥

[١٤] يُنظر: الكتاب: ٣٤٦/٢

[١٥] تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني: ٢١٦/٣

[١٦] يُنظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي: ٢٠٥/٤

[١٧] بتر الصبّان هنا جزءا من كلام السيوطي الذي نقله من همع الهوامع، يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٤٢٦/١

ابن مالك[18] (٦٧٢هـ) فمنعه في الجميع إلا ليس فأجاز حذف خبرها اختيارًا ولو بلا قرينة إذا كان اسمها نكرة عامة تشبيهًا بلا، وإلى هذا ذهب الفراء[19] (٢٠٧هـ) أيضًا. انتهى))[20] وكتب سم[21] على قوله (ولا حذف خبرها) انظر هذا يخالف ما يأتي في نحو (إن خير فخير) من أن خير الأول اسم كان المحذوفة مع خبرها فقد جوّزوا حذف الخبر هناك أو هذا مخصوص بذاك أو بحذف الخبر وحده فليحرر. انتهى))[22].

قلنا إنّ الأفعال الناقصة تدخل على الجمل الاسمية فترفع المبتدأ اسما لها، وتنصب الخبر خبرا لها، وقد تأتي هذه الأفعال تامة فتكتفي بالمرفوع فاعلا لها، ولا تحتاج إلى خبر ليتم معناها، واختصّ الفعل (ليس) من بين هذه الأفعال بلزوم النقص، وهذا محل وفاق بأنّه لا يستعمل تاما، وإنّما يكون ناقصا فقط.[23]

وإنّ حذف خبر (كان) وأخواتها ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال، لأنّه من أركان الجملة، وعلى الرغم من أنّ خبر كان أصله خبر المبتدأ فهو شبيه له من حيث الأصل ويشبه أيضا المفعول به؛ لأنه منصوب بعد فعل، وحذف الخبر أو المفعول سائغ في كلام العرب، وقَبُح أو قلّ حذف الخبر من هذه الأفعال الناقصة، لسببين:

الأول: لأنّ الخبر تعويضٌ لما نقص منها من دلالة الحدث، فالخبر متمّم للكلام ومعوّض للنقص، فلا يجوز حذفه لأنّ الغرض من مجيئه سينتقض.[24]

الثاني: إنّ الخبر هو المصدر في المعنى، وهو عِوض عنه والدليل على أنّه عوض عن المصدر، لا يصحّ القول (كان زيدٌ قائماً كوناً)، لكراهية الجمع بين المعوض والمعوّض منه، والخبر هنا بمعنى المصدر، فإنّ القيام كون من أكوان زيد، فالخبر كأنه من أجزاء الفعل، فقد استُغني به عن المصدر، وعُوّضَ عنه، فلا يصح حذف العِوض.[25]

وممن ذهب إلى عدم جواز الحذف من هذه الأفعال أبو حيان، وإنْ دلّ دليل على المحذوف،

---

[18] يُنظر: تسهيل الفوائد : ٥٥

[19] يُنظر: معاني القرآن للفراء: ٨٣/٢

[20] يُنظر: همع الهوامع: ٤٢٥/١ . ٤٢٦، نقل الصبّان هذا النص بتغيير طفيف

[21] يقصد بـ(سم) ابن قاسم العبادي (٩٩٤ هـ)، له مؤلفات عديدة منها حاشية ابن قاسم العبادي على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

[22] حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، للصبّان: ٢٢٧/١

[23] يُنظر: التذييل والتكميل:١٤٤/٤، وهمع الهوامع:٤٢٤/١

[24] يُنظر: شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر بن عمر البغدادي:٣١٧/٧

[25] يُنظر: شرح جمل الزجاجي المسمى ب(الشرح الكبير)، لابن عصفور: ٤١٠/١– ٤١١، والتذييل والتكميل: ٢٠٥/٤.

وما ورد من شواهد تدلّ على الحذف فهي غير مقيسة عنده[٢٦]. وإلى المنع ذهب الصبّان أيضا، وما يؤيّد هذا أنّه قد ورد في حاشيته قوله: ((لو قيل ما أكون زيدًا قائمًا لزم نصب أفعل لشيئين ولا يجوز حذف قائماً لامتناع حذف خبر كان))[٢٧]

وفي نصّ آخر لأبي حيان قال فيه: ((نصّ أصحابنا على أنّه لا يجوز حذف اسم كان وأخواتها ولا حذف خبرها لا اختصارا ولا اقتصارا)) فذكر الصبّان في هذه الفائدة تعليقا لابن قاسم العبادي حول قوله: (ولا حذف خبرها) قال فيه مخالفة لقولهم (إنْ خير فخير) فقد ذكر النحويون[٢٨] أنّ العامل في (خير) الأولى هي كان المحذوفة والتقدير (إن كان في عملهم خير فخير) فحذفت كان وخبرها، وممن جوّز الحذف ابن جني (٣٩٢هـ) مستشهدا بقول الشاعر:

أَسَكْرَانُ كانَ ابنَ المَرَاغِةِ إذ هَجا   تَمِيماً بجَوْفِ الشامِ أَمْ مُتَساكِرُ [٢٩]

فإنّ تقديره: أكان سكران ابن المراغة، فلمَّا حذف (كان) فسّرت بكان الثانية، أمّا خبر (كان) المحذوفة فهو محذوف معها، وإنّ (كان) الثانية دلّت على الأولى، و خبر كان الثانية الظاهر دلَّ على خبر الأولى المحذوف مع كان. [٣٠]

وإن كان الحذف فيما تقدّم للفعل والخبر معا فإنّ ابن الشجري (٥٤٢هـ) قد أجاز حذف خبر (كان) لوحده ومثّل له كأن يقول لك قائل: (من كان في الدار؟) فتقول: (كان أبوك)، فتحذف الظرف، ويقال: (من كان قائما؟) فتقول: (كان حموك)، فحذف الخبر (قائما)[٣١] وجُوِّز الحذف هنا لوجود دليل على المحذوف، ومن الشواهد الأخرى للحذف قول الشاعر:

فإنْ قَصَدُوا لِمُرِّ الحَقِّ فاقْصِدْ   وإنْ جارُوا فَجُرْ حتَّى يَصِيرُوا[٣٢]

يريد: حتى يصيروا لك تبعا،[٣٣] فحذف خبر يصير.

وحذف الخبر من هذه الأفعال مُختلَف فيه – كما تقدّم – إلا (ليس) فقد اختصّت ((بكثرة مجيء اسمها نكرة محضة، لمّا كان النفي من مسوّغات جواز الابتداء بالنكرة، وكانت (ليس)

---

[٢٦] يُنظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: ١٩٨/٧، ٣٧٩/٨

[٢٧] حاشية الصبّان على شرح الأشموني:٢٢/٣

[٢٨] يُنظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ١٥٦/٢، و شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ١١٩/١.

[٢٩] البيت من الطويل وهو للفرزدق، يُنظر: الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٤٧، والكتاب: ٤٩/١ ، ولم أجده في ديوانه

[٣٠] يُنظر: الخصائص لابن جني : ٣٧٧/٢

[٣١] أمالي ابن الشجري لابن الشجري: المقدمة /٥٣

[٣٢] البيت من الوافر وهو لعمرو بن الاهتم، يُنظر: شعر الزّبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم :٨٥

[٣٣] يُنظر: شرح ابيات مغني اللبيب: ٣١٧/٧

موضوعة للنفي))[٣٤]، فلم نجد اختلافا في حذف خبرها لوجود السماع المقتضي ذلك، فيجوز حذف خبرها اختياراً عند سيبويه[٣٥] إذ حكى عن العرب قولهم (ليس أحد) أي: هنا، فـ(ليس)هذه ليست تامة، بل هي ناقصة فاسمها (أحد) والخبر محذوف تقديره (هنا)، كذلك يسوغ حذف خبر (ليس) في قولهم (ليس الطيبُ إلا المسكُ) أي: ليس الطيب في الدنيا، ثم أبدل المسك من الطيب[٣٦].

وذهب ابن مالك إلى جواز الاقتصار على اسم (ليس) دون قرينة أي دون قرينة سوى كون اسمها نكرة عامة تشبيها باسم (لا) النافية للجنس، فقال: يجوز أن يساويه في الاستغناء به عن الخبر،[٣٧] واستشهد على ذلك بعدد من الشواهد منها قول الشاعر:

ألا يا ليلُ وَيْحَكِ نَبِّئينا   فأمّا الجودُ منكِ فليسَ جودُ[٣٨]

فحذف الخبر وتقديره (منك جودُ) أو (عنك جودُ)، ومثله قول الآخر:

يَئِسْتم وخِلْتم أنه ليس ناصر   فَبُوِّئْتُم من نصرنا خيرَ مَعْقِلِ[٣٩]

وردّ أبو حيان كلام ابن مالك مبيِّناً أنّ هذا القول ((ليس بجيّد لأنّه لم يستغنِ به عن الخبر، بل لابدّ من تقدير الخبر ضرورة أن كلّ محكوم عليه لابد من محكوم به له، فليس هذا من باب الاستغناء.)) [٤٠]

ولم يرتضِ ناظر الجيش (٧٧٨هـ) قول ابن مالك بجواز حذف الخبر بلا قرينة موضحاً أنّ القرينة موجودة؛ إذ إنّ الشواهد التي ذكرت بالاكتفاء بالاسم النكرة وحذف الخبر كانت بقرينة تدل على المحذوف ففي قول الشاعر: (ليس جود) التقدير: فليس منك جود، ومنك مذكورة قبل فهي دليل على المحذوف، وأمّا قوله: (وخلتم أنه ليس ناصر) فلا شك أن سياق الكلام وبقية البيت يدلان على المحذوف والتقدير أنّه ليس لكم ناصر، وأمّا ما حكاه سيبويه (ليس أحد)، فلا بد أنّ هذا الكلام يكون جوابا لسؤال: هل هنا أحد؟ ولذلك كان التقدير ليس هنا أحد.[٤١] وردّ ناظر

---

(٣٤) يُنظر: التذييل والتكميل في شرح التسهيل: ٢٠٤/٤

(٣٥) يُنظر: الكتاب: ٣٤٦/٢

(٣٦) يُنظر: المسائل الحلبيات، لأبي علي الفارسيّ: ٢٣١– ٢٣٢، وشرح أبيات مغني اللبيب٣١٧/٣.

(٣٧) يُنظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش: ٣٥٨/١

(٣٨) البيت من الوافر وهو لعبد الرحمن بن حسان يُنظر: الكتاب: ٣٨٦/١، وتمهيد القواعد: ١١٤٦/١. ولم أعثر عليه في ديوانه

(٣٩) البيت من الطويل وهو بلا نسبة يُنظر: شرح تسهيل الفوائد: ١/ ٣٥٩، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي: ١١٨٤/٣

(٤٠) التذييل والتكميل:٢٠٤/٤

(٤١) يُنظر: تمهيد القواعد :١١٥٠/٣، ١١٥١

الجيش اعتراض أبي حيان على ابن مالك مبيّناً أنّ قول ابن مالك يعني به ((الاستغناء به عن ذكر الخبر لا عن تقديره فإن التقدير لا بد منه كما أنّ خبر (لا) الذي نظر به لا بد من تقديره)). [٤٢]

الأوجه الإعرابية لـ(كان)

ذكر ابن مالك الأوجه الإعرابية لكان وأخواتها في قوله:

وَمَنْعُ سَبْقِ خَبَرٍ لَيْسَ اصْطُفِي ... وَذُو تَمَامٍ مَا بِرَفْعٍ يَكْتَفِي

وَمَا سِوَاهُ نَاقِصٌ، وَالنَّقْصُ فِي ... فَتِئَ لَيْسَ زَالَ دَائِمًا قُفِي

وَمُضْمَرَ الشّأْنِ اسْمًا انْوِ إِنْ وَقَعْ ... مُوْهِمُ مَا استَبَانَ أَنّهُ امْتَنَع

وَقَدْ تُزَادُ كَانَ فِي حَشْوٍ كَمَا ... كَانَ أَصَحّ عِلْمَ مَنْ تَقَدّمَا[٤٣]

فبيّن الأشموني (٩٠٠هـ) أنّ (كان) لها أربع حالات: (تامّة) أي تكتفي بمرفوعها ويكون فاعلا لها كما هو الحال في أصل الأفعال، (ناقصة) لافتقارها إلى المنصوب فلا تكتفي بالمرفوع بل تحتاج إلى منصوب ليتم المعنى به، (شأنية) يكون اسمها ضمير الشأن، (زائدة) وأكثر ما يكون ذلك بين ما وفعل التعجب، وزيدت بين الصفة والموصوف، وبين نِعمَ وفاعلها، ولا تزاد في لفظ المضارع إلا نادرا، ولا تزاد في غير الحشو.[٤٤] وعند شرح الصبّان كلام الأشموني، ذكر الفائدة الآتية :

((قال في المغني: يجوز في كان من نحو ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق : ٣٧] [...] نقصانها وتمامها وزيادتها وهي أضعفها،[...] والظرف متعلق بها على التمام وباستقرار محذوف مرفوع على الزيادة[٤٥] ومنصوب على النقصان إلا إنْ قدرت الناقصة شأنية فالاستقرار مرفوع لأنّه خبر المبتدأ. وكان في:﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [سورة النمل:٥١] تحتمل الأوجه الثلاثة لكنّها على النقصان لا تكون شأنية لأجل الاستفهام وتقديم الخبر (لأن خبر ضمير الشأن لا يكون إلا جملة خبرية متأخرة بجميع أجزائها)[٤٦]، وكيف حال على التمام، وخبر لكان على النقصان وللمبتدأ على الزيادة. انتهى[٤٧] مع زيادة

---

[٤٢] المصدر نفسه: ١١٥٠/٣

[٤٣] ألفية ابن مالك، لابن مالك : ١٩

[٤٤] يُنظر: شرح الأشموني: ١/ ١١٤ – ١١٨، وحاشية الصبّان: ٣٤٦/١– ٣٥٢

[٤٥] في حاشية الصبّان (زيادة) وما أثبتناه من مغني اللبيب هو الصواب. يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام: ٧٢٦

[٤٦] ما بين الأقواس كلام الشمني الذي أشار إليه الصبّان، يُنظر: المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، للدماميني:٢١٧/٢

[٤٧] يُنظر: مغني اللبيب: ٧٢٦/١ بتغيير طفيف

من الشُّمنُيّ (٨٧٢ هـ).))[٤٨]

وردت هذه الفائدة في باب (كان) وأخواتها ويُقصد بالأخوات النظائر أي (كان) ونظائرها، و يقسّم النحويون[٤٩] (كان) إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ناقصة

أ. أنْ تدل (كان) على الزمان المجرد عن الحدث ؛ نحو: كان زيد قائمًا ويلزمها الخبر[٥٠]، ويكون خبر (كان) مقترنا بالزمان التي جاءت عليه الصيغة إمّا ماضيا إذا كانت صيغة الفعل في الماضي(كان)، أو حالا، أو استقبالا إذا كانت صيغة الفعل (يكون)، وقد يدلّ على استمرار مضمون الخبر كما في قوله تعالى:﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: من الآية ١٣٤] ويكون هذا الاستمرار بقرينة، فالقرينة في الآية السابقة هي وجوب كون الله سميعا بصيرا[٥١]

ب . أن تكون (كان) بمعنى صار نحو قوله تعالى: ﴿ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٣٤] ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [سورة هود: من الآية ٤٣] أي بمعنى صار[٥٢].

ج . أن يجعل في (كان) ضمير الشأن، في هذا الوجه يضمر اسم (كان) وَهُوَ ضمير الشأن والحديث، فتَقع الجمل بعْدهَا أخبارًا عنها تقول (كان زيدٌ قائِمٌ) أي كان الشّأن والحديث زيد قائم، وكقول الشاعر:

إذا مُتُّ كان، الناسُ نِصْفين: شَامِتٌ   وآخَرُ مُثْنٍ بالذي كُنْتُ أَصْنَعُ[٥٣]

أَي: كَانَ الشَّأْن والْحَدِيث النَّاس نِصْفَين[٥٤]، وعُدّت (كان) الشأنية قسما مستقلا عن الناقصة ـ وإن كانت داخلة في اقسامها. لأمور عدّة منها:

أنّ اسم (كان) الشأنية لا يكون إلا مضمرا، ولا يجوز أنْ يُعْطَف ضميرا عليه، ولا يؤكد ولا يبدل منه، أمّا الخبر في (كان) الشأنية لا يكون إلا جملة ولا تحتاج هذه الجملة إلى عائد يعود على ضمير الشأن [٥٥]

---

[٤٨] حاشية الصبّان: ٢٤٠/١

[٤٩] يُنظر: الكافية في علم النحو لابن الحاجب : ٤٨

[٥٠] أسرار العربية: ١١٦/١

[٥١] يُنظر: شرح الرضي على الكافية، للرضي الإسترابادي: ١٨٩/٤

[٥٢] يُنظر: أسرار العربية:١١٥

[٥٣] البيت من الطويل وهو للعجير السّلوليّ يُنظر: شعر العجير السّلوليّ: ٢١٠. (بحث)

[٥٤] يُنظر: اللمع في العربية، لابن جني : ٣٨

[٥٥] يُنظر: شرح المفصل، لابن يعيش: ٣٥٠/٤

الثاني: التامة

فتستعمل (كان) تامة أي تكتفي بالمرفوع فقط ولا تحتاج إلى خبر، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]، أي: وإن حصل ذو عسرة،:﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[سورة الروم:١٧]، أي: حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح، فالأفعال هنا تامة؛ لأنها دلت على حدث وزمن، أمّا إذا سُلبت الحدث واختصّت بالزمن فهي ناقصة [٥٦]

الثالث: زائدة

فإنّ (كان) هنا تدخل مؤكّدة؛ فلا تحتاج إلى اسم ولا إلى خبر ولا تزاد إلّا إذا كانت ماضية، متوسّطة أو متأخرة، نحو: (مررت برجل كان قائم)، وأنشد سيبويه:

فَكَيفَ إذا مَرَرْتُ بِدَارِ قَومٍ وَجِيرَانٍ لنَا كَانوا كِرَامِ[٥٧]

أي: جيران كرام.[٥٨] فعدّ سيبويه (كان) هنا زائدة، وهي غير زائدة عند الجمهور لرفعها الضمير[٥٩] ويجعل النحاة لجواز زيادتها شرطين:

الأول: أن تكون بلفظ الماضي وشذّ قوله:

أنتَ تكون ماجدٌ نبيلُ إذا تهبُّ شمْال بليلُ [٦٠]

والثاني: ان تكون بين شيئين متلازمين ليسا جارّا ومجرورا، نحو (مَرَرْت بِرَجُل كَانَ قَائِم) أَي: مَرَرْت بِرَجُل قَائِم، فقد زيدت (كان) بين المبتدأ وخبره، وإن زيدت بين الجار والمجرور فهي من الشواذ[٦١] كقول الشاعر:

سَرَاةُ بني أبي بكر تَسَامَى عَلَى كَانَ المسَوَّمةِ العِرَابِ [٦٢]

ذكر الصبّان في هذه الفائدة أنّ (كان) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ لها أربعة أوجه. و (لمن كان له قلب) أي: لمن كان له عقل وتمييز، فالعرب تكني بالقلب عن العقل، فيقولون: قد دلّه قلبه على الشيء، يريدون: دلّه عقله[٦٣].

---

[٥٦] يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام: ٢٤٧/١

[٥٧] البيت من الوافر وهو للفرزدق يُنظر: شرح ديوان الفرزدق:٨٣٥.

[٥٨] يُنظر: اللمع في العربية: ٣٩ ، و البديع في علم العربية لابن الأثير: ٤٦٢/١، وأسرارالعربية:١١٥، وأوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ٢٥٠/١

[٥٩] يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٥١/١، ومغني اللبيب: ٣٧٨

[٦٠] البيت من الرجز، وينسب الى أم عقيل بن ابي طالب فاطمة بنت اسد، يُنظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك:٧٠/١، و ارتشاف الضرب: ١١٨٦/٣

[٦١] يُنظر: اوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ٢٤٨/١- ٢٥٠

[٦٢] البيت من الوافر وهو بلا نسبة، يُنظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٤٧٩/٢، واللمع في العربية:٣٩

[٦٣] يُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري: ٣٧٣/٢

وفصّل في هذه الأوجه ابن يعيش (٦٤٣هـ) قائلا: إذا كانت ناقصة فاسمها (قلب) وخبرها الجار والمجرور (له)، وجاز هنا الإخبار عن النكرة لأنّ الخبر شبه جملة جار ومجرور وقد تقدّمت على المبتدأ.

أمّا إذا كانت تامة فتكتفي بالمرفوع (قلب) ولا تحتاج إلى خبر، والجار والمجرور في موضع الحال كأنّه كان صفة النكرة، وقد تقدم عليها.

وأمّا إذا كانت زائدة فالمراد: لِمَن له قلبٌ، ويكون (له قلب) جملة في موضع الصلة. وأمّا كون (كان) بمعنى صار فيكون المعنى: لمن صار له قلب.[٦٤] وقد نبّه ابن يعيش على أنّ (كان) هنا هي قسم من أقسام (كان) الناقصة لكنّ الزمخشري (٥٣٨هـ) أفردها لما فيها من معنى مختلف، وهذا الوجه لم يذكره لا الزمخشري[٦٥] ولا الصبّان في هذه الفائدة فهو قد نقل كلام ابن هشام (٧٦١هـ) في مغني اللبيب ولم يرد في مغني اللبيب[٦٦] هذا الوجه. وذكر ابن يعيش هذه الأوجه الأربعة(ناقصة، تامة، زائدة، بمعنى صار)، ولم يذكر أنّها تكون شأنية، إلا أنّ الزمخشري[٦٧] وابن هشام[٦٨] ذكرا أنّ (كان) في الآية السابقة يمكن أن تكون شأنية واسمها ضمير الشأن، فيصبح التقدير (كأنّ الشأن له قلب)، فالشأن اسمها والجملة الاسمية خبرها.

أمّا في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِم﴾ فإنّ أغلب المفسرين والنحويين لا يذكرون في (كان) هنا إلا الناقصة إلا أنّ ابن هشام ذكر لها ثلاثة أوجه وهي:

ناقصة: اسمها (عاقبة) وخبرها اسم الاستفهام (كيف) مقدم.

تامة: مرفوعها (عاقبة) و(كيف) حال.

زائدة: (عاقبة) مبتدأ واسم الاستفهام (كيف) خبره.

وفي هذه الآية (كان) لا تكون شأنية لأن خبر ضمير الشأن لا يكون إلا جملة خبرية متأخرة بجميع أجزائها، وهنا خبر المبتدأ قد تقدّم وهو اسم الاستفهام (كيف) فامتنع هذا الوجه.[٦٩]

- لم يكن للصبّان رأي في المسألة بل كان ناقلا لرأي ابن هشام مع زيادة تفسيرية من الشمني.

- كان الصبّان أمينا في نسبة النصوص إلى اصحابها لكنه لم يكن دقيقا في نقل النصوص.

---

[٦٤] يُنظر: شرح المفصل : ٣٥١/٤

[٦٥] يُنظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٥١

[٦٦] يُنظر: مغني اللبيب: ٧٢٦

[٦٧] يُنظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٥١

[٦٨] يُنظر: مغني اللبيب : ٧٢٦

[٦٩] يُنظر: المصدر نفسه: ٧٢٦

الموقع الإعرابي للجملة بعد المعلق

يختصّ التعليق بالأفعال المتصرفة القلبية، فيبطل عملها لفظا لوجود مانع[٧٠]، والموانع التي تمنع نصب المعمول لفظا كثيرة منها أنْ يكون المعمول اسم استفهام أو تاليا للاستفهام، أو يكون متضمنا معنى الاستفهام، أو مضافا إلى اسم الاستفهام أو مستفهما عنه في المعنى أو مضافا إلى مُضمَّنه، أو يكون تالياً للام القسم أو للام الابتداء، أو يكون تاليا لـ (ما و إنْ و لا) النافيات، فهذه الأشياء توجب التعليق[٧١]

والتعليق يختصّ بالأفعال القلبية سواء أكان الفعل لازما أم متعديا إلى مفعول واحد أم إلى اثنين[٧٢]، ويوجب إبطال العمل لفظا لا محلا، بخلاف الإلغاء فهو يجيز إبطاله لفظا ومحلا[٧٣]، ففي قولنا: (علمت لزيد قائم)، لم يعمل الفعل (علم) فيما بعده لوجود المانع وهو لام الابتداء، فعلق عن العمل لفظا لا محلا فالجملة الاسمية (زيد قائم) في موضع نصب، بدليل أنك لو عطفت عليها لنصبت نحو: علمت (لزيد قائم وعمرا منطلقا). [٧٤]

وقد أُلحق بأفعال القلوب في التعليق أفعال اخرى ومنه ما حكاه سيبويه من قولهم: (أما ترى أيّ برق ههنا)[٧٥]، فقد علق الفعل (ترى) عن العمل بالرغم من أنّ الرؤيا هنا بصرية وليست قلبية.

وللجملة بعد الفعل المعلّق أحكام بيّنها الصبّان في فائدته قائلا:

((الجملة بعد المعلَّق سادة مسد المفعولين إن كان يتعدى إليهما ولم ينصب الأول، فإن نصبه سدّت مسدّ الثاني، نحو علمت زيدا أبو من هو، وإن لم يتعدّ إليهما فإن كان يتعدى بحرف الجر فهي في موضع نصب بإسقاط الجار نحو: فكرت أهذا صحيح أم لا وإن كان يتعدى إلى واحد سدّت مسدّه نحو عرفت أيهم زيد، فإن كان مفعوله مذكورا نحو عرفت زيدا أبو من هو، فقال جماعة الجملة حال[٧٦]. وردّ بأن الجملة الإنشائية لا تكون حالا[٧٧]. وقال آخرون بدل[٧٨] فقيل بدل كل بتقدير مضاف أي عرفت شأن زيد، وقيل بدل اشتمال ولا حاجة

---

(٧٠) يُنظر: إرشاد السالك إلى حلّ ألفية ابن مالك، لابن قيّم الجوزية: ٢٧٤/١

(٧١) يُنظر: المقرب لابن عصفور الاشبيلي،: ١١٩/١، وشرح تسهيل الفوائد: ٢/ ٨٨ – المقرب:١/ ١١٩

(٧٢) يُنظر: تمهيد القواعد: ١٥٣٣/٣

(٧٣) يُنظر: شرح تسهيل الفوائد: ٨٨/٢

(٧٤) يُنظر حاشية الصبّان :٣٢/٢

(٧٥) يُنظر: الكتاب : ٢٣٦/١.

(٧٦) ذهب الْمبرد والأعلم وَابْن خروف إِلَى أَن الْجُمْلَة فِي مَوضِع نصب حال يُنظر: همع الهوامع: ٥٦٠/١– ٥٦١

(٧٧) يُنظر: مغني اللبيب: ٥٤٥، و تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: ١٨٤/٤

(٧٨) ذهب إلى هذا الرأي السيرافي يُنظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١٣٧/٢ وابن عصفور في شرح جمل الزجاجي: ٣٠٢/١، ٣٠٣

إلى تقدير[٧٩]. وقال الفارسي[٨٠] (٣٧٧هـ) مفعول ثانٍ لعرفت بتضمينه معنى علمت واختاره أبو حيان[٨١] كذا في الهمع[٨٢] ومثله في المغني وزاد أنّ القول الأخير رُدّ بأن التضمين لا ينقاس، وهذا التركيب مقيس. ورجح في محل آخر[٨٣] القول بالبدلية قال((وعلى تضمين عرف معنى علم هل يقال الفعل معلق أم لا؟ قال جماعة من المغاربة إذا قلت علمت زيدا لأبوه قائم[٨٤] أو ما أبوه قائم، فالعامل معلق عن الجملة عامل في محلها النصب على أنها[٨٥] مفعول ثان وخالف بعضهم لأن حكم الجملة في مثل هذا أن تكون في موضع نصب وأن لا يؤثر العامل في لفظها وإن لم يوجد معلق نحو علمت زيدا[٨٦] ((أبوه قائم)) [٨٧].))[٨٨]

تحدّث الصبّان في هذه الفائدة عن موضع الجمل الواقعة بعد الفعل المعلّق، ولأهمية هذا الموضوع عند الصبّان فقد أفرد له هذه الفائدة خصوصا أنّ الأشموني لم يتطرّق لهذا الموضوع في شرحه.

وإعراب هذه الجمل يعتمد على نوع الفعل المعلّق وأنواع الفعل كما وردت في هذه الفائدة ثلاثة أنواع الأول أنْ يكون الفعل متعديا إلى مفعولين، والثاني أنْ يكون الفعل متعديا إلى مفعول واحد، والثالث أنْ يكون الفعل متعديا بحرف الجر.

ففي الفعل المتعدي إلى مفعولين فإنْ لم ينصب الأول كانت الجملة سادة مسد المفعولين فقولهم (علمت زيد أبو من هو)، فان الفعل (علمت) معلقا وسبب التعليق هو أنّ المعمول مستفهم عنه في المعنى، فعندما نقول (عرفت زيد أبو من هو) فمعناه: أزيد أبو عمرو أم أبو غيره؟. فإنّ جملة زيد أبو من هو سدت مسد مفعولي (علم). [٨٩]

أمّا إذا نُصب الفعل المتعدي إلى مفعولين مفعوله الأول فالجملة بعد المفعول الأول سادة مسد المفعول الثاني كقولهم (علمت زيدا أبو من هو) فزيدا هو المفعول الأول وجملة

---

[٧٩] ذهب إلى هذا الرأي ابن الصائغ يُنظر: همع الهوامع : ٥٦٠/١

[٨٠] يُنظر: التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي: ٦٩/١

[٨١] يُنظر: التذييل والتكميل: ١٠٧/٦

[٨٢] يُنظر: همع الهوامع: ٥٦١/١

[٨٣] يُنظر: مغني اللبيب: ٤٩٤– ٤٩٥

[٨٤] في حاشية الصبّان(علمت زيد لا أبوه قائم) وما أثبتناه هو الصحيح. يُنظر: مغني اللبيب: ٥٤٥

[٨٥] في حاشية الصبّان (انه) وما أثبتناه هو الصحيح. يُنظر: المصدر نفسه: ٥٤٥

[٨٦] في حاشية الصبّان (زيد) وما اثبتناه هو الصحيح. يُنظر: المصدر نفسه: ٥٤٦

[٨٧] يُنظر: مغني اللبيب: ٥٤٥، ٥٤٦ بتغيير ملحوظ مما أدى إلى تغيير في المعنى .

[٨٨] حاشية الصبّان:٣٢/٢

[٨٩] يُنظر : شرح جمل الزجاجي: ٣٠٢/١

(أبو من هو) سادة مسد المفعول الثاني. وجاز رفع (زيد) في هذه الحالة والفعل يكون معلقا وجملة (زيد أبو من هو) سادة مسد المفعولين، أي جاز في علمت التعليق والعمل.[٩٠]

أمّا إنْ كان الفعل المعلق يتعدى إلى مفعول واحد بواسطة حرف الجر فتسد الجملة التي بعد الفعل مسد المفعول، إذ قال ابن مالك: ((والجملة بعد المعلق في موضع نصب بإسقاط حرف الجر إن تعدى به))[٩١] نحو قولك (فكّرت أهذا صحيح أم لا) فالفعل (فكّر) لا يتعدى إلا بواسطة، فجملة(أهذا صحيح أم لا) في محل نصب مفعول لفكّر على إسقاط حرف الجر.[٩٢]

ولم نجد خلافا فيما سبق إلا أنّ الخلاف يكمن فيما إذا كان الفعل متعديا إلى مفعول واحد قد ذكر مفعوله، فقد اختلفوا في الجملة الواقعة بعد المفعول المنصوب، كما في قولهم (عرفت زيدا أبو من هو)، فذكر الصبّان الأوجه الإعرابية لجملة (أبو من هو) فقال إنّ جماعة من النحويين ذهبت إلى أنّها حال، ومنهم المبرد (٢٨٥هـ)، وردّ السيرافي (٣٦٨هـ) هذا الرأي ووصفه بالغلط ((لأنّ الجملة إذا كانت في موضع الحال، جاز أن تدخل عليها الواو كقولك: مررت بزيد وأبوه قائم وأنت لا تقول عرفت زيدا وأبوه من هو، فقد بطل الذي قال من الحال)).[٩٣] أمّا أبو حيان فأوضح أنّ المعنى بعيد عن الحال فجملة (عرفت زيداً أبو من هو) ليست على معنى(عرفت زيداً في هذه الحال)[٩٤] وردّ أيضا بأنّ الجملة الإنشائية لا تكون حالا[٩٥] وقد ذكر الصبّان الرد الأخير في فائدته – كما تقدم –.

أمّا الرأي الآخر فهو القول بأنّ الجملة **بدل** وهذا هو مذهب السيرافي إذ قال: ((والصواب عندي أن تكون الجملة بدلا من (زيد) وموضعها نصب بوقوع (عرفت) عليه، كأنك قلت: عرفت أبو من هو))[٩٦] وبعد أن عرض ابن عصفور (٦٦٩هـ)رأي السيرافي ذكر أنّه من باب بدل الشيء من الشيء. ثم قال : ((فإنْ قيل: زيد ليس بالجملة التي هي أبو من هو، فالجواب أنّ ذلك على مضاف محذوف تقديره (عرفت قصة زيد أبو من هو)، والقصة هي الجملة.))[٩٧] ولجأ إلى التقدير كي تصبح العبارة من عطف الجملة على الجملة، والظاهر أنّ ابن عصفور يرجّح كونه بدلا هنا لأنّه علل هذا الرأي ولم يعترض عليه كما فعل مع سائر الآراء التي

---

[٩٠] يُنظر: المصدر نفسه: ٣٠٢/١

[٩١] تسهيل الفوائد : ٢٤

[٩٢] يُنظر: التذييل والتكميل: ١٠٤/٦، وهمع الهوامع: ٥٦٠/١

[٩٣] شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١٣٧/٢

[٩٤] يُنظر: التذييل والتكميل : ١٠٧/٦

[٩٥] يُنظر: تعليق الفرائد:١٨٤/٤

[٩٦] يُنظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ١٣٧/٢

[٩٧] شرح جمل الزجاجي: ١/ ٣٠٢-٣٠٣

ذكرها[٩٨]، في حين أجاز ابن جني والزمخشري وابن مالك إبدال الجملة من المفرد[٩٩] كما في قول الشاعر:

إلى اللهِ أَشْكُو بالمدِينَةِ حاجَة وبالشامِ أُخْرَى كيفَ يَلتَقِيانِ ؟[١٠٠]

وجعل منها ابن مالك جملة ((عرفت زيدا أبو من هو))[١٠١].

أمّا ابن الضائع (٦٨٠هـ) فجعلها بدل اشتمال، كقولك: عرفت زيدا خبره[١٠٢].

وهناك من عدّ الجملة في محل نصب مفعولٍ ثانٍ للفعل(عرفت) لأنه ضُمّن معنى (علمت) وهو رأي أبي علي الفارسي[١٠٣]، وقد اختار أبو حيان الأندلسي هذا المذهب إذ قال: ((والذي أختاره هو هذا المذهب. والدليل على ذلك ـ أنه ضُمِّنَ معنى علمت، فتعدت إلى مفعولين ـ جواز رفع الاسم بعد عرفت، وانعقاد جملة من مبتدأ وخبر بعد عرفت، فتكون إذ ذاك معلقة عنه لأنه مستفهم عنه في المعنى، فتقول: عرفت زيد أبو من هو، كما كان ذلك في علمت زيد أبو من هو، فزيد مبتدأ، و (أبو من هو) جملة في موضع الخبر، فإذا انتصب كان على هذا المعنى من أن أصله مبتدأ وخبر، وكان المنصوب مفعولاً أول، والجملة موضع المفعول الثاني، كما كان خبرًا حين ارتفع الاسم الأول))[١٠٤]

ووافقهما ابن عصفور في (المقرب) فبعد ذِكْره رأيين فقط في هذه المسألة هما البدل والتضمين رجّح التضمين بقوله ((قيل إنّ الفعل في جميع ما ذكر من قبيل ما يتعدى إلى مفعولين، إمّا بحق الأصل وإمّا بالتضمين وهو الصحيح عندي))[١٠٥]، ولكنّه رفض التضمين في كتابه (شرح جمل الزجاجي) إذ قال: ((وذلك فاسد لأن التضمين ليس بقياس فلا يقال به ما وجدت عنه مندوحة))[١٠٦]

إنّ الصبّان اكتفى في فائدته بعرض الآراء الواردة في هذه المسألة اعتمادا على ما ذُكر في مغني اللبيب وهمع الهوامع ولم يرجح رأياً معيناً إلا أنّه قد صرّح برأيه في هذه المسألة في

---

[٩٨] يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٠٢-٣٠٣

[٩٩] يُنظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١٠٤٩/٢

[١٠٠] البيت من الطويل نسب للفرزدق ونسب لعمر بن أبي ربيعة أيضا وليس في ديوانيهما. يُنظر: شرح تسهيل الفوائد : ٣٤٠/٣، وخزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي: ٢٠٨/٥

[١٠١] يُنظر حاشية الصبّان: ١٣٢/٣

[١٠٢] يُنظر: تعليق الفرائد: ١٨٤/٤

[١٠٣] يُنظر: التعليقة على كتاب سيبويه: ٦٩/١

[١٠٤] التذييل والتكميل : ١٠٧/٦

[١٠٥] المقرب: ١٢١/١

[١٠٦] يُنظر: شرح جمل الزجاجي: ٣٠٢/١

موضع آخر من الحاشية وذلك عند شرحه لجملة (عرفت زيداً أبو من هو) قائلا:(((أبو من هو) أبو مبتدأ ومن مضاف إليه وهو خبر والجملة بدل من زيدًا بدل اشتمال لا مفعول ثان؛ لأن عرف إنما يتعدى إلى مفعول واحد.))[١٠٧].

ويبدو للباحث أنّ جملة (أبوه قائم) الواقعة بعد المعلّق أقرب للبدل وذلك لعدم رد هذا الرأي أو نقضه أو تضعيفه من قبل النحاة.

وقد أشار الصبّان في آخر فائدته إلى جانب آخر من هذه المسألة وهو اختلاف القائلين بالتضمين في (عرفت زيداً أبو من هو) هل يقال إنّ الفعل معلّق أو لا؟ واختلافهم هنا مبني على اختلافهم في جملة (علمت زيدا لأبوه قائم) ونحوها فإنّ جملة (لأبوه قائم) في محل نصب مفعول ثان للفعل (علم) المعلق بعد أنْ نصب (زيدا) مفعولاً اولاً، وهذا ما ذهب إليه مجموعة من المغاربة إلا أنّ بعضهم لم يرتض هذا القول وذهبوا إلى أنّ الجملة في موضع نصب في الأصل إذ وقعت مفعولا ثانيا مع عدم وجود المعلّق، في نحو (علمت زيدا أبوه قائم)، فـ(أبوه قائم) جملة اسمية في محل نصب مفعول ثان للفعل (عرف) من دون تعليق، فليس للعامل الداخل على الجملة تأثير في لفظها.

الخاتمة والملاحظ:

- الفوائد التي ذكرها الصبّان يلقي فيها ضوءً ساطعاً على جزئية معينة أو نكتة، اظهارا لأهميتها بعامةٍ أو عنده خاصة.
- من معايير الصبّان لاختيار الفائدة وذكرها هو ندرة هذه الفائدة ونعني بالندرة عدم شيوعها في كتب النحويين إذ إنّ من تحدّث عن أغلب هذه الفوائد قليل من النحويين وكأنّه أراد بذلك أن يسلط الضوء على مسألة قلّ من ذكرها وأشار إليها مع ما فيها من أهمّية.
- أدّت الفوائد الغرض الحقيقي لوجودها، فاغلبها وضّحت معنًى مبهما في المتن وأزالت الإلباس عنه وأتممت النقص إنْ وجد.
- إنّ أغلب هذه الفوائد وإن كانت نصوصا منقولة إلا أنها ضمّت نكتاً لطيفة منها ما لم يذكره الناظم ولا الأشموني، ومنها مالم يذكره النحويون عامة، وأغلب الفوائد لا يقع عليها الباحث بسهولة. وهذا يدلّ على حسن اختيار الصبّان لفوائده.
- كان الصبّان متنوعا في نسبة الآراء التي يوردها فتارة يصرّح باسم صاحب الرأي فيقول: (قال الفارسي)، (اختاره أبو حيان) وتارة يقول: قال جماعة أو آخرون أو قيل. وتارة أخرى يذكر اسم الكتاب فيقول: (كذا في الهمع) أو (مثله في المغني)، وإنّ هذا الاختلاف قد يكون سببه أنْ ينقل من مصادر معينة، فيعتمد أحيانا على طرقهم في نسبة الآراء ويلجأ في أحيان أخرى

---

[١٠٧] حاشية الصبّان: ١٣٢/٣

إلى طريقته الخاصة. ـ ذكرَ الصبّان جميع الآراء فيما يخص مسألته التي طرحها وهذا دليل على علمه وسعة اطلاعه.

ـ **في الفائدة الأولى** إنّ حذف الخبر من الأفعال الناقصة مختلَف فيه لأنه عوض والأعواض لا يجوز حذفها، لكن ورد في كلام العرب حذف الخبر للضرورة إن دلّ عليه دليل، ومن النحويين من أجاز حذف الخبر في غير الضرورة وهو ضعيف في القياس وقلما يوجد في الاستعمال. أمّا حذف الخبر من الفعل (ليس) جائز لورود السماع بذلك إن دلّ عليه دليل، ويجب تقدير الخبر، فالفعل (ليس) لا يساوي (لا) النافية للجنس في الاستغناء عن خبرها.

ـ إنّ الصبّان كان ناقلا للنصوص ولم يعطِ رأيه في المسألة إلا أنّه مع عدم جواز حذف الخبر من الأفعال الناقصة ولكنّه لم يصرّح بهذا الرأي في الفائدة الأولى، وإنّما ذكر ذلك في موضع آخر من الحاشية.

ـ **في الفائدة الثانية** بعد أنْ ذكر الأشموني أنّ (كان) تأتي ناقصة وزائدة وتامة وشأنية وبمعنى صار نبّه الصبّان إلى أنّ هذه الأقسام قد تجتمع في كلام واحد.

ـ أنّ (كان) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ لها أربعة أوجه هي الزيادة والنقصان والتمام وأنْ يكون اسمها ضمير الشأن، أمّا في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِم﴾ لها ثلاثة أوجه فكان هنا لا يكون فيها ضمير الشأن؛ لأنّ ضمير الشأن لا يكون إلا جملة خبرية متأخرة بجميع أجزائها.

ـ **في الفائدة الثالثة** يرجّح الصبّان بدل الاشتمال في إعراب جملة (أبو من هو) في قولهم (عرفت زيدا أبو من هو) وقد صرّح بهذا الرأي في موضع آخر في حاشيته، وكان أمينا في نسبة الآراء إلى أصحابها لكنه لم يكن دقيقا في نقله عن ابن هشام مما أدى إلى تغيير في المعنى، ونعتقد أنّ الخطأ من الناسخ.

المصادر:

القرآن الكريم

١. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٢. **إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك**، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية (٧٦٧ هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن عوض بن محمد السهلي الناشر: أضواء السلف – الرياض ط: الأولى، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م.

٣. **أسرار العربية**، لعبد الرحمن بن محمد أبي البركات كمال الدين الأنباري (٥٧٧هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط: الأولى ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٤. **الأصول في النحو**، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (٣١٦هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان –بيروت.

٥. **ألفية ابن مالك**، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين (٦٧٢هـ) ، الناشر: دار التعاون.

٦. **أمالي ابن الشجري**، لضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م.

٧. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لابن هشام، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر –بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.
٩. **بدائع الفوائد**، لابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، الناشر دار عالم الفوائد، ط: الأولى.
١٠. **البديع في علم العربية**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور فتحي أحمد علي الدين، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
١١. **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، الناشر: دار القلم –دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط: الأولى.
١٢. **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
١٣. **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد**، لمحمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني (٨٢٧ هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن عبد الرحمن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
١٤. **التعليقة على كتاب سيبويه**، لأبي علي الفارسيّ، تحقيق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، ط: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
١٥. **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**، لمحمد بن يوسف، المعروف بناظر الجيش (٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور علي محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة –مصر، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ.
١٦. **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، الناشر : دار الفكر العربي، ط : الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
١٧. **التوقيف على مهمات التعاريف**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب –القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
١٨. **الجمل في النحو**، لابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط: الخامسة، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
١٩. **حاشية الصبّان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني** ، للعلامة محمد ابن علي الصبان، (١٢٠٦هـ) ، الناشر: انتشارات زاهدي –قم ، ط: الثالثة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.
٢٠. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٢١. **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة.
٢٢. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، لمحمد بن القاسم ، أبي بكر الأنباري (٣٢٨هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢.
٢٣. **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٤. **شرح أبيات مغني اللبيب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي، (١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، بيروت، ط: (ج ١ – ٤) الثانية، (ج ٥ – ٨ الأولى).
٢٥. **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، لعلي بن محمد بن عيسى، أبي الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، (٩٠٠هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار الكتاب العربي . بيروت ـ لبنان، ط: الأولى (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).
٢٦. **شرح الرضي على الكافية**، لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (٦٨٦هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، الناشر: جامعة قاريونس ـ بنغازي، ط: الثانية، ١٩٩٦.
٢٧. **شرح الكافية الشافية**، لابن مالك، تحقيق وتقديم: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
٢٨. **شرح المفصل للزمخشري**، ليعيش بن علي بن يعيش ، أبي البقاء الموصلي، المعروف بابن يعيش (٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٩. **شرح تسهيل الفوائد،** لابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، الدكتور محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

٣٠. **شرح جمل الزجاجي المسمى ب(الشرح الكبير)،** لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور، (٦٦٩هـ) قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فوّاز الشعّار ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣١. **شرح ديوان الفرزدق،** لهمام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي أبي فراس، جمع وطبع وتعليق: عبد الله الصاوي، الناشر مطبعة الصاوي.

٣٢. **شرح قطر الندى وبل الصدى،** لابن هشام، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، ط: الحادية عشرة.

٣٣. **شرح كتاب سيبويه للسيرافي،** لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط الأولى، ٢٠٠٨ م.

٣٤. **شعر الزّبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم،** دراسة وتحقيق الدكتور سعود محمود عبد الجبار، جامعة قطر، الناشر: مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط : الاولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٥. **شعر العجير السلولي،** لعمير بن عبد الله بين عبيدة بن سلول (٩٠هـ) بحث لمحمد نايف الدليمي، مجلة المورد المجلد الثامن ـ العدد الأول، دار الحرية للطباعة في بغداد سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٦. **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،** لمحمد عَبْد الحَيّ، المعروف بعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي –بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م.

٣٧. **الكافية في علم النحو،** لابن الحاجب، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، ط: الأولى، ٢٠١٠ م.

٣٨. **كتاب العين،** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٩. **الكتاب،** لسيبويه عمرو بن عثمان أبي بشر، (١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٤٠. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،** لأيوب بن موسى الكفوي، أبي البقاء (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت.

٤١. **اللمع في العربية،** لأبي الفتح ابن جني، تحقيق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.

٤٢. **مختار الصحاح،** لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت –صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٣. **المسائل الحلبيات،** لأبي علي الفارسيّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٣٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٤. **معاني القرآن،** لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر، ط: الأولى.

٤٥. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** لابن هشام، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: السادسة، ١٩٨٥.

٤٦. **المفصل في صناعة الإعراب،** للزمخشري، تحقيق: الدكتور علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال –بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٣.

٤٧. **المقرب،** لابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الاشبيلي، (٦٦٩هـ) ، تحقيق احمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط الاولى ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م .

٤٨. **المنصف من الكلام على مغني ابن هشام،** للإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، بهامشها شرح الامام محمد بن ابي بكر الدماميني. طبع الجزء الاول في مطبعة البهية بمصر، أما الجزء الثاني فطبع بمطبعة محمد أفندي مصطفى.

٤٩. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية –مصر.

ابنُ سهل اليَكِّي (ت ٥٦٠هـ)
حياته وما تبقى من شعره

الأستاذ المساعد الدكتور صفاء عبد الله برهان
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

هذا البحث هو تعريف بالشاعر الأندلسي ابن سهل اليَكِّي، وهو من شعراء الاندلس المخضرمين، ممن عاش في زمن دولة المرابطين بالأندلس، وامتد به العمر حتى أدرك دولة الموحدين هناك. وتنقل بين الاندلس والجزائر والمغرب حيث أدركته المنية هناك. وقد اشتهر بكثرة هجائه، حتى عُدّ هجّاء عصره ومصره، وكان يقرن بالشعراء الهجّائين الكبار بالمشرق. ولاسيما أن هجاءه كان في أغلبه هجاء جمعيا، سار في اتجاهين، الاول رسمي، مثّل موقفا سياسيا من المرابطين، والاخر شعبي: مثّل موقفا اجتماعيا من أهل فاس؛ لذلك ضاعت أكثر أخباره وأشعاره، أسوةً بالكثير من شعراء الأندلس الذين لم يبقَ من آثارهم إلا القليل اليسير، فجاءت مفردات هذا البحث خطوةً أولى في ذكر معالم حياة ذلك الشاعر، ثم توثيق ما وصل إلينا من شعره، بحسب ما سار عليه صُنّاع الدواوين الشعرية، تمهّد لما بعدها إن قدّر الله تعالى اكتشاف أسفار أندلسية من دواوين ومختارات شعرية؛ لتكتمل به حلقة من حلقة الإرث الأندلسي المفقود.

الكلمات المفتاحية: (ابن سهل اليَكِّي، مرسية، فاس، اختيارات الرعيني، المرابطون).

المقدمة:

كان العهد المرابطي بالأندلس (٤٨٣هـ ـ ٥٤١هـ)، حلقةً متفردة من حلقات عهودها؛ لأنه مثّل وجودا خارجيا ضروريا؛ فبجهودهم أنقذت الأندلس من السقوط، فضلا عن أن ذلك التدخل الخارجي، فرض على الأندلس أن تتوحد مع بلاد المغرب، تحت حكم سياسي واحد، هو حكم الدولة المرابطية، بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وخلفائه من بعده إلى أن زال ظلّهم من الأندلس سنة ٥٤٠ هـ . وكان ذلك التغيير الكبير في النظام السياسي الأندلسي، مزعجا لعدد من الزعامات المحلية الأندلسية؛ لأنها شهدت تغييرات اجتماعية وثقافية متعددة، وهو ما دعا إلى ظهور أصوت شعرية جارت ذلك التغيير وأخرى عارضته، ومنها من تنقلت بين التأييد والمعارضة.

ولعلّ ابن سهل اليَكِّي، يمثل صوتا أندلسيا متفردا في تلك المرحلة المهمة؛ لأن للرجل

شأنا شعريا كبيرا، بخاصة أنه ممن أثنى على المرابطين بدءًا وذمهّم عودًا، كذلك نال من أهل فاس المغربية، ولعلّ هذا الأمر مما جعل شعر ذلك الشاعر يعاني الفقدان إلى حد كبير، فلم يصل إلى أيادي الباحثين منه سوى مقطعات شعرية، متناثرة هنا وهناك لم يلتفت إليها كثيرا بالدرس والبحث.

لقد كان ذلك الشأن دافعا للباحث إلى لملمة شتات ما تبقى من شعر الشاعر، وقد قدّم له بدراسة عن الشاعر وشعره، عساه قد وفق في وضع لبنة أولى في التعريف بالشاعر وما تبقى من شعره. بخاصة أن هذه المحاولة هي الأولى لجمع ما تبقى من شعر ذلك الشاعر الأندلسي الكبير، ولم تسبق بنظيرة لها، بحسب ما توصل إليه علم الباحث، بعد استقصاء طويل قام به الباحث. وقد انقسم البحث على قسمين:

_ **القسم الاول:** (شذرات من حياة الشاعر)، ودفعني بمتابعة تلك الحياة، بما توافر منها في المصادر، وقد مّرت بدراسة عصر الشاعر، فاسمه ونسبه، فمنزلته حيث الآراء التي قيلت في شعره، فوفاته. بعدها بيان شعره وشعريته، والأغراض التي اشتهر بها الشاعر.

_ **القسم الثاني:** (ما تبقى من شعره) وقد عني بتوثيق ما وصل إلينا منه، مراعيا السبق الزمني في وضع رواية المتن، وجعل ما لحقها رديفا لها مع بيان الاختلاف في الهامش. وترتيب القطع الشعرية تبعا لحروف الروي، مبتدءًا بالمضموم فالمفتوح فالمكسور فالساكن، وبيان البحور التي تنتمي إليها القطع الشعرية، ومن ثم شكْل الأبيات شكلا تاما؛ لئلا ينصرف معنى اللفظ إلى سواه، بعدها شرح ما يحتاج إلى بيان من تلك الألفاظ، وكذلك تعريف بالإشارات الدينية والتاريخية والأدبية في تلك الأبيات.

لقد واجه الباحث في ذلك ثمة مصاعب، بحسب تناثر شعر الشاعر في المصادر، ووجود خرم في صدور الأبيات وأعجازها، كذلك اضطراب عدد من القطع إملائيا وعروضيا، فضلا عن ورود كثير من الأعلام المغمورين ممن لم يتوصل إلى معرفتهم. وما هون ذلك هو خدمة تراث الفردوس المفقود الذي عانى نكبات الفقدان، ولعلنا بذلك قد كشفنا عن وجهٍ من وجوه الأندلس الشعرية.

القسم الأول

شذرات من حياة ابن سهل اليَكّي

عصر الشاعر:

شهدت الأندلس غرَّة القرن الخامس للهجرة مجموعة تقلبات سياسية مصيرية، اتسمت بالضعف والتشرذم؛ لسيرة ملوك الطوائف السيئة، وكان لظهور المرابطين (الملثمين)، أثر في قلب تلك الحال، بعدما كاتبهم أهلها؛ لاستنقاذهم من العدو القشتالي، فنهض الأمير يوسف

بن تاشفين، وهزم عدوهم في موقعة الزلاقة المشهورة سنة (٤٧٨ هـ).

لكن ملوك الطوائف نكصوا على سيرتهم الأولى، وعرضوا الأندلس للزوال من جديد، وهو الشأن الذي دعا عددا من كبار فقهاء المغرب والأندلس إلى حتمية إنقاذ الأندلس، فافتوا للأمير يوسف في ذلك، فجاز البحر عازما على القضاء على ملوك الطوائف، فانتظمت الأندلس والمغرب سنة ٤٨٣ هـ في نظام سياسي واحد للمرة الأولى في تاريخهما. (ينظر: الناصري، ١٩٥٥،ج ٢/ ص ٥١).

لقد قُدِّرَ على الأندلس أن تحافظ على وجودها؛ بسبب جهود أولئك المرابطين، فشهدت أيام عدل ورخاء، تحت ظل الأمير يوسف الذي وصفه ابن أبي زرع الفاسي (ت ٧٢٦هـ)، بقوله: (كان رحمه الله بطلا مجدا مغوارا نجدا حازما مهابا ضابطا لملكه، متفقد الموالي من رعيته، حافظا لبلاده وثغوره، مواظبا على الجهاد، مؤيدا ميسورا جوادا كريما شيخا زاهدا في الدنيا). (الفاسي، ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص ١٣٦).

وهكذا بقيت حال الأندلس الرغيدة حتى وفاة الأمير يوسف غرة سنة (٥٠٠هـ)، ليخلفه ولده عليّ الذي ورث ملك أبيه في المغرب والأندلس شرقا وغربا. وكان الأمير عليّ يُعدُّ في الزهاد كأبيه، واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين والعلم، ولم يقطع أمرا في جميع مملكته من دون مشورة أهل العلم. ولكن زهده وتواضعه سبَّب في كثرة الاضطرابات التي شهدها حكمه؛ إذ خرجت بعض النواحي ضده، بل لقد تطاولت حاشيته عليه، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة؛ لاستيلاء أكابر المرابطين المتمردين عليها، واستبدادهم بالأمر، وتصريحهم بأنهم خير من أمير المسلمين، وأحق بحكم البلاد منه. (ينظر: المراكشي، عبد الواحد المراكشي، ٢٠٠٦، ص ١٣٥).

وازداد الأمر سوءًا بظهور حركة مناوئة، تزعمها المهدي بن تومرت (ت ٥٢٤هـ)، وقد أدَّت هذه إلى اختلال أمر المرابطين؛ إذ ذكر ابن أبي زرع الفاسي في أحداث سنة (٥١٤هـ): (ظهر المهدي الموحدي بالمغرب، واجتمع في طريقه من الشرق بعبد المؤمن بن علي، وفي سنة تسع عشرة ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل، واشتغلوا بحرب المهدي والموحدين القائمين عليهم بجبل درن، وعجزوا عن نصرة بلاد الأندلس، وضعفت أحوالهم، واشتغلوا بأنفسهم عنها، وقوي أمر الموحدين، وملكوا بلادا كثيرة من بلاد المغرب، حتى ضاقت الأرض على المرابطين). (الفاسي، ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص ١٧١).

بلحاظ أن نشوب تلك الاضطرابات الكبيرة، لم يُنسِ الأمير علياً أمر الجهاد بالأندلس، فقد ولَّى ابنه سير ولاية عهده، وجعل له الأمر من بعده، وولي ابنه تاشفين إمارة غرناطة وما جاورها، فاتخذها مركز الإدارة العامة لشؤون الأندلس، ولم تمضِ بضعة أعوام على ولاية تاشفين، حتى صدر إليه مرسوم أبيه سنة ٥٢٦ هـ، بتعيينه واليا لقرطبة، وجعلها دار سكناه،

واستقّر بها ونظر في مصالح أمور الأندلس. (ينظر: عنان، محمد عبدالله، ١٩٩٣، ص١٤٤).

أبلى الأمير تاشفين في جهاده بلاءً حسنا، ومما يذكر في ذلك أنه في سنة ٥٣٠ هـ، غزا جموع الروم في بعض المعارك وأفنى منهم خلقا كثيرا، وتردد ذلك الأمر في سنة ٥٣٢هـ، عندما غزاهم في موقعة أخرى، وجاز بعدها إلى المغرب، وحمل من سبيها ستة آلاف سبية، فوصل مراكش، فتلقاه والده عليّ أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به. وبعد وفاة الأمير عليّ سنة ٥٣٧هـ، ولي ابنه تاشفين، وكان ما تحته لا يعادل ما تحت الموحدين، وتوفي الأمير تاشفين بعد سنتين، وكانت ولايته كلها حروب ضد الموحدين بزعامة عبد المؤمن بن عليّ، تلميذ ابن تومرت وخليفته من بعده. (ينظر: الناصري، ١٩٥٥، ص ١٤٤).

وما زال أمر المرابطين في انحدار، واستمر ذلك حتى أيام إسحاق بن عليّ سنة ٥٣٩ هـ، وكان آخر الأمراء المرابطين؛ إذ تداعى سلطانهم في تلك السنة تداعيا مريبا، ولم تقم لهم قائمة في الحكم وقتذاك. كما ذكر ابن الأبار، بقوله: (في سنة تسع وثلاثين أخذت دولة الملثمين فِي الانتقاض والانقراض). (البلنسي، ابن الأبار، ١٩٨٥، ج٢/ ص ٢٥٠). وهكذا وصلت دولتهم إلى الانقراض، كان ذلك عندما حاصر عبد المؤمن بن عليّ مراكش في غرة سنة ٥٤١هـ ثم اقتحمها، فلجأ الأمير إسحاق وجماعته إلى قلعة بالمدينة. فقبض عليهم وحملوا إلى عبد المؤمن فقتلهم. (ينظر: الصنهاجي، أبو بكر، ١٩٧١، ص ٦٣_ص ٦٥).

ومما اشتهر عن الموحدين عند توليهم الحكم، هو بناء دولتهم على أسس عقدية، اتخذت من دعوة المهدي بن تومرت أساسا لها، كذلك تسمي ملوكهم بالخلافة، وكان أولهم عبد المؤمن (٥٢٤هـ ـ ٥٥٨هـ)، وقد توجهت أنظاره الى الجهاد بالأندلس ضد أعدائها، كما بيّنه عبد الواحد المراكشي: (أقام عبد المؤمن بجبل الفتح، مرتبا للأمور، ممهدا للمملكة؛ وأعيان البلاد يفدون عليه في كل يوم، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى عليه من جزيرة الأندلس). (المراكشي، عبد الواحد، ٢٠٠٦، ص ١٦٥).

وبعد وفاته خلفه ولده يوسف (٥٥٨ هـ_ ٥٨٠هـ)، وكان كسلفه في الفضل والعدل والورع، حافظا للقرآن الكريم، وعالما بالحديث النبوي، متفننا في العلوم الشرعية والأصولية. وتأسيسا على ذلك شهدت العدوتان في أيامه رواجا للعلم والمعرفة، وكان فضل الموحدين على المعارف عظيما، فإنهم حافظوا على ما اختاروه منها، كذلك فقد شجعوا الكثير من العلوم التي لم تكن رائجة، أو كان محظورا رواجها في العهد المرابطي. (ينظر: المنوني، محمد عبد الهادي، ١٩٨٩، ص١٤).

لقد اعتنى أولئك السلاطين بالحركة الشعرية، ومن يطالع كتب المؤرخين لتلك المرحلة، يدرك كمية الأشعار التي رافقت أيام الموحدين، ومنها نزول عبد المؤمن على جبل الفتح؛

إذ استدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءً ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم. فانشد في مجلسه شعراء من العدوتين، وكان يعقِّب على قصائد أولئك الشعراء معجبا ببعضها وناقدا لبعضها الآخر. وقد عرف عنه في ذلك اليوم أنه كتب رسالة حاثّا إياهم على الجهاد بالأندلس، وختمها بقصيدة مطلعها: [الطويل]

أقيموا إلى العلياء هُوج الرَّواحل وقودوا إلى الهيجاء جُرْد الصواهلِ

(المراكشي، عبد الواحد، ٢٠٠٦، ص ١٦٥).

وكان ذلك منه إدراكا لمنزلة الشعر في مواكبة فتوحاته، وبّث الحماس في أشياعه ببلاد العدوتين، وتشجيعا للحركة الأدبية والفكرية التي ارتفع رصديها في عهده، كما في عهد أولاده من بعده، بما فاق ما سلفهم من دول بما لا حاجة لبيانه؛ لشهرته واستفاضته.

اسمه ونسبه:

هو يحيى بن عبد الجليل بن سهل اللخمي. (ينظر: الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، ج٢/ص ٦٧٧ & الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، ص ١٣٢& الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٦& الغرناطي، ابن الزبير، ٢٠٠٨، ج٣/ ص ٤٠٠). اتفقت كلمة أغلب مؤرخيه على كنيته، وهي (أبو بكر). (ينظر: الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، ج٢/ ٦٧٧ & الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٦ & الغرناطي، ابن الزبير، ٢٠٠٨، ج٣/ ص ٤٠٠).

على حين انفرد صفوان ابن إدريس بكنية أخرى، وهي: (أبو عبد الله). (ينظر: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٣٣٢). ويبدو من نسبه فهو ينتمي إلى قبيلة لخم، وهي من أشهر القبائل اليمانية، وقد دخلت هذه القبيلة الأندلس عند فتحها، واستقرت فروعها في عدد المدن الأندلسية، ومنها إشبيلية والجزيرة الخضراء. وإليها ينتمي (آل عباد) حكام إشبيلية في عصر الطوائف. كذلك ظهرت منها أسر كبيرة، ومنهم (بنو حجاج)، الأسرة المتنفذة بإشبيلية بالأندلس. (ينظر: السامرائي، الدكتور خليل إبراهيم،٢٠٠٠، ٧٧).

لم يذكر المؤرخون سنة ولادة ابن سهل ومكانها، أما عن لقبه فقد اشتهر باليَكِّي نسبة إلى بلدة (يَكَّةُ). وقد ذكر ابن الزبير الغرناطي (ت ٦٢٧هـ)، قائلا عنه:(أصله من يَكَّةَ بجوفي مرسية). (الغرناطي، ابن الزبير، ٢٠٠٨، ج٣/ ص ٤٠٠).

وهو ما ذكره ياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ)، بيد أنه اشتبه بتحديد مكانها عندما نسبها للمغرب. (ينظر: الحموي، ياقوت، ١٩٧٧، ج٥/ ص ٤٤٠). ولعل منشأ اشتباهه؛ لأن اليَكِّي سكن في المغرب فظن أن تلك البلدة منها. بخلاف ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣هـ) الذي أوضح مكانها بدقة؛ لأنه زارها أكثر من مرة، فتحدث عنها ذاكرا أنها: (حصن في جوف مدينة مرسية، على خمسة وأربعين ميلا منها، وتشتبه ببكة، بالباء بواحدة من أسفل. وهي على مقربة من جزيرة

طريف على ساحل البحر الملح، رأيتها غير مرة). (الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، ص ١٣٢). ثم غادر ابن سهل الأندلس، ولم تذكر المصادر سبب تلك المغادرة أو زمانها، واستوطن ابن سهل اليَكِّي بلدة فاس، بعد أن غادر الأندلس ولا نعلم سبب مغادرته، وكان له أن يزور الجزائر، كما بان في بيتين تشوق فيهما إلى تلك البلاد، قائلا: [الطويل] (القطعة ٨).

سَقَى اللهُ أَرْضَ الشَّرْقِ صَوْبَ غَمامَةٍ وَ لَا زَالَ مَنْهَلًا بِأَرْضِ الجَزَائِرِ

بِلَادٌ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْرًا تُؤُمُّهَا وَدِدْتُ بِأَنِّيْ فِيْ قَوَادِمِ طَائِرِ

ومما يلحظ أن اليَكِّي لم يسمِ الموضع الذي زاره بالجزائر، كذلك لا نعرف سبب زيارته وزمانها والمدة التي قضاها هناك، ولم يردنا شيءٌ من شعره هناك، ولاسيما أن الرجل ردد التشوق إلى الجزائر في موضع آخر من شعره، ما يدل على أنه قد طاب له المقام بها، بخلاف فاس التي تعرض إلى أهلها كثيرا في شعره.

منزلته:

على الرغم من قلة المصادر التي ذكرت الشاعر، إلا أن المتتبع لسيرتهِ يدرك احتفاءً واضحا به؛ بحسب تنوع أبعاده شخصيته الأدبية. وهو ما قرره كل من تعرض لسيرتهِ ؛ فقد أثنى عليه أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩هـ)، ولكنه ازدرى عليه خبث لسانه، قال فيه: (أديب شاعر تصرف في فنون، وتعرف حتى بالضب والنون وهو خبيث الهجاء). (الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، ج٢/ ٦٧٧). ووصفه ابن الزبير الغرناطي بالفحولة والإجادة، وبيَّن شيوع شعره.

كذلك ذكر رواية الناس لشعره وعنايتهم به، ما يدل على منزلته الرفيعة، بحسب شعره الرصين الذي تنقل بين الناس، فقد ذكر ابن الزبير الغرناطي عنه: (كان من فحول الشعراء المجيدين، روى الناس شعره، واعتنوا به حدّث عنه أبو علي حسن بن مسعود بن فتحون المليلي، لقيه بفاس سنة ٥٥٥). (الغرناطي، ابن الزبير، ٢٠٠٨، ج٣/ ص ٤٠٠).

ونقل ابن دحية الكلبي حكايةً طريفة، وقعت لليَكِّي مع بعض معاصريه من الشعراء بفاس، ممن توافق مع اليَكِّي في شهرته بالهجاء واتجاهاته، وقد دلت تلك الحكاية على منزلته في عصره. فقد نقل عن أبي جعفر أحمد بن محمد البتي (ت ٤٩٠ هـ)، قائلا: (ساقته يوما سوائق الأقدار، في بعض الأسفار؛ وقد ولى شباب النهار؛ إلى خان بمغيلة من أنظار فاس، تأوي إليه الغرباء من الناس؛ فتبوأ من بيوته أحرجها، وأهجنها وأسمجها. وكان من معاصريه الأستاذ أبو بكر اليَكِّي وكان مثله في أخذ الأعراض والهجاء، والتقدم بين فرسان تلك الهيجاء؛ وكل واحد منهما على لقاء صاحبه حريص، بيد أن ماله عن ملازمة مركزه محيص. فبينما ابن البتي جالس بذلك البيت وقد انسدلت ستور الظلام، وهمعت دموع الغمام؛ إذ هجم عليه لتوقي المطر رجل

فسلم وجلس، وأذكى الخاني القبس، فقال أبو بكر اليَكِّي:

و قـنـدِيـْـلٍ كَـــأنّ الضَــوءَ مِـنْــهُ   مُحَـيَّا مَــنْ أُحِــبُّ إِذَا تَـجَـلَّــى

فأجابه أبو جعفر بن البتي بقوله:

أَشَــارَ إِلَــى الدُّجَــى بِلِـسَــانِ أَفْعَــى   فـشـمَّـــر ذَيْـلَـــهُ فـرَقًـا وَوَلَّـى

فقال: أنت البتي! فقال: أنت اليَكِّي! فتعانقا وباتا يقتطفان ثمر السمر، إلى أن غارت النجوم وغاب وجه القمر). (الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، ص ١٢٥).

وممن ذكر اليكيَّ أبو الحسن الرعيني (ت ٦٦٦ه)، بما أظهر موهبة الشاعر في التصرف بالأغراض والمعاني، بحسب ما لها من شرائط الإنشاد وتنوعه ودوافعه، وبان من فحوى كلامه أنه من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا عصر المرابطين والموحدين: (باقعة زمانه، وحطيئة أوانه، إذا مدح ترنم بالإحسان وصدح، وإذا هجا أقذع وشجا، وكلاهما في قالب الإبداع قد أفرغ، وما شاء من الحسن والانطباع قد سّوغ، وإنما ذكرته في هذا المجموع؛ لأنه تراخت به أيامه، وأغضى عنه حمامه، حتى أدرك الخلافة المهدية الفاضلة العلية). (الرعيني، ٢٠١٩، ٢٧٦)

وقول الرعيني هذا يُنبئ عن نبوغ ابن سهل اليَكِّي؛ تبعا لذائقة حساسة، ومرجعية رصينة، وصوت داخلي عالٍ. وهو من أهم ما نتحصل عليه من شعر أي شاعر؛ لأنه يصور مشاعره بصورة صادقة، ويعبر عن مواقفه من الأشخاص والأحداث بواقعية، فيكون شعره تمثيلا لحياته وأحداث عصره؛ لهذا ظهرت تلك الألفاظ كما بيّنها الرعيني بقوة في الألفاظ والتعابير والمعاني. وقد أعقبه ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ه) الذي شبهه بابن الرومي والحطيأة معا، لما له من قريحة خصبة في الهجاء، فقال فيه: (هَذَا الرجل هُوَ ابْن رومي عصرنا وحطيئة دَهْرنَا لَا تجيد قريحته إِلَّا فِي الهجاء وَلَا تنشط بِهِ فِي غير ذَلِك من الأنحاء). (الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ٢٦٦).

وفاته:

أما عن وفاة ابن سهل اليَكِّي، فكانت وفاته بمدينة فاس المغربية في أيام الموحدين، وأكد بعض مؤرخيه أنها كانت بعد سنة (٥٦٠هـ). (ينظر: الأصفهاني، العماد، ١٩٨٦، ٥٨٠).

شعره:

قدر على أغلب شعر اليَكِّي، أن يكون رهين الفقدان ولم يصل إلينا سوى هذه النبذة من شعره، فكان للباحث أن يضم بعضها إلى بعض، فيخرج منها هذا المجموع الشعري، الذي يمثل صورة مؤقتة، تمثلت بـ(٤٤) قطعة شعرية، مثلتها (٤١) مقطوعة، و(٣) قصائد قصيرة، كذلك

وردت قطعتان شعريتان نسبت له ولغيره من الشعراء، وسنوضح ذلك في محله، ولعلّ الهجاء الذي غلب على شعره، كان من الأسباب التي غيبت أكثر شعره، الذي يبرز الجدول بقيته:

ت	الغرض	قصائد	مقطوعات	الأبيات
١	الهجاء	٢٠	٤، ٧، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٢٩،، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١	٦٢
٢	الغزل	٥، ٩	٣، ٨، ١٢، ٢١،٢٣، ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٢	٣٧
٣	مدح		٢٥، ٣٠، ٣١، ٤٣	٨
٤	الوصف		٢، ٢٤، ٢٧، ٤٤	٧
٥	الرثاء		١، ١٦	٦
٦	الشكوى		٦	٤
٧	الفخر			٢
٨	الموشح			موشحة
٧	المجموع			١٣٢

أولا: الهجاء.

كان الهجاء عنوان شعر ابن سهل اليَكِّي، إلى الحد الذي دفع العماد الأصبهاني إلى القول عنه: (كل ما ينظمه هجو). (الأصفهاني، العماد، ١٩٨٦، ص٥٨٠). ومن هنا نجد أن هذا الغرض كان يحضر في فكر اليَكِّي، ويطغى على رؤيته في الأشخاص والأشياء والأحداث؛ لذا وجدنا هجاءه يجرد المهجو من المحاسن، ويذكره بالصفات الذميمة موجودة أم مبتكرة، ولا يخلو ذلك من الفحش في القول، بما ينبو عنه الذوق. بلحاظ أن أغلب هجائه كان هجاءً جمعيا، عبّر فيه الشاعر عن سخط كبير من المهجويين، وقد سار فيه اتجاهين رئيسين، تقاربا في طبيعتها، وهما:

_ **الاتجاه الأول:** (الهجاء السياسي)، وتمثل ذلك في (هجاء المرابطين وأعيان دولتهم).

_ **الاتجاه الثاني:** (الهجاء الاجتماعي)، وأغلبه في هجاء أهل مدينة فاس المغربية.

وفي كلا الاتجاهين نجد اليَكِّي هجَّاء محترفا، ذا هجاء مؤلم وقاسٍ على مهجويه، فهو يشهّر بهم وسلوكهم وفكرهم، فكانت مفرداته ذات وقع كبير في المتلقي المقصود (المهجوين)، بحسب ما تمثله من صوت الشاعر العالي، وكانت نوازعه وطريقته في الهجاء تجذب إليه المفردات الملاءمة لهذا الغرض، فترتبط بترديد ذاته داخل الأبيات الشعرية، ويكون للهجاء نغمته اللفظية والمعنوية التي تطغى عليها. وهو ما يعني أن الشاعر كان مدركا لمعاني الهجاء في أولئك القوم، فأكثر وصف أخلاقهم المذمومة، يتخلله في ذلك سخرية واضحة.

فمن أمثلة الاتجاه الأول (الهجاء السياسي)، عدد من الأبيات قالها في هجاء المرابطين

ملوك عصره، وهي: [الكامل] (القطعة ٣٥)

إِنَّ المُــرَابِــطَ لَا يَكُــوْنُ مُرَابِطًا حَتَّــى تَــرَاهُ إِذَا تَــرَاهُ جَبَــانَــا

تَـجْـلُـوْ الرَّعِـيَّـةُ مِنْ مَخَافَـةِ جَـوْرِهِ لِجَــلَائِــهِ إِذْ يَلْتَقِــيْ الأَقْـرَانَــا

وهنا ربط هجاءه السياسي بمنظومة الأندلسي المحلية، ذات المنافرة المزمنة مع المغاربة، ونجده يندد بجورهم ولاتها من المرابطين على الأندلس، ويرغب النفس في الانتصاف منهم، فكان هجاؤه ذا نزعة محلية، تمثل رؤية أندلسية تُعنى بسلبية سياسة المرابطين.

كان سعي ابن سهل اليَكِّي مستمرا؛ لينال من المرابطين بما ألصقه بهم من دونية، وكانت أهاجيه تعتمد قناعاته الشخصية، فيظهر حقيقة التعاطي المسؤول مع أصل الدعوة التي شرعها بهجائهم، بتعبير متماسك في مقاصده، فصلت بين المرابطين والفضائل، فكان ينوِّع في هجائه فيهم بنحو واعٍ، ويربطه بأساس مقبول عند المتلقي، كما قال: [الكامل] (القطعة ٣٧)

فِــيْ كُـلِّ مَـنْ رَبَــطَ اللِّثَــامَ دَنَــاءَةٌ لَــوْ أَنَّـــهُ يَـعْـلُـوْ عَلَـى كَـيْـوَانِ

فَـإِذَا طَــلَـبْـتَ مُرَابِــطًا مُتَكَـرِّمًا فَاطْلُبْ شُــوَاظَ النَّــارِ فِـيْ الغُــدْرَانِ

فقد ركن إلى شعارهم (اللثام)، وأطلق لسانه في الازدراء بهم، وإن حكموا وعلوا بموطنه الأندلس، وهي مفردات تتناسب مع الظروف المحيطة؛ بحسب ما لمسه الأندلسيون من خشونة طبع الملثمين، فعمق تجلياتها في ما وضحته مفردة (دناءة)؛ ليكسب هجاؤه طابع الخصومة المستديمة، بما يلامس الوعي الجمعي لمجتمعه الأندلسي، الذي لم ينسجم مع طبيعة الملثمين، فلم يرَ لهم شرفا في النسب والفكر والقول، بل أفحش في هجائه لهم.

ويبدو أن سبب ذلك الموقف السياسي في هجاء اليكي، هو انتشار الفساد والانحلال في أركان دولة المرابطين، ما أدى إلى اختلال الأوضاع السياسية بالعدوتين، وكان ذلك كما قدمنا لاستبداد المرابطين على الأمير عليّ بن يوسف، حتى وصلت الحال كما ذكر المراكشي: (صارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة، مشتملة على كل مفسد وشرير، وقاطع سبيل وصاحب حمر وماخور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وبما يرفع إليه من الخراج، وعكف على العبادة والتبتل، فكان يقوم الليل ويصوم النهار، مشتهرا عنه ذلك، وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال، فاختل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس، وكادت تعود إلى حالها الأول). (المراكشي، عبد الواحد، ٢٠٠٦، ١٣٥).

وتأسيسا على رؤيته السلبية للمرابطين، فقد شمل هجاؤه السياسي عمالهم بالأندلس؛ لما ظهر منهم من فساد في الأحكام، ونراه يقحم السخرية مشفوعة بالفحش في هجاء بعض قضاتهم، وما دعاه إلى ذلك هزالة الأحكام وشراء الذمم، فكان بهجائه عارضا لطبيعة قضاة الأندلس

والمغرب، فما تركوا لأمثاله سوى ردَّات الفعل القوية، بكل ما تتضمنه من ألم وتأزم، كما قال في هذا البيت في بعض قضاتهم بموطنه: [الكامل] (القطعة ٤١)

أَرْشِ الزَّنَاتِيَّ الفَقِيهَ بِبَيْضَةٍ   يَحْلِفْ بِأَنَّ مُظَفَّرًا ذَا بَيْضَتَيْنْ

أما عن الاتجاه الثاني (الهجاء الاجتماعي)، فقد نال أهل فاس خاصة، وجاء نتيجة التقلبات التي واجهها ابن سهل اليَكّي مع أهل تلك المدينة، فهو ذلك الشاعر المتعلق بمحيطه الأندلسي الذي مكث فيه دهرا، فكان من الصعب عليه الاندماج بالمجتمع المغربي عامة والفاسي خاصة، فإحساسه المرهف الذي جعله يعيش غُربةً واغترابا، علما أنه لم يكن ليهجو المدينة نفسها، بل نظر إليها نظرة إجلال، فكان هجاؤه يشمل أهلها خاصة، وسعى إلى ذلك الهجاء الاجتماعي للابتعاد بنزعته الأندلسية عن ذلك المجتمع وسلبياته، حتى اشتهر بذلك وشهّر بأولئك القوم، فشمل هجاؤه صغيرهم وكبيرهم، الرجال والنساء، فاشتهر بذلك حتى قال فيه ياقوت الحموي: (شاعر مكثر من هجاء مدينة فاس). (الحموي، ياقوت، ١٩٧٧، ج٥/ ص ٤٤٠)

وهذا النوع من الهجاء، كان يمثل له راحة وطمأنينة، عندما يكشف مثالب الفاسيين، كما في قوله: [الوافر] (القطعة ١٣)

فِرَاقُ الهَمِّ عِنْدَ خُرُوْجِ فَاسِ   لِكُلِّ مُلِمَّةٍ تُخْشَى وَ بَاسِ
فَأَمَّا أَرْضُهَا فَأَجَلُّ أَرْضٍ   وَ أَمَّا أَهْلُهَا فَأَخَسُّ نَاسِ

فهنا يبدو أنه لم يدرك فيهم من المحاسن، ما يجعله يتخذهم جيرةً له في مدينتهم تلك؛ لذا كان يدعو أن لا تتخذ موطنا له؛ على الرغم من شرف المدينة، لكنها كانت تحفل بأقوام خلو من المآثر المعنوية والمادية، وترتسم الوحشة عند الوافدين لها، فترده إلى نكسات كثيرة طيلة وجوده بينهم، وعليه نجده يتدرج في إلصاق القبائح المعنوية والحسيّة بهم: [البسيط] (القطعة ٢٠)

يَا أَهْلَ فَاسٍ لَقَدْ سَاءَتْ ضَمَائِرُكُمْ   فَأَصْبَحَتْ فِيْكُمُ الآرَاءُ مُتَّفِقَهْ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ حَازَ مَنْقَصَةً   بِهَا أَحَاطَ كَدَوْرِ العَيْنِ بِالحَدَقَهْ
وَرُبَمَّا اجْتَمَعَتْ فِيْ بَعْضِ سَادَاتِكُمْ   نَقَائِصٌ أَصْبَحَتْ فِيْ النَّاسِ مُفْتَرِقَهْ

فاعتمد هجاؤه طبيعة الفاسيين وقتذاك، بحسب ما ألفوه من عادات ذميمة، لم يخجلوا في الإشهار عنها، وهو ما يعد مناقصَ اجتماعية فكرا وسلوكا، تحتشم المجتمعات الأُخرى إظهاره، فجعل من اشتهارهم بتلك المثالب، أساسا لمفرداته الشعرية الساخطة عليهم. وهنا يجملها بما ينفر الذات الإنسانية منهم، ولاسيما (سوء الضمائر) وما يختزنه من معانٍ كثيرة، أردفها بتسالم الآراء على ما سيعرضه من مثالب بأسلوب شعري واضح؛ لأجل أن يوجهه إليها بيسر؛ لتصبح عنوانا بيِّنا لما حاز ساداتهم من (منقصة).

ثانيا: الغزل:

سار غزل اليكي في اتجاهين اثنين، الأول التغزل بالأنثى، والآخر التغزل بالمذكر، وعند إنعام النظر في النوع الأول نجده ينماز بعفته وابتعاده عن الفحش، أو ذكر مفاتن أو أية مغامرات مما يهتك حرمة أو يشهر بمحبوبة، مما تعاطاه أغلب شعراء الأندلس حينذاك.

بل نجده في غزله يظهر عاطفة إنسانية، غرزها الله تعالى في الذات البشرية، وتبدي مشاعرها نحوه دون تدني في بيانها، ومن ذلك حنينه إلى أيامه التي قضاها بالجزائر، وما ألفه من سرور عاد به إلى محبوبه الغائب، وهو قوله: [الخفيف] (القطعة ٥)

هَـلْ تَـذَكَّــرْتَ بِالجَــزَائِـرِ عَـهْدًا وَ حَدِيْثًا كَالرَّوْضِ؟ بَـلْ هُــوْ أَنْـدَى

وَ أَغَــرٍّ بِقُــرْبِ غَــرَّاءَ أَغْفَـى لَـوْ جَـرَى فِيْ الصِّقَّالِ كَـانَ فِرِنْـدَا

وهكذا احتفى غزل اليَكِّي بالذكريات، وكان يكثر من ترديدها مؤكدا حضورها في وجدانه، فكانت عاطفته تطلق ما في مفردات من طاقة؛ ولم يكن معنيا بتكرارها حصرا؛ لأنه لا يبحث عن ألفاظ، بل عن معانٍ اهتم بها، كانت تدلّ على عفة عاشها في تجربته الغزلية، فهو لم يصرِّح باسم المحبوبة، وقد حرّك الذات العاشقة بورعٍ وإخلاص، فيطلق شوقه عنوانا لغزلها الصادق العفيف ودليلا لوفائه، كما قال: [الخفيف]

مَثَّلَتْهَا المُنَــى لِنَفْسِــيَ قُـرْبًـا فَجَلَّتْهَـا النَّـوَى لِعَيْـنِـيَ بُـعْـدَا

أَيُّـهَـا البَــــارِقُ الَّـذِيْ لَاحَ وَهْنـــًا أَنْـتَ أَشْبَـهْتُـهَا ابْتِسَامًا وَ عِقْدَا

أَهْـدِهَا مِنِّــيْ السَّــلَامَ عَلَى البُـعْـ وَ يَـا فَـرْطَ مَـا أُقَـاسِـيْـهِ وَجْـدَا

وهكذا أرسل ابن سهل اليَكِّي مفردات الغزل في ضمن طبيعته الخلقية، فهو لا يثير مغامرات عاشق، كحال أغلب شعراء الأندلس، بل حرص على جعل تجربته الغزلية، ذات وقع كبير متمثل في قوة العاطفة الصادقة. ومن هنا يمكن أن نفهم أن الرجل لم يعرف له غزل صريح، وما ورد من ذلك فإنما هو من باب مجاراة شعراء عصره أدبيا، وبيان تمكنه من وصف الآثار العاطفية ليس أكثر كما قال في تجربة شعرية لا واقعية: [المنسرح] (القطعة ٩)

فَـحِـيْـنَ قَبَّـلْـتُـهُ مُخَالَـسَـــةً وَ مِثْلُـــهُ لَا يُنَـــالُ بِالقَـهْــــرِ

شَـمَـمْـتُ مَنْ فِيْـهِ عَرْفَ مُسْكِرَةٍ فَقُلْتُ : خَـمْرٌ جَـرَتْ عَـلَى خَـمْـرِ

ومثل ذلك الحكم ينسحب على التغزل بالذكر، فهو قد نفر من أهل فاس، ولم يكن له أن يوقع نفسه بما ذم به نفسه، فخلق بأسلوبه الشعري المعتمد المجاراة، مراعاة الظاهرة الشعرية، بعيدا عما تجنح لها من معاصٍ، قال: [مخلع البسيط] (القطعة ٢١)

يُوْسُــفُ يَــا بُغْيَتِـيْ وَ أُنْسِــيْ   صَبَّــرَنِــيْ مُغْرَمًـــا هَــوَاكَـــا
مَلَكْـتَ قَلْبِـــيْ وَ أَنْـتَ فِيـْــهِ   كَـيـْـفَ حَـوَيْـتَ الَّــذِيْ حَـوَاكَـا ؟

أغراض أخرى:

لقد حضرت أغراض أخرى في شعر اليَكِّي الذي وصل إلينا، وتمثَّل ذلك الحضور الشعري في (الوصف، والمدح، والرثاء، والشكوى). ولكن هذا لا يعني أنه كان مقلاً في تلك الأغراض؛ لأنها لا تمثل ما نظمه الشاعر في حياته عامة، ومهما يكن من حال فقد أرسل مفرداته لتخدم الفكرة التي يعرض لها، شأنها في ذلك شأن الهجاء والغزل. وبحسب الصورة المؤقتة لهذه الأغراض جميعا، ولم يكن في هذه الأغراض الثلاثة أسير ترديد نمطي، لا يثير في السامع أو القارئ أي انفعال أو إثارة فيها؛ لأنه كان حريصا أن يجعل من معانيه، ذات أثر ووقع كبير؛ لإيقاظ الحس في المتلقي من أبناء عصره، ومن ثم يبعث الهمة والتبصير بالواقع، كما التأملات في ما ينشد ويقول.

أما شعر الوصف فأظهر فيه تلازم صوره الشعرية مع واقع الموصوف، تسندها تنامي تجربته، وأثر الموصوف في ذاته، كما في وصفه مصلوبا: [البسيط] (القطعة ٤٤)

وَسْنَــانُ لَا قُـرَّةُ الظَّلْمَـاءِ تُـوْقِظُـــهُ   ولَا الهَـجِيـْرَةُ بِالبَيـْدَاءِ تُـؤْذِيـْـهِ
أَغْفَى فَيَا لَـيْتَ شِـعْرِيْ هَلْ يُلِمُّ بِـهِ   إِذَا دَجَى اللَّـيْلُ طَـيْفٌ كَانَ يَأْتِيْـهِ ؟
خَــطَّ البِنَـانُ كِتَابًا بَيـْنَ أَضْلُعِــهِ   فَمَـالَ يَقْـرَؤُهُ سِـــرًا وَ يَخْفِيـْـهِ

فكان أساس وصفه هو الصور الحسّية و الذهنية، وقد كشف عن تجربة مؤثرة تستمد مقوماتها من قرب المصلوب منه، ركنت مفرداتها إلى رؤية أدبية، تناولت سكينة المصلوب، فلا أثر فيه لظلام أو هجير ولا زيارة لطيف، وهذه معانٍ واقعية ذات شعرية واضحة؛ لأنها صورت ذلك المصلوب بمشاهد مبتكرة؛ لامست شعور اليَكِّي المحزون على ذلك المصلوب وعلى حاله، ما أنتج تلك المفردات الشعرية الشجية.

كذلك وُجِدَ له بيتان في وصف الطبيعة الصائتة، متمثلا بحمامة ورقاء ضافية الجناح، وقع نظره عليها فقال واصفا إياها: [البسيط] (القطعة ٢٤)

غَـنَّـتْ فَأَذْكَـرَتْ المَـشُـوْقَ بِبَثَّـــةٍ   حَـتَّـى لَقَـدْ قَالَ المَـشُــوْقُ: كَفَـاكِ
فَعَجِبْتُ مِـنْ ضِـدَّيْنِ فِيْ أَوْصَافِـهَا   خُـلْقُ الخَـلِيْـعِ وَ لِبْسَـةُ النُّسَّـاكِ

لقد ربط هديل الحمام بذكر الحبيب المشتاق، وهي مجاراة لوصف الطبيعة عند الأندلسيين الذين ربطوا بين الطبيعة والمحبوب، ومن ثم يظهر صورة جديدة، ظهرت بين ثنائية

ضدية، الغناء (خلق الخليع)، ريشها (لبس النساك)، ممن يقنعون من الملبس باليسير. ومثل تلك الحال نجدها في وصف القنديل: [الوافر] (القطعة ٢٧)

وَ قِنْدِيْلٍ كَـأَنَّ الضَّـوْءَ مِنْـهُ مُحَـيَّا مَـنْ أُحُـبُّ إِذَا تَجَـلَّـى

واليكي ربط في هذا الوصف بين القنديل ومحيا (المحبوب)، عن طريق أسلوب التشبيه المقلوب، مستثمرا البعد اللوني المشرق، ويلمح منها أنه في ذلك يرصف البعد الفردي مع حضور (القنديل والمحبوب)، لما لتوهجهما وإشراقهما من أثر في الذات المفردة والجمعية، وهو بذلك ينساق مع طبيعة الأندلسيين الذين ربطوا الموصوفات بالمحبوب، بما يخلق مناخات مؤثرة في النفس؛ تبعا لما يلمس من سعة الوصف في أشعراهم، فضلا عن جماليته في الألفاظ والمعاني.

أما (مدح) اليَكِّي فقد سار في اتجاه واحد، وهو مدح أعيان عصره. وقد تبين من هذا المديح، أنه قد مدح الخصوم المتعاقبين على العدوتين، ونعني بهما المرابطين والموحدين، وهذه المفارقة تشكل مزية نتحصل عليها من مدح اليَكِّي، وعلى وفق ما وصل إلينا مديحه للمرابطين ندرك أن خصومته الفارطة للمرابطين، لم يشرعها منذ اتصاله بهم، بل إنها جاءت في مرحلة ترديهم الأخلاقي والسياسي، وما وصل من مدح المرابطين على قلته، يظهر الفضائل المعنوية التي كانوا يتحلون بها؛ لذا اتخذت وجودها من حالهم المعروفة، بما ازدانت بها الألفاظ والمعاني، وكان لها أثرها في إحداث التأثيرات النفسية للمتلقي، وهو قوله: [الكامل] (القطعة ٣٠)

قَـوْمٌ لَـهُـمْ شَـرَفُ الـعُـلَا فِـيْ حِـمْـيَـرٍ وَ إِذَا انْـتَـمُـوْا صُنْـهَاجَـةً فَـهُـمُ هُـمُ

لَمَّـا حَـوَوْا إِحْـرَازَ كُـلِّ فَضِيْلَـةٍ غَـلَـبَ الحَـيَاءُ عَلَيْـهُـمُ فَتَلَثَّـمُـوْا

وهنا نجد تلك الرؤية الشعرية تتجلّى في ألفاظها ومعانيها، بحسب ما تمثله (نسب المرابطين)، المتنازع بين حمير العربية وصنهاجة الأمازيغية. وتزداد جمالية المدح في حسن التعليل الذي ساقه في البيت الثاني، عندما صرف سبب ذلك (اللثام) الذي اشتهروا به إلى إحرازهم الفضائل كافة، ما غلب الحياء على تلك النفوس، فجعلهم يتلثمون زيادة في فضائلهم. وهذا يعني أن مدحه ارتبط بترديد ذاته الشاعرة داخل البيتين، ما جعل له نغمته المعنوية التي تطغى عليه، وهو ما يعني أنه مدح تعامل بحسب الإدراك الخاص للشاعر. ويبدو معه عدم عناية الشاعر بالتكسب من شعر المديح، وليس فيها ما يدل على بسط حاجة أو طلب نوال.

ومثلما لم يصل إلينا من مدح المرابطين إلا بيتان، فلم يصل إلينا من مدح الموحدين إلا ثلاثة أبيات، كانت في مدح عبد المؤمن بن علي، وهو بقوله: [الهزج] (القطعة ٢٥)

لِعَبْـدِ المُـؤْمِـنِ المَلْـكِ يَـدُوْرُ السَّعْـدُ فِـيْ الفَلَـكِ

وَ لَا تَـجْـزَعْ فَلَـيْـسَ لَـهُ عَلَـى القُـصَّـادِ مِـنْ دَرْكِ

فَيَمِّمْــهُ تَجِـــدْ مُلْكًا   عَلَيْـهِ مَسْحَــةُ المُلْــكِ

ولكن مدحه هنا دون مدح المرابطين؛ لأنه مما تسالمت معانيه، وخلا من طاقات بلاغية، بل لم يتعدَّ البعد الإبلاغي الذي يبدو أنه وجهّه إلى متلقٍ ضمني، وآخر مقصود في الوقت نفسه، وتحويله نظره إلى ممدوحه الموحدي، وقد اعتمد الأساليب الطلبية كالنهي (لا تجزع)، والأمر (يممه)، ويبدو معها حاجته إلى المال، بما أعلنت نزعته إلى تكسب مادي، وهنا يتبين أن اليكي لم يكن ميسور الحال، وكان ممن يعتاش بشعره عند السلاطين، وهو شأن طبيعي في شخصية أندلسية ابتعدت عن موطنها، ولم تتكيف في حاضنتها الاجتماعية، بل اتخذت منها موقفا سلبيا.

وأما ما وصل إلينا من (رثاء) اليَكِّي، فلم يتجاوز قطعتين شعريتين، وعلى الرغم من قلته، فإن المتلقي لذلك الرثاء يجد فيه عاطفة صادقة، ومشاعر جّياشة ومعاني جليلة، يعتمد الرثاء على مشاعر صادقة وأحاسيس معبّرة، وما كان ذلك لولا علاقته المباشرة بالمرثي.

وكان يركز فيها على أثر فقده، ولاسيما أن ما ورد في هذا الشأن خصّ المصلوبين، فكان أن نظر إلى وقع المصاب في ذاته، مع بيان مزايا المرثي حتى في الصورة التي قتل فيها؛ لأنها قادرة على التأثير والتغيير في المتلقي، كما أنها أكثر قدرة على استيعاب هموم الشاعر وآلامه.

وقد أظهر فيها مشاعره بصورتين: الأولى جازعة سيطر الألم عليها، والأخرى متجلدة مثنيا على المصلوب. فمن مصداق الأول قوله يرثي محبوبه، وقد صلب: [الخفيف] (القطعة ١)

سَاءَنِيْ أَنْ يَرَى العَدُوُّ الحَبِيْبَـا   فَـوْقَ جِــذْعٍ مِنَ الجُذُوْعِ صَلِيْبَــا

أَشْعَـثٌ بَاسِــطٌ ذِرَاعَيْــهِ كَـرْهًا   مِثْلَ مَـنْ شَـقَّ لِلْسُّرُوْرِ جُيُـوْبَا

عَــارِيًا مِــنْ ثِيَابِــهِ يَتَلَـقَّــى   شِـدَّةَ القُــرِّ وَ الصَّـبَا وَ الجَنُـوْبَا

هنا نجده متأثرا على حال المرثي، والمكان الذي صُلِبَ فيه، فضلا عن صورة (أشعث) من دون عمامة وشعر غير منتظم، وبسط الأيدي كرُها بصورة الحزن، متجردا من الثياب متعرضا لقساوة البيئة، فدعاه إلى دمج بين واقعه و رؤيته الشعرية الملامسة للمصلوب، وما يتأسس عليه من صياغة شعرية، تصور الظروف المحيطة، من دون تجلد أو صبر وشكيمة ورصانة.

وبخلاف ذلك نجده يظهر تجلدا في رثاء مصلوب آخر، وفخرا بتلك الشخصية التي علت الجذع، بما يلتصق بواقعه النفسي المحتضن من واقعه: [الخفيف] (القطعة ١٦)

حَكَـمَـتْ عُـلَاكَ بِأَنْ تَمُـــوْتَ رَفِيْعًا   وَعَلَـوْتَ جِـذْعًا لِلْحِمَــامِ صَرِيَعَـا

وَ قَرَنْـتَ نَفْسَــكَ لِلْبَـرَامِكَــةِ الأُلَـى   لَمَّـا عَلُـوْا عِـنْـدَ المَمَــاتِ جُذُوْعَـا

يَا لَيْتَـهُـمْ صَلَبُـوْكَ بَيْنَ جَـوَانِـحِـيْ   فَأَضُـمَّ إِشْفَـاقًا عَلَـيْـكَ ضُلُـوْعَـا

فالصورة التي شكلها الصلب على الجذع هنا غيره على الجذع هناك؛ بحسب حاله المناظرة للبرامكة، وهنا بيان للمنزلة والكرم الذي تمتع به المصلوب، ما يدل على أن هذه الحال لا نهاية تقف عندها، وبهذا الخلق الذهني والشعري، المعتمد حقيقة التعاطي المسؤول مع فعل المصلوب، بهذا التعبير المتماسك في الدلالة على مقامه حتى بعد وفاته، فربط اليَكّي الموتَ بأساس مقبول يهوّن المصاب.

ومن هذه الأغراض (الشكوى)، ومنه ما ظهر في بعض قُضاة الجور بمرسية، الذي كنّاه بـ(ابن أسود)، فذكر ما أزرى به من أحكام، وقد أحسن في شكواه من ذلك القاضي، عندما أصم جوره الآذان، وسلبهم أموال اليتامى، فضلا عن تشخيص المسجد، وهو يطلب حقه، وعقد مقابلة بين عدل الأمير عليّ وجور قاضيه ابن أسود، قائلا:[٤٣] [الطويل] (القطعة ٦)

تَسَمَّـعْ أَمِيـرَ المُسْلِمِيـنَ لِنَبْأَةٍ   تُصَمُّ لَهَا الآذَانُ فِيْ كُـلِّ مَشْهَـدِ

بِمُـرْسِيَّـةٍ قَـاضٍ تَجَـاوَزَ حَـدَّهُ   وَ أَخْطَأَ وَجْهَ الرُّشْدِ فِيْ كُلِّ مَقْصَدِ

يُطَالِبَـهُ الأَيْتَامُ فِيْ جُـلِّ مَـالِهِمْ   وَ يَطْلُبُهُ فِـيْ حَقِّـهِ كُـلُّ مَسْجِدِ

فَمَا بَيَّضَتْ كَفَّاكَ بِالعَدْلِ لَمْ تَزَلْ   تُسَـوِّدُهُ بِالجَـوْرِ كَفُّ ابْنُ أَسْـوَدِ

فهذه الشكوى عمدت إلى بيان مظالم القاضي، ولم يتعرض الشاعر إلى هتك الأعراض أو السخرية أو الانتقاص، بل كانت غايته الشكوى ويكون حرزا اجتماعيا؛ لتوجيه أمير المرابطين إلى سوء حال مرسية، بوجود قاضٍ ظالم يزري بحال البلاد والعباد.

أما (الفخر) فقد ورد عن اليكي في بيتين اثنين حصرا، أظهرت تجلدا نفسيا، واعتدادا بالذات، وثقة بالله تعالى، وهو يخاطب بعض من هّدده بالنيل منه، ولم يذكر لنا اسمه أو سبب الخصومة، ولكن يبدو من البيتين متفائلا بحفظِ ربِّه، وقد شبّه حاله ضمنيا بحال الليث الذي لا تجرؤ الكلاب على أكل لحمه وإن مات، فتجاوبت مع طبيعته التي اعتدت بحالها، وفخرت بنفسها عند التحدي، واستهانت بخصومها الذين مثلتهم كلابا، وهو ما بان في قوله: (القطعة ١٧)

١ـ يَا مَنْ يُـهَـددنِـيْ أَنْ سَوْفَ يَظفر بي   إن ضعت يومـا ويأبـى الله تضييعي

٢ـ لـو قطـع الليث أجـزاء لما أكلـت   منه الذئـاب و لـو ماتـت من الجـوع

القسم الثاني

ما تبقى من شعر ابن سهل اليَكِّي

روي الباء

١

قال يرثي محبوبه، وقد صلب: [الخفيف] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٣٣٣& الرعيني، ٢٠١٩، ص٢٨١& الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٩).

١ _ سَاءَنِيْ أَنْ يَرَى العَدُوُّ الحَبِيْبَا فَوْقَ جِذْعٍ مِنَ الجُذُوْعِ صَلِيْبَا

٢ _ أَشْعَثٌ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ كَرْهًا مِثْلَ مَنْ شَقَّ لِلْسُّرُوْرِ جُيُوْبَا [١]

٣ _ عَارِيًا مِنْ ثِيَابِهِ يَتَلَقَّى شِدَّةَ القُرِّ وَ الصَّبَا وَ الجَنُوْبَا [٢]

٢

قوله في ملجوم: [الطويل] (التخريج: الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٧).

١ _ وَ مَا سُمِّيَ المَلْجُوْمُ إِلَّا لِعِلَّةٍ وَ هَلْ تُلْجَمُ الأَغْرَاسُ إِلَّا لِتُرْكَبَا ؟

روي التاء

٣

ومن شعره يتغزل: [الطويل] (التخريج: الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، ج٢/ ٦٧٧& الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٧).

١ _ تَرَاءَى بِهِ البَرْقُ اليَمانِيْ مَوَفَّقًا بِسَقْطِ اللِّوَى حَيْثُ الْتَقَتْ أَثْلَاثُهُ [٣]

٢ _ فَأَتْبَعَهُ المُشْتَاقُ أَبْعَدَ نَظْرَةٍ تُسَائِلُهُ أَنَّى سَرَتْ خَطَوَاتُهُ؟ [٤]

٣ _ وَ مَا شَأْنُهُ إِلَّا انْبَرَتْ مِنْ دُمُوْعِهِ سَوَابِقُ تَكْبُوْ إِثْرَهَا نَظَرَاتُهُ [٥]

روي الحاء

٤

وله: [الطويل] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩: ٢٤٣& الرعيني، ٢٠١٩، ص٢٨٥& الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص٢٦٧).

---

[١] رواية الرعيني والأندلسي: (أشعثا) (باسطا).

[٢] رواية الرعيني: (الحرُّ).

[٣] رواية الرعيني: (ترآءى لي)، و(موهنا). وفي بغية الملتمس: (أثلاثه). وهو خطأ واضح؛ لأن روي الأبيات صوت (التاء) كما هو واضح.

[٤] ورد عند الضبي: (ترأ بي بة)، وسقطت (خطواته)، و التصحيح من الرعيني: (تسائله)، و(لمعاته).

[٥] ورد عند الضبي ورد البيت كثير الاضطراب، والتصحيح من الرعيني، وفيها أيضا: (شاقه).

١ _ عِصَابَةُ سُوْءٍ قَبَّحَ اللهُ فِعْلَهُمْ أَتَوْا فِيْ عَلِيٍّ بِالدَّنَاءَةِ وَ القُبْحِ [٦]

٢ _ فَزَرُّوْهُ مِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى المَسَا وَ .... مِنْ وَقْتِ المَسَاءِ إِلَى الصُّبْحِ [٧]

٣ _ إِذَا جَاءَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ قَامَ تِسْعَةٌ كَمَا اخْتَلَفَتْ نَحْلُ الرَّبِيْعِ إِلَى الجِبْحِ [٨]

روي الدال

٥

وله: [الخفيف] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٠).

١ _ هَلْ تَذَكَّرْتَ بِالجَزَائِرِ عَهْدًا وَ حَدِيْثًا كَالرَّوْضِ ؟ بَلْ هُوْ أَنْدَى

٢ _ وَ أَغَرٍّ بِقُرْبِ غَرَّاءَ أَغْفَى لَوْ جَرَى فِيْ الصِّقَالِ كَانَ فِرِنْدَا [٩]

٣ _ أَشْبَهَتْهُ غَرَّاءُ حُسْنًا وَ لَكِنْ خَالَفَتْهُ إِذْ كَانَ أَقْصَرَ عَهْدَا

٤ _ آذَنَتْنِيَ النَّوَى بِحَرْبٍ وَ إِنِّيْ فِيْ لِقَاءِ الفِرَاقِ أَضْعَفُ جُنْدَا [١٠]

٥ _ مَثَّلَتْهَا المُنَى لِنَفْسِيَ قُرْبًا فَجَلَّتْهَا النَّوَى لِعَيْنِيَ بُعْدَا

٦ _ أَيُّهَا البَارِقُ الَّذِيْ لَاحَ وَهْنًا أَنْتَ أَشْبَهْتَهَا ابْتِسَامًا وَ عِقْدَا

٧ _ أَهْدِهَا مِنِّيَ السَّلَامَ عَلَى البُعْـ ـدِ وَ يَا فَرْطَ مَا أُقَاسِيْهِ وَجْدَا

٦

ومن شعره: [الطويل] (التخريج: الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٧٠).

١ _ تَسَمَّعْ أَمِيْرَ المُسْلِمِيْنَ لِنَبْأَةٍ تُصَمُّ لَهَا الآذَانُ فِيْ كُلِّ مَشْهَدِ

٢ _ بِمُرْسِيَّةٍ قَاضٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ وَ أَخْطَأَ وَجْهَ الرُّشْدِ فِيْ كُلِّ مَقْصَدِ

٣ _ يُطَالِبُهُ الأَيْتَامُ فِيْ جُلِّ مَالِهِمْ وَ يَطْلُبُهُ فِيْ حَقِّهِ كُلُّ مَسْجِدِ

٤ _ فَمَا بَيَّضَتْ كَفَّاكَ بِالعَدْلِ لَمْ تَزَلْ تُسَوِّدُهُ بِالجَوْرِ كَفُّ ابْنِ أَسْوَدِ

روي الراء

٧

قال له فتى يسمى أيمن: هجوتني، فقال: [السريع] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص٢٣٣).

١ _ أَيْمَنَ لَمْ أُهْجُكَ لَا وَ الَّذِيْ يَعْلَمُ مَا أُخْفِيْ وَ مَا أُظْهِرُ

٢ _ إِنْ كُنْتَ فِيْمَا قُلْتُهُ كَاذِبًا كَفَرْتُ بِاللهِ كَمَا تَكْفُرُ

---

(٦) رواية الأندلسي: (في رشيد).

(٧) راوية الأندلسي: (فزاروه). وقد ورد الخرم في روايته كذلك.

(٨) رواية الأندلسي: (قام واحد). الجبح: خلية العسل.

(٩) فِرَنْدٌ: جوهر السيف ووشيه وما يُلمح في صفحته من أثر تموّج الضوء.

(١٠) أخذه من قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُوْنَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾. سورة مريم/ الآية ٧٥.

٣_ وَ حَـلَّ بِـيْ دَاؤُكَ ذَاكَ الَّــــذِيْ إنْ ذُكِــرَ الأَدْوَاءُ لَا يُــذْكَــــرُ

٨

وله: [الطويل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٧)

١_ سَقَى اللهُ أَرْضَ الشَّرْقِ صَوْبَ غَمامَةٍ وَ لَا زَالَ مَنْهَـلًا بِـأَرْضِ الجَـزَائِــرِ

٢_ بِـلَادٌ إِذَا أَبْصَـرْتُ طَـيْـرًا تُـؤُمُّـهَـا وَدِدْتُ بِأَنِّــيْ فِـيْ قَـوَادِمِ طَـائِـرِ [١١]

٩

وله: [١٢] [المنسرح] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٧)

١_ وَزَائِــرٍ فِــيْ ثِيَـابِ زِيْنَـتِــهِ أَطْلَـعَـهُ السَّـعْـدُ غُــرَّةَ النَّحْـرِ

٢_ دَوَّرَ بِالمِـسْـكِ شَكْـلَ عَـارِضِـهِ وَ خَطَّــهُ فِـيْ مَنَـابِـتِ الشَّـعْـرِ

٣_ فَقُلْتُ:لَا بَـلْ أَقَمْتَ مِنْــهُ لِمَنْ يَـعْـذِلُ فِيْـهِ حَـقِـيْـقَـةَ العُــذْرِ

٤_ تَضْحَـكُ عَيْـنَـاهُ إِذْ تُـكَلِّـمُـنِـيْ وَ يَكْـسِرُ الجَفْنَ مِنْـهُ فِيْ فَـتْـرِ

٥_ فَـحِـيْـنَ قَـبَّـلْتُـهُ مُـخَـالَـسَــةً وَ مِثْـلُـهُ لَا يُـنَـالُ بِـالقَـهْــرِ

٦_ شَمَمْتُ مَنْ فِيْـهِ عَرْفَ مُسْكِرَةٍ فَقُلْتُ : خَـمْـرٌ جَرَتْ عَلَى خَـمْرِ

٧_ وَ مَــرَّ وَالتِّـيْـهِ فِـيْ مَـعَـاطِفِــهِ يَـمْـرَحُ بَيْـنَ الشَّـبَـابِ وَ السُّكْـرِ

١٠

وقوله: [الوافر] (التخريج: الأندلسي، ابن سعيد،١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٧٠).

١_ أَبَـا عَـمْـرُو إِلَيْـكَ بِـهِ حَـدِيْـثًا أَلَـذَّ إِلَـيْـكَ مِـنْ شُـرْبِ العُـقَـارِ [١٢]

٣_ أَتَـذْكُــرُ لَيْـلَــةً قَـدْ بِتَّ فِيْـهَا سَلِيْـبَ الدِّرْعِ مَحْـلُـوْلَ الإِزَارِ؟ [١٣]

٣_ أُقَبِّـلَ مِنْـكَ طُـغْـيَـانًـا وَ كُـفْـرًا مَكَـانَ الرَّقْمَتَـيْـنِ مِنَ الحِـمَـارِ [١٤]

روي السين

١١

وله: [السريع] (التخريج: الأندلسي، ابن سعيد،١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٧& السيوطي، ١٤٢٤هـ، ص ٤٠٢ & التلمساني، ١٩٦٨: ج ٣/ص ٣٤٥).

١_ أَعِـدَ الوُضُــوْءَ إِذَا نَطَـقْـتَ بِــهِ مُـتَـذَكِّـرًا مِـنْ قَبْلِ أَنْ تَـنْـسَــى [١٥]

---

[١١] القَوَادِمُ: الريش الذي ينبت في جاح الطائر.

[١٢] العُقارُ: الخمر.

[١٣] الإِزَارُ: لباس يلف على الجزء السفلي من الجسم.

[١٤] الرَّقْمَتَانِ، وهما موضع دبر الحمار.

[١٥] رواية السيوطي و التلمساني: (مستعجلا).

٢ــ وَ احْـفـظْ ثِـيَـابكَ إنْ مَـرَرْتَ بـِـهِ فَالظِّلُ مِنْــهُ يُـنَـجِّــسُ الشَّـمْـسَـا

١٢

له من قصيد: [الكامل] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص٢٣٣& الرعيني، ٢٠١٩، ص٢٨٠).

١ــ يَا غَادِرًا أَزْرَى بِعَهْـدِ مُحِبـِّــهِ وَ قَضَـى ذِمَامَ وَلِيـِّــهِ بِتَــنَــاسِ

٢ــ هَلَّا بَعَثْتَ وَ لَوْ بِرَجْـعِ تَحِيَّةٍ يَكْفِيْ المَشُوْقَ مَغَبَّةُ الأَنْفَـاس [١٦]

٣ــ ذِكْـرَى ذَكَرْتُكَ وَ المَنَابِتُ خُلَّــةٌ فَحَسِبْتُ أَنَّ الأَرْضَ مَـنْبِتُ آس

٤ــ مَا قُلْتُ: مَا أَعْنِـيْ بِذَاكَ أَخَا نَـدَى إِلَّا تَـعَـرَّضَ لَــيْ أَبُـوْ العَبَّــاسِ [١٧]

١٣

قال اليَكِّي يهجو أهل فاس: [الوافر] (التخريج: الحموي، ياقوت، ١٩٧٧، ج ٤/ ص٢٣١).

١ــ فِـرَاقُ الهَمِّ عِنْدَ خُـرُوْجِ فَـاسِ لِكُـلِّ مُلِمَّـــةٍ تُخْـشَـى وَ بَـاسِ

٢ــ فَأَمَّـا أَرْضُـهَـا فَأَجَــلُّ أَرْض وَ أَمَّــا أَهْلُــهَــا فَأَخَــسُّ نَــاس

٣ــ بِـلَادٌ لَــمْ تَـكُــنْ وَطَنًا لِحُــرٍّ وَ لَا اشْتَمَلَتْ عَلَى رَجُلٍ مُـوَاسِيْ

١٤

وله فيهم: [البسيط] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩ ص٢٣٤& الحموي، ياقوت، ١٩٧٧، ج ٤/ ص٢١٣ & الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٤).

١ــ اِطْعَنْ بِنَعْلِكَ مِنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مِنْ أَرْضِ حِمْصَ إِلى أَقْصَى قُرَى فَاسِ [١٨]

٢ــ وَ إِنْ لَقِيْتَ أَخَـا عِلْــم وَ ذَا وَرَع شَيْخًا فزره فَمَا فِيْ الشيخ مِنْ بَاسٍ [١٩]

٢ــ قَـوْمٌ يَمَصُّوْنَ مَا بالبَعْلِ مِنْ نُطَفٍ مَصَّ الخَلِيْعِ زَمَـانَ الـوِرْدِ لِلْكَــاس [٢٠]

١٥

وله يخاطب أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين في شأن بني معيشة، وكانوا قد ظهرت منهم حركة ببباديس: [المتقارب] (التخريج: الأندلسي، ابن سعيد،١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٦٨).

١ــ عَلِـيٌّ حَـمَى المُلْكَ مِنْ سَـاسَـةٍ وَ مَا أَنْــتَ لِلْمُلْــكِ بِالسَـائِـسِ

٢ــ مِنَ السُّوْس أَصْبَحَتْ تَخْشَى النِّفَاقَ وَ قَـدْ جَاءَكَ النَّحْـسُ مِـنْ بَادِس [٢١]

---

[١٦] رواية الرعيني: (تكفي)، و(الإيناس).

[١٧] رواية الرعيني: (يا أعني) (أبا العباس).

[١٨] رواية الحموي: (أرض مصر).

[١٩] هذا البيت انفرد به الرعيني.

[٢٠] رواية الحموي: (ما في الأرض).

[٢١] السوس: مدينة بالمغرب حاضرة جنوبه، وأهلها أخلاط من عرب وأمازيغ، وهي بلاد السكر يتجهز منه إلى الآفاق ويصل فاضله إلى أقصى خراسان، وقد خرجت الكثير من أهل الفضل والعلم. وبادس: مدينة مغربية

روي العين

١٦

وله يرثي مصلوبا: [٧٩] [الخفيف] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٢٣٣ & الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨١ البيتان (١، ٣) & الأندلسي، ابن سعيد، ج ٢/ ص ٢٦٨_ص٢٦٩).

١_ حَكَـمَـتْ عُـلَاكَ بِأَنْ تَمُوْتَ رَفِيْعًا   وَعَلَـوْتَ جِـذْعًا لِلْحِمَامِ صَرِيعَا [٢٢]

٢_ وَ قَرَنْتَ نَفْسَـكَ لِلْبَـرَامِكَـةِ الأُلَى   لَمَّـا عَلَـوْا عِـنْـدَ المَمَاتِ جُذُوْعَا [٢٣]

٣_ يَا لَيْتَـهُمْ صَلَبُوْكَ بَيْنَ جَوَانِحِيْ   فَأَضُـمَّ إِشْفَـاقًا عَلَـيْكَ ضُلُـوْعَا

١٧

وقول اليكي: (ابن الخطيب الغرناطي، د ت، ٨٠، و١٩٨٠، ٣٢، و١٩٨١، ٣١) [٢٤]

١_ يَا مَنْ يُـهَدّدنِيْ أَنْ سَوْفَ يَظْفِرْ بِـيْ   إِنْ ضِعْـتُ يَوْمًا وَ يَأْبَـى اللهُ تَضْيِيْعِيْ

٢_لَوْ قُطِّـعَ اللَيْـثُ أَجْـزَاءً لَمَـا أَكَلَـتْ   مِنْهُ الذِّئَـابُ وَ لَـوْ مَاتَتْ مِـنَ الجُـوْعِ

روي الفاء

١٨

وله: [الطويل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٦)

١_ إِذَا مَا ابْنُ مَـرْوَانٍ يَـرُوْمُ قِـرَاءَةً   لِخَطٍّ رَنا شَـزْرًا إِلَـى جِهَـةِ الحَرْفِ

٢_ وَ مَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ فَـوْدَيْــهِ حُـمِّلاَ   ثِقَالَـةَ قَـرْنَيْـهِ فَمَـالَ عَلَـى حَــرْفِ

روي القاف

١٩

وله: [الطويل] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٣٣٤ & الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج ٢/ص ٢٦٧).

١_ ثَمَانِيْ خِصَالٍ فِيْ الوَزِيْرِ وَ عِرْسِهِ   وَ ثِنْتَانِ وَ التَّحْقِيْقُ بِالمَرْءِ أَلْيَـقُ [٢٥]

قديمـة، وهـي حصـنان لهمـا جـامع وأسـواق وبسـائط ومـزارع جليلـة ونخـل كثيـر. (ينظـر: ابـن عبـد المـنعم الحميري، ١٩٨٠: ٧٥، و٣٢٩).

[٢٢] رواية الحموي (فعلوت).

[٢٣] رواية الأندلسي: (بالبرامكة).

[٢٤] ذكر محمد كمال شبانة في نشرته البليكي، ولكن في الهامش صححها باسليمي، وفي نشرة خ م كونتتينتي فرير كتب: وقول االبكي ثم عاد ليكتب في الهامش إليكي، وفي تحقيق الدكتور محمد مفتاح للسحر والشعر، إليكي، وصححه في الهامش اليكي. والخلاصة أن البيتين لليكي.

[٢٥] رواية الأندلسي: (في الفقيه).

٢_ ...... وَ تَزْنِـيْ فِعْلُهَا مِثْلُ فِعْلِـهِ		فَإِنْ لَاطَ يَوْمًا فَـهْـيَ لَاشَكَّ تَسْحَقُ [٢٦]

٣_ وَ يَكْذِبُ أَحْيَانًا وَ يَحْـلِـفُ حَانِـثًا		وَ يَكْفُرُ تَقْلِيْدًا وَ يَزْنِيْ وَ يَسْرِقُ [٢٧]

٤_ وَ عَاشِـــرَةٌ وَ الذَّنْــبُ فِيْـهَـا لِأُمِّــهِ		إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَبْـقَ لِلْشَّـتْمِ مَنْطِقُ

٢٠

وله: [الطويل] (الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٧)

١_ سَقَى اللهُ حَوْضًا أَنْبَتَ الفَجْلَةَ الَّتِيْ		بِـهَا اسْتُـدبـَرَ النَّـذْلُ اللَّئِيْمُ المُخَـرِّقُ

٢١

قال يهجو أهل فاس: [البسيط] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٢٣٣& الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٣_ ٢٨٤ الأبيات (٥،١، ٦،٧)& الأندلسي، ابن سعيد،١٩٩٣،ج٢/ ص٢٧٠، البيتان (٥، و٦).

١_ يَا أَهْلَ فَاسٍ لَقَدْ سَاءَتْ ضَمَائِرُكُمْ		فَأَصْبَحَتْ فِيْكُـمْ الآرَاءُ مُتَّـفِـقَــهْ [٢٨]

٢_ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ حَازَ مَنْقَصَةً		بِـهَـا أَحَاطَ كَـدَوْرِ العَيْنِ بِالحَـدَقَـهْ

٣_ وَرُبَمَّا اجْتَمَعَتْ فِيْ بَعْضِ سَادَاتِكُمْ		نَقَـائِـصٌ أَصْبَحَـتْ فِيْ النَّاسِ مُفْتَرِقَهْ

٤_ كَالقَرْنِ وَالقَوْدِ المَشْـهُوْرِ وَ الكَذِبِ الـ		مَـعْـرُوْفِ وَ الخَلَّةِ الشَّنْـعَـاءِ وَالسَّرِقَـهْ

٥_ فَـلَا تَـهَابَــنَّ فَاسِــيًا مَـــرَرْتَ بِــهِ		وَإِنْ تَقُـلْ فِيْـهِ خَـيْرًا حَوِّلَ الدّرَقَـهْ [٢٩]

٦_ وَ الْعَنْهُ شَيْخًا وَ كَـهْلًا وَ اجْفُهُ حَدثًا		وَ ..... طِفْلًا وَ لَـوْ أَلْفَيْتَـهُ عَلَقَــه

٧_ فَـلَا سَقَـى اللهُ فَاسًا صَـوْب غَـادِيَـةٍ		نَـعَـمْ ولَا اخْضَـرَّ فِيْ أَرْجَائِـهَـا وَرَقَــهْ

روي الكاف

٢٢

قوله: [مخلع البسيط] (التخريج: الغرناطي، ابن الزبير،٢٠٠٠، ج٣/ ص٤٠٠ & الكلبي، ابن دحية،١٩٥٥، ص ١٣٣& الرعيني، ٢٠١٩، ٢٧٩& الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص٢٦٩)

١_ يُوْسُـفُ يَا بُغْيَتِــيْ وَ أُنْسِــيْ		صَبَّـرَنِــيْ مُغْـرَمًا هَـوَاكَـا [٣٠]

٢_ مَلَكْـتَ قَلْبِــيْ وَ أَنْـتَ فِيْــهِ		كَـيْـفَ حَــوَيْـتَ الَّـذِيْ حَـوَاكَـا ؟

---

[٢٦] هذا البيت ساقط في المغرب.

[٢٧] رواية الأندلسي: (و يرشي).

[٢٨] رواية الرعيني: (الأهواء).

[٢٩] رواية الأندلسي: (لا تهب كل فاسي)، و(تقل).

[٣٠] رواية الرعيني: (وسؤلي)، وفيه وفي الأندلسي: (صيرني).

٢٣

وله : [الطويل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٥)

١_أَقِمْ سَاعَةً يَا ابْنَ سُفْيَـانَ رُبَّمَـا يُجَـازِيْكَ أَقْوَامٌ بِبَعْضِ جَزَائِكَـا

٢_ حَدَدْتَ عَلَى الصَّهْبَاءِ طِفْلًا حَزَوَّرَا وَ شَيْخُكَ مِنْهَا طَافِحٌ بِإِزَائِكَـا

٢٤

قوله: [السريع] (الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٨٦)

١_ وَ صَـارِمٍ أَبْصَـرْتُ ذِيْ فَلَّـةٍ فَقُلْتُ: يَا صَارِمَ مَنْ فَلَّكَـا ؟

٢_ فَقَـالَ: لِيْ لَحْـظُ غُـلَامٍ رَنَا وَ نَـهْـدُ عَـذْرَاءَ كَمَـا فَلَّكَـا

٢٥

وله يصف حمامة ورقاء ضافية الجناح [البسيط] (التخريج: الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، ج٢/ ص٦٧٧).

١_غَنَّتْ فَأَذْكَرَتْ المَشُوْقَ بِبَثَّةٍ حَتَّى لَقَدْ قَالَ المَشُوْقُ: كَفَاكِ

٢_ فَعَجِبْتُ مِنْ ضِدَّيْنِ فِيْ أَوْصَافِهَا خُلْقُ الخَلِيْعِ وَ لِبْسَةُ النُّسَّاكِ

٢٦

وله في مدح الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله عنه، بقوله: [الهزج] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٥)

١_ لِعَبْـدِ المُؤْمِـنِ المَلْـكِ يَـدُوْرُ السَّعْـدُ فِـيْ الفَلَـكِ

٢_ وَ لَا تَجْـزَعْ فَلَيْـسَ لَـهُ عَلَـى القُـصَّـادِ مِـنْ دَرْكِ

٣_ فَيَمِّـمْـهُ تَجِـدْ مُلْكًا عَلَيْـهِ مَسْحَـةُ المُلْـكِ

روي اللام

٢٧

وله: [مخلع البسيط] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٢٣٢).

١_ صَلَّـى إِلَـى جَـانِـبِـيْ غَـزَالٌ يَطْـلُـعُ مِـنْ زِرِّهِ الهِـلَالُ

٢_ أَمَـالَـنِـيْ حُـسْـنُـهُ إِلَيْـهِ فَقَـبْلَـتِـيْ ذَلِكَ الجَمَـالُ

٣_ لَيْـسَ إِلَـى وَصْلِـهِ سَبِيْـل وَ لَا لِغَيْـرِ الـمُنَـى يُـنَـالُ

٤_ تَقْنَعُ بِاللَّحْظِ مِنْهُ عَيْـنِيْ فَمَـا عَـدَا لَحْـظَـهُ مُـحَالُ

٢٨

وله: [الوافر] (التخريج: الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، ص ١٣٣).

١_ وَ قِنْدِيْلٍ كَـأَنَّ الضَّـوْءَ مِنْـهُ مُحَـيَّا مَـنْ أُحُـبُّ إِذَا تَجَـلَّـى

٢٩

وله: [مجزوء الكامل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٥).

١_ يَا ذَا الحَكِيْمَ المُبْتَلَى بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ البَلَا

٢_ أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَخْرَجًا فَجَعَلْتَ مِنْهُ مَدْخَلَا

٣_ أَوْ مَا تَخَافُ مِنَ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمَوَاتِ العُلَى ؟ [٣١]

٤_ حُبُّ النِّسَاءِ طَبِيْعَةٌ أَرَاكَ تَهْوَى غُرْمُلَا

٣٠

وله: [الطويل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٣).

١_ عَجِبْتُ لِفاسٍ بَلْ عَجِبْتُ لِأَهلِهَا سُرُوْجُ البَغَايَا دَامِيَاتِ الأَنَامِلِ

٢_ مَنَاجِسُ لَوْ حَلُّوْا بِظَهْرِ سَفِيْنَةٍ لَمَا حلَّ مَاءُ البَحْرِ طُهْرًا لِغَاسِلِ

٣_ إِذَا الطِّفْلِ مِنْهُمْ مَسَّ دَائِرَةَ اسْتِهِ دَرَى أَنَّهَا مَخْلُوْقَةٌ لِلْفَيَاشِلِ

روي الميم

٣١

ولقيه عمر بن ينستان الملثم، فقال: يا فقيه، مدحتنا فبلغت غاية رضانا بقولك: [الكامل] (الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٨٦).

١_ قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ العُلَا فِيْ حِمْيَرٍ وَ إِذَا انْتَمُوْا صُنْهَاجَةً فَهُمُ هُمُ [٣٢]

٢_ لَمَّا حَوَوْا إِحْرَازِ كُلِّ فَضِيْلَةٍ غَلَبَ الحَيَاءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثَّمُوْا

٣٢

وله: [البسيط] (التخريج: الأصفهاني، العماد، ١٩٨٦، ص ٥٨٠).

١_ قَالُوْا : الكِتَابَةُ أَعْلَى خُطَّةٍ رُفِعَتْ قُلْتُ : الحِجَامَةُ أَعْلَى عَنْدَ أَقْوَامِ

٢_ لَا تَحْسَبُوْا المَجْدَ فِيْ طِرْسٍ وَ لا قَلَمِ المَجْدُ فِيْ صُوْفَةٍ أَوْ مَبْضَعٍ دَامِ

٣٣

وله: [المجتث] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ٣٣٤ & الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٤).

١_ قَصَدْتُ جِلَّةَ فَاسٍ اسْتَرْزِقُ اللهِ فِيْهِمْ [٣٣]

٢_ فَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُمْ دَفَعْتُهُ لِبَنِيْهِمْ [٣٤]

---

[٣١] من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. سورة الرعد/ الآية ٢.

[٣٢] هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهنا إشارة إلى ما قيل في انتساب الأمازيغ ومنهم لمتونة إلى حمير، وهو غير ثابت في هذا الباب. (ينظر: الأندلسي، ابن حزم، ١٩٨٢، ص ٤٣٢).

[٣٣] رواية الحموي: (جلة).

[٣٤] رواية الحموي: (أنفقته في).

٣٤

وله: [الخفيف] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٦)

١ـ قَامَ مِنِّيْ وَ قَدْ جَرَى ذِكْرُ جَبَحٍ فَتَعَجَّبْتُ إِذْ رَأَيْتُ قِيَامَهُ

٢ـ قُلْتُ: مَاذَا ؟ فَقَالَ لِيْ مُسْتَرِيْبًا : إِنَّمَا قُمْتُ كَيْ أَفِرَّ أَمَامَهْ

روي النون

٣٥

وله: [الطويل] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٨).

١ـ بِنَفْسِيَ مِنْ أَبْنَاءِ لَمْطَةَ أَغْيَدٌ يَمُرُّ كَمَا يَلْوِيْ بِخُوْطَتِهِ البَانُ [٣٥]

٢ـ ضَفِيْرَتُهُ مِهْرَاقَةٌ فَوْقَ عِطْفِهِ كَمَا عَانَقَ الغُصْنَ المُنَعَّمَ ثُعْبَانُ

٣٦

وله: [الكامل] (الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٨٧).

١ـ إِنَّ المُرَابِطَ لَا يَكُوْنُ مُرَابِطًا حَتَّى تَرَاهُ إِذَا تَرَاهُ جَبَانَا

٢ـ تَجْلُوْ الرَّعِيَّةُ مِنْ مَخَافَةِ جَوْرِهِ لِجَلَائِهِ إِذْ يَلْتَقِيْ الأَقْرَانَا

٣ـ إِنْ تَظْلِمُوْنَا نَنْتَصِفْ لِنِفُوْسِنَا يَجْنَى الرِّجَالُ فَنَأْخُذُ النِّسْوَانَا

٣٧

وله: [البسيط] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٨).

١ـ أَتُوْبُ للهِ إلا مِنْ هَوَى رَشَإٍ تَنْقَدُّ أَعْطَافُهُ عَنْ خِصْرِهِ لِيْنَا

٢ـ جِسْمُ ابْنِ عَشْرٍ وَ لَمْ يَسْتَوفِهَا كَمَلَا قَدْ حَمَّلُوْا خَصْرَهُ رِدْفَ ابْنَ عِشْرِيْنَا

٣٨

وله: [الكامل] (التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٢٣٣ (البيتان ا، ٤)، & الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٢. ذكر الأبيات الأربعة كاملة & الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، ج ٢/ ص ٢٦٧ـ ص٢٦٨). الأبيات (١، ٣، ٤. ٥)

١ـ فِيْ كُلِّ مَنْ رَبَطَ اللِّثَامَ دَنَاءَةٌ لَوْ أَنَّهُ يَعْلُوْ عَلَى كَيْوَانِ[٣٦]

٢ـ فَإِذَا طَلَبْتَ مُرَابِطًا مُتَكَرِّمًا فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ فِيْ الغُدْرَانِ

---

[٣٥] لمطة: قبيلة أمازيغية تجاور الملثمين من صنهاجة، وهم شعوب كثيرة، وأكثرهم ظواعن أهل وبر ومنهم بالسوس، وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثّمين ومعظمهم بين تلمسان وإفريقية. (ابن خلدون، ١٩٨٨، ٢٧٠/٦)

[٣٦] كَيْوَانُ: كوكب زحل في اللغة السريانية، وقد يكون تحريفا عن كوبانا بتلك اللغة بمعنى الجمال والهيبة.

٣_ مَا المَجْدُ عِنْدَهُمْ سِوَى أَنْ يُنْقَلُوْا مِنْ بَطْنِ زَانِيَةٍ لِظَهْرِ حَصَانٍ[٣٧]

٤_ المُنْتَمُوْن لِحِمْيَرٍ لَكِنَّهُمْ وَ ضَعُوْا القُرُوْنَ مَوَاضِعَ التِّيْجَانِ

٥_ لَا تَطْلِبَنَّ مُرَابِطًا ذَا عِفَّةٍ وَ اطْلُبْ شُعَاعَ النَّارِ فِيْ الغُدْرَانِ

٣٩

فمن قوله مما أنشدنيه جماعة من أصحابه: [البسيط] (التخريج: الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، ص١٣٣& الرعيني، ٢٠١٩، ص٢٧٨).

١_ وَ قائِلٌ فِيْمَ لَمْ تَهْجَعْ ؟ فَقُلْتُ لهُ: كَيْفَ الهُجُوْعُ بِطَرْفٍ نَافِرِ الوَسَنِ ؟

٢_ لَمْ يَدْرِ أَنَّ الكَرَى المَمْنُوْعَ عَنْ بَصَرِيْ تِلْكَ السِّنَاتُ الَّتِيْ فِيْ مُقْلَتَيْ حَسَنِ[٣٨]

٤٠

قوله: [الوافر] (التخريج: الأصفهاني، العماد، ١٩٨٦، ص ٥٨٠).

١_ أَخَافُ مِنَ الجَوَارِحِ أَنْ يَلِمُّوْا وَ مَا لِيْ بِالجَوَارِحِ مِنْ يَدَيْنِ

٢_ فَإِمَّا تُدْخِلُوْنِيْ جُرْحَ اسْمَا فَأَقْلِبُ كُلَّ ذِي نَظَرٍ وَ عَيْنِ[٣٩]

٣_ وَ إِلاَّ فَارْفَعُوْنِيْ إِنْ قَدِرْتُمْ عَلَى قَرْنِ الوَزِيْرِ أَبِيْ الحُسَيْنِ

٤١

وله: [الوافر] (الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٦)

١_ لَحَاهُ اللهُ مِنْ جَبَحٍ قَبِيْحٍ عِيَانُ المَوْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيَانِهِ

٢_ تَدَلَّى بَظْرُهُ وَ بِهِ احْمِرَارٌ كَمَا عَضَّ الذَّبِيْحُ عَلَى لِسَانِهِ

٤٢

وله: [الكامل] (الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٨٦، المقري التلمساني، ١٩٦٨، ٣/ ٣٢٤)[٤٠]

١_ أَرْشِ الزَّنَاتِيَّ الفَقِيهَ بِبَيْضَةٍ يَحلِفْ بِأَنَّ مُظَفَّرًا ذَا بَيْضَتَيْنِ[٤١]

---

[٣٧] رواية الأندلسي: (ما الفخر). والحصان: المرأة العفيفة.

[٣٨] رواية: (لم تدر، هي السنات).

[٣٩] اسماء: زوجة المهجو (أبو الحسين).

[٤٠] ذكر المقري التلمساني: (لمّا أفرط أبو بكر يحيى اليكي في هجاء أهل فاس تعسّفوا عليه، وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف، والقائد عبد الله بن خيار الجياني، وكان يتولى أمورا سلطانية بها، فقدّموا رجلاً ادعى عليه بدين، وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي، ورجل آخر يكنّى بأبي الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحق عليه، وأمر به إلى السجن، فرفع إليه، وسيق سوقاً عنيفاً، فلمّا وصل إلى بابه طلب ورقة من كاتبه، وكتب فيها، وأنفذها إلى مظفر مع العون الذي أوصله إلى السجن).

[٤١] رواية المقري التلمساني: (ارشوا). و (يشهد).

٢ـ وَ اهْدُوْا إِلَيْـهِ دَجَاجَـةً يَحْلِـفْ لَكُـمْ　　　مـا رَامَ عَبْدُ اللهِ عِــرْسَ أَبِيْ الحُسَيْنْ

روي الياء

٤٣

وله: [البسيط] التخريج: (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٩).

١ـ يَـا قَابضًا كَفَّهُ عَنِّـيْ بِمَـا مَلَكَتْ　　　فِـيْ حِيْـنٍ لَا تَقْبِضُ الأَحْرَارُ أَيْدِيْـهَـا

٢ـ وَ مَـنْ يَضِنُّ وَ مَا كَانَـتْ شَمَـائِلُـهُ　　　إِلَّا نَـفَـائِـسَ مَا يَحْـوِيْـهِ يُـهْـدِيْـهَـا

٤٤

وله: [البسيط] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٩).

١ـ نَفْسِيْ تَشَكَّتْ إِلَى عَلْيَـاكَ مَا وَجَدَتْ　　　عَسَـاكَ يَا ابْنَ الكِرَامِ الصِّيْدِ تُشْكِيْهَا

٤٥

وله فيه [مصلوب]: [البسيط] (التخريج: الرعيني، ٢٠١٩، ص ٢٧٩)

١ـ وَسْنَانُ لَا قُرَّةُ الظَّلْمَاءِ تُـوْقِظُـهُ　　　ولَا الـهَـجِـيْـرَةُ بِالبَـيْـدَاءِ تُـؤْذِيْـــهِ

٢ـ أَغْفَى فَيَا لَـيْـتَ شِعْرِيْ هَلْ يُلِمُّ بِهِ　　　إِذَا دَجَى اللَّـيْـلُ طَـيْـفٌ كَانَ يَأْتِيْـهِ ؟

٣ـ خَـطَّ البِنـانُ كِتَابًا بَيْـنَ أَضْلُـعِهِ　　　فَـمَــالَ يَقْــرَؤُهُ سِــرًّا وَ يَخْفِـيْـهِ

موشحة لليكي (تخريج عُدَّة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس ٣٠٦_٣٠٧)

فِيْ جَفْوَة الجَفْنِ　　لِلْمنَــامِ　　مَا شِئْتَ مِنْ بُوْسَا　　فِيْ الغَرَامِ

قَدْ شَبَّتِ الحَرْبِ　　فِــي إِلَاءِ

مِنْ لَحْظِهِ عَضْبُ　　ذُوْ مَضَاءِ

قَدْ سَلَّهُ الهُدْبُ　　لِلِقَــاءِ

فَكَيْـفَ بِالأَمْـنِ　　مِنْ حُسَامِ؟　　امْضَـى وَإِنْ قِيْسَــا　　بِالحَـمَـامِ

يَا وَرِاثَ المَجْدِ　　وَالفِخَـارِ

قُلْ: كَيْفَ لِلْعَبْدِ　　بِاصْطِبَارِ؟

وَرَوْضَـةُ الوَرْدِ　　وَالبُـهَـارِ

تَحْرِسُ إِنْ أَجْـنِ　　بِاللِّثَـامِ　　كَالزَّهْرِ مَـحْرُوْسَـا　　بِالكِمَـــامِ

مَنْ ذَا يُسَامِيْكَا　　فِيْ الجَلَالِ ؟

أَمْ مَنْ يُسَاوِيْكَا　　فِيْ الجَمَالِ ؟

تَكْفِيْكَ تَكْفِيْكـا　　ذِيْ المَعَالِيْ

أَقْسَمْتُ بِالرُّكْـنِ	وَالمَقَامِ	مَا كَـانَ مَبْخُـوْسَـا	مِنْ تَسَـامِ
	رِيْقُكَ أَمْ شَهْدٌ؟	أَمْ رَحِيْـقُ ؟	
	خَدُّكَ أَمْ وُرْدٌ ؟	أَمْ شَقِيْـقُ ؟	
	عُرْفُكَ أَمْ نَدٌّ ؟	أَمْ خَلُـوْقُ؟	
أَمْ جِئْتَ مِنْ عَدْنِ	لِلأَنَـامِ؟	كَي تَشْفِى مَغْمُـوْسَا	فِيْ السُّقَامِ
	قَدْ قُلْتُ إِذْ لَاحَا	فِيْ العِمَامَهْ	
	كَالبَدْرِ وَضَّاحَـا	فِيْ غَمَامَهْ	
	وَالزَّهْرُ إِذْ فَاحَا	فِيْ كمَامَـهْ	
يَا حَارِسَ الجَفْنِ	بِاللِّثَامِ	قُمْ بُوْسَنِيْ بُوْسَا	بِالذِّمَـامِ

الشعر الذي تدافعت سبته بين اليَكِّي وغيره

1

وله: [المتقارب] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٣٣٣ & الأندلسي، ١٩٩٣، ج٢/ ص ٢٩٦).

١ـ أَيَا ابْنَ خِـيَارٍ بَلَغْـتَ المَـدَى	وَ قَـدْ يُكْسَـفُ البَـدْرُ عِنْـدَ التَّمَامْ
٢ـ فَأَيْنَ الـوَزِيْــرُ أَبُـوْ جَـعْـفَـرٍ ؟	وَ أَيْنَ المُقَـرَّبُ عَبْدُ السَّـلَامْ ؟ [٤٢]

2

وله: [البسيط] (التخريج: التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، ص ٣٣٣ & المقري التلمساني، ١٩٦٨، ج ٣/ ص ٤١٢).

١ـ رَأَيْتُ آدَمَ فِـيْ نَـوْمِـيْ فَقُلْتُ لَـهُ:	أَبَـا البَرِيـَّةِ إِنَّ النَّـاسَ قَـدْ حَكَمُـوْا
٢ـ أَنَّ الزَّرَاجِيْـنَ رَهْطٌ مِنْكَ قَالَ: إِذًا	حَـوَّاءُ طَـالِقَـةٌ إِنْ كَـانَ مَا زَعَـمُـوْا [٤٣]

---

[٤٢] قال ابن سعيد: (الصحيح أنها للجراوي). ولم نتوصل إلى معرفة العلمين المذكورين.

[٤٣] روى التلمساني الأبيات للشاعر السميسر (ت ٤٨٠هـ)، مع اختلاف في رواية الألفاظ، قال: (لما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه حتى حصل في قبضته، ثم قال له: أنشدني ما قلت في، فقال له: وحق من حصلني في يدك ما قلت شراً فيك، وإنما قلت:

رَأَيْتُ آدَمَ فِـيْ نَـوْمِـيْ فَقُلْـتُ لَـهُ:	أَبَـا البَرِيـَّـةِ إِنَّ النَّـاسَ قَـدْ حَكَمُـوْا
أَنَّ البـَرَابِـرَ نَسْـلًا مِنْـكَ قَـالَ: إِذَنْ	حَـوَّاءُ طَـالِقَـةٌ إِنْ كَـانَ مَـا زَعَـمُـوْا

فنذر ابن بلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت هارباً إلى بلادك فوضع علي من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك، ويكون الإثم عليك).

المصادر:

القرآن الكريم

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن، ١٩٨٨، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،** تحقيق، خليل شحادة، ١، بيروت، دار الفكر.
- الأصفهاني، العماد، ١٩٨٦، **خريدة القصر وجريدة العصر،** تحقيق، آذرتاش آذرنوش، ط٢، بيروت. الدار التونسية للنشر.
- الأندلسي، ابن حزم، ١٩٨٢، **جمهرة أنساب العرب،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٥، القاهرة، دار المعارف.
- الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٩٣، **المغرب في حلى المغرب،** تحقيق، الدكتور شوقي ضيف، ط٤، القاهرة، دار المعارف.
- البلنسي، ابن الأبار، ١٩٨٥، **الحلة السيراء،** تحقيق، الدكتور حسين مؤنس، ط٢، القاهرة، دار المعارف.
- التجيبي، أبو بحر، ١٩٩٩، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر،** زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، نشرة الدكتور محمد بن شريفة، ط١، الدار البيضاء، مطبعة النجاح.
- التلمساني، ١٩٦٨، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** تحقيق، الدكتور إحسان عباس، د ط، بيروت، دار صادر.
- الحموي، الياقوت، ١٩٧٧، **معجم البلدان،** ط١، بيروت، دار صادر.
- الحميري، ابن عبد المنعم، ١٩٨٠ **الروض المعطار في خبر الأقطار،** تحقيق، الدكتور إحسان عباس، ط٢، القاهرة، مؤسة ناصر للقافة.
- الرعيني، **جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالجزيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة،** تحقيق، الدكتور البشير التهالي و الدكتور رشيد كناني، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- السامرائي، د، خليل إبراهيم وآخرون، ٢٠٠٠، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،** الدكتور خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الصنهاجي، أبو بكر، ١٩٧١، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين،** أبو بكر بن علي الصنهاجي، ط١، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة.
- الضبي، أبو جعفر، ١٩٨٩، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،** تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط١، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.
- عنان، محمد عبدالله، ١٩٦٣، **دولة الإسلام في الأندلس _عصر المرابطين والموحدين_،** ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الغرناطي، ابن بشرّي، ١٩٩٢، **عدّة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس،** عني بتصحيحه، ألن جونز، لندن، مطبعة مركز الحاسبات جامعة أكسفورد.
- الغرناطي، ابن الخطيب، ١٩٨٠، **السحر والشعر،** تحقيق، الدكتور محمد مفتاح المرونة، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إشراف، الدكتور عبد السلام الهراس، فاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.ود ت، تحقيق، محمد كمال شبانة، المغرب، دار الفضيلة ودار الاعتصام.١٩٨١، تحقيق، خ.م كونتتينتي فرير، مدريد.
- الغرناطي، ابن الزبير، ٢٠٠٨، **صلة الصلة،** تحقيق، شريف أبو العلا، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- الفاسي، ابن أبي زرع، ١٩٧٢، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،** ط١، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة.
- الكلبي، ابن دحية، ١٩٥٥، **المطرب من أشعار أهل المغرب،** تحقيق: إبراهيم الأبياري، د ط، بيروت، دار العلم للجميع.
- المراكشي، عبد الواحد، ٢٠٠٦، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب،** عبد الواحد المراكشي، تحقيق، الدكتور صلاح الدين الهواري، ط١، صيدا، المكبة العصرية.
- المنوني، محمد عبد الهادي، ١٩٨٩، حضارة الموحدين، ط١، الرباط، دار توبقال.
- الناصري، أحمد ، ١٩٥٥، **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى،** تحقيق، جعفر الناصري و محمد الناصري، ط١، الدار البيضاء، دار الكتاب.

Research

The Holy Quran

▪ abn khaldun , a bu zid eabd alrahmin , 1988 , diwan almubtada walkabr fi tarik alarab & albarbir &asarahum mn thui alshan al'akbar, investigation , khalli shahathat , 1 , Beirut , Dar alfikr.

▪Alasfihaniu ,Aleimad ,1986 ,Karidat Alqasr & Jaridat aleasr, investigation ,Adhirtash Adhrnush ,2nd ed ,Beirut. Adaar Altuwnisiat lilnashr.

▪ Alandalusi, Ibn Hazm, 1982, Jamhart ansab al arab. investigation. Abdussalam Muhammad Haroun, 5th ed, Beirut. Dar Almaaref.

▪ Al Andalusi, Ibn Said 1993, Al muqreb fi hula Almaqreb. investigation, dr. Shawqi Dhaif, 4 th .ed, Cairo , Dar Al Maarif.

▪Al Balansi, Ibn Al-Abbar, 1985, Alhulla AlSirra, investigation, Dr. Hussein Moanis, 2nd ed, Cairo. , Dar Al maaref.

▪ Altujibi. abu bahr , 1999 , Zad almusafir & Qurat muhaya Al adab assafir , vestigation. Dr. Mohameed Ibn Sharifa ,1 st , Addar Albayda, matbat al_najah.

▪ Al Tlemceni,1968, Nafh Al tib mn qusn Al Andalus Al ratib, investigation, dr. Ihsan Abbas, Beirut, Dar Sader.

▪ Alhamwi , Yaqut , 1977 , Maejam albuldan , 1st ed , Beirut , dar sadr.

▪ Al Himiri .Ibn Abdel Moneim, 1980, Al Rawd Al Moatar fi kabar Al Aktar, investigation : Dr. Ihsan Abbas, 2.nd ed, Cairo. Nasser Foundation for Culture.

▪ Al Ruaini, 2019, Jana Al-Azhar Al-nadhira & Sana Al-Zawahir Al-Mounira fi selat almatmah be Al thakhera mma waladatho Al kawater mn al mahasen fi hada Al muda ak akhera, vestigation, dr. Al-Bashir Al-Thali & Dr. Rashid Kanani, 1.st .ed, Al-Sous, Al-Risala Foundation.

▪AlSamarrai, Dr. Khalil Ibrahim and others, 2000, Tarik alearab wahadaratuhim fi Al'andulis, 1 st ed ,Beirut, Dar alkitab aljadid almutahidat .

▪ Al_suninhaji , abu bakr , 1971 , Akbar Almahdi banarat wabidayat dawlat almuahadin ,Abu Bakr bin Ali sinunhaji ,1st ed ,Arribat ,Dar AlMnswr liltabaeat walwaraqat

▪ Al dubbi , Abu Jaefar ,1989 ,Bughyat Almultamis fi tarikh rijal ahl Al Andalis , investigation , librahim al'abyarii , 1st ed , Beirut , Dar alkitab almisriu wadar alkitab allubnani.

▪ Anan, Muhammad Abdullah, 1963, daulat alislam fi al andalus_ asr almurabiteen & al muahedin - 2nd ed, Cairo. Al-Khanji Library .

▪ Al Qernati, Ibn Al-Khatib, 1980 alsihr walshaer , investigation, Dr. Muhammad Moftah Al-Flexibility, Postgraduate Diploma Thesis, Supervision, Dr. Abd al-Salam al-Harras, Fez, Faculty of Arts and Human Sciences. WOD, investigation, Muhammad Kamal Shabana, Morocco, Dar al-Fadila and Dar al-I'tisam. 1981, Investigation, M. Continenti Frere, Madrid.

▪ Al Qernati, Ibn Al-Zubair, 2008, Selt alselah, investigation, Sharif Abu Al-Ela, 1st ed , Cairo .Maktabat al takafh aldinia.

Al Qernati, Ibn Bishri, 1992, eddt aljilays wamuaanasat alwazir walrayiys investigation, Allen Jones, London, Oxford University Computing Center Press.

▪ Al Fassi, Ibn Abi Zara, 1972, Al–Anees Al–Mutreb Baroud Al–Qurtas

Fi aqbar muluk al muqreeb & tarik madinat. Fez, 1st ed. Rabat. Dar Al–Mansour for Printing and Paper.

▪Al Kalbi, Ibn Dahia, 1955, Al–Mutrebmn ashaar ahl al_muqreb, investigation , Ibrahim Al–Abyari , Beirut, Dar alaelm Iljamea.

▪ AL_Murrakchi, Abdul Wahid, 2006, Al muaajeb fi talkis akbar al mukreb, Abdel Wahid Marrakchi, .investigation, Dr.salah addin al hauari, and other , 1st ed, Saida,Almaktaba alasria.

▪ Al Manouni, Mohamed Abdel–Hadi, 1989, hadarat almuuhadeen,1st ed , Rabat, Dar Toubkal.

▪ Al Naciri, Ahmed, 1955 Alestiksa fi akbar al maqrib al aqsa, investigation by Jaafar Al–Nasiri and .Muhammad Al–Nasiri, 1st ed Casablanca, Dar Al–Kitab.

الفكر المقاصدي بين الدهلوي وابن عاشور: امتداد أم تحوير؟

الباحثة جميلة بالقروي
كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة/ جامعة سوسة

الملخص:

يهدف هذه البحث إلى تفهّم المحاولات التوصيفيّة للعلم بصفة عامّة ضمن سؤالٍ جوهريٍّ مفاده هل الفكر المقاصدي امتداد للماضي أم أنّه تحوير وتجديد؟ وندرس هذا الجانب من جهة السمات المميزة للفكر المقاصدي المتمثّلة في التأصيل والتأريخ والتقعيد والتفعيل والتطوير وقد اخترنا نموذجين مختلفين: الأوّل ولي الله الدهلوي الذي ولد في بداية القرن الثامن عشر في بيئة دينيّة وسياسية مضطربة. رغم ذلك كانت الظروف متاحة له للإصلاح والتغيير وهو ما عبّر عنه فكره المقاصدي المنفتح على الفلسفة اليونانية، وقد أضاف إليها مفهوم الإصلاح وهو ما سنعمل على ابرازه وذلك بالعودة إلى وسائل التّلقي لديه. والثاني ابن عاشور فقد عاش في القرن العشرين وحاول من خلال فكره المقاصدي إعادة الاعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي فالناظر في مؤلّفاته تبدو له هذه النزعة واضحة لديه من خلال دعوته للإصلاح الديني والاجتماعي، لذا نسعى في هذا البحث إلى إثارة جملة من الإشكاليّات: كيف نشأت فكرة المقاصد عند الدهلوي وابن عاشور؟ ما مؤثرات التّلقي عندهما؟ هل الفكر المقاصدي مسار متواصل؟ ما الثابت والمتحول في هذا المسار؟ ما مآزق الفكر المقاصدي في ظلّ علم الكلام الجديد؟

وقد قسّمنا بحثنا على مرحلتين: أولى تُعنى بالبحث المقاصدي ومداخله المعرفيّة من جهة وبوسائل التّلقي عند كلّ من الدهلوي، وابن عاشور، من جهة أخرى. وثانية تهتمّ بالبحث عن عوامل التّواصل بينهما وذلك بالنظر إلى الاختلاف الزماني والمكاني بينهما، كما نهتمّ فيها بمظاهر التقليد والتجديد لديهما

الكلمات المفتاحية: الفكر المقاصدي – الدهلوي – ابن عاشور –الامتداد –التحوير

المقدّمة:

ساهم عدد من الفقهاء الأصوليين في وضع مقوّمات البناء المقاصدي الذي لم يظهر دفعة واحدة ولكنّه مرّ بمراحل متتابعة، وصلت إلى مرحلة التدوين العلمي. ومن الأصوليين يمكن أن نذكر أبا بكر القّفال الشاشي(ت٣٦٥هـ) الذي بيّن أنّ أحكام الشريعة في جملتها معقولة المعنى وأنّها شرعت لمصالح العباد، وأبو المعالي عبد الملك الجويني(ت٤٧٨هـ) بتنظيره لما يسميه "الأغراض الدفعية والنفعية" في علاقتها بمبدأ جلب المصلحة ودرء المفسدة وبتقسيمه المصالح

إلى ضرورية وحاجية وتحسينيّة وقد أُعتبر صاحب "الإمامة والريادة في هذا الفن" وعز الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تميّز بربطه مفهوم المصلحة بمفهوم المقصد، أمّا نجم الدين الطوفي (ت٧١٦هـ) نظر في فرضية التّعارض بين المصلحة والنّص، ثم يأتي أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ) الذي يمثّل نهاية المسار للمقاصد في العصر القديم وهو بمثابة الفاتح للعصر الحديث ووصولاً إلى الدهلوي في بداية القرن الثامن عشر، وابن عاشور وسيرته ممتدة من نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر إلى بدايات العقد الثامن من القرن العشرين.

وقد اخترت أُنموذجين مختلفين وهما الدهلوي وابن عاشور وذلك قصد فهم المحاولات التوصيفية لعلم المقاصد ضمن سؤال أساسيّ مفاده هل الفكر المقاصدي امتداد للماضي أم أنّه تحوير وتجديد؟ وهذا السؤال سُحِب على هذا العلم ضمن مسار يرسم الحدود الواضحة بين ماهو معرفي تغييري وبين ماهو معرفي سائد. ومن مسوغات توجيه النظر إلى ما اقترحناه عنوانا لهذا البحث محددين اثنين: أوّلهما المحدد المفهومي ويتطلّب منّا الفحص العميق لمفهوم الفكر المقاصدي وما يُشتق منه من مفردات ثانوية وثانيها المحدد الزمني ومآتاه وعينا بأنّ الفكر المقاصدي متجذّر في التّاريخ لذلك كان لزاما بيان تاريخيّته الّتي مرت بمراحل متعددة والغاية من هذه المحددات الكشف عن العلاقة بينهما من جهة وعن صلة هذا الفكر بمباحث أخرى كالقرآن والسنة من جهة ثانية.

وبما أنّ موضوعنا "الفكر المقاصدي بين الدهلوي وابن عاشور: امتداد أم تحوير؟" يجمع بين الديني والمعرفي والسيّاسي والأخلاقي، فقد تخيّرنا مقاربة تجمع بين حقولٍ بحثية شتّى واختصاصات معرفيّة متعددة حتّى نحيط بأبعاد المسألة وضمنياتها: فالدراسة الدينية كفيلة بعقد الصلات بين السمات الإجمالية للبحث المقاصدي كالربط بين التأصيل والتأريخ والتطوير في إطار ثنائية الامتداد والتحوير، أمّا الدراسة السيّاسة من شأنها أن تكشف لنا الفرق بين تصوّر الدهلوي وابن عاشور للنظام السيّاسي، وعوامل التّلقي لديهما في صياغة هذا المفهوم.

لذا نسعى في هذا البحث إلى إثارة جملة من الإشكاليّات: ما الفكر المقاصدي؟ كيف نشأت فكرة المقاصد عند الدهلوي وابن عاشور؟ ما مؤثرات التّلقي لديهما؟ هل الفكر المقاصدي مسار متواصل؟ ما الثابت وما المتحوّل في هذا المسار؟ ما مآزق الفكر المقاصدي في ظلّ علم الكلام الجديد؟ وهذه الإشكاليّات تهدف إلى معالجة مظاهر التواصل والانقطاع بين الدهلوي وابن عاشور، وحتّى تكتسب المعالجة البحثية جدواها جمعنا بين أطوار منهجيّة ثلاثة: طور وصفي يهتمّ بعرضِ تاريخيّة الفكر المقاصدي، وطور مقارني نقارن فيه الدهلوي وابن عاشور؛ لنكتشف مواطن الامتداد والانقطاع بينهما، وطور نقدي يّبين مآزق الفكر المقاصدي وانفتاحه على مباحث أخرى.

١. مدخل اصطلاحي

١.١ في مفهوم الفكر المقاصدي

قد تلفت انتباه القارئ في هذا المبحث مفهوم الفكر المقاصدي ويبدو الحفر فيه ومن باب الإجراء ضروريّا؛ وذلك لتقصّي المعاني المتوارية خلفه ولنتبيّن أوجه العلاقة بين هذا الفكر بعامة وبين الدهلوي، وابن عاشور، بخاصة. فكيف صاغ كلّ منهما هذا المفهوم؟ جاء هذا المفهوم متواترًا بين ما أقرّه الأصوليّون وهم من وضعوا القوانين والقواعد الّتي بُني عليها هذا الفكر والحداثيون وهم أنواع ونقصد في بحثنا من اشتغلوا بقضايا الدين والتراث الإسلامي ويمكن وصفهم بالإسلاميين الحداثيين، فتكاد تشترك هذه الحقب التّاريخية في مفهوم الفكر المقاصدي وتختلف في الاصطلاح وفي توظيف هذا المبحث.

إنّ الواقع المنطقي السليم عند تفسير حقيقة ما هو البدء بمعرفة "عناصرها العامّة ومشخصاتها وضبط ألفاظها" والراجح دومًا أنّ معاجم اللّغة العربيّة هي الّتي تُضيء لنا هذه الحقيقة بالرغم من تحديد هدفنا مُسبقا من هذه المعاجم الّتي "وُضعت لضبط الألفاظ " وردت لفظة المقاصد في اللغة بتحديدات مختلفة فورد في المصباح المنير قصد جمع قصودٍ وهو عند الفقهاء مصدر فجمعه موقوف على السماع، فيجمع على مقاصِدَ وقصد في الأمر قصدًا وسّط وطلب الأسَدَّ ولم يُجاوز الحدَّ وهو على قصدٍ أي رشدٍ وطريقٌ[١]. وورد بلسان العرب القصد استقامة الطريق، والقصد العدل والاعتماد والأمُّ[٢] وبالتّالي يتراوح القصد بين طلب الأسَدّ، الرشد، واستقامة الطريق والعدل والاعتماد والأمّ، وهي كلّها تحديدات ترد بمعنى "التّوجه" إلى النّصوص لأخذ المعاني منها، في المقابل نجد طه عبد الرحمن يتوسّل في تحرّي معنى القصد عن طريق التّعريف بالضّد، فيقابل معنى القصد بضده، وأورد ثلاثة أفعال ضّد فعل قصد: المعنى الأول قصد ضد فعل لَغَا فاللّغو يدلّ عن الخلو عن الفائدة، والمعنى الثّاني قصد ضد فعل سها والسهو هو فقد التّوجه، والمعنى الثّالث ضد فعل لَهَا واللّهو هو الخلو عن الغرض الصّحيح [٣]

وتأتي لفظة المقاصد في الاصطلاح بمعانٍ متعددة ففي مرحلة التأسيس لم نجد تعريفًا اصطلاحيّا للمقاصد عند الأصوليين والفقهاء، وإنّما دلّت عليه لفظة بعض الإشارات والكلمات

---

(١) الفيومي أحمد بن محمّد بن علي المقري: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تحقيق عبد العظيم الشناوي دار المعارف، القاهرة، الطبعة ٢، ٢٠١٦، ص٥٠٥

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث ومؤسسة التّاريخ العربي، لبنان بيروت، ط٣، ١٩٩٩، مادّة قصد، مج٣، ص٣٣٥

(٣) طه عبد الرحمن، **مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة**، مجلّة المسلم المعاصر، العدد ١٠٣، ٢٠٠٢

والجمل، إضافة إلى بعض العناوين للكتب والمؤلّفات مثل **محاسن الشريعة** لأبي بكر القفال الشاشي، وكتاب "**غياث الأمم في التياث الظُّلم**" والبرهان **في أصول الفقه** للجويني وهي عبارة عن نقطة انطلاق لمقاصد الشريعة وهو الذي أشار إلى تقسيم أصول الشريعة إلى خمسة أقسام وقد اعترف له بالفصل علماء العصر الحديث، من ذلك ما قرّره يوسف القرضاوي حين عدّ الجويني "واضع اللّمسات الأولى في مقاصد الشريعة" في حين أوجد لها ابن تيمية تعريفا اصطلاحيّا فهي الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته[٤] وهو ليس التعريف الوحيد لكن نكتفي بذكر أمثلة؛ لأنّ مجال البحث لا يتّسع لذكرها، وأفرد الشاطبي المقاصد بالتأليف من خلال كتابيه **الموافقات** و**الاعتصام**، ولكنّه ليس من ابتدع هذا العلم، فهذه المؤلّفات سبقتها مراحل كثيرة بسطت مسائل هذا العلم وقواعده. فكيف عرّفه الدهلوي وابن عاشور؟

٢.١ مفهوم المقاصد عند الدهلوي وابن عاشور بين التأصيل والنظرية

عبّر الدهلوي، عن مقاصد الشريعة بكتابه **حجّة الله البالغة** وبيّن مند الصفحات الأولى أهميّة العلوم الشرعيّة عنده وأشار في هذا السيّاق إلى مفهوم المقاصد الّذي عبّر عنه بعلم أسرار الدّين يقول بذات الصدد: «هو علم أسرار الدين، الباحث عن حِكَمِ الأحكام ولِمِّياتها، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها فهو واللّه أحقُّ العلوم بأن يَصْرِف فيه منْ أطاقه نفائس الأوقات»[٥]. فهذا التّعريف بيّن فيه الطريقة المتّبعة لبلوغ أسرار الشريعة بصفة عامّة وأسرار خواص الأعمال الّتي فصّلها في كتابه، حيث ذكر أسرار الطهارة والوضوء، الحج، الصوم، الزكاة والصلاة، وإذا رجعنا إلى معنى الأسرار في معاجم اللّغة نجدها قد وردت بمعنى المصلحة والطريقة والحقيقة[٦] لذلك لم يتكلّم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات واستنتاج المقاصد[٧]

يقترب هذا التعريف مع ما أورده ابن عاشور، من جهة العام والخاصّ، وذلك أنّه قسّم المقاصد إلى قسمين مقاصد عامّة وأخرى خاصّة، وقد أورد لكلّ قسم تعريفه: فمقاصد التّشريع العامّة هي المعاني والحكم الملحوظة للشّارع في جميع أحوال التّشريع أو معظمها، أمّا الخاصّة

---

[٤] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني: **مجموع فتاوي ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السعودية، ٢٠٠٤، ج٣، ص١٩

[٥] الدهلوي شاه ولي الله بن عبد الرحيم: **حجّة الله البالغة**، تحقيق السيّد سابق، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥، ج١، ص٢٢

[٦] ابن منظور: نفس المصدر، مج٤، ص٣٥٦

[٧] حجة الله البالغة: نفس المصدر، ج١، ص١٦

فهي الكيفيّات المقصودة للشّارع لتحقيق مقاصد النّاس النافعة أو حفظ مصالحهم العامّة في تصرّفاتهم الخاصّة[٨] وبالتّالي نستنج أنّ تعريف الدهلوي، للمقاصد يتأرجح بين الكتمان والطريقة والحقيقة، في حين أنّ ابن عاشور، كان تعريفه واضحا للمقاصد العامّة والخاصة، كما استعمل "المقاصد العالية" فهي عنده فوق المقاصد الكليّة أو العامّة ويعني بها المبادئ الشاملة الّتي تدخل تحتها و تنتمي إليها جميع المقاصد كجلب المصالح ودرء المفاسد[٩]، كما عرّف المصلحة والمفسدة وتعرّض إلى ضوابط المفاسد وأقسامها. وإذا نظرنا إلى التعاريف الّتي أوردناها وهي جزء من الكلّ المتواتر للمقاصد، نلاحظ أنّها تخلو من لفظة المقاصد في حين تضع مكانها لفظة الحكم والأسرار والغايات وهي ألفاظ تحتاج بدورها إلى توضيح وشرح، لكنّ هذه التعاريف تبرز الغاية والهدف؛ لذلك لا بدّ من البحث عن غاية تلك الأسرار والحكم والقصد منها.

وكنتيجة لما سبق فإنّ الدهلوي، على الرغم من تقدّمه بنحو قرنين من الزمن عن ابن عاشور، إلاّ أنّه قدّم تعريفا لمقاصد الشريعة العامّة والخاصة، وقدّم بعض الأمثلة الّتي بيّن بها حِكم الأحكام وأسرار خواص الأعمال، فذكر مثلا الحكمة في النهي عن السجود عند طلوع الشمس هي مخالفة طوائف من الكفّار ممن يسجد للشمس عند طلوعها[١٠] كما بيّن الدهلوي أهميّة هذا العلم ومكانته فهو عنده أدقّ الفنون الحديثة بأسرها وأعمقها أصلاً وأرفعها منارًا وأولى العلوم الشرعية عن آخرها وأعلاها منزلة وأعظمها مقدارًا وبه يصير الانسان على بصيرة فيما جاء به الشرع[١١] وأشار إلى الحاجة الضرورية إلى التأليف في المقاصد من ذلك أهميتها للإنسان وكثرة اختلاف الفقهاء خصوصا في علل الأحكام في حين يأتي تعريف ابن عاشور للمقاصد بهذا النحو في إطار عمليّة التحوير. والجدير بنا أن نتساءل لماذا لم تتداول مقاصد الدهلوي مثل ابن عاشور وغيره ممن كتبوا في هذا العلم؟

تظلّ– حتّى هذه النقطة–التّوصل إلى تعريف لعلم المقاصد أمر غير واضح على الرغم من محاولة ابن عاشور، إلاّ أنّ هذا التّعريف هو بمثابة بيان المواطن الّتي" تُلتَمس فيها المقاصد" على حدّ عبارة حمادي العبيدي، فالدهلوي وابن عاشور انطلاقا من نفس المادّة وهي قصد نظرًا لشمولها على معانٍ وحكم وأسرار لكن ما يختلف بينهما هو التوظيف الفكري لهذه المعاني فالدهلوي يستعمل التقصيد الحكمي من ذلك بيان الأسرار والحكم من النصوص والتّقصيد

---

(٨) ابن عاشور محمّد الطاهر: **مقاصد الشريعة**، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، الدار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ٢٠٠١، ص٢٨

(٩) الريسوني أحمد: **محاضرات في مقاصد الشريعة**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص٣٢

(١٠) الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص٣١

(١١) نفسه، ج١، ص٢١

الاستدلالي[١٢] أمّا ابن عاشور فقد أنبنى توجّهه المقاصدي على وعي نقدي للأسس الّتي قام عليها العقل الفقهي القديم. فكيف صاغ كلّ منهما نظريته في المقاصد؟

قبل البحث في نظرية المقاصد عند كلايهما لابدّ من بيان المقصود بالنظرية عند المحدثين والمعاصرين حيث وردت في **معجم لا لاند الفلسفي** أنّها بمثابة بناء معرفي للفكر الرابط بين الجزئيّات وحدّد لها خمسة معانٍ، إنّها تقابل الممارسة في نظام الوقائع، وإنّها ما يمكنه أن يشكّل الحقّ المحض أو الخير المثالي المتميزين من الواجبات والفرائض المعترف بها عمومًا، كما إنّها ترد في مقابل المعرفة العامّة أي ما يكون موضوع لتصوّر منهجي منظَّمٌ نسقيّا، وإنّها معرفة يقينية، ثم إنّها ترد مقابل تفاصيل العلم وهي توليف يأخذ على كاهله تفسير عدد من الوقائع ومسلّم بها من عند معظم علماء عصر ما[١٣] وضمن هذه المعاني الخمسة يمكن أن تنشأ نظرية في المقاصد الّتي تمثّل ذلك "التّصور المنهجي" لتوليفات علميّة انتهى إليها فقه أصول الشريعة.

وعلى هذا الأساس وردت نظرية الدهلوي واضحة المعالم وقد وضّحنا تعريفها والغاية منها، والإشادة بهذا العلم بوصفهِ ذا منزلة عليّا وقدرًا عظيمًا، فعلى الرغم من تباين البعض بأنّ تدوين هذا العلم وترتيبه يكاد يكون ممتنعًا نظرًا لغموضه أو ليس في تدوينه فائدة معتدٌّ بها وهذه الظنون فاسدة[١٤] واعتبر أنّها ليست عائقا أمام تدوينه وبيّن أنّ خفاء مسائله لا يلغي تدوينه وأرجع عدم تدوين السلف إيّاه بعد ما مهّد النبي أصوله وفرّع فروعه، وأنّ الأوائل لم يدونوا هذا العلم لصفاء عقائدهم، ثمّ قدّم حجة أخرى إنّ الكثير من هذا الفن لم يفرد بالتدوين ولم ترتّب أصوله وفروعه إلاّ بعد قرون كثيرة حين حاول الأصوليّون إيجاد تقسيم للمقاصد ضمن محاولات التقعيد لهذا العلم فقد كان ابن تيمية أوّل من تفطّن إلى الكليّات الخمس المتمثّلة في حفظ الدين والنّفس والعقل والنسب والمال لذلك لابد من طرح سؤالا جوهريّا إلى أي مدى طبّق الدهلوي القواعد الأساسيّة لعلم المقاصد؟

تعدّدت آليات تقسيم المقاصد وذلك لاعتبارات مختلفة، حيث يمكن تقسيمها باعتبار محلّ صدورها ومنشئها على حدّ تعبير الشاطبي[١٥] وضمن هذا التقسيم نجد مقاصد الشارع ومقاصد

---

(١٢) نقاز إسماعيل: **فلسفة التّعليل والتّعبد في فكر الإمامين الشاطبي والدهلوي**، قسم الدراسات الدينية، مؤمنون بلا حدود، ١٢ أكتوبر، ٢٠١٦، ص١٣

(١٣) لا لاند أندريه: **موسوعة لا لاند الفلسفيّة**، تعريب أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، لبنان، ط٢، ٢٠٠١، ص١٤٥٤

(١٤) الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص٣١

(١٥) الشاطبي، **الموافقات**، ج٢، ص ١٠٧

المكلّف، كما يمكن تقسيمها أيضا باعتبار الوقت أي المقاصد الأخروية والدنيوية، أمّا التقسيم المتواتر والمتداول فهو باعتبار "مدى الحاجة إليها" وفيه ثلاثة أقسام الضروريات والحاجيات والتحسينات[١٦] وقد حاول علماء المقاصد اتّباع هذه التقسيمات في إطار عمليّة التقعيد والتأصيل وضمن هذه الثنائيّة. حاول الدهلوي ضمن مقاصده تتبّع هذه التقسيمات وهو ما صرّح به في كتابه **حجّة الله البالغة** الذي قسّمه على قسمين أحدهما قسم القواعد الكليّة الّتي تنتظم "بها المصالح المرعية في الشرائع" والقسم الثاني في شرح أسرار الأحاديث وفيه أبواب الإيمان، العلم، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الإحسان، المعاملات، تدبير المنازل، سياسة المدن، آداب المعيشة[١٧]

كما اتّبع ضمن هذا التقسيم العام للمقاصد التقسيم المتواتر أي باعتبار "مدى الحاجة إليها" فحدّد الضروريّات المتمثلة في خمسة مطالب وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال، وقد تناول هذه الضروريّات بالتفصيل فالدّين حفظه يكون من "جانب الوجود" وهذا الجانب به يتمّ تحقيق أركان الدّين وتثبيت قواعده وبه يتمّ درء المفاسد وقدّم في هذا السيّاق أمثلة منها باب أسرار ما جاء عن النبي وهو ما يدخل ضمن باب الإيمان الذي أثبت فيه هذا الجانب الوجودي يقول في السيّاق:« اعلم أنّ النبي لمّا كان مبعوثًا إلى الخلق بعثًا عامًا ليغلب دينه على الأديان كلّها بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل»[١٨]

وقد ميّز هذا الجانب بفعل الغلبة الّتي إمّا أن يحقّقها عزيز أو يدفعها ذليل وقرِن اكتمال هذه الشرائع والنواميس بالأمر بالجهاد، وقد حدّد فضائله الّتي هي من "الأصول" فمنها أنّها موافقة تدبير الحقّ وإلهامه والسعي في إتمامه سببا لشمول الرّحمة والسعي في إبطاله سببا لشمول اللّعنة، وأنّه عمل شاق يحتاج إلى تعب وبذل مال ومهجة وقد دعم هذا القول من خلال حديث نبوي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين[١٩]

وفضل الجهاد هذا لا يخرج عمّا قرّره علماء اللّغة من أنّه بذل الجهد واستفراغ الوسع[٢٠] والمشقّة والنهاية والغاية[٢١] كما اتّفق الفقهاء والعلماء على أنّه قتال في سبيل الله وهذا الطرح

---

(١٦) البدوي يوسف أحمد محمّد: **مقاصد الشريعة عند ابن تيمية**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (دون طبعة)، ١٩٩٩، ص١٢٦

(١٧) الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص ٣٨/٣٧

(١٨) نفس المصدر، ج١، ص٢٧٧

(١٩) الدهلوي: نفس المصدر، ج٢، ص٢٦٤/٢٦٥

(٢٠) ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (جهد)، ج٣، ص٢٦٧

(٢١) مجمع اللّغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤، ج١، ص١٤٢

الذي قدّمه الدهلوي للجهاد والقصد منه يمكن أن يكون صالحا ليومنا هذا خصوصا في ظلّ التباس مفهوم الجهاد الذي يرجع إلى عدم فهم مقاصده كما ورد في القرآن، وكما قدّمها علماء المقاصد، وإلى ما أصاب هذا المصطلح من تحريف حتّى أصبح الجهاد مقترنا بالتفجيرات والاغتيالات والقتل وما إلى ذلك من أفعال العنف، وهذه الشوائب الّتي اعترته هي ليست طبيعة في المسلمين.

وبناءً عليه نخلص إلى أنّ مطلب الدين عند الدهلوي يُحفظ بتثبيت أركانه وقواعده بإكمال الشرائع والنواميس مثل الجهاد وقد أطلنا في هذا المبحث بوعي منّا وليس من باب الاستطراد؛ لأنّ مبحث الجهاد ينفتح مباشرة على مطلب النّفس الّتي إذا أزهقت وهي ممتلئة من السعي في إقامة دين الله فُتِح بينه وبين "حظيرة القدس فيح واسع" كما قرّر أنّ ازهاق النّفس بغير حقّ أعظم المظالم، وممّا يلفت النظر في هذا المطلب أنّ النّفس استعملها في غالب الأحيان بالمعنى الفلسفي الهيولاني من حيث إنّها النّفس مكان للصور وبمعنى أنّها "كلّ جسم حامل لصورته" يقول في ذلك لأنّ النّفس في أوّل أمرها تُخلق هيولانية فارغة من جميع ما تنصبغ به، ثمّ لا تزال تخرج من القوّة إلى الفعل يومًا فيومًا[٢٢] والمصلحة من حفظ النّفس المحافظة على ما أراد الله من عباده من انتشار نوع الإنسان لذلك زجرت الشريعة جميع أنواع الاعتداء على النّفس وسدّت كافة الذرائع المؤديّة إلى إزهاق النّفس. إذا كانت هذه الظروف الاجتماعية والسيّاسية مجتمعة دافعًا أساسيّا للدهلوي وابن عاشور لصياغة نظرية في المقاصد سواء إن كانت مقاصد كليّة أو جزئية، لها تبعات ونتائج ننتظر منها مصلحة فرديّة أو جماعيّة. وقد ساهمت في بناء هذه النظريات المقاصديّة عوامل كثيرة منها الاجتماعي والسيّاسي كما أسهمت في بنائها عوامل ذاتيّة تختلف من بيئة إلى أخرى.

٢. قراءة في عصر الدهلوي وابن عاشور وعوامل التّلقي عند كلّ منهما

١.٢ الدهلوي حياته وعصره

هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، اشتهر بالشاه وليّ الله وهي كلمة فارسيّة معناها الملك يلقّب بها الصوفية والمشايخ[٢٣] والدهلوي نسبة إلى عاصمة المسلمين في الهند دِهْلِي وهي أعظم مدن الهند الإسلاميّة لها عدّة تواريخ مختصّة بأحوالها وملوكها وهو ما امتازت به على غيرها من البلاد[٢٤] ولد سنة ١١١٤هـ الموافق ل ١٧٠٣م عاش في ظروف

---

[٢٢] الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص٦٨

[٢٣] علي احسان نور محمّد: **الشاه وليّ الله محدّثا**، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٣، ص٣٦

[٢٤] الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق المرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق أحمد فراج، راجعته لجنة فنية من وزارة الارشاد والأنباء، دار الهداية، ط٢، ١٩٦٥، ج٢٨، ص٥١٣

سيّاسية واقتصادية واجتماعيّة وعلميّة مضطربة حيث كان الإسلام أنذاك في الهند تحت سيطرة الإمبراطورية المغوليّة

انماز عصر الدهلوي من الناحية السيّاسية بالفوضى والاضطرابات والفتن والثورات وقد عاش الدهلوي في ظلّ ما يُقارب سبعة ملوك كانت الدولة في ظلّهم على ما عليه من تردّي اجتماعي وأخلاقي وسيّاسي، أمّا من الناحية الاجتماعيّة فقد بلغ المجتمع الهندي درجة من الانهيار بانت في أخلاق العامّة والخاصة كاهتمامهم باللهو والمجون لذلك انتشرت الرذيلة والقبائح، إنّ تردّي الجانبين : السيّاسي والاجتماعي يوضحان ملامح التديّن والحالة الدينيّة حيث دبت كثير من الاعتقادات الباطلة فطغى التوظيف المتزايد للخزين الطقوسي والرمزي الشيعي، كما سيطرت كثير من التّقاليد الشيعية، وتقديس القبور والأماكن المقدسة يقول الندوي في هذا السياق: يوجد الشرك الجلي في الكثير من الأوضاع والأوساط بصور وأشكال لا يمكن أن تُعلل تعليلاً علميّا وتقديس الأماكن الخاصة للزيارة كتقديس الحرم ووضع الكسوة على القبور والطواف بالقبور والأماكن المقدسة والمزورة والاحتفال وإقامة الأعياد بها[٢٥]

ولعلّ هذه الآفات السياسية والاجتماعية والدينية الّتي هيمنت في عصر الدهلوي أثّرت بشكل مباشر على الحياة العلميّة وهو ما أقرّه بصفة صريحة من ذلك قوله أنّ حركة السنّة كانت ضئيلة في هذا العص[٢٦] ولعلّ هذه الظروف مجتمعة سببا رئيسا في اهتمام الدهلوي بالمقاصد العامّة والخاصّة وتركيز اهتمامه أكثر على الجانب السيّاسي والأخلاقي. كما مثّل الغياب الجزئي لاهتمام العلماء بدراسة القرآن والحديث وإقبالهم على المنطق والفلسفة اليونانية والتّصوف، ضمن هذه الحياة العامّة جاءت دعوته إلى الإصلاح والتجديد على الرغم من حياته القصيرة حيث عاش اثنان وستون عاما وتوفي عام ١١٧٦م.

لم تكن صياغة المقاصد عند الدهلوي، وليدة هذه الأحداث وحدها وإنّما وليدة نشأة طويلة كان حريصًا فيها على العلوم الدينيّة الّتي تلقاها عن والده الشاه عبد الرحيم في "المدرسة الرحيمية"، كما كانت نتاج توليه منصب التّدريس حيث كانت له الفرصة متاحة لقراءة الكتب وتحدّدت لديه ملامح منهجه العلمي خصوصًا من خلال اهتمامه بالمذاهب الأربعة وأصول الحديث وهو ما أكّده فخر الدين الحسيني حين قال: «خاض في بحار المذاهب الأربعة وأصول فقههم خوضًا بليغًا ونظر في الأحاديث الّتي هي مستمسكاتهم في الأحكام وارتضى من بينها بإمداد النّور الغيبي طريق الفقهاء المحدثين»[٢٧]

---

[٢٥] الندوي أبو الحسن: **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، تقديم مصطفى السباعي، مصطفى الخن، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٧ ج٤، ص ٥٦

[٢٦] الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص١٢/١١

[٢٧] الحسيني عبد الحيّ بن فخر الدين: **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الاعلام المسمّى نزهة الخواطر**

كما حفظ المتون وضبط الأسانيد وكان شديد التأثر بكبار علماء عصره فلازمهم وأخذ عنهم الحديث وانصرف انصرافا كليّا إلى خدمته وشرحه، وتفسيره، وتدريسه وتعليمه ونشره، ممّا أدّى إلى سيادة الحديث وازدهاره في بلاد الهند. أمّا في التفسير القرآني له **كتاب الفوز الكبير** وهو باللّغة الفارسيّة ويحتوي أربعة أبواب: الباب الأول في العلوم الخمسة والباب الثاني في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن، والباب الثالث في بديع أسلوب القرآن، أمّا الباب الرابع في بيان فنون التّفسير. وتشابه هذا العنوان مع كتاب مسكويه الرازي بعنوان **الفوز الأصغر** وقد تُرجم إلى(le petit livre du Salut) وفيه ثلاث مسائل وكلّ مسألة تحتوي فصول ويهتم فيه بالنّفس وأحوالها وبالنبوات وأصناف الوحي فهذا التشابه ليس من باب المصادفة، وممّا ندعم به رأينا تقارب البيئة الّتي عاش فيها كلاهما رغم تباعدهما زمنيّا إضافة إلى اشتراكهما في اللّغة الفارسيّة، فالدهلوي ينطلق من الفلسفة لفهم الدين وهو ما بان في كتابه **حجّة اللّه البالغة** الذي يجمع مباحث فلسفية كثيرة، حتّى أنّه جمع فيه تصوّره الكامل للنظام الحضاري. علاوة على اطّلاعه على كثير من كتب ابن تيمية وأُعجِب بها وتأثّر به في الدّفاع عن السنّة(٢٨) كما اهتمّ الدهلوي في صياغة مقاصده بالتّصوف والحكمة وعلم الكلام من خلال كتابه **التفهيمات الالهيّة** وقد جمع فيه مسائل متعلّقة بالتّصوف والسلوك ومسائل متعلّقة بالدّين والشريعة وفلسفتهما ومنها قضايا متعلّقة بالإصلاح والتقويم للأوضاع القائمة في عصره، أمّا مسكويه فينطلق من الفلسفة بعامة والأخلاق بخاصّة لصياغة رؤيته للدين والمباحث الحضارية الّتي تهتمّ بالإنسان قصد إصلاحه في جوانب عديدة منه الجانب التربوي والأخلاقي والدعوي

هكذا إذن تداخلت وسائل عديدة منها وسائل التّلقي الداخلي من خلال تأثره بوالده وشيوخه ووسائل التّلقي الخارجي من خلال رحلاته وتأثره بعلوم ومباحث أخرى في صياغة نظريته في المقاصد، حاول من خلالها إصلاح جوانب عديدة في حياة المسلم في الهند بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامّة، وقد ركّز اهتمامه على الجوانب الاجتماعية والسيّاسية والدينية والأخلاقيّة وهو ما سنبينه في موضع آخر من هذا البحث.

٢.٢ ابن عاشور ومؤثرات التّلقي لديه

يحسن بنا الوقوف على سيرة ابن عاشور والظروف والعوامل الّتي ساعدته على صياغة نظريته في المقاصد، وقد كانت سيرته متواترة بكثرة في أغلب المراجع الّتي اهتمّت بعلم المقاصد

وبهجة المسامع والنَّواضِرْ، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٩٩٩، ص٨

(٢٨) فرحات عبد الوهاب، شودري محمّد كبير أحمد: **الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف للمجد الفذ شاه ولي الله الدهلوي، الشهاب**، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، عدد٢، جوان ٢٠٢٠، مجلد٦، ص٤٩٦

على خلاف الدهلوي، حيث كانت المراجع شحيحة وحتّى الّتي توفرت كانت تكرّر نفس المعطيات، لذلك سنهتم بابن عاشور في حدود اهتمامنا بالدهلوي حتّى لا نقع في خطأ منهجي.

وُلِد محمّد الطاهر بن عاشور عام ١٢٩٦هـ الموافق ل ١٨٧٩م وانحدر من "الأسرة العاشورية" على حدّ عبارة الحبيب لخوجة وهي عائلة امتازت بنبوغها في مجال العلم والمعرفة والسيّاسة، فجده لأمّه الوزير محمّد العزيز بوعتور، تلقّى علمه التقليدي انذاك بتونس في الكتّاب حيث حفظ القرآن وتدبّره[٢٩]. درس ابن عاشور بجامع الزيتونة العلوم الشرعيّة وتحصّل على جميع شهاداته وهي شهادة التطويع الّتي تنتهي بها المرحلة الثانوية وتُخوّل لصاحبها حق التّدريس في الدرجات الأولى من التّعليم الزيتوني، كما تحصّل على عدّة شهادات من "شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم الدينيّة والعربيّة" مثل الشيخ إبراهيم الرياحي، ومحمّد بن الخوجة، ومحمّد الطاهر بن عاشور الجدّ.

عاش بن عاشور، ظروف سيّاسية واجتماعيّة شبيهة بما عاشه الدهلوي، فقد كانت البلاد التونسية أنذاك تعيش على المستوى السيّاسي اضطرابات وفتن حيث كثُر الفساد الاجتماعي والسيّاسي يقول بلقاسم الغالي، في هذا السيّاق: «كان العبث والفساد والارتشاء قد عمّ حكّام البلاد وأثقل كاهل التونسيين بالضرائب...وعمّ الاضطراب الاجتماعي واختلّ الأمن فنشط قُطّاع الطرق وكثُر النهب والإغارة وتنازع الأمراء على السّلطة»[٣٠] وقد عايش مرحلتين مختلفتين في تاريخ البلاد التونسيّة: مرحلة الاستعمار وقد كان وقتذاك في مرحلة طلب العلم ومرحلة الاستقلال وهي مرحلة تقلّد فيها مناصب إدارية وسيّاسية وكلا المرحلتين مثّلت حافزا لتغيير الوضع السيّاسي والتّخلص من الحماية الفرنسيّة والتبعية الّتي تعيشها البلاد في مختلف المجالات[٣١]

وألّف عدّة كتب تضمّنت فكره المقاصدي فكتابه **أليس الصبح بقريب** وفيه أوجد أساليب لتقوية التّعليم خاصّة في المؤسّسة العلميّة الزيتونيّة ثمّ تطرّق إلى أنّ الفقه أصبح يُقدّم دون مقاصد ولا ينفذ إلى أحكام الشريعة فضلا عن شيوع فكرة الحيل حيث تطرّق في كتابه **الوقف وآثاره في الإسلام** ومن فصوله **مقاصد الشريعة في تصريف الأموال**، وهنا يضع بين أيدينا أوّل كلام في المقاصد الخاصّة ثم جاء كتابه **مقاصد الشريعة الإسلامية** وكان ثمرة لتدريسه كتاب

---

(٢٩) بن الخوجة محمّد الحبيب: **محمّد الطاهر بن عاشور وكتاب مقاصد الشريعة**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، طبعة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، قطر، (دون طبعة)، ٢٠٠٤، ج١، ص٢٨

(٣٠) الغالي بلقاسم: **شيخ الجامع الأعظم محمّد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره**، دار ابن حزم، لبنان بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص١٧/١٨

(٣١) حسن محمّد: **التّنظير المقاصدي عند الإمام محمّد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة**، إشراف عمّار ساسي، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلاميّة، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة الجزائرية، ٢٠٠٥، ص٣٥

الموافقات في جامعة الزيتونة، وكتاب أصول النّظام الاجتماعي بيّن فيه الوسائل الضامنة لإصلاح المجتمع الإسلامي.

كانت وسائل ابن عاشور الأساسيّة في صياغة مقاصده داخليّة كتأثره بعائلته وبالوضع العامّ بالبلاد التونسيّة، وذاتية نتيجة تأثره بالشاطبي، وخارجيّة كتأثره برواد النهضة وبالوضع العام في العالم الإسلامي لذلك كان هاجسه تطوير وتفعيل ما دَرَسَهُ وما دَرَّسه، هل يمكن إذن، أن نتحدّث عن تفعيل لما ورد في الموافقات أمّ أنّه تفعيل وامتداد وتحوير لعلم المقاصد بصفة عامّة؟

أعلن ابن عاشور، منذ الوهلة الأولى أنّه سيدوّن علم المقاصد معتمدًا "معيار النظر والنقد" بمعزل عن أصول الفقه يقول بهذا الصدد: «ونترك علم أصول الفقه على حاله نستمدّ منه طرق الأدلّة الفقهيّة»[٣٢] وقد انتهج مسلكًا في صياغة المقاصد قطع فيه مع الجزئية وانطلق نحو الكليّة والشمولية، وهذا ما سلكه قبله الدهلوي الّذي أعلن عن طريقته في البحث عن المقاصد، بالإضافة إلى تلك المقدّمات المعروفة في المقاصد كالتّقسيم والتقعيد والتأصيل فقد بيّن مراتب المقاصد حيث جعلها ثلاثة المراتب: مرتبة تكون فيها العلل في أعلى رتبة من الظهور حيث تكون منصوصًا عليها أو مومأ إليها ومرتبة تكون فيها خفيّة ولكنّها تُستنبط بالاجتهاد[٣٣]

وتمثّل العلّة والتّعليل جوهر الفكرة المقاصديّة ويشترك فيها الدهلوي وابن عاشور فالأوّل ينادي بإمكانيّة التّعليل بالعلّة على الأحكام لأنّ العلّة هي المصلحة أو المفسدة الّتي علّق الحكم بها لا مظنّتها[٣٤] ويؤكّد الدهلوي ذلك: «ولها –العلّة–محال، ولوازم يتعلّقان بها بالغرض وينسبان إليها توسّعًا، نظيره ما يقال من أنّ علّة الشفاء تناول الدواء، وإنّما العلّة في الحقيقة نضج الأخلاط أو إخراجها وهو شيء يعقب الدواء في العادة وليس هو، ويُقال علّة الحمى قد تكون الجلوس في الشمس»[٣٥] والثاني يعتبر العلة موقفا نظريّا يؤسّس للتفكير التشريعي فقد بيّن أنّ للعلّة طرائق متعددة منها ذكر الوصف المسمّى بالعلّة فهو العَلَمُ على الحكم المعرِّف به ومنها ذكر الوصف أي الحكمة والمنفعة أو المصلحة والمفسدة والتعليل عنده أساسًا للتّعرف على المقاصد الّتي يبديها الشارع مرّة ويخفيها أخرى وكلّها مقاصد شرعيّة[٣٦]

---

[٣٢] ابن عاشور: نفس المصدر، ص٨

[٣٣] النجار عبد المجيد: **مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة بين الشاطبي وابن عاشور**، مجلّة الأمير عبد القادر للعلوم الأسلاميّة عدد١، ١٩٨٧، ص٣٣

[٣٤] نقاز إسماعيل: **فلسفة التّعليل والتّعبد في فكر الإمامين الشاطبي والدهلوي**، قسم الدراسات الدينيّة، بلا حدود، ٢٠١٦، ص٦ www.mominoun.com

[٣٥] الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص١٧١

[٣٦] بن الخوجة محمد الحبيب: **محمّد الطاهر بن عاشور وكتاب مقاصد الشريعة**، طبعة حمد بن خليفة آل ثاني، قطر، ٢٠٠٤، ج٢، ص ٣٠

ومن ثَمَّ يكون الدهلوي بحكم تقدّمه الزمني له السبق في استعمال التّعليل للتّصدي لتلك الفلسفات "الوثنية" والعادات والظروف الّتي انتشرت في الهند وكنّا أسلفنا ذكرها، في حين يأتي استعمال ابن عاشور للتّعليل في إطار عمليّة الامتداد والتحوير لأنّه انطلق من مسايرة آلية التّعليل حتّى أصبحت تمثّل عنده المنهجيّة المعرفيّة من خلالها يجسّد المعقوليّة التّشريعية، وطبّق هذه الآلية من خلال استجلاء المعاني من النصوص والأحكام ثمّ الاستدلال على هذه النصوص باستعمال آليات التّعليل والمقاصد والاستقراء.

نقرّ أنّ المتتبع لمقاصد الدهلوي الّتي أسّس لها وبيّن قواعدها وأضاف إليها مصطلح "الارتفاق" بمعنى الاتّكاء وبمعنى "الرفق والسهولة"، وجاء الارتفاق مرتبطا بالمقاصد في تحقيق المصلحة أو درء المفسدة في كلّ مقوّمات الحياة وحاجاتها ومتطلّباتها، وهذه الرؤية عند الدهلوي لا تختلف عمّا بيّنه ابن عاشور من الكليّة والشموليّة ويستعمل أحيانا مصطلح المقاصد بمعنى الحِكم، ورغم تعدّد المصطلحات بين الدهلوي وابن عاشور، لاحظنا وضوح نظريتهما فالأوّل تأثر بمن سبقه كالغزالي وابن تيمية والعز بن عبد السلام والشاطبي حيث يتّفق معهم بأنّ أفعال الله وأحكامه معلّلة، كما يتّفق معهم في القواعد الّتي كانت منطلقا لهذا العلم، أمّا الثاني فتأثره كان نتيجة لتدريسه كتاب الموافقات لسنوات في جامعة الزيتونة.

٣. لجهود الإصلاحية للدهلوي وابن عاشور في إطار ثنائيّة الامتداد والتحوير

لم تكن مقاصد الشريعة منعزلة عن سائر المباحث الإنسانيّة من تاريخ وفلسفة وعلم اجتماع، وإنّما جاءت في إطار ما بدأه العلماء المسلمون الذين حاولوا إيجاد الدواء النّاجع للبشرية من دون التّخلي عن الشريعة الّتي تمثّل حلاً لما تعانيه البشرية، لذلك اضطلع الدهلوي بهذا الدور من خلال إيجاد حلول في شكل اصلاحات جوهريّة تمثّلت أوّلا في الجانب الاجتماعي حيث عانى المجتمع الهندي من الطبقيّة: منها طبقات تؤمن بالطقوس الدينية وبالحروب مثل طبقة البراهمة وهي وجه الإله براهما وتعدّ من أقوى الطبقات وكلّ الطبقات الأخرى خُلقت لخدمتها والسهر على إسعادها بوصفها أنقى الأجناس البشرية[٣٧]

إضافة إلى طبقة الكشترية والطبقة الويشية وهم من يهتمون بتربية المواشي ومربيها يسمّى الويش[٣٨] وعرف المجتمع الهندي عديد الطبقات الأخرى لا تنتمي إلى هذه الطبقات الكبرى، لذلك كانت هناك محاولات جادّة؛ للتخلّص من هذه الطبقيّة وقد تزعّم غاندي هذه الحملة ولكن

---

[٣٧] حميد فوزي محمّد: **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، منشورات الدعوة الإسلاميّة العالميّة، ط٢، ١٩٩٩، ص١٨٥

[٣٨] الأعظمي محمّد ضياء الرحمن: **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، مكتبة الرشيد، ط٢، ٢٠٠٣، ص٧٥٢

محاولته باءت بالفشل حيث كان ضحية من ضحاياها[٣٩] وضمن هذا الإطار الاجتماعي العام سعى الدهلوي إلى ترسيخ وتأصيل فكرة المساواة الّتي تكمن عنده في أنّ المجتمع جزء لا يتجزأ يقوده شخص واحد يقول في ذات السياق: « فلا بدّ للنّاس من رجل معصوم يقع عليه الإجماع يكون فيهم أو تكون الرواية محفوظة عندهم وعلمه بحالة الانقياد وتوليه هذه السنن منها ووجوه منافعها وعِلْمُهُ الآثام ووجوه مضارها[٤٠] معنى ذلك أنّه ينفي هذا التّعدد الطبقي ويدعو إلى توليّة أمر المجتمع لشخص واحد يجمع كلّ هذه الطبقات ضمن هيئة اجتماعيّة واحدة وهو ما يسمّى بالعدالة الاجتماعيّة الّتي تعتبر أساس كلّ تدبير فالإنسان يوافق أبناء جنسه في كلّ شيء وأنّ الله ألهمه كيف "يرتفق" بأداء ماهو ضروري وماهو حاجي.

في حين ينطلق ابن عاشور، من أفق أوسع لصياغة فكره الاجتماعي من ناحية المجال والمدّة الزمنيّة، وقد نجد عدّة أسباب اجتماعيّة كإشاعة الفكر الجبري في المجتمع الإسلامي وسياسيّة كتحوّل الخلافة إلى ملك عضوض، دخول تيارات فارسيّة وهندية ويونانيّة إلى المجتمع الإسلامي فأثّرت أفكارها الوثنية على المجتمع. وجاءت هذه الأسباب العامّة جاءت خاصّة بالأمّة وليس فقط بالمجتمع التّونسي كانت سببا في بروز الفكر الاجتماعي لابن عاشور ضمن كتابه أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. لقد أضاف ابن عاشور مفهوم الأمّة أيّ البعد الجماعي بدلاً من الانحصار في عدّ المكلّف الفرد عند النظر في التشريع وأنّ الأحكام الّتي يأمل أن يؤسّس قواعدها هي أحكام تتناول المجتمع والأمّة[٤١] وهذا التّوجه إلى الكلّي قد يجعلنا نتجاوز بعض من مآزق الفكر المقاصدي ذلك أنّ العلماء قبل ابن عاشور انشغلوا بالشأن الخاصّ أو ما يتعلّق بشؤون الأفراد من عبادات ومعاملات دون التفكير في الشأن السياسي والمجتمعي والموسسات.

أمّا الجانب السيّاسي فقد انطلق الدهلوي لصياغة آرائه المتعلّقة بالمقاصد من هذا الجانب بالعودة إلى الخلافة الراشدة نظرًا لأنّ الصحابة يمثّلون أوّلاً، جزء من تاريخيّة المقاصد ثانيا؛ لأنّهم أقرب النّاس إلى النبي لذلك كانوا أعلم العلماء بمقاصده وبواطنه على حدّ عبارة الشاطبي، وكان اتّفاقهم واختلافهم في المسائل الكبرى مثل "الإمامة" مرتبطا بطبيعة النّظر إلى النّص الديني وطرائق فهمه. ومن ثُمَّ نلاحظ التدرج من المستوى المقدس إلى المستوى البشري المرتبط

---

[٣٩] شلبي أحمد: **أديان الهند الكبرى الهندوسيّة لجينية البوذية**، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٠ ص٥٩

[٤٠] الدهلوي: نفس المصدر، ج١، ص١٥٤

[٤١] أدهمي رياض: **بعد الأمّة في الخطاب المقاصدي عند الإمام بن عاشور**، مجلّة الرشاد عدد٥، ١٩٩٧، ص ١٥

بطريقة الفهم والتأويل وهذا النوع سمّاه عبد المجيد الشرفي بالحالة التأويليّة قسّمها إلى تأويلية قيّاسية أيّ أنّ الحدث يُقاس على ما مضى ظنًّا أنّ ما مضى هو الأصل المقيس عليه، وتأويلية تفاعليّة لأنّ الجماعة تتأوّل حاضرها بضوابط الذهنيّة الّتي ورثتها، وتُسمّى أيضا تفاعليّة تشريعيّة[٤٢]

وضمن هذا السيّاق العامّ صاغ الدهلوي مقصده من التّمسك بفترة الخلفاء لصفاء عقيدتهم واستدلّ على رأيه بقوله تعالى:« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»(سورة النور/٥٥) وفسّر هذه الآية بالخلافة والتمكين لهم في الأرض ويقومون بترويج الأمن والسلامة، ولا شكّ أنّ الخلفاء الثلاثة كانت خلافتهم مطابقة لوعده[٤٣]

وتطرّق في "باب سيرة الملوك" إلى ضرورة تلازم صفة الأخلاق والملوك، فاملك عنده يجب أن يكون متّصفا بالأخلاق المرضية والحكمة الّتي تُتِيح له "التدبير المصلح" ومن الصفات الّتي تندرج ضمن باب الأخلاق وممّا يناسب رياسة الملك: الشجاعة والحكمة والسخاوة والعفو عمن ظلم وإرادة نفع العامّة[٤٤]، لذلك يمكن أن نشير في هذا السياق إلى العلاقة الوطيدة بين السيّاسة والأخلاق وقد أكّد الدهلوي على أهميّة الأخلاق الفاضلة لوعي منه لمكانة الأخلاق في الإسلام وقد اعتبرها الريسوني من جملة المقاصد العليا، الّتي بُنى عليها الإسلام وشريعته[٤٥] كما اعتبر علم الأخلاق من الأمور المفيدة للفقه؛ لأنّه منسوب إليه شموليته وتفصيلاته[٤٦] وهو ما تطرّق إليه الشاطبي فكلّ مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعيّة أو لا تكون عونا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية[٤٧] في إشارة إلى تداخل علم الأخلاق وعلم الأصول، وهذا ما بيّنه طه عبد الرحمن حيث أبرز المقاصد الشرعيّة على وفق النظريّة الأخلاقيّة وسمّاها "علم الصلاح".

---

[٤٢] الشرفي عبد المجيد: **الإسلام بين الرسالة والتّاريخ**، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٥٨

[٤٣] الدهلوي: **أسرار خلافة الخلفاء**، ترجمة مصطفى محي الدين الدهلوي، ج١، ص١١

[٤٤] نفس المصدر، ج١، ص٩٤

[٤٥] الريسوني أحمد: **دراسات في الأخلاق**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٦، ص١٠

[٤٦] بوحولين إبراهيم: **الاجتهاد الأخلاقي في مجال المقاصد الشرعية عند الفيلسوف طه عبد الرحمن**، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، ٢٠١٧، ص٦

[٤٧] الشاطبي أبو إسحاق: **الموافقات**، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصّه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (دون تاريخ)، ٢٠٠٣، ص٣٦

إنّ هذه الصفات الّتي يطلبها الدهلوي في الملوك مماثلة لما صاغه مسكويه والماوردي وابن تيمية، والرابط المشترك بين هذه الفلسفات أنّها عقدت الصلة بين السيّاسة والأخلاق ولا ترى إحداهما دون الأخرى. وهذا المطلب السيّاسي غايته الأولى مصلحة النّاس وسعادتهم، لذلك عالج هذا المطلب مقترنا بالجانب الأخلاقي والدعوي من خلال مخاطبة الأمراء والسلاطين وأركان الدولة ضمن رسالتها الموسومة ب "المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية" ترجمها محمّد بشير السيالكوتي وتحوي هذه الرسالة ثماني وصايا أهمّها التمّسك بالقرآن والسنة وتدبير ما جاء فيهما كما نصحهم بمطالعة كتب الصحاح والسنن والعمل بالقرآن والسنة قولاً وفعلاً ظاهرًا وباطنًا لأنّه الطريق المستقيم الواجب اتّباعه كما ترك وصية لافتة للنظر يحثّ فيها المسلمين ألا يضعوا أيديهم في أيدي مشايخ اليوم ولا يبايعوهم لأنّهم أهل بدع وخرافات[٤٨]

وبناء عليه إن البعد السيّاسي لم يكن مستقلاّ عن مباحث علم أصول الفقه والأخلاق وعن الجانب الدعوي الّتي يمكن أن تكون بمثابة آليات لتحقيق هذا البعد الإصلاحي حيث استعرض الدهلوي ماضي المسلمين وحاضرهم استعراضا متناسقا مه واقعهم الاجتماعي والسياسي والديني ثم انتقده انتقادا شموليّا من مقاصد هذا النقد اصلاح الإنسان المسلم بصفة عامّة، لكن هذا المنحى يختلف مع ابن عاشور الذي قارب هذا الجانب من خلال إعادة الحياة إلى الأفكار القديمة وتجديدها وعرضها بما يناسب خطّة جديدة مغايرة فهل كان هذا الجانب عند ابن عاشور امتداد للدهلوي أم قطيعة معه؟

ولنلو الآن عنان القلم إلى ما يمكن عدّه الإصلاح السيّاسي عند ابن عاشور وقد انطلق مثل ما بيّنا في موضع سابق من البحث من أفق واسع يصدر في الغالب عن رؤية "تاريخيّة وحضارية شاملة" إذا كان الدهلوي قد صاغ الجانب السيّاسي بالعودة إلى الخلافة فإنّ ابن عاشور قد أشار إلى هذا المصطلح، فالخلافة الإسلاميّة عنده مرادفة للإمامة وهي خلافة شخص للرسول في إقامة الشرع وحفظ الملّة على وجه يوجب اتّباعه على كافة المسلمين[٤٩] وبالتّالي يتّفقا في أنّ الخلافة يجب أن تُجمع في شخص واحد، في حين يختلفا في شروطها وآليات تطبيقها. فابن عاشور اعتبر أنّ من شروطها حصول مبدأ الإجماع على إقامة الخليفة لحفظ نظام الأمة وتنفيذ الشريعة، كما قدّم شروطًا أخرى مثل طرق توليته وواجباته المتمثّلة في المساواة والحريّة وضبط الحقوق والعدل وإقامة الحكومة، وعدّها أصلا من أصول التشريع. وبالتّالي يقوم

---

[٤٨] السيالكوني محمّد بشير: **الشاه ولي الله حياته ودعوته**، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٠٤

[٤٩] ابن عاشور محمّد الطاهر: **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، دار السلام، مصر ط٢، ٢٠١٠، ص١٩٥

ابن عاشور بتحوير هذا المبدأ وإخراجه من جانبه الجزئي والخاص إلى الكلّي والعام، وذلك لأن الخلافة "ركن ديني أساسي حافظ لأركان الدين كلّها"، ثمّ قرِن هذا المبدأ بالحكومة حيث يرى أن حكومة الإسلام ديمقراطية ومعتدلة وذلك على حسب القواعد الدينيّة الإسلاميّة المنتزعة من أصول القرآن الكريم ومن بيان السنّة النبوية وكذا ممّا استنبطه فقها الإسلام في مختلف العصور(٥٠) وبهذا المنظور تعتبر الشريعة والسيّاسة "توأمان".

هكذا إذن، جاءت إصلاحات ابن عاشور في الجانب السيّاسي وبالنظر إلى الثنائيّة الّتي وضعناها أساسا لبحثنا "الامتداد والتحوير" فهي تأتي من جهة امتداد للدهلوي وذلك لإشارته للمصطلح الخلافة وعلاقته بمقاصد الشريعة، ومن جهة أخرى تأتي بمعنى التحوير حيث أضاف مصطلحات حديثة مثل الحرية والمساواة وإقامة الحكومة والتّسامح. وعليه تطوّرت هذه النظم إلى أن صار نظاما رئاسيا تُجرى فيه السيّاسة في مجالين: مجال اجراء المصالح الضرورية والحاجية ويمكن أن نذكر إقامة القوانين والهيئات التّي تضمن المصالح العامّة والخاصة وتقوم بدرء المفاسد، ومجال اجراء المصالح التكميليّة مثل نشر العلم، ولعلّ هذا التحوير الذي امتاز به فكر ابن عاشور على الدهلوي ومن سبقه يعود إلى كونه كان جزءا من السيّاسة حيث تقلّد مناصب دينيّة مثل منصب مدير الجامع الأعظم ومنه انطلقت اصلاحاته في مجال التّعليم وتجديد مناهج الدراسة، كما تقلّد مناصب سيّاسية مثل القضاء والإفتاء إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الفتوى تدخل ضمن " الخطط الدينية" لذلك امتازت عنده بالدقة والضبط ومعرفة عميقة بأحوال العصر وما يموج فيه من آراء وهذا البعد التجديدي لا ينفي التزامه بالكتاب والسنّة وتحقيق مقاصد الشريعة وما يلاءم عصره وملابساته ومستحدثاته. وقد عرّضته الفتوى إلى محن كثيرة حيث طلبت منه السّلطة السيّاسية المتمثّلة أنذاك في الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الإفتاء بالإفطار في شهر رمضان للعمّال وذلك تحت مقصد زيادة الإنتاج لكن ابن عاشور لم يعارض ما جاء في الشرع وما نصت عليه الآيات القرآنية

بناء على ما تقدم كانت الإصلاحات السيّاسية عند الدهلوي وابن عاشور غير منفصلة عن سائر المباحث سواء إن كانت أخلاقيّة أو اجتماعيّة، فابن عاشور رغم تقلّده مناصب دينيّة إلاّ أنّه حقّق ديوان بشّار ابن برد وما يحتويه شعر بشار من جرأة في اللفظ والمعنى، ناهيك أنّ أساتذة اليوم بالجامعة ينتمون إلى "الإسلام السيّاسي" يرفضون رفضا قاطعا تدريس شعر بشار بتعلّة أنّه منافي للأخلاق وهذه "الحادثة" جعلتنا نتساءل عن مسار تشكّل الظاهرة الدينيّة؟ وكيف نفصّل الديني والذاتي؟

---

(٥٠) نفس المصدر، ص١٩٨

نقرّ بكلّ احتراز في الإجابة عن هذه التساؤلات أنّ دراسة المقاصد هي جزء من الكلّ، أيّ أنّها جزء من ظواهر متعددة طالت الإنسانية، وهذه الظواهر لها علاقة بالإنسان، من خصائصها إيجاد الأجوبة الّتي يتمثّلها الإنسان عمّا يفهمه وما لا يفهمه، وهذه الأجوبة غالبا تكون موجودة في الدين بصفة عامّة، لذلك لنا أن نُسائل هذه المقدمات. فالإنتاج الثقافي المتمثّل في هذه المؤلّفات المهتمّة بالفكر المقاصدي أنتجته ذوات بشريّة ثمّ أندرج في الدّين فلا غنى عند دارس المقاصد عن صحيح البخاري أو موطأ مالك أو هذه الدراسات الحديثة، ومن خصائص هذا الإنتاج الثقافي "التراكم" المعرفي، فالمعرفة كلّما تراكمت إلاّ وتغيرت معطياتها ونتائجها، وبالتّالي انفتاح هذا المبحث في الفكر المقاصدي على الأنثروبولوجيا الدينية ومن مرتكزاتها أنّ كلّ ما أنتجه الإنسان هي منتجات قابلة للتغيير والتطوّر وتخضع لدرجة الوعي الذي يبلغه الإنسان في عصر ما.

ضمن هذا السيّاق العام من التراكم المعرفي نشأت نظرية الدهلوي، وابن عاشور، وبحكم التقدّم الزمني للدهلوي كانت نظريته منطلق للفكر المقاصدي الحديث ونظرا لأنّ المعرفة برمتها كلّما تراكمت خضعت للتطوير والتغيير فقد خضعت القواعد والمنهج المنظم لنظرية الدهلوي لهذا التطوير والتحوير، ثم جاءت نظرية ابن عاشور مستوعبة للكلّي والجزئي والتّراكم حتّى أصبحت محلّ درس وثناء وإعجاب من قبل الباحثين والمهتمين بالدرس المقاصدي. ويمكن أن نفسّر تأخر نظرية الدهلوي بمقدّمات من الأنثروبولوجيا الدينيّة: أوّلا تمثّل الانسان للدين متّصل دوما بالإيمان فالدهلوي نشأ في بيئة كان العلماء من أجل إرساء الإسلام من أجل القضاء على الطقوس والمعتقدات، لذلك لا يمكن للإنسان أن يضع مسافة الإيمان والاعتقاد فبيئة الدهلوي جعلت نظريته غير متداولة. ثانيا، آثار الترجمة الّتي أدت إلى تغيير أهداف ومقاصد الدهلوي.

الخاتمة:

تبيّنا في هذا البحث أنّ تغيّر السيّاقات الثقافية والتاريخيّة لا يعني تغيّر الخطاب الفقهي والمقاصدي فثبات المعاني وسكون الدلالات الدينيّة لا يحكمه المجال ولا الزمان. وإنّ تطبيقات المقاصد في كتاب حجة الله ومقاصد الشريعة جلّ مسائلها استوفت البحث فيها في الكتب الفقهيّة لكنّ الدهلوي أضاف لها مصطلح الارتفاق وابن عاشور أضاف لها التّعليل.

كما بيّنا أنّ مؤثرات التّلقي لديهما والظروف الاجتماعيّة والنفسيّة متشابهة إلى حدّ ما أمّا الظروف الدينيّة فتختلف بحكم ما عرفته الهند من مذاهب ومعتقدات وطقوس، ولعلّ هذه المؤثرات الدينية جعلت نظرية الدهلوي تحض بأقلّ اهتمام عند الباحثين لأنّ الإنسان لا يضع عادة مسافة بين موضوع الدرس واعتقاده. إذا كان الخطاب المقاصدي انطلق من القرآن والسنة

لاستنباط واجتهاد أحكام فيها مصلحة كليّة وعامّة للفرد والجماعة، معنى ذلك أنّنا أمام مأسسة الدين، فإنّه أصبح بمثابة المقدّس ناهيك أنّ بعض علماء المقاصد اليوم "يحتلون موقع تمثيليّة النّص" وهو "أخطر المواقع وأكثرها نجاعة"؛ لذلك لاحظنا أن علماء المقاصد يتقلّدون مناصب دينية وسيّاسية ليحققوا التواطؤ الإيديولوجي بين ضمني الفقيه وضمني الجموع؛ لأنّ الخطاب ليس مجبرا على الإفصاح عن كلّ شيء وهو ما يشي بمحنة المجتمعات الإسلاميّة الّتي ظلّت حبيسة خطاب يتزيّا بالجدة والمعاصرة والحداثة لكن مرجعيته وآلياته من الماضي وهو ما يمثل أحد مآزق الفكر المقاصدي. وبالتّالي نخلص إلى أنّ انفتاح الفكر المقاصدي على مباحث جديدة تمثّل أحد مآزقه لأنّ علماء المقاصد كانوا مضطرين مسايرة من سبقهم نظرا؛ لأنّهم لم يتخلصوا من فكرة النّص المقدس، فقد وجدت في القرآن والسنة قضايا المعاصرة فحقوق الإنسان متمثلة في مبدأ الاستخلاف في الأرض. لذلك حاولوا التوفيق بين المقاصد والنص المقدس حيث أغلب علماء المقاصد بوبوا مقاصدهم ضمن أبواب مثل باب الحج، باب الصلاة، باب الزكاة، باب المعاملات، في مسايرة للسنن المتواترة[٥١].

المصادر:

- الأعظمي محمّد ضياء الرحمن، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، مكتبة الرشيد، ط٢، ٢٠٠٣
- البدوي يوسف أحمد محمّد، **مقاصد الشريعة عند ابن تيمية**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (دون طبعة)، ١٩٩٩
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السعودية (دون طبعة)، ٢٠٠٤
- حميد فوزي محمّد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، منشورات الدعوة الإسلاميّة العالميّة، ط٢، ١٩٩٩
- الحسيني عبد الحيّ بن فخر الدين (ت١٣٤١هـ)، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الاعلام المسمّى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنَّواظِرُ**، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٩٩٩
- بن الخوجة محمّد الحبيب، **محمّد الطاهر بن عاشور وكتاب مقاصد الشريعة**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، طبعة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، قطر، (دون طبعة)، ٢٠٠٤
- الدهلوي، شاه ولي الله بن عبد الرحيم، **حجّة الله البالغة**، تحقيق السيّد سابق، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥
- **رائد العقلاء إلى فهم أسرار خلافة الخلفاء**، ترجمة مصطفى محي الدين الدهلوي، تحقيق مصطفى الهدوي الأوردي المليباردي، دار الكتب العلميّة، (دون طبعة)، ٢٠٠٩
- الريسوني أحمد، **محاضرات في مقاصد الشريعة**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤
- **دراسات في الأخلاق**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٦
- الزبيدي محمّد بن عبد الرزاق المرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق أحمد فراج، دار الهدية الكويت، ط٢، ٢٠٠٢
- السيالكوني محمّد بشير، **الشاه ولي الله حياته ودعوته**، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩

---

[٥١] عادل إبراهيم محروق، جميلة بالقروي، **واقع السنّة النبوية في ظلّ الفكر المقاصدي**، مجلّة دلالات، جامعة طبرق، ليبيا، مجلد ٢، عدد ٤، ٢٠٢٢، ص ٢٠

- الشاطبي أبو إسحاق، **الموافقات**، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصّه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (دون تاريخ)
- الشرفي عبد المجيد، **الإسلام بين الرسالة والتّاريخ**، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١
- شلبي أحمد، **أديان الهند الكبرى الهندوسيّة لجينية البوذية**، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٠
- ابن عاشور محمّد الطاهر، **مقاصد الشريعة**، تحقيق محمّد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ٢٠٠١
- **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، دار السلام، مصر، ط٢، ٢٠١٠،
- الغالي بلقاسم، **شيخ الجامع الأعظم محمّد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره**، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٩٩٦
- الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح**، تحقيق عبد العظيم الشناوي **الكبير**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة ٢، ٢٠١٦
- لا لاند أندريه، **موسوعة لا لاند الفلسفيّة**، تعريب أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، لبنان، ط٢، ٢٠٠١
- مجمع اللّغة العربيّة، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤،
- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التّاريخ العربي، لبنان، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩
- الندوي أبو الحسن، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، تقديم مصطفى السباعي، مصطفى الخن، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧

المجلات والمقالات

- عادل إبراهيم محروق، جميلة بالقروي، **واقع السنّة النبوية في ظلّ الفكر المقاصدي**، مجلّة دلالات، جامعة طبرق، ليبيا، مجلد ٢، عدد ٤، ٢٠٢٢،
- أدهمي رياض: **بعد الأمّة في الخطاب المقاصدي عند الإمام بن عاشور**، مجلّة الرشاد عدد٥، ١٩٩٧
- بوحولين إبراهيم، **الاجتهاد الأخلاقي في مجال المقاصد الشرعية عند الفيلسوف طه عبد الرحمن**، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، ٢٠١٧
- حسن محمّد، **التّنظير المقاصدي عند الإمام محمّد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة**، إشراف عمّار ساسي، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلاميّة، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة الجزائرية، ٢٠٠٥
- طه عبد الرحمن، **مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة**، مجلّة المسلم المعاصر، العدد١٣، ٢٠٠٢
- علي احسان نور محمّد، **الشاه وليّ الله محدّثا**، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٣
- فرحات عبد الوهاب، شودري محمّد كبير أحمد، **الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف للمجد الفذ شاه ولي الله الدهلوي، الشهاب**، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، عدد٢، مجلد٦ جوان ٢٠٢٠
- نجار عبد المجيد، **مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة بين الشاطبي وابن عاشور**، مجلّة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة عدد١، ١٩٨٧
- نقاز إسماعيل، **فلسفة التّعليل والتّعبد في فكر الإمامين الشاطبي والدهلوي**، قسم الدراسات الدينيّة، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦

مواقع الانترنت

- www.mominoun.com
- https://hafryat.com

ضعف الموحدين في الاندلس وسقوط اشبيلية
بيد النصارى٦٢٣هـ/١٢٢٦ -٦٤٦هـ/١٢٤٨م

المدرس المساعد ستار جليل عجيل

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

بعد أن أقام الموحدون لانفسهم دولة في المغرب الاسلامي عبر اليهم أهل الاندلس وبالتحديد اهل اشبيلية فعرضوا عليهم النجدات وانقاذهم من واقعهم المزري الذين يعيشون فيه في أواخر ايام الدولة المرابطية وكان ذلك في أوائل سنة ٥٤١هـ/١١٦٤م فلبى الخليفة عبد المؤمن بن عليّ طلب أهل اشبيلية وأرسل اليهم من رجاله الاكفاء من ينوب عنه وتمكنوا من القضاء على دولة المرابطين في الاندلس واعلان الاندلس واشبيلية تابعة للموحدين في المغرب فازدهرت بهم مدة من الزمن، لتعود بعد ذلك الى الضعف ولاسيما بعد معركة العقاب، وتولي أمرها خلفاء ضعاف فأصبح حينها الصراع على كرسي الخلافة على أشُده فتراجعت مكانة الموحدين في الاندلس واصبح اهلها ينشدون التخلص منهم فاستنجدوا بشخصيات اندلسية علها تنقذهم من واقعهم الذي هم فيه حيث هجمات النصارى التي اصبحت على أشُدها فلم يكن هنالك من يقف بوجهها ويقاومها فضلاً الاقتتال الداخلي الذي وقع ما بين الخلفاء الموحدين من جهة ومابين ابن هود وابن الأحمر من جهة أخرى الذي أدى بدوره الى إضعاف دفعات إشبيلية تحت طائلة الحروب والصراعات يدعمها ضيقاً اقتصادياً مميتا جراء الحصار الذي فرض عليها ومن ثَمَّ سقوطها بيد النصارى. كلمات افتتاحية (اشبيلية، ابن هود، ابن الاحمر، قشتالة، فرناندو الثالث، عبد الرحمن، شقاق)

منهجية البحث:

اولاً : مشكلة البحث

غالبا ما تصاب الدولة بضعف ينتابها في آخر أيامها مما ينعكس بدوره سلباً على أحوال الناس ومعايشهم فيسرع ذلك بتهاويها وسقوطها؛ لذلك ارتأيتنا من هذا البحث بيان أسباب سقوط هذه الدولة وكيفية تفادي أسباب السقوط فالنهوض بواجبات الناس والمحافظة على أموالهم ومعايشهم بالطرق السملية.

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أنها تركز على أهم الأسباب التي تؤدي إلى إضعاف المدن وعدم قدرتها على مقاومة الأعداء على الرغم من توافر الامكانات المادية والبشرية لديها وقد تنبه

البحث الى أهم عامل من عوامل ضعف اشبيلية وسقوطها بيد النصارى، وهو العامل النفسي لدى المقاتلين فقد انهزموا داخلياً لذلك سقطت مدينتهم.

ثالثاً: هدف البحث

كان هدفنا من وراء هذا البحث هو اظهار المعرقلات التي تقف أمام صمود دولة الموحدين ومدينة اشبيلية على حدٍّ سواء وعدم تمكنها من التغلب على تلك المعرقلات للإظهار العظة والعبرة منها وكيفية تلافيها في المستقبل وعدم تطبيقها على واقع الدولة.

فرضية البحث:

السير على نهج الماضين واستخلاص العبر منهم فلم تكن دولة الموحدين أول دولة بالكون، لتقوم وتسقط ، ولم تكن اشبيلية أول مدينة بالاندلس لتسقط على أيدي القتشاليين لذلك جاءت الفرضيات، لتبين مصادر القوة وكيفية الاستفادة منها ومصادر الضعف وكيفية التغلب عليها.

المقدمة:

لما كانت تتمتع به الاندلس من خيرات اقتصادية وفيرة أصبحت حينها محطّ اهتمام الكثير من المسلمين فقصدوها من المغرب الاسلامي الموحدين بعد ان أقاموا لهم دولة على انقاض دولة المرابطين وذلك على اثر الاستنجادات التي وصلت اليهم من اهل الاندلس وبالتحديد من اهل اشبيلية فتمكنوا حينها من اقامة دولة لهم في الاندلس وازدهرت بهم ردحا من الزمن وهكذا هي سنن التاريخ من بعد قوة ضعفاً فضعف على اثر الصراع الذي حدث بين حكامها على كرسي الخلافة، فأصبحت حينها تنشد الاستقرار، لذلك نجدها أخذت تميل الى أشخاص من اهل الاندلس علّهم ينهضوا بها من جديد فقد سأم اهل اشبيلية الغرباء، فكان ابن هود في مقدمة هؤلاء الاشخاص الذين عّدهم أهل اشبيلية من سيقودهم نحو افق أمن خالٍ من العنف والصراع لكن طموحهم لم يتحقق لان الأجل قد وافى ابن هود وهو في ريعان شبابه؛ ليأتي بعده ابن الاحمر الذي كان وبالاً على اشبيلية اذ كان عنصراً مهما في سقوطها بأيدي القشتاليين.

وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث المبحث الاول تكلمت فيه عن نهاية حكم الموحدين وذلك على اثر الصراع الذي وقع فيها بينهم، اما المبحث الثاني فقد وقفت على فيه الصراع الذي وقع بين ابن هود وابن الاحمر وذلك من اجل السيطرة على اشبيلية وماذا حدث لاهلها في خضم هذا الصراع، اما المبحث الثالث فقد جاء الحديث فيه عن احوال اشبيلية وكيفية مقاومتها لحصار القشتاليين وسقوطها بيدهم آخر المطاف .

المبحث الاول: نـهاية نفوذ الموحدين

اولاً: الصراع بين المأمون والمعتصم على كرسي الخلافة

لقد اصبح حكم الموحدين ممزقا في المغرب والاندلس ولاسيما بعد ثورة البياسي على حكمهم فقد زعزعت نفوذهم كثيراً في الاندلس اذ اصبح الصراع على كرسي الخلافة بعدها على اشده ولأبعد من ذلك فقد ظهرت في الاندلس شخصيات جديدة من غير الدولة الموحدية واخذت تنافسها في ادارة شؤون اشبيلية والاندلس، لكن في اول الامر كان الصراع موحدياً بامتياز فبعد الانتصار الذي حققه ابو العلا ادريس على البياسي وعبور الخليفة العادل (٦٢١- ٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) الى المغرب واعلن نفسه خليفة للموحدين وذلك في سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦[١] فلم يبق ابو العلا على طاعته لأخيه العادل وانما خالفه وأعلن نفسه منافساً له. والسؤال هنا لماذا أعلن ابو العلا خلع الطاعة لأخيه العادل بعد ما كان ساعده الايمن في الاندلس؟

هناك الكثير من الاسباب التي دفعت أبا العلا الى اعلان الخلافة في اشبيلية ومخالفة اخيه العادل ولعّل منها ضعف هيبة العادل بعد ما كان قوياً فقد ثار عليه عرب الخلط وخاض معهم الكثير من المعارك كانت الغلبة فيها لهم مما إضعف مركزه في ادارة الدولة[٢]، الامر الاخر الذي شجع أبا العلا على ذلك وصول البيعة اليه من اهل مراكش وهو مقيم في اشبيلية، اذ كتبوا له بالولاء والطاعة وأعلنوا خلافته.[٣]

ولعلّ الأمر الاهم في ذلك كله هو شعوره بتزايد مركزه في الاندلس فبعد الانتصار الذي حققه على البياسي انضافت اليه قرطبة فأصبحت تحت حكمه الى جانب اشبيلية فزادت سلطته كثيراً[٤]، وقد كان اهل اشبيلية وقرطبة يرون في شخص ابي العلا ذلك الرجل القوي الذي يستطيع ان يخلص البلاد من تردي الاوضاع فيها وذلك بعد ان تزعزع الامن والاستقرار، اذ وصف بأنه بطلٌ شجاع ذا هيبة شديدة، شهماً مهاباً مقداماً على عظائم الامور[٥]، وقد اشار

---

[١] ابن القطان: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٥

[٢] ابن القطان: نظم الجمان، ص٢٥

[٣] ابن عذاري: ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ /١٣١٣م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، خاص بأخبار الدولة الموحدية، تح : محمد ابراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٧٤ .

[٤] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٤ .

[٥] ابن ابي زرع: ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(ت بعد ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط،١٩٧٢م،

احد الباحثين الى هذه المؤهلات التي اجتمعت فيه فقال: لو لم تعاكسه الظروف يمكن ان يصبح ملكاً عظيماً فقد اجتمعت فيه كل الشروط اذ كان حسن الصورة ذا ثقافة عالية، وطموحاته ليس لها حدود[٦]، ويبدو أن أبا العلا قد درس الوضع جيداً لذلك وقبل كل شيء كان يجب عليه ان يكسب ود وتأييد شيوخ واعيان الموحدين المقيمين في اشبيلية لاسيما وانه لم يعرف بعد بنواياهم هل هم يؤيدون بقاء العادل في الخلافة ام يناصرونه اذا اعلن نفسه خليفة للموحدين وقد اشار الى ذلك ابن عذاري فقال: ((وكان معه بإشبيلية المذكورة جملة من وجوه الموحدين واشياخهم فلم يمكنه من اظهار ذلك لهم؛ لأنه لا يعلم ما يصدر له منهم ولا يعلم ما في نفوسهم له من القبول على مراده أو الإضراب عنه))[٧]

وبعد ذلك أمر أبو العلا قاضي إشبيلية أبا الوليد بن أبي الاصبغ بن الحجاج في شهر رمضان سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م ان ينشأ خطبة بليغة يروج فيها له، ويبين فيها قدرته على تولي امر الخلافة[٨]، ومن هذا التقارب بين أبي العلا وقاضي اشبيلية ندرك أهميتها، فضلاً عن ذلك يبين لنا ذلك ان كبار اشبيلية وشيوخها ما زالوا حجر الزاوية في تولي امر الخلافة، وإن موافقتهم على هذا الخليفة أو ذلك لابد منه.

استجاب القاضي لأمر أبي العلا وأعدّ الخطبة وفي يوم عيد الفطر المبارك ألقاها على الحاضرين فذكر المهدي وأثنى عليه ثم ذكر الخلفاء الموحدين كما ذكر العادل ثم ذكر أبا العلا وأشاد به أيّما إشاده[٩]، ويبدو ان كليهما كان يخشى الآخر، فقد كان القاضي وابو العلا يخشون كبار اشبيلية وليس ادل من ذلك ان القاضي في اثناء خطبته كان يرتعش خوفاً وكاد ان يسقط.[١٠]

كذلك كان بعض الموحدين يخشون سطوة أبي العلا اذا اعلنوا المعارضة له الذي قيل عنه انه كان سفاكاً للدماء. [١١]

ص٢٤٩ ؛ الذهبي: العبر في اخبار من غبر، تح: ابو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية – بيروت،(د، ت)، ج٣، ص٢٠٥ .

(٦) ميرندا، امبريوس هوينثي، ٨٦. التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية،ط١، ترجمة عبد الواحد اكمير، النجاح الجديد – الدار البيضاء،٢٠٠٤م، ص٤٥٥ .

(٧) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٥ .

(٨) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٥ .

(٩) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص٢٤٩ .

(١٠) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٥ .

(١١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص٢٥٠ .

هذه الاحداث كلها كانت تدور في اشبيلية وفي اليوم الثاني من شهر شوال حضر الموحدون

مع أعيان اشبيلية وكبارها الى قصر الخلافة، فطلب ابو العلا من القاضي أن يعيد ما ألقاه في خطبة يوم أمس، لكي يسمعها من لم يعلم القصد منها بالأمس فامتثل القاضي لما طلب منه ابو العلا، فلما وصل الى ذكر أبي العلا أطنب القاضي كثيراً، وبعد ان انتهى من خطبته قام الحاضرون اليه جميعهم وأخذوا بيده وأقعدوه مقعد الخلافة وبايعوه[١٢]، وذلك يوم الخميس الثاني من شهر شوال سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م[١٣]، فاتخذ لقب المأمون وما ان اعلن نفسه خليفةً على الموحدين وصلت اليه البيعات من ولاة الاندلس، وكان في مقدمتهم والي بلنسية السيِّد ابو زيد[١٤] كذلك وصلت اليه من سبتة وطنجة من عدوة المغرب.[١٥]

اما في العاصمة مراكش مركز حكم الموحدين، فقد كان المأمون من اشبيلية يتطلع اليها فاختلفت الروايات في أمر وصول البيعة اليه منها فذكر ابن القطان أن المأمون عندما أعلن نفسه خليفة للموحدين في اشبيلية سمع بذلك أهل مراكش فاعلنوا له البيعة[١٦]، اما الحميري فيقدم لنا تفاصيل اكثر عن بيعة المأمون في مراكش فيذكر روايتين الاولى تقول :((ثم إن العادل خُلع واجتمع أهل الحلّ والعقد وقالوا: نحب أن لا نبيت الليلة إلا بإمام، فقال لهم ابن يوجان[١٧]: إن رأيتم أن تتربصوا حتى تتحقق أخبار أبي العلا صاحب الأندلس، فقد ظهرت نجابته بتلك البلاد، وقد ذاق الاستبداد، وما أظنه يترك هذا الأمر لغيره))[١٨] وفي رواية أخرى يذكر ان أبا العلا هو

---

(١٢) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(١٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص٢٥٠ .

(١٤) عبد الرحمن بن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي، أصبح والياً على مدينة بلنسية، بعد أن نُقل والده منها إلى إشبيلية، وبقى والياً عليها من سنة (٦٢٠-٦٢٦هـ/ ١٢٢٣-١٢٢٨ م). المقري: شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ج٤، ص٤٥٦، ص٤٦١.

(١٥) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص٢٥٠ .

(١٦) نظم الجمان، ص٢٤ .

(١٧) أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان، وقيل برجان وكذلك بوجان بن يحيى الهنتاني الملقب بالأصفر، كان وزيرا للخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المنصور ثم لولده محمد الناصر الذي عزله فيما بعد، صار نائباً للعادل على مدينة سبتة في المغرب. ينظر: المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢٢٧؛ الحميري: محمد بن عبد المنعم الصنهاجي، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط٢،مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، بيروت،١٩٨٠م، ص١٤٧، ص١٧٤؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦١

(١٨) الروض المعطار، ص١٧٥ .

الذي خاطب ابن يوجان ومن معه من أهل مراكش يدعوهم الى مبايعته فقال:((خاطب أبو العلا المذكور ابن يوجان يدعوه إلى مبايعته فأجابه وكذلك خاطبه هلال بن مقدم أمير الخلط، وعمرو بن وقاريط شيخ هسكورة في شأن مبايعة أبي العلا والتضييق على أهل مراكش الذين انحرفوا عن مبايعة أبي العلا وأخذ رأي ابن يوجان ومشاركته في ذلك، فأجابهما بأن لا يغبا الغارات طرفة عين وأن يجهدا في قطع الطرق حتى تحوج الضرورة أهل مراكش إلى مبايعة أبي العلا وإخراج من لا ينفعهم))[١٩]، اما ابن أبي زرع فقد ذكر ان المأمون لما اعلن نفسه خليفة على الموحدين في اشبيلية كتب الى الموحدين الذين في مراكش بضرورة أخذ البيعة له والفتك بأخيه فقال: ((فلما كمل له ذلك أرسل الى الموحدين الذين بمراكش ودعاهم الى بيعته والفتك بأخيه العادل))[٢٠]، من هذا نفهم ان المأمون هو الذي دعا أهل مراكش إلى بيعته.

لكننا وامام تداخل هذا الروايات نميل الى الاخذ برواية ابن القطان التي تقول: إنّ اهل مراكش هم الذين كتبوا للمأمون بالخلافة ثم بعدها كتب المأمون لاتباعه فيها من أجل اخذ البيعة له؛ لأن ابن القطان كان حاضراً في ذلك الموقف ومن شهود العيان على تلك الحوادث وفي ذلك يقول:((وكان معظم كبارهم وفيهم ابن القطان قد كتبوا له يؤكدون بيعته))[٢١]، لكنهم بعد ذلك نقضوا بيعته بسبب تباطئه عن المجيء اليهم فكان ابو الحسن ممن حضر نكث البيعة المأمونية.[٢٢]

ويبدو أن هناك أسبابا اخرى دفعت هؤلاء الشيوخ الى نقض بيعة المأمون كان في مقدمتها توازن القوى في الدولة الموحدية وذلك ان شيوخ هنتاتة[٢٣] وتنملل قد أدركوا أن هذه البيعة تفقدهم بعض الامتيازات التي يتمتعون بها فقد تتراجع مكانتهم لشيوخ هكسورة والخلط[٢٤] اللذان

---

(١٩) الروض المعطار، ص١٧٥ .

(٢٠) الانيس المطرب، ص٢٥٠ .

(٢١) نظم الجمان، ص٢٥ .

(٢٢) ابن القطان: نظم الجمان،ص٢٥ .

(٢٣) يرجع اصله الى قبلة هنتاتة من بلاد المغرب خدم الدولة الموحدية هو واخوه محمد بن يغمور، وكان من المقربين من الخليفة عبد المؤمن بن علي ولاه على الكثير من الولايات ومنها مكناسة لم نعثر له على تاريخ وفاه. ينظر: ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٠٤، ٣٠٦ .

(٢٤) وهم عرب جشم، أدخلهم الخليفة المنصور الموحدي إلى المغرب سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، واستقروا تامستا الأرض السهلية الخصبة في اخر بلاد المغرب، وكان هؤلاء موقفهم متذبذب مع الموحدين، أي كانوا في فترات ضعف الخلفاء الموحدين يخرجوا ضدهم ويعيثوا في نواحي مراكش الفساد. ينظر: المراكشي: محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥ م، ج٤، ص٣١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦١٩؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى(العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم

اخذ يتقرب اليهم المأمون بمعيه ابن يوجان[٢٥] ، فضلا عن ذلك ربما الخوف منه على أنفسهم من الانتقام والايقاع بهم من قبله لما فعلوه بعمه وأخيه من قبل[٢٦]، فأغاض هذا التصرف المأمون كثيراً وقرر ترك عاصمته اشبيلية والتوجه الى مراكش والانتقام ممن نكثوا بيعته هناك، لكن قبل ان يترك اشبيلية ويغادرها الى مراكش لابد له من تأمينها من هجمات النصارى الذين أخذوا يعيثون في المناطق القريبة منها الفساد ولاسيما في هذه المدة بالتحديد؛ لذلك وقع هدنةً مع فرناندوا الثالث لمدة سنة التزم فيها بأن يدفع له مبلغاً من المال مقداره ثلاثمائة الف مثقال مرابطي يدفع جزءاً منها وما تبقى يدفع على شكل دفعات[٢٧] اما ابن أبي زرع فلم يذكر ذلك المبلغ وانما ذكر أن فرناندو قرر ان لا يعقد الهدنة مع المأمون الا اذا تنازل له عن عشر من الحصون التي تلي بلاده بشرط ان يختارها هو بنفسه، واذا دخل مراكش يسمح للنصارى بإقامة كنيسة لهم فيها فوافق المأمون على ذلك. [٢٨]

ومن كلتا الروايتين يمكن ان ندرك مدى الضعف الذي كانت تعيشه اشبيلية اتجاه النصارى بعد ان كانت نداً قوياً لهم ونحن لا نميل الى الاخذ بقول عنان، لانه مبهم فقد قال مثقال ولا نعرف عن أي مثقال هل هو مثقال من الذهب أم ماذا؟ وقال مرابطي فهل ما زالت الموازين المرابطية قائمة الى هذا الحدث في الدولة الموحدية هذا لم نجده في سائر المصادر، الامر الاخر كيف تكون على شكل دفعات ماهو الضامن لها لذلك نحن نميل الى قول ابن أبي زرع، لان النصارى في تلك المدة كانت رغبتهم في استرداد المدن اكثر من رغبتهم بالنقود.

وبعد ان عقدت الهدنة بين الطرفين بعث فرناندو الى المأمون جيشاً اختلفت المصادر فيه فابن عذاري ذكر ان جنود الروم كان عددهم خمسمائة فارس[٢٩]، اما ابن أبي زرع فقد ذكر ان فرناندو قد بعث إليه جيشنا من اثنتي عشر الف فارس من النصارى برسم الخدمة والجواز الى العدوة[٣٠]، ونحن مع قول ابن عذاري؛ لأنّهُ هو الاقرب الى الصواب فلم تكن ظروف فرناندو

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) ، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٢٤١.

[٢٥] الحميري : الروض المعطار، ص١٧٥ .

[٢٦] ابن القطان: نظم الجمان،ص٢٤ .

[٢٧] عنان: محمد عبد الله ، ٧٩. دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٦٨ ؛

J.F. O'Callaghan, A history of medieval Spain, ,Cornell university,Ithaca Newyork, Copyright 1983, p،338

[٢٨] الانيس المطرب، ص٢٥٠-٢٥١ .

[٢٩] البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٤ .

[٣٠] الانيس المطرب، ج٢٥١ .

تسمح له في ان يفرط بهذا العدد الكبير الذي ذكره أبن ابي زرع وقد كانت بهِ حاجة ماسة اليه في الاندلس فلم تكتمل طموحاته بعد، فضلا عن ذلك فان أغلب تقديرات ابن ابي زرع للجيوش كان مبالغا فيها .

ثانياً: المأمون في مواجهة ابن هود.

في مراكش بعد ان كتب اليهم من اشبيلية المأمون بضرورة التضيق على العاصمة ومحاربة اتباع يحيى المعتصم لحين وصوله اليهم[31]، لكن في ظلِّ هذه الاستعدادات وهذا التهيؤ وجد المأمون نفسه مضطر الى التباطؤ قليلاً اذا ظهر فيها منافساً له وهو محمد بن هود الجذامي[32] الذي استقر باحواز مرسية في منطقة تقع على وادي قوطة تعرف باسم الصخيرات[33][34]، الذي ذاع صيته وكثر اتباعه في الاندلس وقد عدّه اهلها بطلاً للتحرير ومنقذاً لدولة الاسلام فيها ومما زاد في خطورته للمأمون ان انضم إلية الكثير من فرسان الاندلس وانجاد رجالها الذين بعث فيهم روح الامل لتخلص الاندلس من الفتنة التي واكبت انهيار دولة الموحدين وتمزقها وكثرة الغزوات النصرانية عليها.[35]

وحين كان المأمون مشغولا بتجهيز الجنود اذا وصلت اليه صرخات والي بلنسية ابو زيد يطلب منه العون والمدد على ابن هود الذي أخذ يضايق بلنسية بمن اجتمع معه من اهل الاندلس، وفي ذلك يقول الحميري :((وعندما وصل الخبر بذلك إلى أبي العلا، وكان عزم على جواز البحر، تمثل: إن الطبيب إذا تعارض عنده ... مرضان مختلفان داوى الأخطرا وصرف وجهته إلى مرسية))[36] فغادر المأمون اشبيلية متوجاً اليه الى مرسية لقتال ابن هود

---

[31] الحميري: الروض المعطار، ص١٧٥ .

[32] أحد قادة عساكر الموحدين في شرق الأندلس، اسمه محمد بن يوسف بن هود، يرجع في أصله إلى أسرة بني هود الجذامية التي حكمت في بعض مناطق شرق الأندلس أيام دويلات الطوائف (٤٢٢- ٤٨٤هـ/ ١٠٣٠- ١٠٩١م)، وصف محمد بن يوسف بالكرم والشجاعة، ظهر على الساحة السياسية في سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، وبضعف سلطان الموحدين، سيطر على بعض مناطق شرق الأندلس وأعلن البيعة للعباسيين حتى وفاته مقتولاً سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٨؛ ابن الخطيب:، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣م، ج٢، ص٧٤- ٧٦

[33] الادريسي، ابو عبد اللهـ محمد بن عبداللهـ بن ادريس، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.ج٢، ص٢٤٥ .

[34] ابن الخطيب: الاحاطة، ج٢، ص٧٤ .

[35] ابو الفضل: محمد احمد، سيف الدولة بن هود محاولة للحفاظ على ما بقى من دولة الاسلام (٦١٣-٦٣٥هـ/١٢١٧-١٢٣٨م) مجلة الغد، الجزائر، مج٢، عدد ١٨، ص٢٤ .

[36] الروض المعطار، ص٣٥٥ .

وقد انشد قائلاً:

تكاثرت الضباء على خراش   فما يدري خراش ما يصيد [٣٧]

وعندما وصل الى غرناطة كتب الى أخيه أبي زيد يعلمه بقرب وصوله اليه فلما سمع ابن هود بقرب وصول المأمون اليه تجهز له ووقع القتال بينهما بالقرب من لورقة ففتكت قوات اشبيلية بقوات ابن هود وانهزمت الى مرسية[٣٨]، وبعد هذا النصر كتب المأمون ومن أرض المعركة كتابا الى أهل اشبيلية يبشرهم بالنصر ويشرح لهم احول المعركة كذلك جلس مجلساً للاحتفال بهذا النصر فامتدحه الشعراء فقام احدهم فقال:

كل يقول ونصركم مأمون   واليمن منه على الفتوح ضمين

في كل محمدة على المأمون عبد الله   زاد ابو العلا المأمون [٣٩]

فأجزل له العطاء وبعدها قرر المأمون ان يتبعه الى مرسية فلما وصل اليها فرض عليها الحصار، لكنه لم يستطيع النيل منه هذه المرة؛ لان الظروف كان تصب في مصلحة ابن هود؛ وذلك لان الأوضاع في مراكش اخذت في التسارع منذ ان اتخذ الخليفة يحيى المعتصم(٦٢٤- ٦٣٠هـ/١٢٢٦-١٢٣٢م) لقب الخلافة فكانت هذا من أهم الاسباب التي جعلت المأمون في ان يقلع عن حصار مرسية ويقرر العودة الى اشبيلية وفي اثناء إقامته فيها وصلت اليه البيعات من والي تلمسان ومن بجاية[٤٠]، كذلك وصلت اليه البيعة من زعيم الخلط[٤١] هلال بن مقدم[٤٢] وأعلن فيها بأنه تحت طاعته ورهن اشارته في أي وقت وانه لا يتبع

---

[٣٧] ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص٢٥٠ .

[٣٨] ميرندا: امبراطورية الموحدين، ص٤٠٦ .

[٣٩] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٨؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦م، ص١٢٣

[٤٠] ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٤٠ .

[٤١] وهم عرب جشم، أدخلهم الخليفة المنصور الموحدي إلى المغرب سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، واستقروا تامستا الأرض السهلية الخصبة في اخر بلاد المغرب، وكان هؤلاء موقفهم متذبذب مع الموحدين، أي كانوا في فترات ضعف الخلفاء الموحدين يخرجوا ضدهم ويعيثوا في نواحي مراكش الفساد. ينظر: المراكشي: الذيل والتكملة، ج٤، ص٣١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦١٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٤١.

[٤٢] هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج، كام ممن خالف بيعة العادل ونحاز الى جانب المأمون وبعث هلال ببيعته اليه سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م واتبعه الموحدون في ذلك وجاء المأمون وظاهروه على أمره . ابن خلدون: العبر،ج٦، ص٤٠ .

يحيى مهما كلفه الامر ذلك[٤٣]، ولما قُرأت البيعة في اشبيلية على أسماع الخليفة المأمون استأذنه احد الشعراء؛ ليكتب بذلك شعرا يشكر به هلال فقال:

وجاءت الخلط المشكور مقدمها   كالأسد تبدو عليها سورة الغضب

خفوا الى نصر حزب الله واحتفلوا   في عسكر صخب او جحفل لجب[٤٤]

فكان لتلك البيعات ولتلك الكتابات فضلا عن النصر الذي حققه المأمون حافزاً كبيراً في ان يتوجه نحو المغرب واعلان الخلافة فيها فعبر البحر في جنود من الموحدين الاشبيلين والعرب والروم ولم يترك في اشبيلية والمدن الاخرى سوى بعض الحاميات القليلة وكان جوازه من اشبيلية الى الجزيرة الخضراء الى سبتة وذلك في اوائل عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[٤٥]، لكن لماذا لم يترك في إشبيلية حامية كبيرة ولاسيما وهي عاصمته الاندلسية وتكون أكثر عرضةً للخطر اذا افرغت من الجنود؟

يبدو لنا انه كان في مخيلته وبعد النصر الذي حقه على ابن هود والهدنه التي عقدها مع فرناندو انها لا تحتاج لحامية كبيرة وانه ما ان تمكن من أخذ البيعة من اهل مراكش حتى يعود اليها او يرسل اليها الإشبيليين الذين معه ويضبطون امورها.

ولما سمع ابن اخيه يحيى بقدومه تجهز اليه وخرج لقاتله وضرب خيمته في جبل اجليز، واشتبكت القوات وتمكن القوات المأمونية من القوة الموالية ليحيى وهزموهم ودخل بذلك المأمون وجنوده الى مراكش وأعلن اشياخ الموحدين البيعة له[٤٦] فتقبلها منهم لكنه كان حاقداً على بعضهم من أهل هنتاتة وتنملل فأسرها في نفسه وقد احضر معه خطوط بيعاتهم التي وصلت اليه في اشبيلية وفي اول الامر تظاهر بقبولها منهم ومنحهم الامان فلما تكاملوا عنده اخرج لهم بيعاتهم واشهدهم على انفسهم بها والتفت الى قاضي اشبيلية الذي كان جالساً الى جنبه الفقيه المكيدي[٤٧] فقال له :((ما تقول يا فقه في قوم بايعوا ثم نكثوا عليه ثم خلعوه وقتلوه، ثم بايعوا شخصا آخر فنكثوا عليه وقتلوه ثم بعثوا بيعتهم هذه الي، ثم نكثوا ايضاً علي؟ فقال له القاضي: وجب عليهم القتل عليهم اجمعين يا امير المؤمنين))[٤٨]، فامر المأمون بضرب رقابهم فقتل في

---

[٤٣] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٠ .

[٤٤] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٠ .

[٤٥] ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص٢٥١ .

[٤٦] ابن الخطيب : الاحاطة، ج١، ص٢٢٣ .

[٤٧] لم نعثر له على تعريف في المصادر التي تحت ايدينا.

[٤٨] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٦

ذلك اليوم اكثر من مئة شخص. [٤٩]

هذا في مراكش اما في اشبيلية فلا تبدو الصورة واضحة فلم تذكر المصادر التاريخية ان المأمون عندما خرج منها ترك ولايتها تحت احد الاشخاص، لكن ابن الخطيب قد ذكر انها كانت تحت تصرف ابي الربيع فقال:((وثار أهل الأندلس على السيد أبي الربيع بعده بإشبيلية وجعجعوا بهم، وأخذوا في التشريد بهم، وتبديد دعوتهم، واضطربت الأمور))[٥٠]، لكن بالحقيقة ان السيد ابي الربيع كان في حينها والياً لقرطبة وليس لاشبيلية كما ذكر ابن عذاري. [٥١]

كل الدلائل والقرائن السابقة تدل على ان اشبيلية بقيت بدون والٍ فبعد مغيب المامون عنها في مراكش وقتاله على العرش انتهز اهلها فراغ المدينة فاجتمعوا بموقع يقال له النخيل فتباحثوا في امرها بعد أن ادركوا ان الدولة الموحدية لايمكن ان تعود من جديد كما كانت من قبل وان ابن هود هو الرجل الحقيقي لتلك المرحلة، اذ عمد على رفع راية بني العباس سنة (٦٢٥هـ /١٢٢٧م)[٥٢]، وتسمّى بأمير المسلمين[٥٣]ولُقِّب بالمتوكل[٥٤]، ومن ثم أزال الخطبة للموحدين، وجعل محلها الخطبة العباسية[٥٥]، وخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله[٥٦](٦٢٣هـ - ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢م) ببغداد بعد أن وصله التقليد منه[٥٧]، أي أنه قدّم نفسه ممثلاً عن الخليفة العباسي وليس خليفة مثلما يخرج بعضهم، وكان شعاره الخلاص من الموحدين، فضلاً عن ردع النصارى ووضع حدٍّ لتصرفاتهم الاستيطانية في بلاد الأندلس[٥٨]، لم ينحصر نفوذ ابن هود على مدينة مرسية فحسب، بل دخلت في طاعته الكثير من المناطق، ففي غضون عام واحد أصبح ابن هود سيداً في الجزء الأكبر من الأندلس فكانت كل تلك الامور تقف أمام انظار أهل اشبيلية فأتفقوا على إيجاد الحلول للوضع القائم وتوصلوا إلى خلع طاعة

---

[٤٩] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٦

[٥٠] الاحاطة،ج١، ص١٦٠ .

[٥١] البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٤ .

[٥٢] المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٤٧.

[٥٣] ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٦.

[٥٤] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين ص ٢٧٨.

[٥٥] الحميري : الروض المعطار، ص٣٥٥.

[٥٦] المستنصر بالله: هو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله. نظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء،ط١، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥٧٦.

[٥٧] ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص٧٥.

[٥٨] البشر: محمد بن عبد الرحمن، مباهج الاندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٣١.

الخلافة الموحدية وإحلال دولة ابن هود محلها، وجرت بينهم وبين ابن هود مراسلات، أوضحوا فيها أنهم كانوا في غفلة، وأن توجههم إلى ابن هود وطاعته هو طريق لحفظ كرامتهم، في المقابل ردَّ عليهم أخو ابن هود وهو أبو الحسن عضد الدَّولة مهنئاً لهم على اجتماعهم على الطاعة .[٥٩]
.[٥٩]

يتضح من ذلك رغبة أهالي مدينة إشبيلية بإحداث تغيير شاملٍ للنظام السائد، ولاسيما بعد أن تركهم المأمون بأوقات عصيبة جدًا، فكان لابدّ لهم من أن يملؤوا الفراغ السياسي بمن يمتلك القدرة على مواجهة مصاعب الأندلس التي تواجهها من آثار نزاعات بني عبد المؤمن .

ولما علم المأمون بتحركات ابن هود وبما آلت اليه أُمور اشبيلية جمع قواته وتحرك بهم الى الاندلس، فلما علم به ابن هود تحرك نحوه فلقيه في جزيرة طريف فنشبت بينهم معركة وذلك في شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م عرفت بمعركة طريف اسفرت عن هزيمة المامون فتقهقر وعبر الى المغرب واستولى ابن هود على جبل الفتح والجزيرة الخضراء[٦٠]، وهو ما اكده ابن الخطيب فقال:((فتح الجزيرة الخضراء عنوة وقد كان انضم اليهم بقايا المغربين فاجزهم الى المغرب وصح له تمليك الاندلس واطاعته سبتة وملك سباط الفتح بعد ايامٍ)). [٦١]

المبحث الثاني:

الصراع بين ابن هود وابن الاحمر على عرش اشبيلية:

اولاً: اشبيلية تحت حكم ابن هود

كانت التقارب كبيراً بين أهل اشبيلية وابن هود، لان الإشبيليين قد ألقوا القبض على والي قصر الفتح وما اليه من الثغر الغربي أبي محمد عبد الله بن محمد بن وزير وأخيه أبي عمرو عبد الرحمن، اللذين كانا بإشبيلية، وقاموا بتسليمهما إلى ابن هود الذي أمر بقتلهما معلناً بداية عهدٍ جديد للبلاد، ويتضح مما سبق أن أهالي مدينة إشبيلية كان همهم عودة الامن والاستقرار الى ربوعها؛ لان الموحدين قد أصبح همهم الخلافة اكثر من همهم استقرار المدن[٦٢]، عند ذلك قد شعر ابن هود بانه اصبح زعيم الاندلس الحقيقي وقائد حركتها التحريرية لاسيما بعد ما وصله التأييد من الدولة العباسية كما ذكرنا سابقاً.

---

[٥٩] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٩

[٦٠] ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٥ .

[٦١] اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما في ذلك من كلام، تح: سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية، بيروت،(د، ت)، ج٢، ص٢٣٠ .

[٦٢] ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق :حسين مؤنس،ط٢، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٥م، ج٢، ص٢٩٥- ٢٩٦.

ولم تظهر لنا كتب التاريخ بشكل جلي على ان ابن هود قد اسند ولايتها الى شخص من اتباعه لكن ابن عذاري قد ذكر ان اهل اشبيلية عندما كتبوا بيعتهم الى ابن هود وأرسلوها له قد تلقها اخوه ابو الحسن الملقب بعضد الدولة وهو الذي اجابهم عنها بالقبول(٦٣)، اما ابن خلدون فقد قال:((انتقض أهل إشبيلية وأخرجوا سالم بن هود))(٦٤)، ولم يذكر على ان ابن هود قد ولّاه عليها عندما وصلت اليه بيعاتهم ولكن يمكن أن نقول إنّه كان واليها؛ لأن أهلها قد اطاحوا به.

ومهما يكن من أمر فقد استمرت ولايته عليها الى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م حيث انتفض عليه اهل اشبيلية واطاحوا به فيبدو أنَّ طبيعة العلاقة بين أهالي مدينة إشبيلية وبين ابن هود قد تغيرت، وأنَّ الأهالي ما عادوا يثقون بأي زعيم يُولّى عليهم، أو لربما أصبحت عندهم القوه والقدرة لرفض أي والٍ لا يحظى بقبول أهل المدينة، ومن ثَمَّ أصبح قرار الاختيار أمراً منوطاً بأهل إشبيلية فعمدوا على اختيار شخصية قيادية من بينهم، ألا وهو أبو مروان الباجي(٦٥) وبقي الحال إلى أن قدمت البيعة له مدينة قرمونه(٦٦)، ثم قَبَلَ أن يصبح والياً على مدينة إشبيلية من قبل أهاليها بعد أن قدموا البيعة له في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م .(٦٧)

ويبدو أن الاوضاع في الاندلس لم تستقر فما ان تضعف حتى تكثر الانشقاقات فيها، فقد ظهر منافساً اخر لابن هود وللدولة الموحدية وهو محمد بن يوسف ابن الاحمر(٦٨) الذي تسلم

---

(٦٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٩ .

(٦٤) العبر، ج٤، ص٢١٧ .

(٦٥) أبو مروان الباجي: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي، من علماء إشبيلية، تولى الخطبة في إشبيلية فترة طويلة، ثم جعله الخليفة العادل قاضياً عليها ثم في عهد الخليفة المأمون، وكان يحكم بالعدل. ينظر: ابن قرقول، أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني، مطالع الأنوار على صحاح الأثار، تح: دار الفلاح للبحث العلمي، ط١، وزارة الأوقاف للشؤن الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٢م، ج١، ص٤٢.

(٦٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ٣٩٣.

(٦٧) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٩٦؛ أبن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٨؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٤٨.

(٦٨) ابن الأحمر: هو محمد بن يوسف بن نصر، وأصل بني الأحمر من أرجونه من حصون قرطبة، وينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، وكان كبيرهم أخر دولة الموحدين (محمد بن يوسف) بن نصر المعروف بأبن الأحمر، وأخوه إسماعيل، وكان لهما وجاهة ورياسة في تلك الناحية، وتوفي ابن الأحمر في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩١م. ينظر: الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٥١، ص٩٣٥؛ القلقشندي: شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، القاهرة،١٩١٥م، ج٥، ص٢٥١؛ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، ٦٩. الاعلام،ط١٥، دار العلمين للملايين، بيروت ،٢٠٠٢م، ج٧، ص١٥٤.

امارة ارجونة[٦٩] سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م ثم دخلت جيان ووادي اش في طاعته سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ولما فتحت قرطبة ابوابها له اخذ ينافس الموحدين وابن هود في الاستيلاء على مدن الاندلس فاعترفت بطاعته كل من مالقة والمرية[٧٠]، وكان لابد له ان يكتسب الشرعية في حكمه لذلك خطب للحفصين في افريقية[٧١]، وحدثت معارك بين ابن هود وابن الاحمر وكلاهما لم يحقق النصر على الاخر وفي نهاية المطاف عقدت الهدنة بين الطرفين على أن يكون حكم ابن الأحمر مستقلاً في مدينتي جيان وأرجونه[٧٢]. وقد علل ابن خلدون سبب تلك الهدنة انه لما وصل الى ابن هود خطاب الخليفة ببغداد فضل الانضواء تحت رايته. [٧٣]

أو ربما كان ابن الاحمر يرمي من وراء ذلك الاتفاق تامين جبهته من هجمات ابن هود وبالتالي يتوجه الى اشبيلية وهذا الرأي هو الاقرب الى الصواب، إذ بعد الاتفاق مباشرةً توجه نحو اشبيلية من اجل انتزاعها من أبي مروان الباجي فتحرك نحوها في شهر شعبان من سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م لكنه لم يتكمن من الدخول اليها لذلك عمد الى عقد اتفاقية مع ابي مروان الباجي على ان يزوجه ابنته فوافق الباجي على ذلك.[٧٤]

ويبدو أن هذا الاتفاق لم يكن حقيقياً، وإنّما كان على معنى الخديعة، فلم نجد الزواج يقوم ولما دخل ابن الاحمر الى اشبيلية تخلص من الباجي فامر بقتله[٧٥]، عندها اصبح اهل اشبيلية في حيرة من امرهم فالموحدون في المغرب يتصارعون على العرش، والأندلس تتصارع في الحصول على المدن؛ لذلك عمدوا الى ابن الاحمر وطردوه بعد شهر من دخوله لاشبيلية؛ وذلك لقسوته واعلنوا عودتهم لدعوة ابن هود. [٧٦]

وبذلك أدرك ابن هود انه لايستطيع ان يقاتل اكثر من جهة في آنٍ واحد ولاسيما ان ابن الاحمر قد تحصّن في غرناطة وعينه على اشبيلية مركز الاندلس لذلك قرر أن يعقد صلحاً مع

---

(٦٩) أرجونة: وهي مدينة أو قلعة بالأندلس من ناحية جيان، وهي أرض سهلية كثيرة الأشجار والزيتون والكروم، وتمتاز بالآبار منها يأخذون الماء للشرب وسقي البساتين. البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٩٢م. ج١، ص٢١٢ .

(٧٠) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ط٢، دار النشر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م،ج٢، ص٨٨ .

(٧١) ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٧٢) ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٧٣) العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٧٤) ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢١٨ .

(٧٥) ابن الخطيب : الاحاطة، ج١، ص٢١٦ .

(٧٦) القلقشندي: صبح الاعشى،ج٥، ص٢٥١ .

ملك قشتالة فرناندو الثالث سنة ٦٣٠هـ /١٢٣٢م[٧٧]، ولربما أنه اراد من هذا الصلح صرف النصارى عن غزو مدن الأندلس، وبموجب هذا الصلح تنازل ابن هود عن ثلاثين حناً كانت تحمي مناطق الوادي الكبير[٧٨]، وهنا بيَّنَ ابن خلدون ذلك الصلح فقال: ((واستظهر كل أمره بالطاغية فرناندو الثالث، ونزلوا عن كثير من الثغور، وقلقلت من ذلك ضمائر أهل الأندلس)).[٧٩]

وكذلك من ضمن الشروط التي فرضوها عليه إن يدفع إتاوة قدرها مئة وثلاثين إلف دينار[٨٠]، الا أنَّ ابن عذاري ذكر غير ذلك بأن يدفع إلى فرناندو ألف دينار في كل يوم [٨١]، وكان الخاسر الاكبر من تلك الاتفاقية هم اهل الاندلس؛ لان بعض مدنها ستكون تحت تصرف ملك قشتالة، وانها جاءت من صالح ملك قشتالة لان بموجبها يحصل على مبتغاه دون قتال ولاخسائر وعلى الرغم من ذلك فان ملك قشتالة لم تكن نيته حقيقية لعقد الهدنه مع ابن هود فقد تحرك نحو قرطبة في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥ م، وعندما سمع بذلك ابن هود تحرك بقواته لقتاله، لكنه لم يشتبك معه فرجع من حيث اتى[٨٢] ، وبعدها سقطت الكثير من الحصون في بياسة واستجة والمدور بيد ملك قشتالة. [٨٣]

اما اشبيلية فقد أصبحت تحت ولاية أابي النجاة سالم اخا ابن هود وفي خضم تلك الاحداث وصل الى اشبيلية خبر وفاة ابن هود وذلك في سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م [٨٤] فمثل هذا الخبر صدمة على اهل اشبيلية فهو موت مفاجئ: لانه كان في ريعان شبابة فقال احد رجالها : من كان يعتقد ان الموت سيعجل لابن هود في باكورة شبابة، فيحول بينه وبين بلوغ مرامه، فقد كان الرجل تحذوه الآمال في توحيد بلاد الاندلس تحت سلطانه .[٨٥]

---

[٧٧] المراكشي: المعجب، ص٣٣٥؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٠٣

[٧٨] ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٩.

[٧٩] العبر، ج٤، ص٢١٦.

[٨٠] عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص٤١٧.

[٨١] البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٣٠٣ .

[٨٢] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٢٢ .

[٨٣] اشباخ، يوسف، تاريخ الاندلس في عهدي المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط٢،مطبعة الخانجي، القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٦م .، ج٢، ص١٧٨ .

[٨٤] ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٩٢ .

[٨٥] ماهر : محمود، جارة الوادي، ط١، عصير الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٨١ .

ثانياً: فتنة اشبيلية بعد وفاة ابن هود:

وبعد هذه الوفاة اصبحت اشبيلية تحت تصرف عمرو بن الجد وقد وصلت اليها الكتب من وريث ابن هود على ملكه ولده ابي بكر الذي اخذ له ولايته العهد في ايامه فتولى الامر بمرسية وتلقب بالواثق[٨٦]، عمد عمرو الى جمع أهالي إشبيلية وحدثهم في شأن هذه الكتب وفي تقرير مصير اشبيلية وقال لهم ما جمعتكم ليوم الا لأشاوركم في هذا الامر فما كنت قاطعاً فيه الا لتشهدون.[٨٧]

أصبح الجدال بينهم محتدما فقائد شرطة المدينة شقاق قال: والله لن نبايعه ابدا ولن نولي امر اشبيلية وهي اكبر ممالك الاندلس غلاماً حدثاً لا يفقه من أمرها شيئاً [٨٨]، وقد كان حكيما في امره فقد تفطن الى قوه بني الاحمر وتصارعهم مع ابن هود فاذا بايعت اشبيلية الواثق فسوف يزجهم بالحرب ضد بني الاحمر، وذلك بمشورة وزير ابية والعدو النصراني يتربص بهم الدوائر[٨٩]، فربما كان هذا هو السبب في توجيه اهل اشبيلية انظارهم نحو مراكشٍ بعد ان انفصلوا عنها قبل ذلك بسنوات إذ اتفقوا بينهم في ان يشكلوا وفداً من اهلها فتشكل الوفد واصبح تحت قيادة الفقيه والمقدم فيها عمرو بن الجد وذهبوا الى المغرب.[٩٠]

وقد اراد اهل اشبيلية بهذا العمل ان يكونوا مثالاً يحتذى به لأهل الاندلس به فيستنجدون بهم بعد ان عانوا الأمرين من هؤلاء الحكام فربما توحدت المغرب والاندلس من جديد واصبحت قادرة على قتال النصارى .

نهض الوفد من اشبيلية في شهر شوال سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، فوصلوا الى ميناء مازيغان وقد استقلوا سفينتين كبيرتين من اسطول اشبيلية فلما وصلوا الى مراكش استقبلهم الخليفة الرشيد(٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٣٢- ١٢٤٢م)[٩١] خير استقبال ورحب بهم وكان لقدومهم شأن عظيم ونالوا التكبير والتبجيل واستبشر الناس بانتظام الدعوة من جديد بالعدوتين، ولما استعلم نيتهم وافق على ذلك وفرح بهم وقدم عليهم ابا عبد الله بن ابي عمران الذي كان موجوداً فيها ايام ابن هود[٩٢] ولما قرأت البيعة للخليفة جلس مجلساً للشعر

---

[٨٦] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٣ ؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢١٨ .

[٨٧] ماهر: جارة الوادي، ص٨١ .

[٨٨] ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٩٥ ؛ ماهر : جارة الوادي،ص٨١ .

[٨٩] ماهر: جارة الوادي، ص٨١ .

[٩٠] ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٩٥.

[٩١] هو ابو محمد عبد الواحد بن أبي العلا إدريس المأمون ابن أبي يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٩٩.

[٩٢] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٣.

وانشدت الاشعار فيه.[93]

كذلك اغتبط الخليفة الرشيد هذا الوفد الاشبيلي؛ لأنّهُ كان سبباً في القاء القبض على ابن وقاريط[94] الذي عاث فسادا في ارض المغرب، ثم التحق بالاندلس فدخل اشبيلية ايام ابن هود فقيدوه وارسلوه مكبلاً الى مراكش وقد وصف ذلك ابن عذاري فقال:((وجاء الخبر بقبض اهل اشبيلية على ابن وقاريط المنتزي اليهم... قصد بذلك اهل اشبيلية اظهار خدمتهم وتكفير ما كان من خروجهم عن الدعوة وتقرر حبهم في الطاعة التي قادهم اليها الاستبصار والاهتداء، فكان اخذ ابن وقاريط من الفتح أربى على فتح اشبيلية لعداوته القديمة والفتنة التي كان فيها كل الامعان)).[95]

بعد ذلك اجزل الخليفة الرشيد العطاء للوفد الاشبيلي فأعطى كل فرد منهم من المال والكُسى ما زاد على عشرين الفاً من الدنانير[96]، كما كان لهذا الوفد الصدى الكبير في ارجاء المغرب فلما سمع اهل سبتة بقدومهم الى الخليفة اعلنوا عودتهم الى احضان الدولة الموحدية بعدما خلعوا طاعتها ايام الخليفة المامون فنهضوا مع الوفد الاشبيلي الى مراكش واعلنوا البيعة للرشيد فيها. [97]

ولم يقف تأثير هذا الوفد عند اهل سبتة وانما حذت بعض مدن الاندلس حذوهم واعلنت الطاعة للدولة الموحدية؛ لأنها اصبحت تتوق لأيام عزها ومجدها، وبما تعانيه من الوضع المتردي والثورات الكثيرة لذلك شجع هذا الوفد محمد بن يوسف بن الناصر[98] فبايع باسم اهالي مالقة وسائر الاراضي الخاضعة له وذلك في سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م . [99]

المبحث الثالث: سقوط اشبيلية بيد النصارى.

اولاً: اشبيلية تحت انظار النصارى

كان ملك قشتالة فرناندو الثالث[100] ينظر الى اشبيلية على انها عاصمة قشتالة البديلة عن

---

[93] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٣.

[94] وهو من رجال الدولة الموحدية الذي دخل في الفتنة التي اندلعت بين المامون والرشيد القي عليه القبض وسجن وقتل وصلب برباط هسورة في اواخر سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. ابن خلدون: العبر،ج٦، ص٣٤٥ .

[95] البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٤ .

[96] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٥.

[97] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٥.

[98] وهو من اولاد الخليفة الناصر الذي ان ممن استقل ببلاده بعد فتنة البياسي في اخر ايام الدولة الموحدية، ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤٤ .

[99] ميرندا: امبراطورية الموحدين، ص٤٩٩ .

[100] وهو ابن الفونسو التاسع ملك ليون من طليقته الملكة برنجيلا ابنة الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة،

طليطلة فمتى ما دخلها أصبحت جلَّ الاندلس بيده فاخذ يَعدُّ العدة لذلك الغرض ولاسيما وانه قد اصبح قريباً منها بعد ان سقطت بيده مدينة قرطبة في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م[١٠١]، وشجعه ذلك على الاستيلاء عليها ولاسيما ان حرب الاسترداد اصبحت في تلك المدة على أشُدها بعد ان توحدت مملكة قشتالة مع مملك ليون في سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م.[١٠٢]

وقبل الشروع باحتلال اشبيلية كان لابد له ان يكسب ود ابن الاحمر ويضمه الى جانبه في حربه تلك؛ لانه كان العدو الوحيد الذي يمكنه ان يغير خارطة التقدم والتراجع في الاندلس ولاسيما بعد وفاه ابن هود وانزواء الموحدين في المغرب فاذا بقى مقاتلاً لهم هذا سيربك حساباتهم وفي الوقت نفسه سيعطي عزماً للمدن الاندلسية التي ما تزال تقاوم المد القشتالي؛ لذلك كان يرى ان عقد الصلح معه سيكون مقدمة لاستسلام بعض المدن؛ لانها سوف تحذو حذوه فأراد فرناندو بما يمتلك من خبرة عسكرية الى الاستحواذ على المدن الاندلسية بأقصر الطرق وأقلها خسائر؛ لانه كان يعلم أن الطريق الى اشبيلية وعر وصعب جدا اذا ما قصدها؛ لذلك عمد الى عقد الصلح مع ابن الاحمر، كما ان ابن الاحمر كان يرى عقم المقاومة، وانها لاتجدي نفعاً امام عدو شرس واصدقاء متربصين به ؛ لذلك هو الاخر عمد الى عقد الصلح فعقدت اتفاقية بين الطرفين جاء فيها: إنّ كل الاراضي التي هي تحت سيطرته تبقى تحت تصرفه بالمقابل أن يدفع جزية سنوية قدرها خمسون الف مثقال من الذهب، وان يكون الى جانب فرناندو في حربه ضد اعداء قشتالة وذلك بان يرسل جنوده للقتال في صفوف قشتالة سواء اكان هذا العدو من النصارى أم من المسلمين، وان يحضر معه المجلس النيابي في حالة انعقاده، فضلا عن ذلك يجب على ابن الاحمر ان يحضر كل الحفلات الرسمية التي تقيمها قشتالة وتم ذلك الاتفاق في عام ٦٤٣هـ/١٢٣٦م. [١٠٣]

وبعد أن أمّنَ ملك قشتالة جبهتيه النصرانية والمسلمة اخذ يعد لمشروعه الاهم والابرز في الاندلس وهو الاستيلاء على اشبيلية اذ كانت في نظره ونظر الاحبار والفرسان من اهم مدن الاندلس لما تحتويه من موارد اقتصادية كبيرة، لكنهم في الوقت نفسه يعلمون ان اشبيلية لم تكن لقمة سائغه سهلة المنال؛ لانه دفاعاتها منيعة جداً وخطوطها الامامية محصنة اذ تحتوي على

استقدمته أمه ليتولى عرش مملكة قشتالة بعد أن توفي أخيها الملك هنري (إنركي)، الذي كان تحت وصايتها. ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٣٣٣، ٣٣٤

[١٠١] اشباخ: تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٥٠ .

[١٠٢] اشباخ: تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٩٣ .

[١٠٣] اشباخ: تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٩٤ ؛ Joseph F. O'Callaghan, Reconquest and Crusade in Medieval Spain, University of Pennsylvania Press, Philadelphia,1988,p١١٣.

الكثير من القواعد الدفاعية والحصون والاسوار الشاهقة لذلك عمد ملك قشتالة الى خطة محكمة فقبل التفكير في الوصول اليها لابد له اولاً من تحطيم معنويات المقاومة التي في نفوس اهلها، ولا يتم له ذلك الا ان يبث بعض رجاله بينهم فارسل لها الجواسيس والانصار فتبنوا مهمة تحطيم الحالة المعنوية في نفوس اهلها فكانت كلما سقط مدينة من مدن الاندلس يكثر الحديث في داخلها عن دواعي واسباب السقوط فكان انصاره يستغلون ذلك الوضع ويحبطون من عزيمة اهلها وان تلك المدن التي سقطت لم تكن تستطيع مقاومة قشتالة القوية وجنودها فعندما سقطت بلسنية ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بيد ملك ارغون قام يوسف المرشاني (برنانرد)[١٠٤] في وسط جمع من اهل اشبيلية فقال لنعمل العقل ياسادة لقد حارب الامير ابن زيان خمسة اشهر ماذا بعد؟ لقد سقطت بلنسية ودخلها العدو فاذا كانت المدينة قد سقطت ودخلها العدو بعد ان افنى اهلها، فلماذا الحرب اذن أليس من الافضل للأمير ان يبادر للتسليم حقنا للدماء والاموال اذ لا جدوى من المقاومة وقد كانت النهاية معروفة.[١٠٥]

فمن المؤكد ان ذلك الكلام يوثر سلباً في معنويات المقاتلين فيها لان الروح المعنوية الاساس، واهم من كل المواد المادية فاذا قتلت وانهزمت انهزم الجيش لا محالة وبعد ذلك انقسم اهل اشبيلية الى قسمين الاول يتمثل في رجالها الاكفاء وهم ثلاثة ابو الحسن شقاق وقائد شرطتها ابن خلدون وعبد الرحمن الاشبيلي[١٠٦] قائد الجيش فيها اما القسم الثاني فقد كان يميل الامير الحفصي ابو فارس وابن الجد، الذي كان يميل الى القشتاليين وقد كان الجانب الاول اكثر حرصاً على المدينة[١٠٧]، فقد كانوا يعلمون مدى غدر العدو القشتالي وان اتفاقياتهم مزيفة لذلك كانوا دائماً يطوفون حول اسوار اشبيلية وابراجها ليسدوا ثغراتها ويصلحوا ما تهدم منها، وكانوا يحثون ابن الجد على ضرورة تعزيز دفاعات اشبيلية؛ لكنه يمانع والسبب في ذلك هو لادخار المال للنفقات الاخرى التي كانت في رأيه اهم من تلك الاسوار. [١٠٨]

كل تلك الأمور كان يتابعها ملك قشتالة وهو بطليطلة فسأل احد جواسيسه فيها عن حال اشبيلية فقال ستلتحق قريباً بمرسية وستأخذها بدون قتال فرجالنا يمهدون لنا الامر فيها ويعملون

---

[١٠٤] وهو احد جواسيس مملكة قشتالة ارسله الملك فرناندو لتقصي الاوضاع في اشبيلية. ماهر: جارة الوادي، ص١٥١

[١٠٥] ماهر: جارة الودي، ص١٦٦، ١٦٧ .

[١٠٦] هولاء القادة الثلاث اغفلت ذكرهم اغلب المصادر ولم ترد لهم سوا اشارات بسيطة هنا وهناك لا نعلم السبب على الرغم من الدور الكبير الذي قاموا به في اشبيلية.

[١٠٧] ابن خلدون: العبر،ج٦، ص٣٩٣ .

[١٠٨] ماهر: جارة الوادي، ص١٨٩ .

بكل جد في الليل والنهار حتى ان برنارد (يوسف المرشاني) اصبح من اكبر مستشاري ابن الجد وهو يجد في اقناعه بأن خير طريق للحفاظ على اشبيلية هو ان تستسلم دون قتال. [١٠٩]

كما اعطى يوسف التوجيهات لرجاله داخل اشبيلية ان يتحدثوا بهيبة قشتالة وان كل من يعاديها فان مصيره سيكون القتل وفي هذه الاثناء وصلت الى طليطلة رسالة من ابن الجد يطلب منه الصلح. [١١٠]

لم تذكر لنا المصادر عن الأسباب التي دفعت ابن الجد الى عقد الصلح مع ملك قشتالة وهو قد بايع للحفصيين، ولكن يبدو ان رجال الملك القشتالي وقد اصبحوا قريبين جدا منه هم الذين اقنعوه بذلك، أو ربما الظروف السائدة في الاندلس هي من أملت عليه ذلك؛ فقد أصبح بين مطرقة قشتالة التي لا يأمن غاراتها وسندان شعب اشبيلية وقادتها الذين لم يعلم موعد ثوراتهم عليه.

فلما وصلت رسالة ابن الجد للملك القشتالي وافق عليها لكن بشروط اربعة:

١- ان يعترف ابن الجد بطاعة ملك قشتالة كما فعل ابن الاحمر.

٢- ان يودي اليه الجزية

٣- وان يحضر اجتماعات الكورتيس بوصفه تابعاً له

٤- وان يقدم له العون متى طلب منه ذلك وتسليمه بعض الحصون القريبة من اشبيلية[١١١]

في المقابل ارسل فرناندو الى ابن الجد كلباً ضخما كهدية وهي بالحقيقة تحقيراً له لكن برنارد سوغ له الامر وقال له ان الملك انما ارسل لك هذا الكلب الا ان يقول لك انه حارسك وحاميك انت ومدينتك فتقبلها ابن الجد[١١٢] كذلك عمل فرناندو على التقارب اكثر مع ملك ارغون ارغون فعقد لولده ولي عهده الفونسو على ابنة ملك ارغون .[١١٣]

في تلك الاثناء كانت اشبيلية تدفع باتجاه الاستسلام والتسليم لملك قشتالة كل ذلك لما فعله رجال فرناندو وعلى رأسهم يوسف المرشاني الذي أصبح مقرباً من ابن الجد، فكان لا يقطع امراً الا بمشورته؛ لكنه كان تحت رصد الفريق المناوئ لابن الجد المتمثل في شقاق وعبد الرحمن

---

[١٠٩] ماهر: جارة الوادي،ص١٩٩.

[١١٠] ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٩٣ .

[111] Joseph F. O'Callaghan, Reconquest and Crusade in Medieval Spain,1979,p118.

[١١٢] ماهر: جارة الوادي، ص٢٠٩ .

[١١٣] الحسيناوي: محمود عاشور عبيد، قشتالة دراسة في أحوالها الداخلية وعلاقاتها بالدويلات النصرانية في إسبانيا (منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلدي – ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٧م، ص١٢٣ .

ويحيى ابن خلدون فكانوا يتحينون الفرص من أجل الفتك به وبابن الجد لكن الظروف لم تسمح لهم بعد ومما أساءهم كثيراً ان قصر اشبيلية قد تحول في هذه الاثناء الى مرتعاً للغناء والمجون في ظلِّ وجود الوالي الحفصي فيه وقد احجم عنان عن ذكر ما كان يقوم به الوالي في قصرها وفي أسواقها. (١١٤)

وإن أحجم عنانٍ عن ذكرها الا اننا فضلنا ان نذكرها لكي يسجلها التاريخ وليطلع عليها الناس من بعدنا ولتكن عبرة لمن يعتبر فما ان وصل ابو فراس الى قصر اشبيلية حتى اعجب به كثيراً كذلك اعجب بالجواري والقيان فانشغل بهم عن متابعة امور الحكم فيها، كذلك ازدحم القصر بأصحاب الاصوات والالحان الجميلة، واصبحت جلسات السمر والغناء والخمر تملئ القصر وما هي الا اشهر حتى خرجت خارج القصر لتملئ كل ارجاء اشبيلية فلم يعد القصر كافياً لمغامرات الحفصين واتباعهم ومواليهم وانما خرجوا ينشرون الفساد في المدينة، وكانت تلك الافعال المشينة تروق لابن الجد ومستشاره؛ لانهم قد اصبحوا هم من يمارس السلطة الفعلية فيها.(١١٥)

لم يقف الحال عند الوالي الحفصي فقط، بل بعد شهرين من وصوله للمدينة اذ خرج بعض رجال حاشيته الى اسواق اشبيلية وهم مخمورين فاخذوا يتجاوزون على العامة فيها، لكن لماذا كان ابن الجد يتغافل عن افعالهم تلك ؟ على ما يبدو انه كان راضياً عن أفعالهم تلك ليس خوفاً من الامير الحفصي وجنوده وانما اراد ان يكونوا الواجهة الامامية للناس فأي خطأ يصدر منهم لا يتحمله ابن الجد؛ لأنّهُ لم يكن والي المدينة هذا في الظاهر، اما في باطن الامور فقد اصبح هو الوالي الحقيقي لها وهو المسير لأمورها كيف يشاء فاراد تمهيد الامور لكي يسلم اشبيلية على طبق من ذهب الى ملك قشتالة؛ لذلك عمد الى ان يصفي اشبيلية من رجالها المخلصين الذين يقفون بوجهه فأصدر مرسوماً باسم الوالي الحفصي يقضي بعزل القائد شقاق عن امرة الجيش وتولية احد الحفصين مكانه، ولما حضر شقاق الى مجلس ابن الجد سلّمه الكتاب وقال له ان هذا الكتاب من ابي فارس فقد عزلك عن إمرة الجيش مؤقتاً وماهي الا ايام حتى تعود الى منصبك مرة اخرى فلا تعمل اي شيء خوفاً من وقوع الفتنه في اشبيلية مظهرا بذلك حرصه عليها. (١١٦)

ولم يقفوا عند هذا الحد وانما لابد من تصفيه اشبيلية من رجالها الاكفاء لذلك اصدروا مرسوما اخر يقضي بعزل ابن خلدون عن قيادة الشرطة فيها الى شخص من رجال ابي فارس

---

(١١٤) عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٧٢ .

(١١٥) ماهر: جارة الوادي،ص٢٥٥ .

(١١٦) طقوش: محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الاندلس، ط٣، درار النفاس، بيروت، ٢٠١٠م، ص٢٨٧ .

وبذلك اطلق العنان للحفصين ليعيثوا في اشبيلية الفساد فشربوا الخمر في الطرقات واعتدوا على النساء في الساحات وفرضوا المكوس على التجار.(١١٧)

من المؤكد ان تلك الأفعال لم تكن ترضي اهل اشبيلية الذين انما استنجدوا بالحفصين لينتشلوهم من ازمتهم لا ان يكون عبئاً ينضاف الى أعبائهم الاخرى فأخذت نفوسهم تغلي عليهم ولاسيما بعد العزل الاخير الذي حدث في مؤسساتهم الأمنية فكان شقاق ورفاقه يتطلعون للثورة على ابن الجد والامير الحفصي، وقد كانت الظروف تسير الى صالحهم، فالعامة في اشبيلية كانت غاضبة على ابن الجد، اما رجال الشرطة فقد اصبحوا يتوقون الى ايام عبد الرحمن، كذلك رجال الجيش اخذوا يحنون لأيام شقاق لما فعلوه الافارقة بهم، عندها اعلن شقاق واعوانه الثورة في اشبيلية فما ان سمعت بهم العامة حتى التفت حولهم وتوجهوا الى قصر اشبيلية، فلما سمع بهم ابن الجد ارتاب منهم اما ابو فارس فقد كان غارقاً بسكره ولما دخل شقاق الى القصر حاول ابن الجد الهرب من الباب الخلفي للقصر لكن الجنود لحقوه فلقوا القبض عليه وقتله احد الجنود(١١٨)، اما ابو فارس فقد القي عليه القبض وقد اجتمع اهل اشبيلية حول القصر وطالبوا بقتله لكن شقاق عارض ذلك وامر اتباعه بتقيد ابي فارس واقتيد الى خارج القصر اما يوسف المرشاني فقد تمكن من الفرار ونجا بنفسه . (١١٩)

ثانياً: اشبيلية تلفظ أنفاسها الاخيرة

بعد أن تولى هؤلاء الزعماء الثلاثة امر اشبيلية واعلنوا بطلان الاتفاقية التي عقدها ابن الجد مع النصارى(١٢٠)، لكنهم بعد حين اخذوا يفكرون في امر معاهدة قشتالة وماذا يفعلون امام عدو متربص بهم وصديق خائن وحليف ضعيف فهل يجددون المعاهدة مع ملك قشتالة ام يتجهون الى ابن الاحمر الخائن ام يبايعون الحفصين من جديد ام يتجهون نحو الموحدين في المغرب؟

فاصبحوا في حيرة من امرهم لكن شقاق تميز بالذكاء والفطنة فقد ارتأى ان يجدد المعاهدة مع فرناندو لسببين : الاول لكسب الوقت خوفاً من ان يباغتهم ملك قشتالة بجنوده بحجة قتلهم حليفه، والثاني ان هذه المحاولة سوف تبين لهم نيات ملك قشتالة اتجاه اشبيلية هل هي حقيقة للمهادنة أو مزيفة. (١٢١)

فأرسل شقاق رسالة الى ملك قشتالة يطلب منه فيها تجديد الهدنة بين الطرفين وقد حملها

---

(١١٧) ماهر : جارة الوادي، ص٢٤٤ .

(١١٨) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٩٣ .

(١١٩) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٠ ؛ ماهر : جارة الوادي، ص١٢٧ .

(١٢٠) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٣٩٣ .

(١٢١) ماهر : جارة الوادي، ص١٨٠ .

وزيره عبد الرحمن وقد كان قوياً شجاعاً بارعاً فلما وصل اليه قال له اتيتك ايها الملك في امر تجديد المعاهدة بين اشبيلية وقشتالة اذ ان القائد شقاق اراد إعلام جلالتكم بأنه يحترم المعاهدة ويقّرها، لكن ملك قشتالة لم يقبل منه ذلك وقال له كيف تحترمون المعاهدة وقد قتلتم من ابرمها، لكن عبد الرحمن كان حكيما جدا وكثير الحنكة والدراية في امور السياسة فقال له: عندما ابرم ابن الجد المعاهدة معكم انما أبرمها باسم اشبيلية وشعبها ولم يبرمها باسمه ورسمه فلو لم يكن ابن الجد حاكماً على اشبيلية ما استحق فضل مراسلتكم، والان ذهب ابن الجد وبقيت اشبيلية وهاهو سيد اشبيلية يجددها باسم اشبيلية وشعبها.[١٢٢]

يبدو ان كلام عبد الرحمن منطقياً ويتقبله العقل لكن فرناندو قد وجد مقتل ابن الجد ذريعة للإعلان الحرب على اشبيلية، وان الوقت قد حان لاحتلالها وذلك بعد ان اصبحت اشبيلية معزولة تماماً عن محيطها الخارجي بعد احتلال المناطق المجاورة لها وبالسيطرة عليها سوف يسيطر ملك قشتالة على كل منطقة الوادي الكبير. [١٢٣]

لكن طريق اشبيلية لم يكن معبداً وسهلا ولم تكن اشبيلية كقرطبة أو جيان فهي ما زالت غنية بمواردها الاقتصادية وتحيطها أسوار عالية وحصونها الامامية بمثابة قلاع تحميها من الاعداء كما ذكرنا ذلك سابقاً، فضلا عن ذلك فقد اصبحت تحت حكم رجال اقوياء اشداء ويسكن فيها اكثر من الف مسلم كل تلك الامور كانت تدور في ذهن ملك قشتالة ومما زاد من قوتها هو اتصالها بالبحر عن طريق نهر الوادي الكبير مما سوف يصعب من مهمة احكام الحصار عليها فيمكن ان تنقذها الإمدادات في اي وقت من عدوه المغرب.[١٢٤]

لكنها تبدو بالرغم من كل تلك الصعوبات والمخاطر هدفا يستحق المخاطرة والتضحية لدى فرناندو لذلك قرر غزو اشبيلية فاجتمع بمستشاريه وتشاور معهم في امر الدخول اليها وكيفية احتلالها وفي نهاية المطاف استقر رأيهم بفرض الحصار عليها لكن قبل كل شيء لابد من اخذ حصونها الامامية ومن كافة جوانبها وثانياً في اثناء ذلك يجب حجب المؤن والمحاصيل الغذائية التي تصل اليها من مناطقها الخضراء؛ وذلك بتخريبها وانتساف زرعها، وأخيراً وهو الأهم من كل ذلك يجب ان يحكم حصارها من جهة البحر بواسطة السفن القشتالية كي لا تصل اليها الامدادات والاقوات من المغرب.[١٢٥]

وبعد ان وضعت الخطة امر فرنانـدو بتجهيز الجيوش فانضمت اليه الحشود من فرسان

---

[١٢٢] ماهر: جارة الوادي، ص١٨١ .

[١٢٣] الحسيناوي: قشتالة، ص٤٥٩ .

[١٢٤] عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٥٩ ؛ ينظر ملحق رقم (٥)

[١٢٥] عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٧٣-٤٧٤ .

قلعة رباح[١٢٦] وفرسان شنت ياقب[١٢٧] فانطلق بهم من طليلطة الى قرطبة التي اتخذها قاعدة لجنده لتنطلق منها نحو اشبيلية ولما وصل اليها انضمت اليه قوات من مرسية بعدها تحرك لحصار اشبيلية فضرب حولها الحصار؛ وذلك في جمادى الاولى من عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م.[١٢٨]

وفي الوقت نفسه كتب فرناندو الى ابن الاحمر يأمره بالانضمام اليه في حصار اشبيلية فامتثل لأوامره وانضم اليه في خمسمائة فارس.[١٢٩] لكن ما فائدة هذا العدد القليلا من الجنود مع ملك قشتالة ؟ وان كان هذا العدد قليل مادياً لكنه كثير معنوياً لدى ملك قشتاله فان ابن الاحمر يستطيع ان يفعل ما لا تستطيع فعله جنود قشتالة فهو يستطيع ان يهزم المسلمين نفسياً او يدخل معهم في امر التسليم والاستسلام وهو ما سوف يحدث ونراه لاحقاً وهو ما كان يرمي إليه ملك قشتالة عندما استدعى ابن الاحمر فاذا انهزم الجندي من الداخل فأنّهُ لا يثبت للقتال وتتغير عقيدته وبذلك تسهل هزيمته.

وقبل الدخول الى اشبيلية لابد من السيطرة على مدينة قرمونة فأحكمت القوات القشتالية حصارها للمدينة، لكنها كانت غاية في الحصانة لا يمكن اقتحامها وقد وصفها الحميري بقوله:((هي في سفح جبل عليها سور حجارة من بنيان الأول كان تثلم في الهدنة ثم بني في الفتنة، وجنباتها حصينة ممتنعة على المحاربين إلا من جهة الغرب، وارتفاع سورها هناك أربعون حجراً وبالذراع ثلاثة وأربعون ذراعاً، وفي هذا السور الغربي برج يُعْرَف بالبرج الأجم، عليه تنصب العرادات عند القتال، وفي ركن هذا السور أيضاً مما يلي الجوف بنيان مرتفع على السور يسمى سمرملة، عليه برج للمحاربين، وتحته مرج نضير لا ينهشم ولا يصوّح كلأه، ويتصل بهذا

---

[١٢٦] وهم من اهم الجماعات الدينية التي قامت في اسبانيا وبالتحديد في مملكة قشتالة، وذلك في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، ووضعت تحت قيادة الراهب ريموند من اجل استرداد قلعة ربا من الموحدين. ينظر: البشري، سعد عبدالله، جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة ام القرى، العدد السابع، السنة الخامسة، السعودية، ١٩٩٢م، ص٢٠٠ وما بعدها.

[١٢٧] وهم من فرسان الجماعات الدينية التي ظهرت في جليقة بعد ثلاث سنوات من تأسيس فرسان قلعة رباح، وكان اول رئيس لهم الفارس بيدرو فنرناديث وقد قاتلوا كثيراً الدولة الموحدية. ينظر: البشري: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، ص٢٠٩ وما بعدها. وينظر ايضاً درويش والعلياوي: جاسم ياسين، حسين جبار، مدينة قلعة رباح الأندلسية ٩٣ - ٦٠٩هـ/٧١١- ١٢١٢م، مجلة الكلية الاسلامية في النجف الاشرف، عدد٤١، مجلد١، ص٣٠٠ - ٣٢٢ .

[١٢٨] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٠؛ عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٧٤ .

[١٢٩] أرسلان: شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٢م، ج٣، ص٣٢٩ .

السور خندق عميق جداً أولي، وترابه مستند إلى السور، وفي السور القبلي موضع فيه صخرة عظيمة منيعة منتصبة كالحائط يحسر عنها الطرف من علوها، والسور مبني فوقها، وقد بقي منها دونه قدْر ممشى الرجل، فيتدلى من هناك الرجال لاشتيار العسل واصطياد فراخ الطير من صدوع تلك الصخرة. وفي هذا السور القبلي باب يعرف بباب ترنى نسب إلى قرية بإزائه تسمى ترنى، وباب قُرْطُبة شرقي عليه قصبة وأبراج، وباب قلشانة بين الشرق والجوف ومنه الخروج إلى قُرطُبة لسهولته، وأما باب قُرطُبة فطريقه وعر ممتنع، وباب اشبيلية غربي، دونه إلى داخل المدينة باب ثان بينهما خمسون ذراعاً)).[١٣٠]

وسبب حصانتها تلك طال حصار القشتاليين عليها وقد اقلقت فرناندو وقادته خوفاً من ان يطول مقامهم عندها ويأخرهم ذلك عن غايتهم الاساسية وهي اشبيلية، او قد تباغتهم قوات شقاق بهجوم لذلك قرر ان يقوموا بعمل آخر مباغت وهو احتلال قلعة جابر حصن اشبيلية الشرقي فيقوم بهذه المهمة قائد الجيش القشتالي يساعده فيها ابن الاحمر، اما قائد فرسان شنت ياقب بلادي كوريا فانه يأخذ قواته الى اقليم الشرف عبر نهر الوادي الكبير فينسف زرعه ويقتل اهله[١٣١]، ولما وصلت القوات القشتالة قريباً من قلعة جابر تمكنوا بعد حين من الدخول اليها بحيله دبرها ابن الاحمر مع قائد القوات القشتالية؛ وذلك بان يتقدم أمامه ويحاصر المدينة ثم يأتي ابن الاحمر على اساس نصرة القلعة وتخلص اهلها من الخطر القشتالي فيدخل اليهم ويطلب منهم التسليم مقابل ذلك ان يأمنوا على أرواحهم وأموالهم وفعلاً تم ذلك بعد يومين من حصارها.[١٣٢]

وبينما كان الملك محاصراً لقرمونة واشبيلية اذ ورد عليه نبأ وفاة والدته برنغيلا فقرر العودة الى طليطلة لمراسيم الدفن وامر ابن الاحمر بالعودة الى قواعده على حين تبقى القوات محاصرة لإشبيلية فعاد الى طليطلة[١٣٣]، وفي تلك الاثناء أخذ الاعداء يضيقون الحصار على اشبيلية ولاسيما من جانب البحر فقد حشد امير البحر رامون بونيفاس اسطولاً بحرياً من مدينة كنتبرية وشحنه بالبحارة والجند والمؤن واخذ يحاصر اشبيلية من البحر وقد كان الاسطول مكوناً من ثلاث عشرة سفينة شراعية[١٣٤] ومما زاد في الضغط على اشبيلية ان قشتاله في حربها تلك قد حصلت على دعم وتأييد البابا (اونست الرابعAnost IV) (٦٣٩ – ٦٥٢ هـ/ ١٢٤٣

---

[١٣٠] الروض المعطار، ص٤٦١ .

[١٣١] البشري: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، ص١١٢ .

[١٣٢] طقوش: تاريخ المسلمين في الاندلس، ص٥٧٣ ؛ عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٧٤٧ ؛ ماهر : جارة الوادي،ص٣١٣ .

[١٣٣] J.F. O'Callaghan, A history of medieval Spain,p15

[١٣٤] اشباخ: تاريخ الاندلس،ج٢ ص١٩٦ .

– ١٢٥٤ م) فأصبحت الحرب تحمل قدسية لدى النصارى، كذلك خصص لتمويل تلك الحملة الصليبية ثلث واردات كنيسة قشتالة وليون للمساهمة في نفقات الحرب[١٣٥]، كذلك انضمت الى القوات القشتالة قوات اخرى من كافة مناطق اوربا[١٣٦] فنهض بها فرناندو من جديد نحو اشبيلية، ولما وصلت بالقرب من قرمونة احكمت عليها الحصار فضاق بها الخناق، وقد كان واليها ابو الحسن قد عمل على تنظيم أمورها وتحصينها؛ اذ وصلت اليها بعض الاقوات من افريقية لذلك صمدت بوجه القشتاليين وعصت عليهم[١٣٧]، عندها عمد ابن الاحمر الى اتباع خطة اخرى فارسل لهم سهماً فيه ورقة يطلب فيها اللقاء من ابي الحسن فوافق ابو الحسن على ذلك، ودخل اليهم وتحدث مع ابي الحسن واظهر نفسه على انه حريص على ارواح المسلمين، فنصحهم بضرورة تسليم المدينة فحشود قشتالة كبيرة، ولا يمكن الصمود امامها ولو كان القتال يجدي نفعاً لكان هو في مقدمتهم وهكذا اصابت سهام ابن الاحمر الخفية كبد اهالي قرمونة، فقد انقلب امرها فمنهم من يقول بالصلح ومنهم من يعارض، عندها اضطر والي المدينة ان يطلب الصلح وقد تم ذلك بوساطة ابن الاحمر مع ملك قشتالة فانسحب ابو الحسن مع جنده وهم ثلاثمائة فارس الى اشبيلية وهكذا سقطت القلعة بيد قشتالة وبسقوطها اصبحت اشبيلية محاصرة من الشمال والشرق والغرب اذ سقطت كل حصونها الامامية. [١٣٨]

مما تقدم ندرك ان سقوط أغلب المدن الاندلسية ليس بقوة قشتالة وقتال رجالها وانما بسبب الخيانة التي مارسها ابن الاحمر وضعف القيادات فيها، فلم تكن لديهم عزيمة المقاومة والتضحية، فلم يسجل لنا التاريخ واليا أو قائدا قد استشهد في القتال مع قشتالة، بل لم تكن لهم ولو محاولة واحدة يستكشفون فيها ضعف قشتالة ولعل اهم ما يبين ضعفها انها تسمح لفرسان قرمونة مع واليهم ان يتجهوا الى اشبيلية وعدم الضغط عليهم في ان يتجهوا الى مناطق اخرى ولتكن غرناطة مثلاً فمن المؤكد ان اشبيلية ستضمهم الى قواتها ومن ثمَّ تزاد قوة وهذا مما يبين ضعف قشتالة.

كان حصار قرمونة قد استمر نحو ستة اشهر وفي الخامس والعشرين من شهر رجب سنة٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م توجهت القوات النصرانية من قرمونة نحو اشبيلية فلما وصلوا بالقرب منها ضربوا خيامهم أمامها وشددوا الحصار عليها. [١٣٩]

---

[١٣٥] اشباخ: تاريخ الاسلام،ج٢، ص١٩٦؛ J.F. O'Callaghan, A history of medieval Spain,p٢٣

[١٣٦] اشباخ: تاريخ الاندلس،ج٢، ص٢٠١ .

[١٣٧] اشباخ: تاريخ الاندلس،ج٢، ص١٩٦.

[١٣٨] اشباخ: تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٩٦ .

[١٣٩] عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٧٩ .

وفي داخل اشبيلية أخذت الحماسة تملأ نفوس الناس وتأهبوا لقتال العدو وقبل ذلك تباحث شقاق مع قادتها بضرورة طلب النجدات من عدوة المغرب، فكتبوا الى الخليفة السعيد في مراكش يطلبون منه النصرة والعون على القشتاليين، وقد ضمن ذلك بقصيدة يرق لها القلب القاسي على حد تعبير ابن عذاري كان منها:

يا اهل وادي الحمى بالعدوة انتعشوا   هذا الذماء فقد اشفى بـه سقمـا

ماذا يبطئكم عّنا حق لكـم   ان تبصروا دار قوم اصبحت رمما

وحقنا واجب فالدين يجمعنا   مع الجوار الذي ما زال منتظما [١٤٠]

لكن تلك النجدات لم تجدِ نفعاً فأخذت اشبيلية تضيق على رجالها لكن مما يؤسف له ان اغلب المصادر قد احجمت عن ذكر التفاصيل في ما يحدث في داخل اشبيلية فهل قاومت جيوش قشتالة هل اشتبكت معهم في قتال وهي تحت الحصار أو بقيت مكتوفة الايدي؟ وهذا لا يقبله العقل وذلك ان تستسلم اشبيلية وتقعد تحت طائلة الحصار ولاسيما انها عاصمة الاندلس، فضلاً عن ذلك فإنّ اشبيلية وهي تحت الحصار كانت تصل اليها بعض الامدادات بين الحين والاخر من سبتة وطنجة اذ لم يتمكن رامون من احكام الحصار عليها من جهة البحر فكانت اسواقها عامرة ولم تشعر المدينة بالرغم من الحصار بأي ضعف او تغير.[١٤١]

فمن المؤكد ان تكون لها مواجهات وبطولات اتجاه العدو فكانوا كثيراً ما يتحدثون بضرورة قتال العدو، ففتحت ابواب اشبيلية وخرج عبد الرحمن ومعه الف فارس فقصدوا فرسان قلعة رباح وفرسان القنطرة[١٤٢] الذين أُسندت اليهم مهمة الدفاع عن الاسطول، وقد ارتدوا ثياب سوداء لكي لا يبانوا للعدو واشتبكوا معم بقتال استمر لساعات سقط على أثره الكثير من القشتاليين ومع ارتفاع صرخات الجنود القشتاليين اقبل بلاي كوريا ومعه النجدات عندها اضطر عبد الرحمن وجنوده الى الانسحاب الى داخل اشبيلية فمني فرسان القنطرة وقلعة رباح بخسائر فادحة في الارواح ومنوا بضربات مؤلمة.[١٤٣]

اغضبت تلك الخسائر ملك قشتالة فرناندو كثيراً وادرك أنها ما زالت في قوتها ولم يضعفها

---

[١٤٠] البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٢ .

[١٤١] ماهر: جارة الوادي، ص٣٩٣ .

[١٤٢] وهي من الجماعات الدينية التي قامت في مملكة قشتالة، وقد انشئها القديس جوليان وذلك بتشجيع من ملك قشتالة ريموندیس سنة (٥٤٧هـ/ ١١٥٢م). وللاطلاع اكثر ينظر: البشري: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، ص١٩٠ وما بعدها

[١٤٣] عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٠ ؛ البشري: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، ص٢٠٥

الحصار بعد؛ لذلك اخذ يخطط الى اضعافها اكثر فقرر محاصرتها وان كان ذلك صعباً الا ان يشدد حصارها من ناحية البحر الذي ما زال مفتوحاً عن طريق طريانةTuriana[١٤٤] التي تربط بين الشرق واشبيلية ؛ لذلك لابد من قطعة، وبعد الاجتماع الذي عقد بين فرناندو وقائد البحر قررا قطع القنطرة المربوطة بسلاسل حديدية، وفي تلك الاثناء قدمت من عدوة المغرب بعض السفن الاسلامية التي اغارت على السفن القشتالية وقد حاولت احراقها على حين كان بعض الجنود يحمونهم في ضفة الوادي الكبير فحدثت معركة كبيرة اذ هاجموهم بالنار الملتهبة من البر والبحر فاشعلوا النيران في بعض السفن لكن القشتاليين استطاعوا بعد حين من اخماد النيران[١٤٥]

عندها ايقن القشتاليون ان اشبيلية لا يمكن ان تسقط الا ان تجوع وينتشر الدمار في ربوعها ويحكم عليها الحصار، فأمر قواته في ان تخرج الى مناطقها المجاورة فكانوا يقتلون الاطفال والشيوخ بدون رحمة ولا شفقة ولم يرحموا النساء واخذوا خلقاً كثيراً منها. [١٤٦]

لكن اهل اشبيلية كانوا بالند للشقتاليين وهذا يحسب لهم ويبين مدى شجاعتهم فبالرغم من الحصار الذي اطبق عليهم فمازالوا يحاربون القشتاليين ولم يرفعوا راية الاستسلام، فكانوا يردون لهم الصاع صاعين بعد ما فعلوه بتلك القرى، فبينما كانوا مشغولين بتحصين قواتهم من ناحية البحر اذ كانوا يظنون ان الإشبيليين سيهاجمونهم منها أتفق عبد الرحمن مع اهل اشبيلية بأن يخرج مع خمسمئة فارس ويهاجمون السفن القشتالية فيثيروا الرعب فيهم، وبذلك ينشغلون في قتالهم وفي الوقت نفسه يخرج القائد شقاق بخيرة رجاله ليهاجم الملك نفسه، وبعد ان تجهزا هاجم عبد الرحمن وجندوه السفن القشتالية وقد تمكنوا من احراق سفينتين وقد ارعب ذلك كثيراً ملك قشتالة؛ لأنه كان يعلم إذا فشل حصار البحر يستحيل السيطرة على اشبيلية ومن ثَمَّ ستكون الهزيمة ونهاية حكمه وتشويه صورته في الممالك الاسبانية الاخرى، فخرج من خيمته ليرى ما يحدث وهو في ذلك تمكن شقاق من الوصول اليه فلم يكن بقربه سوى اقل من مئة فارس وحارس فاشتبكوا مع الإشبيليين بقتال وقد تمكنوا من قتل اغلبهم فكادت ان تأتي خطة الاشبيليين أوكلها ويقتل فرناندو لولا وصول ابنه وولي عده الفونسو اليه وانقاذه بعد ان انسحب شقاق وجنوده.[١٤٧]

ذلك الفعل افزع فرناندو كثيراً إلى الحد الذي أخذ يفكر في رفع الحصار عن اشبيلية والعودة الى طليطلة فقد انهارت الحالة المعنوية لجيشه واسطوله من كثرة الهزائم والنكبات التي لحقت بهم

---

[١٤٤] من كور اشبيلية بالأندلس: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص١٩٩ .

[١٤٥] عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٠ .

[١٤٦] ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٠ ؛ ماهر : جارة الوادي، ص٤١٤ .

[١٤٧] عنان: دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٧٩ .

مدة الحصار الذي قارب السنة. [١٤٨]

لكنه من اجل تدعيم مركزه من جديد ورفع معنويات الجند أرسل الى الممالك النصرانية يطلب العون والمدد منها؛ اذ كانت تربطه علاقات طيبة مع ملك ارغون؛ اذ تزوج ابنه الفونسو من ابنة الملك خايمي الاول[١٤٩]

وفي ربيع الاول من سنة٦٤٦هـ /١٢٤٨م توافدت الجموع من اوربا فوصلت اليهم جمهرة من الفرسان الارغونيين والقطلونيين والبرتغاليين وقوة كبيرة من جند بسكونية وقشتالة القديمة فانضمت الى المعسكر القشتالي[١٥٠] فارتفعت معنوياتهم قليلاً وضغطت هذه الجيوش كلها مجتمعة على اشبيلية[١٥١] واجهدت نفسها في قطع القنطرة ذات السلاسل الحديدية التي تربط بين طريانة واشبيلية؛ لانها ما ان بقيت فلن تستسلم اشبيلية ولم يكن قطع القنطرة بالأمر الهين وفي ظل تلك الاحوال تحول شقاق من اشبيلية الى طريانة ليشرف بنفسه على العمليات العسكرية فيها ولكي يكون اقرب الى العدو. [١٥٢]

واصبحت الحرب سجالا بين الطرفين، فجهز قائد البحر القشتالي مركبين كبيرين وقد تولى امر تلك المهمة الانتحارية بنفسه فلما وصل بالقرب منها أمر جنوده ان يجدفوا بقوة نحو القنطرة ففعلوا وارتطمت بها سفينته التي يقودها فقطعت أحد سلاسلها وكادت ان تغرق السفينة فلحقه فرناندو بسفينة اخرى فانقذه واقتربوا اكثر نحو القنطرة واشعلوا فيها النيران بعد ان سكبوا الزيت عليها فحاول المسلمون صدهم لكنهم لم يفلحوا ولم يمضِ وقت طويل حتى تقطعت القنطرة الى نصفين وكان ذلك الحدث في سنة٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م. [١٥٣]

من هذا ندرك مدى المآزق الذي كان يعيشه فرناندو فهو يخاطر بقائد أسطوله ويزجه في مهمة اقل ما يقال عنها انها انتحارية ولم يقف الحال عند هذا الحد؛ بل نجد ان الملك يشترك بها بنفسه.

وبعد ان سقطت القنطرة اخذت القوات القشتالية تدك اسوار إشبيلية بالمنجنيقات[١٥٤] لكنها

---

[١٤٨] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٤

[١٤٩] أرسلان: الحلل السندسية ، ج٣، ص٣٢٩ .

[١٥٠] اشباخ : تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٩٦ .

[١٥١] أرسلان : الحلل السندسية ،ج٣، ص٣٢٩ .

[١٥٢] الماهر : جارة الوادي، ص٤٣٤ .

[١٥٣] عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٣ .

[١٥٤] ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٠ .

في الوقت نفسه كانت تتابع أحوال طريانة إذ إن اهل اشبيلية لما علموا بقطع القنطرة انتقل عبد الرحمن اليها فلما حلّ بها سأله شقاق عن حال اهل اشبيلية فقال له انها اصبحت تعاني من الجوع وفي عسرة من أمرها وهذا الشيء وصفه ابن عذاري فقال:((ومات بالجوع خلق كثير وعدمت الاطعمة من القمح والشعير واكل الناس الجلود))[١٥٥] وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن القشتاليون من الدخول الى طريانة واشبيلية فعمدوا الى تشديد الحصار عليهما، وعلى اثر ذلك اراد شقاق ان يرجع الى اشبيلية للتباحث مع رجاله في امر المدينة؛ لأنها قد ضاق بأهلها الخناق فلم تستطيع المقاومة اكثر، إذ اصبح سلاح القشتاليين هو التجويع فطلب الهدنة من العدو فوافق ملك قشتالة على ذلك فانسحب من طريانة الى اشبيلية ودخل الجيش القشتالي الى طريانة.[١٥٦]

مما تقدم يمكن ان ندرك مدى الشجاعة التي يتحلّى بها اهل اشبيلية وقادتها فهاهي تقف صامدة ولسنة ونصف بوجه جيوش اوربا كلها ليس هذا فحسب، بل خذلها المسلمون في الاندلس وابن الاحمر يقاتل مع اعدائهم ضدهم فلم يقفوا مكتوفي الايدي خلف اسوارها ويستسلموا للقدر وانما كانت لهم صولات وجولات قصمت ظهر قشتالة ورجالها فلو صحا الضمير الاسلامي وامدوهم بشيء من العون لم تكن الامور هكذا، لكن لم يحصل ذلك، اذ غلبت عليهم شهوة الحكم فلم يكونوا يفكرون في دين ولا ارض ولا عرض؛ بل كان تفكيرهم كيف أُحافظ على كرسي الحكم ولو قتل المسلمون جميعاً وليس اشبيلية وحدها.

وبعد ان وصل شقاق الى اشبيلية تباحث مع اهلها في امر تسليمها وقد ايقنوا بعدم وصول النجدات اليها؛ لذلك طلبوا الصلح من ملك قشتالة فلما وصله الرسول يطلب الصلح على ان يسلم له القصر وجباية المدينة على ان لا يدفعوا من المكوس اكثر مما كانوا يدفعون من قبل[١٥٧]، لكن ملك قشتالة رفض هذا العرض وقال لن نرضى الا بإشبيلية كلها ولم ييأس شقاق ليعيد التفاوض من جديد فقال له ان يسلم له القصر مع نصف المدينة ويقام سوراً بين الجانبين لكن ملك قشتالة من منطق القوة وضعف الإشبيليين اصرّ على ان يأخذ اشبيلية كلها[١٥٨]، هذه الشروط لم نجدها عندما استسلمت قرطبة او جيان هذه الشروط تنم عن قوة الإشبيليين وهم في احلك الظروف واصعبها.

لكن في نهاية المطاف انتهت المفاوضات الى استسلام اشبيلية على وفق الشروط التي

---

[١٥٥] البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٨٠ .

[١٥٦] عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦ .

[١٥٧] عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦ .

[١٥٨] عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦

أرادهـا ملك قشتالي والتي نصت على ما يأتي:

اولاً: ان تسلم المدينة حرة سليمة لا يهدم من صرحها شيء .

ثانياً : وان يغادرهـا سكانها لكن بمعية اموالهم وسلاحهم ولم ينقص من امرهم كبير ولا صغير.

ثالثاً : تسليم القصر الذي كان يمثل مقر الحكم بعد ان تخلى المدينة من أهلها، وكذلك تسلم معها كل الاراضي التابعة لها .

رابعاً : في المقابل يعطي ملك قشتالة فرناندو للقائد شقاق من بلاد الشرف شلوقة وحصن الفرج ولبلة متى فتحت.

خامساً: يتم اخلاء المدينة بمدة لا تزيد عن شهر بعد ان يتأهب أهلها للرحيل عنها. (١٥٩)

ولما وقع عهد الصلح بين الطرفين سلّم قصر الحكم الذي يقع في غربها وعلى احد ابوابها الذي يسمى باب جهور وعلى عجالة من أمره بعث ملك قشتالة مندوباً ملكياً نيابة عنه ليرفع شعاره الملكي فوق برجها الأعلى، وتم ذلك في يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان ٦٤٦هـ/١٢٤٨م.(١٦٠)

وقد تفّرق اهلها بين منافٍ متفرقة، فمنهم من قصد مدينة سبتة بعد أن سّهل لهم ملك قشتالة ذلك الامر اذ اوقف لهم اسطولاً مكونا من خمس سفن كبيرة وثمان سفن صغيرة، وفريقاً من أهلها هاجر الى مدينة شريش برفقة فرسان القلعة ونزح القليل منهم الى افريقية مع الموحدين، وذهب آخرون الى لبلة وغرب الاندلس، وقصد اكثرهم الى مدينة غرناطة حيث وعدهم ابن الاحمر بحسن الوفادة والرعاية.(١٦١)

قدر عدد من خرج من اشبيلية بسبعمئة الف ما بين رجال ونساء واطفال وبقيت اشبيلية ثلاثة ايام بعد ان غادرها اهلها خاوية على عروشها وفي اوائل شهر رمضان من العام نفسه دخلها ملك قشتالة فرناندو بموكب ضخم ولما وصل الى مسجدها الجامع قام مطران طليطلة بتحويله الى كنيسة وقصدها الاحبار والرهبان واقيم فيه القداس شكرا للرب ومن هذا التاريخ غدت اشبيلية عاصمة للوجود القشتالي بدلاً من طليطلة (١٦٢)

---

(١٥٩) عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦ .

(١٦٠) عنان : دولة الاسلام، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦ .

(١٦١) اشباخ : تاريخ الاندلس، ج٢، ص١٩٨ .

(١٦٢) عنان : دولة الاسلام في عصر المرابطين والموحدين، ص٤٨٦، ٤٨٧ .

نتائج البحث:

اولاً: لم يكن الموحدون في آخر ايامهم في المغرب أو الاندلس يهتمون بأحوال الناس بقدر اهتمامهم في كيفية الوصول الى الحكم وهذا بدوره أدى الى سقوط حكمهم

ثانياً: كان أهالي اشبيلية سببا مباشراً في سقوطها؛ لانهم لم يكونوا يداً واحدة للوقوف ضد الاعداء وتنظيم أمور مدينتهم .

ثالثا: كانت لسهام قشتالة الخفية الاثر البارز فقد عملت على زعزعة الأمن والنظام فيها وروجت في داخلها ان الاستسلام أفضل من المقاومة مما ادى الى سقوطها بيد النصارى

رابعا: كانت قشتالة تنظر الى اشبيلية على انها عاصمة لمملكتهم فمتى تم الاستيلاء عليها تم الاستيلاء على معظم اراضي الاندلس

خامسا: الخيانة هي من أسقطت الاندلس واشبيلية بيد الأعداء، فلو كان المسلمون يدا واحدة لما تمكنت قشتالة من هزيمتهم واخذ مدنهم منهم .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الابار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)

١- الحلة السيراء، تحقيق :حسين مؤنس،ط٢، دار المعارف ،القاهرة،١٩٨٥م.

الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)

٢- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

البكري، ابو عبيد عبد اللهـ بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

٣- المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٩٢م

البلاذري، أحمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ/٨٩٣م)

٤- فتوح البلدان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

الحميري: محمد بن عبد المنعم الصنهاجي(ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦م)

٥- الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج،بيروت،١٩٨٠م

ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤ م)

٦- الاحاطة في اخبار غرناطة، تح :محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣م.

٧- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما في ذلك من كلام ،تح : سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت،(د، ت)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٨- تاريخ ابن خلدون المسمى(العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) ،تح : سهيل زكار، دار الفكر،بيروت، ٢٠٠٠م .

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

٩- العبر في اخبار من غبر، تح : ابو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية –بيروت،(د، ت)

ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت بعد ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)

١٠- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط،١٩٧٢م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ /١٥٠٥م)

١١- تاريخ الخلفاء،ط١، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة،٢٠٠٤

ابن عبد الملك، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي(ت٧٠٣هـ/١٣٠٤ م)

١٢- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،تح : احسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥ م.

ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ /١٣١٣م)

١٣- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، خاص بأخبار الدولة الموحدية ، تح : محمد ابراهيم الكتاني وآخرين،ط١، دار الغرب الاسلامي،بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م)

١٤- نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تح : محمود علي مكي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

القلقشندي، شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

١٥- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الاميرية، القاهرة،١٩١٥م.

١٦- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ط٢، دار النشر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.

ابن قُرقُول، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني، (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م)

١٧- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تح: دار الفلاح للبحث العلمي، ط١، وزارة الأوقاف للشؤن الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٢م.

المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

١٨- ٤٦ -المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ١٩٤٩م.

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)

١٩- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ثانياً : المراجع

أرسلان، شكيب

٢٠- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٢م .

اشباخ، يوسف

٢١- تاريخ الاندلس في عهدي المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان،ط٢،مطبعة الخانجي، القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد

٢٢- الاعلام،ط١٥، دار العلمين للملايين، بيروت ،٢٠٠٢م.

السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد

٢٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،تح: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦م.

طقوش، محمد سهيل

٢٤- تاريخ المسلمين في الاندلس، ط٣، درار النفاس، بيروت، ٢٠١٠م.

عنان، محمد عبد الله

٢٥- دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس،ط٢،مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

ماهر، محمود

٢٦- جارة الوادي، ط١، عصير الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ميرندا، امبريوس هوينثي

٢٧- التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية،ط١، ترجمة عبد الواحد اكمير، النجاح الجديد - الدار البيضاء،٢٠٠٤م.

البحوث والدويات

البشري، سعد عبدالله

٢٨- جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة ام القرى، العدد السابع، السنة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ابو الفضل، محمد احمد

٢٩- سيف الدولة بن هود محاولة للحفاظ على ما بقى من دولة الاسلام (٦١٣-٦٣٥هـ/١٢١٧-١٢٣٨م) مجلة الغد، الجزائر، مج٢، عدد ١٨.

الرسائل والاطاريح

الحسيناوي، محمود عاشور عبيد

٣٠- قشتالة دراسة في أحوالها الداخلية وعلاقاتها بالدويلات النصرانية في إسبانيا (منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلدي - ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٧م.

المراجع الأجنبية

31- J.F. O'Callaghan, A history of medieval Spain, ,Cornell university,Ithaca Newyork, Copyright 1983, p338

32- Joseph F. O'Callaghan, Reconquest and Crusade in Medieval Spain, University of Pennsylvania Press, Philadelphia,1988,p113

الفضاء اللُّغوي والنَّحوي عند أبي الطّيب المُتَنَبّي

المدرسة المساعدة هدى نجاة رشيد

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية ديالى

الكلمة مفتاح [الفضاء، اللغوي، النحوي، المتنبي]

الملخص:

شاعر مالئ الدنيا وشاغل الناس وناظر العلماء ووضعهم في حيرةٍ من أمرهم ألا وهو أبو الطيب المتنبي، الذي يعدُّ أعظم شاعر عربي على مدى التاريخ دون منازع؛ لذا كتبت عنه دراسات كثيرة منذ العصر العباسي الذي عاش فيه إلى يومنا هذا؛ وما تزال الدراسات عليه قائمة، وهذا يدلُّ على تبحره في اللغة وفروعها، وقد انماز بالقصدية العالية؛ فأكثر معاني أبياته الشعرية لا يعرفها إلا هو؛ فالمعنى عنده مات بموته، وقد دفع هذا الكثير من الدارسين القدماء والمحدثين إلى شرحهِ وتفسيره وتحليله. ومن هذا المنطلق لابد لنا أن نقف عند لمساته اللغوية والنحوية التي أصبحت هذه الظواهر فضاءً واسعا عنده. وهذا مما دفعني إلى دراستهِ، إذ جاء بحثي يحمل عنوان(الفضاء اللغوي والنحوي عند أبي الطيب المتنبي)، إذ بدأت بالحديث عن المتنبي في ميزان اللغة الذي كان بارعًا فيه، وهذا ما رصدته عن طريق ما ذكره العلماء عنه. وبعد ذلك انتقلت إلى الحديث عن ثقافة المتنبي النحوية تحت عنوان (المتنبي في ميزان النحوي)، وتحدثتُ أيضًا عن أهمية شعره عند علماء اللغة والنحو، وبيّنت موقف علماء العربية منه؛ إذ جاءت مواقفهم متباينة، وقد قسمتها على قسمين: الأول: العلماء المؤيدون لإبداعه. والآخر: الحُسّاد والمنكرون لذلك.

انتقلت بعد ذلك إلى الحديث في أثر النحو في تكوين الخطاب الشعري عند المتنبي، وذكرت ردود المتنبي على علماء العربية باستعماله الأساليب النحوية. وبيّنتُ بعد ذلك كيف تصرَّف المتنبي بالأساليب النحوية وبيان أثرها في غموض المعنى.

وبعد ذلك ختمت البحث بذكر أهم النتائج والملاحظ العلمية.

المقدمة:

أولًا: المتنبي في ميزان اللغة: يَعدُّ المتنبي من روّاد اللغة العربية وعلومها، وقد عاش في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة، ويَعدّ من أمراء العصر العباسي، ولد في الكوفة سنة(٣٠٣هـ) وتوفي في شهر رمضان سنة(٣٥٤هـ)، وقد كوّن ملكةً لغوية بعد أن خرج مع والده إلى البادية فأقام فيها حينًا من الدهر ثم عاد منها، وقد نما جسمهِ وعقلهِ وفَصُحَ لسانهِ، وأصبح

فتًى يملأ العين والأذن [١].حتى قال فيه ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ):((ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس))[٢].

ويقول يوسف البديعي:((كان أبو الطيب وهو صبي محبًا للعلم والأدب، فصحب الأعراب في البادية، وجاءنا بعد سنين بدويًا قُحًا، وكان تعلَّم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب، وأكثر من ملازمة الوّراقين؛ فكان علمه من دفاترهم))[٣].

وقد استطاع المتنبي أن ينشىءَ لنفسه مدرسةً؛ وأصبحت له حلقات أدبية ولغوية يتدارسون فيها شعره الذي وصل في ديوانه إلى(٥١٧٣) بيتًا يقرؤون ويفسرون معانيه وقد أصبح لديوانه أكثر من ثمانين شرحًا.

قال أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب في مرثية المتنبي[٤]: [من الخفيف]

مَا رَأى النَّاسُ ثانيَ المُتنبيّ   أَيُّ ثَانٍ يُرَى لبكْرِ الزّمـانِ

هُـوَ فِـي شِـعرِهِ نَبيٌّ ولكنْ   ظَهرتْ مُعجزاتهُ فِي الْمعَانِي

كان ذا معرفة لغوية ونحوية واسعة ودقيقة، وقد استعمل مفاهيم لغوية شتى في شعره لا يعرفها إلا العالم المتخصص في اللغة والنحو أو من كان ذا إطلاع واسع ومعرفة دقيقة في اللغة وعلومها، فهو يقول[٥]:[من البسيط]

مَنِ اقْتَضَى بِسوَى الهِنْدِيّ حَاجَتهُ   أَجَابَ كُلّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ

وقال أيضًا[٦]: [من الوافر]

وكانَ ابْنا عَدُوّ كاثَرَاه   لَهُ ياءَي حُرُوفِ أُنَيْسيانِ

سُئل المتنبي عندما كان في شيراز عن تفسير هذا البيت فقال: ((لو كان صديقنا أبو الفتح بن جني حاضرًا فسرهُ))[٧]. ومعناهُ أن لفظة إنسان خمسة أحرف إذا كانت مكبرةً، فإذا صغر قيل أنيسيان فزاد عدد حروفه وصَغُر معناهُ، فيقول للممدوح: إن عدوك الذي له ابنان فيكاثرك بهما

---

[١] ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧م، ١٢٠/١، ومع المتنبي، طه حسين:٤٢.

[٢] العمدة، ابن رشيق:١٠٠/١. باب(مشاهير من الشعراء).

[٣] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي:٢٠.

[٤] يتيمة الدهر: ٢٧٧/١، وينظر: وفيات الأعيان: ١٢٤/١، و معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:١/ ٣١.

[٥] ديوان المتنبي: ٥١٣.

[٦] المصدر نفسه: ٥٦١.

[٧] معجم الأدباء:١٥٩٤/٤.

كانا زائدين في عدد ناقصين من فضله وفخره؛ لأنهما ساقطان خسيسان كياءَي أنيسيان تزيدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه[٨].

لاحظ العلماء أن أبا الطيب المتنبي يمتلك عمقًا لغويًا كبيرًا لا يوجد عند أحد من الشعراء الذين سبقوه وعاصروه، وإن تعدد الروايات التاريخية وكثرة شروح شعره وتفسيرهَ والدراسات التي دُرست قديمًا وحديثًا تدلّ على عمق ثقافته اللغوية. إن قوته اللغوية مرتبطة بقوة أفكاره واختياره للألفاظ ومعانيها، فكان مولعًا في اختيار الأساليب اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية، ومن ذلك اختياره لأسلوب التصغير عندما هجا كافور[٩]: [من البسيط]

أَوْلَى اللّئامِ كُوَيفيرٌ بمَعذِرَةٍ   في كُلِّ لُؤمٍ وَبَعْضُ العُذْرِ تَفْنيدُ

انماز المتنبي بمنهج علمي دقيق بوساطة لغته وثقافته((فمن طريق اللغة التي نشأ فيها صغيرًا، فإنه يُسددهُ أو يتهددهُ الإحاطةُ بأسرار" اللغة "وأساليبها الظاهرة والباطنة، وعجائب تصاريفها التي تجمعت وتشابكت على مرِّ القرون البعيدة، فصارت ألفاظُها وتراكيبُها الموروثة والمستخدمة تحملُ من كلِّ زمانٍ مضى وكلَّ جيل سبق[...] هذه الألفاظ والتراكيب، وهذا بابٌ واسعٌ يحتاج إلى بيان لا يُحاط به في مثل هذا الموضع))[١٠]. إن معرفته بأسرار اللغة العربية وعلومها واضح لدى الجميع فهو يمتلك عقلية واسعة في معرفة ألفاظ هذه اللغة وصرفها ونحوها فهي الأخرى يتعذر الالمام بها من ذلك، فعلى سبيل المثال: إنَّ أبا الفضل ابن العميد (ت٣٥٩ أو ٣٦٠ هـ) كان يقرأ على المتنبي بعض الكتب اللغوية[١١].

جاء في معاهد التنصيص:((وَلَقَد كَانَ المتنبي من المكثرين من نقل اللُّغَة والمطلعين على غريبها وحوشيها وَلَا يسال عَن شَيْء إِلَّا وَيسْتَشْهد فِيهِ بِكَلَام الْعَرَب من النّظم والنثر حَتَّى قيل إن الشَّيْخ أَبَا عَليّ الْفَارِسِي قَالَ لَهُ يَوْمًا كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى فَقَالَ المتنبي فِي الْحَال حِجلى وظِرْبي قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَليّ فطالعت كتب اللُّغَة ثَلَاث لَيَال على أَن أجد لهذين الجمعين ثَالِثا فَلم أجد وحسبك من يَقُول أَبُو عَليّ فِي حَقه هَذِه الْمقَالة))[١٢].

إنَّ اطلاعه الواسع على غريب اللغة جعله يستعمل بعضه في شعره مما دفع الكثير إلى نقده، كما أخذ عليه الصاحب بن عّباد عندما استعمل لفظة(مسبطر) بمعنى (ممتد) في مرثيته

---

[٨] المصدر نفسه: ١٥٩٤/٤.

[٩] ديوان المتنبي: ٤٨٧.

[١٠] المتنبي رسالةٌ في الطريق إلى ثقافتنا، أبو فهر محمود محمد شاكر:٢٧.

[١١] ينظر: خزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ٣٥٦ـ ٣٥٧، و الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،ط١٢، ٣١٠.

[١٢] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٣٠/١.

لوالدة سيف الدولة[١٣]: [من الوافر]

رِواقُ العِزّ فَوْقَكِ مُسْبَطِرٌّ

ومُلْكُ عَليٍّ ابنِكِ في كمَالِ

يرى ابن عّباد أن هذه المرثية تدلّ على فساد الحسِّ وسوء أدب النفس[١٤].

ومن المسائل اللغوية التي برع فيها أبو الطيب المتنبي ورصدها ابن جني، عندما ذكر في الخصائص في باب غلبة الفروع على الأصول، قائلًا:((هذا فصل من فصول العربية طريف؛ تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب. ولا تكاد تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة[...] فجعل كونهم جنًّا أصلا وجعل كونهم ناسًا فرعًا وجعل كون مطاياه طيرًا أصلًا وكونها جمالا فرعًا فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد))[١٥].

كان بسبب((إطلاعه الواسع على مفردات اللغة وغرابتها عالمًا بمواطن استعمالها، مُتمَكنًا من قواعدها، خبيرًا بلغات القبائل[...] ولكن لـهُ معَ ذلك شعرًا قد جانب الطرق المشهورة في العربية إلى طُرقٍ لا يُقرُّها النحاة الذين جعلوا مُهمَّتَهم تتبع المعروف الجاري على الألسنة، ورسموهُ قواعد أرادوا أن تكون هي لسان الناس عامة))[١٦].

إنَّ القوة العقلية واللغوية عند المتنبي جعلته يتصدر شعراء العرب القدماء، وشعره أصبح أداة للبحث اللغوي والأدبي لدى الدارسين قديمًا وحديثًا من العرب وغيرهم. وإن الاتجاه الباطني في الدلالة المعنوية في شعره جعلت العلماء في حيرة من أمرهم، مما دفعهم إلى تسمية مؤلفاتهم بعنوانات مختلفة، ومن ذلك نذكر الآتي:

(شرح المشكل في شعر المتنبي، وشرح مشكل أبيات المتنبي، ومعاني أبيات المتنبي، والغموض في شعر المتنبي، وتنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب، والمتنبي والمشكلة اللغوية،...). واستعماله للدلالة المعنوية للألفاظ وَلَّد مشكلة لغوية عند الكثير من العلماء، ومن ذلك اعتراض بعض العلماء عليه عندما استعمل (سداس) معدول ستة ستة في بيته المشهور[١٧]:[من الوافر]

---

[١٣] ديوان المتنبي: ٢٥٥. معنى(مُسْبَطِرٌّ) من(((اسبَطَرّت): امتدّت واستقامت لَهَا، واسبَطَرّت الذَّبيحة: إذا امتدت للْمَوْت بعد الذَّبح، وكلٌّ ممتدّ مُسبَطِر)). تهذيب اللغة: ١٠١/١٣.

[١٤] ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب:٢٢١/٥، والأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي، الدكتور نوري جعفر:١٤٧.

[١٥] الخصائص: ٣٠١/١ ـ ٣٠٤.

[١٦] أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، أبو منصور الثعالبي:٢٣ ـ ٢٤.(مقدمة المحقق).

[١٧] ديوان المتنبي: ٧٦.

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ في أُحادٍ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتَّنَادِ

بحجة إن العرب لم يتجاوزوا بهذا البناء الأربعة، ولكن المتنبي كان يعلم أن العرب تجاوزوا الأربعة إلى العشرة، وقد ورد ذلك في أشعار العرب[١٨]. ونجد الشاعر كثيرًا ما يلجأ إلى الإيحاء بسعة رصيده اللغوي، وانه كثيرًا ما يستخدم من المفردات في لغة الكلام والكتابة، مالا يمكن إقحامه على لغة الشعر لنبوِّها عن الذوق الشعري، لكون تقاليد الشعر الذي يُعدُّ أعلى مراتب الفنون الكلامية[١٩]. يقول الدكتور صاحب أبو جناح:((افرزت ثقافة المتنبي اللغوية ظاهرة "الغريب" في شعره فقد أفرزت ثقافته العامة ظاهرة أخرى، هي إقحام ألفاظ المتكلّمين والفلاسفة والصوفية في شعره))[٢٠]. نرى أن المتنبي قد أعجز ((كثيرًا من البلغاء ببلاغته، وتفوّق على جميع شعراء عصره، وفرض على الايام خلود شعره، وبالرغم من هذا الإعجاز الذي اشتهر به جاءت بعض أبياته غامضة مبهمة))[٢١]؛ فهو يُعدُّ نابغة في الغموض كما إنه نابغة في الإبانة والإفصاح، فالغموض ظاهرة واضحة عنده لتحقيق غايته بوساطتها، ومن ذلك الغموض في الألفاظ وكذلك في المعاني. بحيث لا يكاد يعرفها العلماء المبرّزون[٢٢].

إنَّ أبا الطيب قد حفظ جمهرة اللغة/لابن دريد عن ظهر قلب، وقد صرَّح بذلك ابن خلكان برواية ابن الصابي في كتاب الوزراء قائلًا:((أن ابن العميد كان يجلس المتنبي في دسته ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة/لابن دريد؛ لأن المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب. قلت: وهي ترجمة نفيسة جدًا، وفي ضوئها يمكن أن يعاد النظر في ما كتب عن المتنبي))[٢٣]. وقد كان أحد رواد اللغة وحافظًا لمصادر العلماء فيها، كما جاء في رواية القاضي أبي الحسين محمد بن المحاملي، الذي قال:((إِنَّهُ جَلَسَ عِنْد كتبيٍّ، فطوَّل المطَالعَةَ فِي كِتَابٍ للأَصْمَعِيِّ، فَقَالَ صَاحبُهُ: يَا هَذَا، أَتريدُ أَنْ تحفظَهُ؟ فَقَالَ: فَإِنْ كُنْتُ قَدْ حفظتُهُ، قَالَ: أَهَبُهُ لَكَ، قَالَ: فَأَخَذَ يَقْرَؤُهُ حَتَّى فرغَهُ، وَكَانَ ثَلاَثِيْنَ وَرقَةً))[٢٤]. وقد حفظ كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل[٢٥].

---

[١٨] ينظر: المتنبي والمشكلة، الدكتور صاحب أبو جناح، (بحث) في مجلة المورد،ع٣، مج٦، خريف ١٩٧٧م،ص٢٤.

[١٩] ينظر: المصدر نفسه:٢٣.

[٢٠] المصدر نفسه:٢٤.

[٢١] أبو الطيب المتنبي حياته وشعره: ٩٩.

[٢٢] ينظر: المصدر نفسه: ٩٩- ١٠٠.

[٢٣] وفيات الأعيان: ٧/٣١٠.

[٢٤] سير أعلام النبلاء:١٢/٢٥٥.

[٢٥] ينظر: الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية تأليف ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، تقديم: عمر الدسوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨، ١٣، ١٨.

ثانيًا: المتنبي في الميزان النحوي: نال أبو الطيب[الذي كان يُسمّى بابن عيدان السقاء] تعليمه منذ الصبا عندما رحل إلى بادية السماوة وَبَقِيَ فيها وقت طويل انتفع كثيرًا من الإعراب، وقد اكتسب علوم العربية وأخبارها وأيامها وفنونها، قال الذهبي:((أَقَامَ بِالبَادِيَةِ يَقتبِسُ اللُّغَةَ وَالأَخبارَ، وَكَانَ مِنْ أَذكيَاءِ عَصْرِهِ. بَلَغَ الذُّروَةَ فِي النَّظمِ، وَأَربَى عَلَى المُتَقَدِّمِيْنَ، وَسَارَ ديوَانُهُ فِي الآفَاقِ[وَنظر فِي فنون الْأَخْبَار وَأَيَّام النَّاس وَالْأَدب]))[٢٦]. وتعلّم أيضًا في المدارس العلوية بالكوفة، إذ تلقى كثيرًا من العلوم؛ إذ إن الذي طغى عليه هو الطابع الشعري الذي ملأ الدنيا به، ولكن كان بارعًا في اللغة والنحو، وقد أشاد بذلك كثير من العلماء والدارسين المحدثين من العرب والمستشرقين، وفيه يقول ابن وكيع(ت٣٩٣هـ):((وأنا أعرف رجلاً تزيد محبته أبا الطيب على محبته أمه وأباه وقد ذكره فقال: أما اللغة فكان إمامًا لم تضرب العرب بعصًا إلا وعنده منها خبر، وأما الشعر فإنه لسان الزمان لا ينطق أو يستأذنه، وأما النحو فهو فيه على مذهبه في النحو نحوي؟))[٢٧]. وقد جاء في رواية أبي القاسم الأصفهاني، قائلًا:((حَدّثنِي ابْن النجار[٢٨] بِبَغْدَاد: وَاخْتلف إِلَى كتاب فِيهِ أَوْلَاد أَشْرَاف الْكُوفَة فَكَانَ يتَعَلَّم دروس العلوية شعرًا ولغةً وإعرابًا فَنَشَأَ فِي خير حَاضِرَة. وَقَالَ الشّعْر صَبيا))[٢٩]. وقد ذكر ابن الدّهان أن المتنبي كان يحفظ كتاب الحدود في النحو/لأبي زكريا الفراء[٣٠]. وقال ياقوت في:((حدث أبو الحسن الطرائفي قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيرا ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة وإكبارا لنفسه، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس))[٣١]. ومما ((يُنعى على أبي الطيب التعسف في اللغة والإعراب))[٣٢].

أما رأي المحدثين في المتنبي النحوي: فيقول الشيخ ناصيف اليازجي فيه: ((لا جرم أن أبا الطيب، رحمه الله، لم يكن يتوقع أن قصائده ستصير كتاب علم يُفسح لهُ موضعُ في مجالس

---

[٢٦] سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/١٥.

[٢٧] المنصف:٧٨٣.

[٢٨] الشيخ أبو الحسين محمد بن جعفر بن محمد بن هارون ابن فروة، المعروف بابن النجار الكوفي النحوي، المتوفى سنة اثنتين وأربعمائة، عن اثنتين وتسعين سنة. حدّث عن ابن دُريد ونفطويه وكان ثقة في القراءة والنحو. صنَّف "مختصراً" في النحو، و"الملح والنوادر" و"تاريخ الكوفة". ذكره السيوطي. ينظر: تاريخ بغداد:٥٤٣/٢،و انباه الرواة على أنباه النحاة: ٣/ ٨٣، وسير اعلام النبلاء: ٥٣٧/١٢.

[٢٩] الواضح في مشكلات شعر المتنبي: ٦، وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :٣٤٧/٢.

[٣٠] ينظر: الإستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان: ١٣، ١٨.

[٣١] معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ١٥٨٨/٤.

[٣٢] الصبح المنبي:٣٤٥.

الطلب، ويُتخرج عليه في النحو واللغة وسائر فنون الأدب، فأطلق عنان قريحته وراء كل غرض بما يوصله إليه، ويقع به عليه))[٣٣]. ويقول الدكتور عبدالجليل بدا: من الطبيعي أن يكون المتنبي ملمًا بالثقافات الذائعة في العصر العباسي، وفي مقدمتها الثقافة اللغوية(النحوية، والصرفية، والدلالية)؛ لأنها تتصل بشعره وصناعته، فحذقها، وحذق النحو، وبلغ من ذلك شأوًا بعيدًا، أعجب معاصريه ومن جاء بعدهم. وبوساطة ثقافته الواسعة في الدراسات اللغوية والنحوية حظيت بأعجاب اللغويين في عصره، وقد وظّف مصطلحات نحوية وأدواتها للتعبير عن أغراضه الشعرية[٣٤].

أما موقف الدكتور طه حسين من المتنبي فقد قال فيه:((أنه تجاوز المعقول واتخذ الضرورة أصلًا. ولا تقل: إنه استجاز هذا متبعًا للغة من اللغات أو مذهب من مذاهب النحويين، فإن الرجل[المتنبي] لم يحفل في حقيقة الأمر بشيء من هذا، وإنما أطاع فنه وأرسل نفسه على سجيتها، واستذل النحو واللغة للشعر، وأعرض عمّا قد يكون من غضب النحويين أو رضاهم))[٣٥].

ترى هذه الدراسة أن المتنبي يخرج عن المألوف في الاستعمالين اللغوي والنحوي في أكثر الأحيان ، مما جعل العلماء القدماء والدارسين المحدثين في حيرة من أمرهم. هذا هو حال المتنبي. التفنن باستعمال الأساليب اللغوية والنحوية الذي بنى عليه شعره. وقد علّق الدكتور نعيم الحمصي على ثقافة المتنبي النحوية، قائلًا:

((يلاحظ في البيت[٣٦]: [من الطويل]

[إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارِعًا   مَضَى قبلَ أنْ تُلقى علَيهِ الجَوازِمُ]

أثر ثقافة المتنبي النحوية، كما يلاحظ فيه أثر ذوق العصر النحوي، وهو ذوق يُسيء إلى فنّ الشعر))[٣٧].إن شعر المتنبي يدلّ على عمق ثقافته اللغوية، والنحوية. وهي الثقافة المدرسية التي تحلّى بها الشاعر التي تلقّاها من كُتّاب الكوفة في مرحلة التكوين من المدرسة العلوية التي كانت مدرسة ارستقراطية ممتازة، ومن كلِّ ذلك تخصص بالمعارف اللغوية، والنحوية، والتفسيرات

---

[٣٣] ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح الشيخ ناصيف اليازجي:٣٦/١. ١٩٥٨

[٣٤] ينظر: الظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبي:٢٨ ـ ٢٩.

[٣٥] مع المتنبي، طه حسين:٣٦٩.

[٣٦] ديوان المتنبي: ٣٧٦.

[٣٧] الرائد في الأدب العربي بين ١٣٢ـ١٣٢٥هـ، الدكتور نعيم الحمصي، المطبعة الهاشمية، دمشق ـ سوريه، ١٩٨٥م، ٢٨٣.

المعنوية[٣٨]. فهو يمتلك سعة كبيرة في اللغة والنحو كالجبال التي ترمز إلى القوة وكالبحار التي ترمز إلى الاتساع، فهو يقول[٣٩]: [من الطويل]

وكم من جِبالٍ جُبتُ تَشهَدُ أنّني الـ ... جِبالُ وبَحْرٍ شاهِدٍ أنّني البَحْرُ

فهو بذلك يَعدُّ ظاهرة لغوية ونحوية وشعرية مميزة نالت اعجاب القدماء والمحدثين.

أما المذهب النحوي للمتنبي: فقد سلك فيه المسلك الكوفي في دراسة النحو الكوفي ممّا تعلّمه في المدرسة العلوية بالكوفة في بداية حياته، و((كان المتنبي متعصبًا لمذهب أهل الكوفة اللغوي))[٤٠]. أما الدكتور رضا رجب فيرى أن المتنبي قد سار على المذهب الكوفي، إذ قال((وقد عُرِفَ عن أبي الطيب المتنبي أخذهُ بالمذهب الكوفي، وهذا أمرٌ لاحظه القدماءُ، قال ابن يعيش: ((وقد أجاز قومٌ من الكوفيين: "هذا أقبلْ" على إرادةِ النداء[...] وقد عمِل به المتَنَبِّي في قوله[٤١]: [من الكامل]

هذِي بَرَزْتِ لنا فهِجْتِ رَسِيسَا ... [ثم انْصَرَفْتِ وما شَفَيْتِ نَسيسَا]

كان يميلُ كثيرًا إلى مذهب الكوفيين))[٤٢].))[٤٣]. ويقول الدكتور عبدالوهاب عزّام:

((ولا ننسَ أن الشاعر كان كوفيًا يميل إلى آراء الكوفيين، وكثير مما أنكر عليه له مساغ عندهم. و من يقرأ إملاءه على الأبيات الشاذة من شعره، ويرى كيف يحتجّ لها ويسوق الشاهد بعد الشاهد يعرف أنّ الرجل لمُ يؤتَ من جهل باللغة، بل من سعة علم بها، وقد قدّمت قول ابن جني في هذا، وقد قرأ عليه ديوانه وجادله في هذه الشواذ وعرف احتجاجية لها، وشواهده عليها))[٤٤]. على الرغم من أن المذهب الذي سار عليه المتنبي هو المذهب الكوفي إلا أن غايته لم تكن اظهار هذا المذهب أو ترجيحه على غيره، كما ذهب الدكتور صاحب أبو جناح:

---

[٣٨] ينظر: مع المتنبي، طه حسين:٣٤، والظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبي: ٢٨.

[٣٩] ديوان المتنبي: ١٧٦.

[٤٠] المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، الدكتور حسن الأمراني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩١م، ٢٣٧.

[٤١] ديوان المتنبي: ٥٢. برواية (انصرفت) بدلًا عن (انثنيت).

[٤٢] شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش: ٣٦٣/١ ــ ٣٦٤،وينظر: المدارس النحوية، الدكتور شوقي ضيف: ٢٤٠.

[٤٣] الفسر، ابن جني: (الدراسة): ٤٤٣.

[٤٤] ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ــ مصر، ٢٠١٤م، ٣١٧.

((إننا لسنا على ثقة أن المتنبي كان يفعل ذلك من أجل إحياء الاتجاه الكوفي))[٤٥]. ويبدو أن ذلك راجع إلى نشأته في مدارس الكوفة.

انتبه الشُرّاح والمحققون من علماء العربية التي درست شعر المتنبي وتحليلها بأن الشاعر قد سلك المسلك الكوفي في النحو، كما ذهب الدكتور مصطفى السقا والدكتور محمد شتا عند بيان الدلالة النحوية للبيت الحجاجي للمتنبي[٤٦]: [من البسيط]

إبْعَدْ بَعِدْتَ بَياضًا لا بَياضَ لَهُ

لأنْتَ أسْوَدُ في عَيني مِنَ الظُّلَمِ

إذ قالا:((ويمكن أن يكون: " لأنت أسود في عيني" كلامًا تامًا ثم ابتدأ " من الظلم" كما تقول هو كريم من أحرار، وسرى من أشراف الفن في[هذا البيت الشعري] ليست داخلة على المفضّل عليه. على أن الكوفيين يصوغون أفعل التفضيل من الأفعال التي الوصف منها على أفعل مطلقًا، وعليه جاء بيت المتنبي هذا وهو كوفي))[٤٧].

من الأمثلة الأخرى التي تدلّ على النحو الكوفي عند المتنبي، قوله[٤٨]: [من الطويل]

مُنًى كُنَّ لي أَنَّ البَياضَ خِضابُ

فَيَخفى بِتَبيِيضِ القُرونِ شَبابُ

ذكر ابن المستوفي رواية هذا البيت قائلًا: ((وجدتُ في نسخةٍ من رواية عليّ بن عيسى الربعيّ: والأمامُ ضرابُ برفع الأمام، كأنه جعل الأمامُ نفسه الضّراب فرارًا من مذهب الكوفيين، والمتنبي كان يقولُ برأيهم))[٤٩].

في مسألة إعمال(لا) العاملة عمل(ليس) في المعارف سلك المتنبي المسلك الكوفي فيها، وبنى حجة عليها، قائلًا[٥٠]: [من الطويل]

إذا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ الأَذَى   فَلاَ الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلاَ الْمَالُ بَاقِيَا

---

[٤٥] المتنبي والمشكلة اللغوية، الدكتور صاحب أبو جناح، (بحث) في مجلة المورد،مج٦/ ع٣، خريف ١٩٧٧م، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص٣٧.

[٤٦] ديوان المتنبي: ٢٩.

[٤٧] الصبح المنبي: ٢٠٨.

[٤٨] ديوان المتنبي: ٤٧٨.

[٤٩] النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام: ٣٢٧/٤.

[٥٠] ديوان المتنبي: ٤٣٩.

قال المرادي: ((أجاز ابن جني إعمال لا عمل ليس في المعرفة. ووافقه ابن مالك. وذكره ابن الشجري))[٥١]. يقول عباس حسن:((هذه تراكيب غير صحيحة، بسبب إعمال "لا" مع فقدها شرطا من شروط الإعمال، إلا عند الكوفيين، فإنهم لا يشترطونه، وبمذهبهم قال المتنبي:[البيت السابق].))[٥٢].

نرى أن الكوفيين لا يشترطون لعملها تنكير معمولها. قال ابن الشجري:((ووجدت أبا الفتح عثمان بن جنّي غير منكر لذلك، في تفسيره لشعر المتنبي، ولكنه قال بعد إيراد البيت: شبّه «لا» بليس، فنصب بها الخبر.

وأقول: إن مجيء مرفوع «لا» منكورًا فى الشعر القديم هو الأعرف، إلا أنّ خبرها كأنهم ألزموه الحذف))[٥٣]. أما موقف الدارسين من هذه المسألة فقد قال أحد الدارسين:((لأبي الطيب المتنبي. والتمثيل به في قوله: لا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا فإنه أعمل «لا» عمل ليس في الموضعين، مع كون اسمها في الموضعين معرفة وقد ذكر النحويون بيت المتنبي؛ لبيان خروجه على القاعدة، وأن جعل اسم «لا» العاملة عمل ليس معرفة خطأ. ولكن بعضهم أجازه مستدلا بقول النابغة الجعدي[٥٤]:[من الطويل]

وَحَلَّت سَوادَ القَلبِ لا أَنا باغِيًا   سِواها وَلا عَن حُبِّها مُتَراخِيا))[٥٥].

احتذى المتنبي حذو الكوفيين في إضافة (ذو) إلى الضمير، كما جاء في قوله[٥٦]: [من الكامل]

سِربٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَواتِهَا   دَانِي الصِفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا

قال ابن وكيع:((جميع البصريين لا يجيزون إضافة ذو وأخواتها إلى المضمر))[٥٧]. قال أبو العلاء المعري:((ولم يجئ عن العرب ذو في حال التوحيد مضافًا إلى ضمير. وإذا قووه بالجمع فقالوا: ذوو في الرفع وذوي في النصب والخفض، فربما أضافوه إلى المضمر. وذوات في الإضافة أقوى من (ذوو)؛ لأن حروفها أكثر من حروفه))[٥٨]. وقال أيضًا:((وإضافة ذوات إلى

---

[٥١] الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٩٣.

[٥٢] النحو الوافي:١/٦٠٢.

[٥٣] أمالي الشجرية: ابن الشجري:١/ ٤٣١.

[٥٤] ديوان النابغة الجعدي:١٨٦. بتحقيق(الدكتور واضح الصمد).

[٥٥] شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد بن محمد حسن شُرَّاب: ٣/٣٢٨.

[٥٦] ديوان المتنبي: ١٧٠.

[٥٧] المنصف: ٧٠٦.

[٥٨] اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

المضمر في قوله: ذواتها غير جائزة عند البصريين[منهم سيبويه]. وأبو العباس المبرد: يجيز ذلك))[٥٩].

نكتفي بهذا القدر وهناك أمثلة كثيرة سلكها المتنبي في شعره على المذهب الكوفي. ومما تقدم يظهر أن المتنبي يمتلك فضاء لغويا ونحويا واسعا فهو:((كان مُحبًّا للعلم والأدب فصحب الأعراب في البادية، وجاءنا بعد سنين بدويًا قُحًّا، وكان تعلَّم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب، وأكثر من ملازمة الوراقين؛ فكان علمهِ من دفاترهم))[٦٠].

ثالثًا: أهمية شعر المتنبي عند علماء اللغة والنحو: إنَّ أبا الطيب يُعدُّ أبرز شعراء العرب شهرةً وبُعد صيت، وذلك لما يحمل في ديوانه من عجائب وغرائب وأعماق وآفاق أذهل العلماء والدارسين إلى يومنا هذا، ويحمل تحديات ومجابهات مختلفة لما أَلِفَ الناسُ أن يسمعوه من غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه[٦١].

ويعدُّ ظاهرة متكاملة في عالم الشعر العربي، ولا يماثله أحد، بل يُعدُّ مدرسة في الشعر العربي، والذي ساعده على بناء ملكته الشعرية امتلاكه الفضاء اللغوي والنحوي والأدبي، وقد ترك شعر المتنبي أثرًا كبيرًا في الحياة العربية، فقد ساعد على إثراء اللغة العربية وتطورها، فقد أمطرت أشعاره أوجهًا من المعاني، ونتيجة لهذا الشعر وتنوع أغراضه والذي دفع العلماء القدماء والدارسين المحدثين لدراسة اللغة العربية بمختلف مجالاتها عن طريق تفسيره وشرحه الذي تجاوز الثمانين شرحًا.

ولأهمية هذا الشعر سلك العلماء والدارسون مناهج متنوعة في تحليله وتفسيره في المجالات كافة. ويمكن أن نجمل أهمية شعر المتنبي بالآتي:

١) عمل المتنبي على إثراء اللغة العربية وتطورها بوساطة الألفاظ والأساليب والتراكيب التي استعملها في شعره.
٢) دفع شعر المتنبي الكثير من علماء اللغة والنحو والبلاغة إلى دراسة الظواهر اللغوية والنحوية والتصريفية، وخير مثال على ذلك ابن جني وأبو علي الفارسي وابن الحاجب وابن الشجري والواحدي والعكبري وغيرهم، ومن الدارسين المحدثين الدكتور صاحب أبو جناح والدكتور عبدالجليل يوسف بدا والدكتور حسن منديل والدكتور ظاهر محسن كاظم والدكتور حليم حماد والدكتور محمد عزت عبد الموجود وغيرهم.

---

[٥٩] معجز أحمد: ٣٠٥/٢.(الشاميات)، وينظر: شرح ديوان المتنبي،الواحدي:٨١٦/٢، وتفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: ١٨.

[٦٠] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: ٢٠.

[٦١] ينظر: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين، الدكتور مصطفى الشكعة:٥.

٣) أسهم شعر المتنبي في تعليم اللغة العربية بجميع فروعها؛ إذ بدأ تعليم شعر المتنبي في المدارس منذ عصره، كما في مدرسة العلوية في الكوفة والمدرسة النظامية في بغداد، إذ قام أبو نصر أحمد بن عبدالله الشاشي(ت في شوال عام ٥٧٦ هـ) بتدريس أبيات المتنبي الشعرية من قصيدة[بَكيتُ يا رَبعُ حَتّى كِدتُ أُبكيكا]، ومنها: [من البسيط]

بَكيتُ يا رَبعُ حَتّى كِدتُ أُبْكِيكَا وَجُدتُ بِي وَبِدَمْعي فِي مَغانيكا[٦٢]

دَرَّسَ ابن الشاشي في المدرسة النظامية يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر عام ٥٦٦هـ.

واستمر بالتدريس ثلاث سنوات[٦٣].

٤) أسهم شعر المتنبي في البناء اللغوي، كما عند ابن جني الذي بنى الكثير من أبواب كتابه الخصائص على كلام المتنبي، كما في باب(غلبة الفروع على الأصول). وقد بنى القدماء آراءهم النحوية على شعر المتنبي، كما عند ابن السيد البطليوسي في كتابه الحلل في شرح أبيات الجمل، وكذلك الاقتضاب، وابن الحاجب الذي بنى آراءه النحوية على أبيات المتنبي، وكذلك ابن هشام في كتابه المغني، وغيرهم.

٥) إنَّ مخاطبة شعر المتنبي للذهن فعّلت القيمة التصويرية فأذكى من خلالها العاطفة، وأنعش المخيَّلة، وقد وضح الدكتور إحسان عباس ذلك بقوله : حتى إن بعض النُّقاد قدّموا شعر المتنبي على الشعر الجاهلي لما فيه من معانٍ عميقة أثرت في العقل والعاطفة معًا[٦٤].

٦) إن شعر المتنبي له أهمية كبيرة في لغة الشعر أكثر من غيره ولعلّ السبب في ذلك؛ لأن لغته الشعرية لها أساس مهم في التأثير الجمالي، وزيادةً على أنها وسيلة لنقل مشاعر الشاعر، ومعاناته، وتجربته الحسيّة، وانفعالاته النفسية النابعة من الأحاسيس الوجدانية[٦٥].

٧) إن لغته الشعرية جعلت ينابيع العلوم العربية تتفتح أمام العلماء والدارسين، يقول العكبري: ((وجعلت غرائب إعرابه أولًا، وغرائب لغاته ثانيًا، ومعانيه ثالثًا))[٦٦].

٨) إن أشعار المتنبي فتحت أبواب التحليل والنقد والمناقشات والمناظرات بين العلماء والدارسين، وقد أُلفت في ذلك مؤلفات كثيرة.

٩) ساعد شعر المتنبي على بناء الثقافة اللغوية والأدبية من الدارسين العرب والمستشرقين، مما

---

(٦٢) ينظر وفيات الأعيان: ٢٢٥/٤ ـ ٢٢٦.

(٦٣) ينظر: ذيل تاريخ مدينة السلام، ابن الدبيثي، تعليق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، ج٢/٢٦٨.

(٦٤) ينظر: تأريخ النقد الأدبي عند العرب: ٥٩٦.

(٦٥) ينظر: التركيب اللغوي لشعر المتنبي، الدكتور ظاهر محسن كاظم: ٣٥.

(٦٦) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري: ١١/١.

جعلهم يؤلفون فيه كتبًا وبحوثًا ودراسات، بل توسع الأمر حتى جعلوا للمتنبي وشعره مؤتمرات، وندوات، ومهرجانات، وحفلات، ومسلسلات، فشعره خالد خلود الدهر يتغنى به الأجيال كابرًا بعد كابر. فقوته الشعرية وضعت العلماء والدارسين في حيرة من أمرهم، مما دفعهم إلى الاجتهاد في دراسة الأساليب اللغوية والنحوية التي رأوها غامضةً أمامهم، وذلك دفعهم إلى وضع دراسات وتفسيرات وشروح لديوانه الشعري.

إذن نلحظ أن شعر المتنبي يُعدّ منطلقًا كبيرًا لعلماء اللغة العربية قديمًا وحديثًا في البحث اللغوي والنحوي. وهو مليء بالطرائف والفوائد والشواهد من كل فنٍ ولونٍ، في أكثر من مجال وميدان.

رابعًا: موقف علماء اللغة والنحو من شعر أبي الطيب المتنبي: إن شعر المتنبي دفع علماء اللغة والنحو النظر فيه، فمنهم مَن أخذه وبنى عليه عمله، ومنهم مَن رماهُ بالسرقة وأراد أن ينال منه وهُمْ حُسّاده.

قال أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩ هـ):((وَقد ألفت الْكتب فِي تَفْسِيرِه[أي: شعر المتنبي] وَحل مشكله وعويصه وَكَثُرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه وَتكلم الأفاضل فِي الوساطة بَينه وَبَين خصومه والإفصاح عَن أبكار كَلَامه وعونه وَتَفَرَّقُوا فرقا فِي مدحه والقدح فِيهِ والنضح عَنهُ والتعصب لَهُ وَعَلِيهِ))[٦٧]. يمكن تقسيم العلماء باتجاه المتنبي على قسمين:

القسم الأول: العلماء المؤيدون لإبداعه: هناك عدد غير قليل من العلماء الذين جعلوا شعر المتنبي أداة للبحثين اللغوي والنحوي، ومنهم نذكر الآتي:

١) ابن جني: من كبار علماء العربية في اللغة وصناعة الإعراب، وهو من الأصدقاء المقربين لأبي الطيب المتنبي. إذ قال:((وحدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته إلا صادقًا))[٦٨]. وموقفه مع المتنبي قال:((وأذكر ما كان شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه))[٦٩]. ويقول ابن جني فيه:((وأنني لم أرَ شاعرًا كان في معناهُ و لا مُجريًا إلى مداهُ، ولقد كان من الجدِّ فيما يُعانيه ولزومِ طريق أهل العلمِ فيما يقولُهُ ويحكيهِ على أَسدِّ وتيرةٍ وأحسن سيرةٍ،[...] وحقًا أقولُ: لقد شاهدتُه على خُلقٍ قلَّما تكاملَ إلَّا لعالمٍ موفقٍ، فأمَّا اختراعُه للمعاني وتغلغلُه فيها واستيفاؤه لها فما لا يدفعه إلا ضِدٌّ، ولا يستحسنُ معاندتَه إلا نِدٌّ، وما أحسبني رأيتُ أحدًا يتناكرُ فضلَ هذا الرَّجل وقتًا من زمان إلا شاهدته بعد ذلك قد رجع عنه، وعاد إلى تفضيله،

---

[٦٧] يتيمة الدهر: ١/١٤٠.

[٦٨] الخصائص: ١/٢٤٠.

[٦٩] تفسير أبيات معاني ديوان المتنبي أو الشرح الصغير:٤٤، وينظر: معجز أحمد: ١/٧٤.

وإذا تأملت[أيّدكَ له] هذا من أحوال هذه الطائفة وجدته كما ذكرت، وإنما ذلك لسمو مطالعه خفاءِ مقاطعهِ وقوةِ مادته وشاذ نادَّته[...] وانتهجت له طرائق النظر، وطال البحث عنه، وتكرر التأمل له خرج على ذلك خروج المشرفي على صقالِ))[٧٠]. وقال فيه أيضًا:((وما لهذا الرجل الفاضل من عيب عند هؤلاء السقطة الجهال وذوي النذالة والسفال إلا انه متأخر محدث، وهل هذا لو عقلوا فضيلة له ومنبهة عليه؟ لأنه جاء في زمان يفهم الخواطر ويصدئ الأذهان، فلم يزل فيه وحده بلا مضاه يساميه ولا نظير يعاليه، فكان كالقارح الجواد يتمطر في المهام الشداد، لا يواضح إلا نفسه ولا يتوجس إلا جرسه))[٧١].

وقد تحدث ابن جني عن أبي الطيب المتنبي كثيرًا ولكن لا يتسع المقام للذكر.

٢) أبو علي الفارسي: وقد حدث نقاش بين أبي علي الفارسي وأبي الطيب المتنبي في مسألة الجمع على وزن(فعلى):((فقال له أبو علي: كم جاء من الجمع على وزن فعلى؟ فقال: حجلى، ظربى، جمع حجل وظربان. قال أبو علي: فسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثًا فلم أجد، وقال في حقه: ما رأيت رجلاً في معناه مثله! وهذا من مثل أبي علي كثير في حق المتنبي))[٧٢].

٣) أبو العلاء المعري:((لا تظنَنَّ أنك تقدر[ابن فورجة] على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها، فجرّب إن كنت مرتابًا، وها أنا أجرّب هذا العهد، فلم أقدر، وليجرّب من لم يصدّق يجد الأمر كما قلت))[٧٣]. وبهذا الكلام يؤكد عظمة شعر المتنبي واحكام صنعته مهما نقب خصومه عن عثراته أو سرقاته.

٤) ابن فورجة: يقول في المتنبي:((فألفت الكتب وبيضت القراطيس في شعره ، ولا نعلم حتى هذا الوقت عن شاعر أخذ هذا الحيز الأدبي والمجال الفكري غير المتنبي))[٧٤]. ثم قال:((وما شهدت أحدا من الفضلاء، وذوي العقول يذمه غير هذا الظالم [الصاحب بن عّباد]))[٧٥]. وقد وصف المتنبي بقوله: ((كان المتنبي داهية مُرّ النفس شجاعًا حافظًا للأدب، عارفًا بأخلاق الملوك، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشرهه على المال))[٧٦].

---

[٧٠] الفسر: ١/٣ ـ ٥.

[٧١] المصدر نفسه:٣٤/١، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، والمتنبي والنحو: ٥٦.

[٧٢] مقدمة الفسر:٩/١، وينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء:٢٢٢، والوافي بالوفيات :٦/ ٢٠٩.

[٧٣] ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري: ٢٣٥/٤، وينظر: شرح الواحدي لديوان المتنبي: ٨١٤/٢ ـ ٨١٥.

[٧٤] الفتح على أبي الفتح: ٢٥.

[٧٥] المصدر نفسه: ٢٢.

[٧٦] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: ٩٥.

٥) أما موقف الواحدي من المتنبي فقد أثنى عليه قائلًا:((إنه صاحب معانٍ مخترعة بديعة، لم يسبقه إليها أحد، ولطائف أبكار لم يسبق إليها دقيقة، ولقد صدق من قال[أبو القاسم المظفر بن عليّ الطبسي الكاتب]:[من الخفيف]

مَا رَأى النَّاسُ ثانيَ المُتنبيّ   أَيُّ ثَانٍ يُرَى لبكْر الزّمانِ؟

هُوَ فِي شِعرهِ نَبيٌّ ولكنْ   ظَهرتْ مُعجزاتهُ فِي الْمعَانِي

ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة العلماء حتى الفحول منهم والنجباء))[٧٧].

٦) قال أبو منصور الثعالبي فيه:((نادرة الْفلك وواسطة عقد الدَّهْر فِي صناعَة الشّعْر ثمَّ هُوَ شَاعِر سيف الدولة الْمَنْسُوب إِلَيْهِ الْمَشْهُور بِهِ، إِذْ هُوَ الَّذِي جذب بضبعه وَرفع من قدره ونفق سعر شعره وَألْقى عَلَيْهِ شُعَاع سعادته حَتَّى سَار ذكره مسير الشَّمْس وَالْقَمَر وسافر كَلَامه فِي البدو والحضر وكادت اللَّيَالِي تنشده وَالْأَيَّام تحفظه كَمَا قَالَ وَأحسن مَا شَاءَ:[من الطويل]

وما الدَّهْرُ إلاَّ مِنْ رُواةِ قَلائدي   إذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَح الدَّهْرُ مُنْشدَا))[٧٨].

٧) يقول ابن رشيق:((وأبو الطيب كالملك الجبار: يأخذ ما حوله قهراً وعنوة، أو كالشجاع الجريء: يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي، ولا حيث وقع))[٧٩]. وقال أيضًا:((وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال، إلا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جدًا، وهو لعمري في سعة من العذر))[٨٠].

٨) قال أبو القاسم الأصفهاني في المتنبي إن((جملة القول في المتنبي أنَّهُ من حُفّاظ اللغة ورواةِ الشعر، وكل ما في كلامه من الغريب مستقاة من الغريب المصنف[لأبي عبيد القاسم بن سلام] سوى حرف واحد هو كتاب الجمهرة[لابن دريد] وهو قوله: وأَطْوِي كما يَطْوِي المُجَلَّدَةُ العُقْدُ

وأمَّا الحكم عليه وعلى شعره: فهو سريعُ الهجوم على المعاني، ونعتُ الخيل والحربِ من خصائِصِهِ، وما كان يرادُّ طبعُهُ في شيء ممَّا يسمحُ به، يقبل الساقطَ الرديء كما يقبل النادر البدع، وفي متن شعره وهْي، وفي ألفاظه تعقيد وتعويص))[٨١].

---

[٧٧] شرح الواحدي لديوان المتنبي:٧٩/١.

[٧٨] يتيمة الدهر: ١٣٩/١.

[٧٩] العمدة:١٣٣/١.

[٨٠] المصدر نفسه:١٩٣/١.

[٨١] الواضح في مشكلات شعر المتنبي: ٢٧ ـ ٢٨.

٩) أما ياقوت الحموي فقد قال:((لم نسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شُرِحَ بهذه الشروح الكثيرة، سوى هذا الديوان[ديوان المتنبي]، ولا يتداول شعر في أمثالٍ أو طرفٍ أو غرائبٍ على ألسنة الأدباء في نظم أو نثرٍ أكثر من شعر المتنبي))[٨٢].

نكتفي بهذا القدر من مواقف العلماء باتجاه المتنبي.

الفريق الثاني: الحُسّاد والمنكرون لإبداعه: على الرغم من حُبِّ العلماء الكبير لأبي الطيب المتنبي إلا أن هناك مَن ينتقص منه ويحسده، يريدون النيل منه بكافة الطرق والوسائل سواء أكان ذلك في مجالس العلماء أم في مجالس الأمراء والسلاطين أو غيرها، ومن هؤلاء:

١) ابن خالويه النحوي: الذي قال للمتنبي في حضرة سيف الدولة: لولا أنك جاهلٌ لما رضيت أن تُدعى بالمتنبي، لأن " المتنبي " معناه كاذب، ومن رضي أن يُدْعى بالكذب فهو جاهل[٨٣].

وجاء في رواية أبي عبد الله المحسن بن علي بن كوجك:((أن أباه[ابن علي] حدّثه قال: كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي والمتنبي وأبو عبد الله بن خالويه، وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي، والمتنبي ساكت، فقال له الامير سيف الدولة: ألا تتكلم يا أبا الطيب، فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي، وأضعف قول ابن خالويه، فحرد منه وأخرج من كمه مفتاح حديد لبيته ليلكم به المتنبي، فقال له المتنبي: اسكت ويحك فانك عجمي، وأصلك خوزي، وصنعتك الحياكة فما لك وللعربية؟!.))[٨٤].

٢) قال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ):((وكنت ذاكرت بعض من يتوسم بالأدب، الأشعار وقائليها والمجودين فيها، فسألني عن المتنبي فقلت: إنه بعيد المرمى في شعره كثير الإصابة في نظمه، إلا أنه ربما يأتي بالفِقرةِ الغراء، مشفوعة بالكلمة العوراء، فرأيته قد هاج وانزعج، وحَمِي وتأجج، وادعى أن شعره مستمر النظام متناسب الأقسام، ولم يرض حتى تحداني فقال: إن كان الأمر كما زعمت فأثبت في ورقة ما تنكره، وقيد بالخط ما تذكره، لتتصفحه العيون وتسبكه العقول. ففعلت وإن لم يكن تطلب العثرات من شيمتي، ولا تتبع الزلات من طريقتي، وقد قيل: أي عالم لا يهفو، وأي صارم لا ينبو، وأي جواد لا يكبو؟))[٨٥]. وقد ردَّ ابن فورجه ابن

---

[٨٢] معجز أحمد: ٨١/١.(مقدمة التحقيق). وينظر: الافق الجغرافي في ثقافة المتنبي، الدكتور جليل العطية،(مقال) في جريدة الشرق الاوسط عدد: ٥٤١١، لسنة ١٩٩٣م.

[٨٣] ينظر: لسان الميزان، ابن حجر:١/ ١٦١، والمتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ٦٨٥.

[٨٤] بغية الطلب في تاريخ حلب:٦٧٤/٢، وينظر: وفيات الأعيان:١٢٣/١.

[٨٥] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ٢٩ ـ ٣٠.

عباد ردًا عنيفًا((فهو لا يثق برواية ابن جني ويتهمه بالكذب حيث يقول في أثناء رسالته: " وأنا احلف بالله ان كان أبو الطيب قط سُئل عن هذا البيت فأجاب بهذا الجواب الذي حكاه ابن جني وأن كان إلا مزيدًا مبطلا فيما يدعيه"))[٨٦].

٣) أما المرتضى(ت ٤٣٦ هـ) فكان له موقف من المتنبي:((كان المرتضى يبغض المتنبي، ويتعصب عليه، فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله[٨٧] [من الكامل]

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ [أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ]

لكفاه فضلا. فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون ما أراد بذكر هذه القصيدة ؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف. فقال: أراد قوله في هذه القصيدة[٨٨]: [من الْكَامِل]

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهْيَ الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنِّي كَامِلُ

وقد تتبعت جذور هذه الحكاية فلم أجد لها أصلا يعتمد عليه. وإن كثر ناقلوها فإنهم لم يذكروا لنا واحدا من شهود الحادثة))[٨٩].

٤) قال أبو سعيد العميدي(ت ٤٤٣هـ):((ولقد تأملت أشعاره كلَّها فوجدتُ الأبيات التي يفتخر بها أصحابه، وتُعتبر بها آدابُه من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله من جماعة يغلون في ذكر المتنبي وأمره، ويدّعون الإعجاز في شعره))[٩٠].

أما موقف هذه الدراسة: فَيُعَدّ المتنبي رائدًا لمدرسة التجديد الشعري الذي جمع بين القديم والمحدث. أما مصادر علمه فهي القرآن الكريم والشعر العربي ما قبل الاسلام؛ وكذلك كتب علماء اللغة والنحو، ومجالس العلماء التي جعلته من رواد اللغة والنحو، وقد انماز بالطابع الفلسفي في بنائه الشعري[٩١].

---

[٨٦] الفتح على أبي الفتح:٢٤.

[٨٧] ديوان المتنبي: ١٦٣.

[٨٨] ديوان المتنبي:١٦٦.رواية الديوان(فاضلُ) بدلًا عن(كاملُ). في رواية: فهي الشهادةُ لي

[٨٩] أبو العلاء وما إليه ويليه رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري، عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١١٦، وينظر: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام:٨.

[٩٠] الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنى:٢٢.

[٩١] ينظر: الفتح على أبي الفتح:٥٤.

خامسًا: أثر النحو في تكوين الخطاب الشعري عند المتنبي: يُعد النحو من أهم أدوات البناء الشعري وتفسيره، وإن علاقة النحو بالنص الشعري يكون على وفق أمور هي:

١) ارتباط النحو بكلام العرب، وطرائقهم في التعبير.
٢) شمول مفهوم النحو وسعته، وخروجه من دائرة الإعراب إلى النظر في بنية الكلمة، ومستويات التركيب.
٣) أثر النحو في تحقيق الفصاحة والضبط اللغوي[٩٢].

يرى عبد القاهر الجرجاني أن النحو أداة مهمة من أدوات الفهم الأدبي، كما صرَّح بذلك الدكتور مصطفى ناصف:((غزا عبد القاهر الشعر وفي عقله إيمان راسخ بأن الفهم الأدبي ظّل إلى عهده أمانيَّ مبهمة؛ لأنها لا تحسن البحث عن الأدوات، ومن أهم هذه الأدوات: " النحو "))[٩٣]. أما التركيب النحوي في الشعر، فيكون على تركيبين[٩٤]:

١) تركيب مألوف: أي يجري على القاعدة، ويلزم بالقياس، كما جاء في قول المتنبي[٩٥]: [من الطويل]

فَإِنَّ قَليلَ الحُبِّ بالعَقلِ صَالحٌ وَإِنَّ كَثيرَ الحُبِّ بالجَهلِ فَاسِدُ

استعمل الشاعر أسلوب التوكيد ووظَّفَهُ من أجل تكوين الخطاب الحجاجي وتقويته، وإن القوة المعنوية هنا مستمدة من مظهر التوازي النحوي الذي عمل على سبك البيت، بما فيه من تكرار التوكيد والطريقة التي قام بها الشاعر في نظم الشطرين في بناء أسلوبي متشابه والمقابلة البديعية، إذ ذكر(قليل الحب مع العقل جيد) و(كثير الحب مع الجهل فاسد غير صالح). وقد كرر لفظة(الحب) في كلا الشطرين، فهذا النمط من الأسلوب في الاعتماد على التكرار وأدوات التوكيد والتضاد المعنوي اعتمد عليها المتنبي في تكوين أبياته الشعرية واظهار صوره الشعرية بقوة. ففي هذا البيت أراد الشاعر أن يؤكد حبه لسيف الدولة باستعماله أسلوب التوكيد الذي وظّفه هنا، فهو يقول أنا أحبك بالعقل يا شمس الزمان، وإن القليل من المحبّة مع العقل ينتفع بها؛ فأنا أُكد حبي لكَ فإن قدرت أن محبتي لكَ قليلة؛ ولكنها لما كانت مع العقل كانت أنفع من محبة الجاهل إياك؛ لأن العاقل إنما يحب الإنسان لما يرى من فضله؛ فمحبته دائمة لذي الفضل، وأن

---

[٩٢] ينظر: دور النحو في تفسير النص الشعري، مصطفى عراقي حسن، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص٩٣.

[٩٣] النحو والشعر قراءة في دلائل الإعجاز، مصطفى ناصف، بحث منشور في مجلة فصول النقد الأدبي، مج١/ج٢/ ع٣، أبريل ١٩٨١م:ص٣٦.

[٩٤] ينظر: دور النحو في تفسير النص الشعري: ٢٣٦.

[٩٥] ديوان المتنبي: ٣١٤.

الكثير من المحبة مع الجهل فاسد لا أصل له لأن الجاهل إنما يحب الإنسان للطمع[٩٦].

٢) تركيب مختار بذاته، توجّه إليه الشاعر بالتأليف والبناء ولم يأخذه من قول آخر. فإن هذا التركيب الخاص لا يغني عنه قول آخر، لما يفيدهُ من دلالات لإنتاج لغيره من التراكيب المطروقة. ومثال على ذلك قول المتنبي[٩٧]:[من الطويل]

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسِمُهْ

بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

استعمل الشاعر الأسلوب النحوي(أشجاهُ) فهو (لم يستأثر بهذه الاستعمالات [النحوية]، وإنما لها سند قوي في كلام العرب ولهجاتها))[٩٨].

فهو لم يكن جاهلًا بمعرفة القواعد النحوية، و إنما نلحظه يتفنن بتلك الأساليب في استعمالاته، ونلحظه بوساطة هذا البيت قد وضع علماء النحو في حيرة وتوهم.

كان أبو الطيب ذا معرفة بالنحو: عبرَ حديثة الذي دار بينه وبين ابن خالويه:((ويحكى أنه لما أنشد سيف الدولة بن حمدان قوله [في مطلع بعض قصائده]:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمُهْ

كان هناك ابن خالويه، فقال له: يا أبا الطيب، إنما يقال: شجاه – توهمه فعلاً ماضيًا– فقال أبو الطيب: اسكت فما وصل الأمر إليك.[أي: ليس هذا من علمك، إنما هو اسم لا فعل]. قلت: إنما قصد أبو الطيب بقوله:

"أشجاه"، أكثره شجًا، لا الفعل الماضي))[٩٩].

يقول ابن جني: ((وذاكرت المتنبي شاعرنا نحوًا من هذا، وطالبته به في شيء من شعره فقال: لا أدري ما هو إلّا أن الشاعر قد قال[١٠٠]: [من الكامل]

---

(٩٦) ينظر: معجز أحمد:٢١٥/٣.(السيفيات)، و شرح معاني شعر المتنبي، لابن الأفليلي:٣٩٠، والظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبي: ٢١٦.

(٩٧) ديوان المتنبي: ٢٤٢.

(٩٨) الخروج عن المشهور النحوي في شعر المتنبي وتوجيهه من كلام العرب، الدكتور جمهور كريم الخماس:٧.

(٩٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٢٢٢ ــ ٢٢٣، وينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، العكبري:٣٤٤/٣،و الخروج عن المشهور النحوي في شعر المتنبي:١٠.

(١٠٠) ديوان الأعشى الكبير: ٢٣١.

لَسْنا كَمَنْ حَلَّتْ إيادٍ دَارَها   [بَكْرٌ بوَقْتٍ حَبُّها أنْ تُحْصَدَا]

فعجبت من ذكائه وحضوره مع قوة المطالبة له حتى أورد ما هو في معنى البيت الذي تعقبته عليه من شعره، واستكثرت ذلك منه))[١٠١].

إن أهم ما يميز التركيب الشعري من إمكانات تركيب الكلام الاعتيادي، هو القدرة الكبيرة على استغلال امكانيات النحو بما يتناسب مع طبيعة النص الشعري. إن نظرة المتنبي للأساليب النحوية تكون منسجمة مع طبيعة البيت الشعري(أي الغرض أو المناسبة التي أرادها الشاعر)، نجده يقوم بترويض الأساليب النحوية بشعره بشكل مميز جدًا.

فقد اتسع مجاله فيه، حتى غلب على غالبه التوجيه، فمن ذلك قوله[١٠٢]: [من البسيط]

حَوْلي بكُلِّ مَكانٍ منهُمُ خِلَقٌ   تُخْطِي إذا جِئتَ في اسْتِفهَامِها بَمِنِ

أبو الطيب يقول إذا استفهمت عن مثل هؤلاء الأقوام لا تستفهم بمن لأن من لمن بعقل وهؤلاء عندي بمنزلة ما لا يعقل، فحقهم أن يستفهم عنهم بما. ومنه قوله[١٠٣]: [من الطويل]

إذا كانَ ما تَنْويهِ فِعْلاً مُضَارِعًا   مَضَى قَبْلَ أنْ تُلْقَى عليه الجَوَازِمُ

يقول إذا هم بفعل أوقعه، قبل أن يمنع وينهى عنه، ويقال له: لا تفعل، أو ينفى فيقال: لم يفعل [١٠٤]. يقول أبو العلاء المعري في تفسير البيت:((أن الممدوح إذا كان ما ينويه فعلًا مضارعًا، وهو يصلح لأمرين: للحال والاستقبال، أمضاه هذا المذكور من قبل أن تقع عليه الجوازم؛ كأنه إذا جرى في نفسه أن يقتل عدوًا قتله قبل أن يقول قائل: لم يقلته؟ !))[١٠٥]. وقال أيضًا:((الفعل المضارع يصلح للحال وللاستقبال، والمراد ها هنا: الفعل المستقبل خاصة. يقول: إذا نويت فعل شيءٍ تم ومضى، وتعجل وقوعه قبل أن يعوقك معوق، فعبر عن المعوق بالجوازم، وعن نفيه بنفي الجوازم، وإنما قال ذلك؛ لأن حروف الجزم كلها تعويق: إما بنفي كلم، أو بنهي نحو، لا تفعل، أو تعلق بالشرط، ولام الأمر للغائب فيه معنى التراخي، ووصول الأمر إليه. وقيل: أراد بالجوازم ها هنا التي للذي، وجمعه إرادةً للكثرة والتكرير. والمعنى: إنك إذا نويت أمرًا سبقت به نهى الناس، وعذل العذال، وتفعله قبل أن تقول لك الناسُ: لا تفعل، فيكون مثل قولهم:

---

(١٠١) الخصائص: ٢/٤٠٥.

(١٠٢) ديوان المتنبي:١٥٥.

(١٠٣) المصدر نفسه: ٣٧٦.

(١٠٤) ينظر: تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: حرف النون ، وخزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: ٢/٤٧٥.

(١٠٥) اللامع العزيزي: ١١٧٦.

سَبَقَ السيفُ العذَل))[١٠٦].

أما أثر النحو في تكوين الخطاب الشعري، اعتنى حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) بأثر النحو في تكوين الخطاب الشعري عندما تحّدث في الأقاويل الشعرية بوصفها المرتبط بمفهوم الشعرية(Poetics) فهي عنده تجسيد للحيّ من الشعر الذي يقوم على التكوين النحوي . بوصفه فنًا أدبيًا أصلًا؛((فإن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها، وتُركَّب التركيب المتلائم المتشاكل))[١٠٧].

إنَّ للنحو أثرًا حيويًا في العملية الإبداعية الشعرية في مختلف مراحلها:

١) مرحلة انتقاء أفضل الألفاظ الدالة الصالحة بالقيام بدورها الدلالي في السياق.
٢) مرحلة التركيب المتلائم والتأليف بين الألفاظ الدالة دلالة إفرادية على أجزاء المعاني المطلوبة على وفق قوانين خاصة هي قوانين النحو التي تمنح الجملة الشعرية جمالًا، وحسنًا بحسب حسن الإعراب[١٠٨].

إن تنوع الخطاب الحجاجي يؤدي إلى تنوع الأساليب وطرائق التأليف بين المعاني والألفاظ ومراعاة النحو في الترتيب بين هذه الألفاظ والربط بينها بعلاقات الاسناد وهو الصورة التي تجسد المعاني.

إذن النحو ينظم طرائق التأليف ويمنح الشاعر المبدع كل هذه الإمكانات المتنوعة من أجل تحقيق الغاية المرجوة.

إن أثر النحو في سياق الخطاب الشعري يختلف عمّا عليه في الكلام الاعتيادي السبب في ذلك هو أن الشعر أقدر على مخالفة القياس وأصوله والخروج عن الأصل بطبيعته التي لا تخضع لهذا القياس، فهذه الخصوصية مرتبطة بالشاعر نفسه. والمثال على ذلك شاعرنا المتنبي فإنَّ حياته مبنيةٌ على القريحة النحوية، عمل على ترويض النحو وبيان أثره(توظيفه) في تكوين الخطاب الحجاجي، فالأمر يستند إلى إمكانات الشاعر المتمثلة بـ(شجاعته العربية البدوية والحضرية) و(شجاعته في الإبداع الشعري)، فهو بذلك قادر على خرق الأصول القياسية والخروج منها بشجاعة، وإن شعره عملية ابداعية كالحرب الضروس كما صرّح بذلك ابن جني:((بل مثله في ذلك عندي مثل مُجرى الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرًا من غير احتشام، فهو وإن كان ملومًا في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض

---

[١٠٦] معجز أحمد: ٤٢٤/٣ ـ ٤٢٥. (السيفيات).

[١٠٧] منهاج البلغاء:١٣.

[١٠٨] ينظر: دور النحو في تفسير النص الشعري: ٤٦.

منته))[109]. من كلِّ ما سبق يتبين أن أثر النحو كان واضحًا في تكوين خطابات المتنبي الشعرية، فقد وسع الآفاق للمتنبي في تفننه في الشعر، فهو بذلك يُعدّ إمامًا في اللغة ونحويًا على مذهبه، فضلًا عن ذلك موهبته الشعرية الفّذة، فالعوامل التي مكنته من ذلك؛ هي:

1) إقامته في بادية السماوة لوقت غير قليل ومصاحبته للأعراب.
2) إكثاره من ملازمة الورّاقين واطلاعه على كتب لغوية ونحوية متعددة.
3) ما وهبه الله من حافظة قوية مكنته من تحصيل ثمرات ما يطالعه بسهولة ويسر من القضايا اللغوية والنحوية[110].

أما التكوين النحوي عنده فهو الذي ينعقد به الكلام ويحصل منهُ على الفائدة.

سادسًا: ردود المتنبي على علماء العربية باستعماله الأساليب النحوية:

استعمل المتنبي الأساليب النحوية للتعبير عن أغراض كثيرة في شعره، وعن حالات نفسيّة مختلفة ألمت به. وقد روّض تلك الأساليب من أجل تكوين الحجاج الشعري ولا سيما في مواجهة طبقة علمية في المجتمع ألا وهي العلماء والكُتّاب الذين حاولوا أن يجدوا في شعر أبي الطيب ما يستمسكون به عليه، ويتخذونه ذريعةً للتشفِّي منه ولإرضَاءِ ساداتهم[111]. ولكن المتنبي عمل على وضع النحاة واللغويين في حيرة من أمرهم عندما استعمل الأساليب النحوية ووظّفها في تكوين الخطاب الحجاجي، وقد ردَّ على علماء العربية الذين عاصروه، ومن صور الردود نذكر الآتي:

1) زعم النحاة أنَّ المتنبي غلط عندما صرّف(أُحاد) و(سداس)،وكانت حجتهم بأن العرب لم يجوزوا ذلك، وقد تسرعوا كثيرًا في رأيهم مما أوقعهم في الغلط والوهم، عندما سمعوا قولـه[112]: [من الوافر]

أُحَادٌ أم سُداسٌ في أُحادٍ   لُيبيلَتنا المنوطةُ بالتّنادِ

رَّد المتنبي على هؤلاء بقوله:((إنه قد جاء عن العرب (خُماس وسُداس إلى عُشار) حكاهُ أبو عمرو الشيباني وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتابه (الابل)، وزعم أبو عبيدة في (المجاز) أنه لا يعلمهم قالوا فوق (رباع)، وهؤلاء ثقاة لم يحكموا إلا ما علموا))[113]. وكان رُّد المتنبي بدليل ما ذكره العلماء الذين سبقوه.

---

(109) الخصائص: 2/394.

(110) ينظر: الخروج عن المشهور النحوي في شعر المتنبي وتوجيهه من كلام العرب: 13.

(111) ينظر: أبو الطيب المتنبي وما لهُ وما عليه:24.

(112) ديوان المتنبي: 76.

(113) الخروج عن المشهور النحوي في شعر المتنبي:41، وينظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة: 106ـ108.

أما الصاحب بن عباد فقد اعترف بقدرة المتنبي وامكاناته النحوية في التكوين الشعري، إذ قال في بيته هذا:((إنه من عنوان قصائده التي تحير الأفهام وتفوت الأوهام وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي[علم الحساب]))[١١٤].

٢)رَّد المتنبي على ابن خالوية ردًا عنيفًا في أكثر من حادثة،بقوله ((وقد جرت جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي، والمتنبي ساكت، فقال له الأمير سيف الدولة: ألا تتكلم يا أبا الطيب، فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي، وأضعف قول ابن خالويه، فحرد منه وأخرج من كمه مفتاح حديد لبيته ليلكم به المتنبي، فقال له المتنبي: اسكت ويحك فانك عجمي، وأصلك خوزي، وصنعتك الحياكة فما لك وللعربية؟!))[١١٥]. والحادثة الأخرى التي حدثت بينهما في مسألة لفظة (أشجاهُ) التي جاءت في شعر المتنبي[١١٦]: [من الطويل]

وَفاؤُكُما كَالرَّبعِ أَشجاهُ طاسِمُه   بِأَن تُسعِدا وَالدَمعُ أَشفاهُ ساجِمُهْ

قال ابن الأنباري:((فقال له: يا أبا الطيب، إنما يقال: شجاه ـ توهمّه فعلاً ماضيًا ـ فقال أبو الطيب: اسكت فما وصل الأمر إليك[يعني أنه أفعلُ تفضيل]))[١١٧].

٣) ردَّ المتنبي على أحد السائلين عن (لم تصبرا) التي جاءت في قوله[١١٨]: [من الكامل]

بادٍ هَواكَ صَبَرتَ أَم لَم تَصبِرا

وَبُكاكَ إِن لَم يَجرِ دَمعُكَ أَو جَرى

قال ابن خلكان:((فقال [المتنبي]: كيف أثبت الألف في " تصبرا " مع وجود لم الجازمة؟ وكان من حقه أن يقول " لم تصبر "، فقال المتنبي: لو كان أبو الفتح هاهنا لأجابك، يعنيني، وهذه الألف هي بدل من نون التأكيد الخفيفة، كان في

الأصل " لم تصبرن " ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل منها ألفًا))[١١٩]. وقد ذكر الواحدي ما ذهب إليه ابن فورجة في تفسير البيت:((أن أبا الطيب قيل له خالفت في

---

[١١٤] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ٦٢ ـ ٦٣، وينظر: أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه: ٦٤ ـ ٦٥، وتاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ٣/٢٥٣.

[١١٥] بغية الطلب في تاريخ حلب: ٢/٦٧٤، وينظر: الصبح المنبي: ٦٥.

[١١٦] ديوان المتنبي: ٢٤٢.

[١١٧] نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٢٢٢.

[١١٨] ديوان المتنبي: ٥٣٧.

[١١٩] وفيات الأعيان: ٣/٢٤٨.

هذا البيت بين سبك المصراعين فوضعت في المصراع الأول ايجابا بعده نفيٌ وفي الثاني نفيا بعده إيجاب فقال(المتنبي) لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى وذلك أن من صبر لم يجرِ دمعه ومن لم يصبر جرى دمعه يعني أنه أراد صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى))[١٢٠].

استعمل المتنبي (الألف) مع الفعل بدل من (نون) التوكيد الخفيفة من أجل تحقيق الغاية المنشودة. قال الشيخ أبو العلاء((قوله لم تصبرا من الضرورات لأن النون لم تجر عادتها أن تدخل في هذا الموضع إلا عن ضرورة))[١٢١]. وقد أجاب المتنبي على مَن قال انه قد خالف القاعدة، يقول إذا كنت قد خالفت في اللفظ لكنني وافقت بالمعنى يعني الشاعر لديه غاية أراد أن يحققها بالمعنى وليس باللفظ.

٤) ردَّ المتنبي على مَن قال(الصاحب بن عّباد) بأن جمع لفظة (بوق) على(بوقات) خطأ، الذي ورد في قوله[١٢٢]:[من الطويل]

إذا كان بعضُ النَّاسِ سيفًا لدولةٍ		ففي النَّاس بُوقاتٌ لها وطُبولُ

قال المتنبي((هذا الاسم مولد لم يسمع واحده إلا هكذا و لا جمعه بغير التاء، وإنما هو مثل حمام وحمامات و ساباط و ساباطات وسائر ما جمعوه من المذكر بالتاء))[١٢٣].

ذكر المُطَرِّزِي(ت ٦١٠هـ)(((الْبُوقُ) شَيْءٌ يُنْفَخُ فِيهِ وَالْجَمْعُ بُوقَاتٌ وَبِيقَاتٌ))[١٢٤].

يقول ابن عقيل((يكثر الجمع بالألف والتاء في صفة المذكر الذى لا يعقل، كُسِّرت أو لا، نحو: جبال شامخات، وخيول سابقات، وسرادقات طويلات))[١٢٥].

موقف العرب من هذه المسألة يقول أبو حيان الأندلسي: ((جمع بوق وقد كسرته العرب فقالوا: أبواق، وإن لم تكسرهما العرب جاز أن يجمعا بالألف والتاء قياسًا مطردًا، وهذا ظاهر كلام سيبويه))[١٢٦]. قال الدكتور أحمد مختار عمر: ((وأنَّ المتنبي جمع «بوقًا» على «بوقات»،

---

[١٢٠] شرح ديوان المتنبي، الواحدي: ٤/ ١٩٦٠، وينظر: الفتح على أبي الفتح:١٥٥.

[١٢١] تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي:١٢٢، وينظر:اللامع العزيزي:٥٦٠.

[١٢٢] ديوان المتنبي: ٣٥١.

[١٢٣] الوساطة بين المتنبي وخصومه:٣٦٨.

[١٢٤] المغرب في ترتيب المعرب:٥٣، وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: مادة(ب و ق): ٦٦/١.

[١٢٥] المساعد على تسهيل الفوائد:٣٩٨/٣.

[١٢٦] ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب: ٥٩٠/٢.

كما اعتمد المجمع المصري على ما ذكره سيبويه من مثل: «حمامات، وسرادقات، وطرقات، وبيوتات»))[١٢٧].

إذن نتيجة ما تقدم أن المتنبي قد أثبت صحة ما ذكره بحجة قوية في اللغة ألا وهي السماع، الذي يُعدّ أصلا من أصول اللغة، وأن جمع(بوقات) ليس هو الجمع الوحيد الذي قد صرَّح به المتنبي بدليل ما جاء في المعجمات اللغوية.

٥) ردَّ المتنبي على مَن عاب عليه عندما استعمل (ما) للتشبيه في قوله[١٢٨]: [من الطويل]

أَمِطْ عَنكَ تَشْبِيهِي بما وكأنَّهُ   فَما أَحَدُ فَوْقي ولا أَحَدُ مِثْلِي

قال: ((إن (ما) تأتي لتحقيق التشبيه تقول عبد الله الأسد، وما عبد الله إلا الأسد، وإلا كالأسد، كما قال الشاعر:[من الطويل]

ومَا هنْدُ إلاّ مُهْرَةُ عَرَبّيةُ   سَليلَةُ أفْراسٍ تَجَلَّلَهاَ بَغلُ))[١٢٩].

قال ابن الشجري: ((يتوجه فيه سؤال عن(ما) من قوله: تشبيهي بما، وليست ما من أدوات التشبيه، وقد قيل في ذلك أقوال: أحدها: ما حكاه أبو الفتح عن المتنبي أنه كان إذا سئل عن ذلك أجاب بأن(ما) سبب للتشبيه، لأن القائل إذا قال: ما الذي يشبه هذا؟ قال المجيب: كأنه الأسد أو كأنه الأرقم أو نحو ذلك، فأتى المتنبي بحرف التشبيه الذي هو كأن وبلفظ الحرف الذي كان سؤالاً عن التشبيه فأجيب عنه بكأن فذكر السبب والمسبب جميعًا))[١٣٠].

أراد أنه يكبر عن التشبيه وأن يقول القائل: كأنه الأسد وكأنه السحاب ونحو ذلك.

٦) ردَّ المتنبي على الذين أخذوا عليه عندما قال[١٣١]: [من البسيط]

ولم تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ   وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بالوَيْلِ وَالحَرَبِ

إنَّ العرب لا تقول: دعا بالويل والحرب، وإنما دعا ويله، كما يقال: دعا فلانًا، وقد ردَّهم المتنبي قائلًا:((يقال دعا للقتال وللخير وللشعر ولما به، أي إليه. ومن أجله قال طرفة[١٣٢]: [من الطَّوِيل]

---

[١٢٧] معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي:٥٣/١.

[١٢٨] ديوان المتنبي:٧.

[١٢٩] تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: ٢٠٤ ـ ٢٠٥. لـ(هند بنت النعمان (٦٩٣م) شاعرة عربية عاشت قبل الإسلام ، وهي ابنه النعمان بن المنذر الغساني آخر ملوك مملكة المناذرة في الحيرة وأمها اسمها مارية الكندية). ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٩٥، و الوافي بالوفيات: ٣٠٥/١٧.

[١٣٠] ما لم ينشر من الأمالي الشجرية: ١٠٨، وينظر: أمالي ابن الشجري :٢٢٧/٣، واللامع العزيزي: ١١٥٠.

[١٣١] ديوان المتنبي: ٤٢٣.

[١٣٢] ديوان طرفة ابن العبد:٥١. بشرح الأعلم الشنتمري. رواية الديوان(أكن من حُماتِها).

وإن أُدْعُ للجُلّى أنْ من حُماتِها   وإنْ يأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أجهَدِ))[١٣٣].

علّق صاحب الوساطة على ذلك قائلًا: ((والذي قاله أبو الطيب مَحْكيّ عن العرب، معروف عن أهل العلم))[١٣٤]. هذا يدلُّ على أن المتنبي كان يمتلك ناصية لغوية نحوية ساعدته على بناء شخصيته اللغوية، الذي استطاع منها الرد والتصدي للذين يريدون النيل منه، فنصوصه تدل على قوة الدرس اللغوي لديه وأنه استكمل كل جوانبه.

سابعًا: تصرف المتنبي بالأساليب النّحوية و بيان أثرها على غموض المعنى:

يُعدُّ المتنبي أكثر شعراء العرب تصرفًا بالأساليب النّحوية الذي أعجز كثير من العلماء والبلغاء بلغتِهِ وبلاغتِهِ، فهو قد تفّوق على جميع شعراء العصر العباسي الذي عدَّ من أمراء شعر عصره، وقد فرض شعره على الأيام والأزمنة بالخلود، وقد كَثُرت عليه الدراسات وتوزعت على فروع متعددة من العلوم والمعارف، هذا نتيجة الإعجاز الذي اشتهر به، إذ جاءت بعض أبياته غامضة مبهمة مما وضع العلماء والدارسين والسلاطين والأمراء في حيرة من أمرهم[١٣٥].

فهل كان الشاعر يتعمد بالتلاعب بالأساليب النحوية؟ الجواب: نعم. أراد من خلال ذلك تحقيق أغراضه الشعرية والوصول إلى الهدف المنشود، نجده قد استعمل الأساليب النحوية الخارجة عن المألوف والمشهور النحوي، بل تلاعب بها من أجل توليد الغموض لدى العلماء والبلغاء والدارسين.

أما أسباب التلاعب بالأساليب النحوية عند المتنبي، يمكن ذكرها على النحو الآتي:

١) العوامل الفلسفية والنفسية والعاطفية التي كانت تتحكم بإرادة الشاعر.
٢) العمل الموسوعي اللغوي والنحوي الذي يمتلكه الشاعر.
٣) النباغة في الإبانة والإفصاح ساعده على التفنن باستعمال الأساليب النحوية في شعره بشكل كبير.

أما الغموض: فهو الناتج عن طريق التلاعب والتفنن بالأساليب اللغوية والنحوية، وهو أحد مظاهر تلك الأساليب، الذي استعمله الشاعر بشكل واسع في شعره، والذي يمكن تقسيمه على قسمين:

١) الغموض في الألفاظ: وهو الذي يكون في ألفاظ غريبة وحشية ممعنة في الغموض

---

(١٣٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه:٣٨١.

(١٣٤) المصدر نفسه: ٣٨١.

(١٣٥) ينظر: الكشف عن مساوى شعر المتنبي: ٦٢ ــ ٦٣، و تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي:٢٥٣/٣، وأبو الطيب المتنبي حياته وشعره: ٩٩.

بحيث لا يكاد يعرفها العلماء والبلغاء، نحو قوله[١٣٦]:[من الكامل]

جفَخَتْ وهُم لا يجْفَخون بهابِهم   شيَمٌ على الحسَب الأغرِّ دلائلُ

في هذا البيت صور غريبة من ((الألفاظ اللغوية النادر التي يريد أن يروع بها أساتذة اللغة من الغريب؛ فإذا هو يأتيهم بمثل جفخت))[١٣٧].

من المحدثين من يسميه بـ((«التعقيد اللفظي» هو كون الكلام خفيّ الدّلالة على المعنى المراد به ـ بحيث تكون الألفاظ غير مُرتبة على وفق ترتيب المعاني.

(وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض)))[١٣٨].

استعمل المتنبي هنا لفظة (جفخ) وهي لفظة غريبة وحشية فضلًا على أنها غليظة مرة الطعم، وظفها الشاعر لغاية الامتداح، يقول البديعي: ((ولفظة الجفخ مرة الطعم إذا مرت على السمع اقشعر منها، و يا لله العجب أليس أنها بمعنى فخرت، وهي لفظة حسنة رائقة، ولو وضعت في هذا البيت موضع جخفت لما اختل شيء من وزنه))[١٣٩].

استعمل الشاعر لفظة(جفخ) الدالة على مرَّة الطعم عوضها لفظة(فخرت) التي هي بمعناها[١٤٠]. ومن الأبيات الغامضة والمبهمة التي استعملها المتنبي لتحقيق مناسبة أو غرض ما، فهو القائل[١٤١]: [يمدح بهَا هَارُون بن عبد الْعَزِيز الأوارجي] [من الْكَامِل]

قَلَقُ المَليحَةِ وَهيَ مِسكٌ هَتكُها   وَمَسيرُها في اللَّيلِ وَهيَ ذُكاءُ

يقول الدكتور شوقي ضيف معلِّقًا على معنى هذا البيت:((فقد أحدث المتنبي ارتباكًا موسيقيًّا في الشطرين، ويظهر ذلك من الرجوع إلى النحو، فإن الشطر الأول يتكون هكذا: مبتدأ ـ حال ـ خبر، أما الشطر الثاني فيتكون هكذا: مبتدأ ـ ظرف ـ حال، وحذف الخبر للعلم به، أي أن مسيرها في الليل هتك لها. أرأيت كيف استطاع المتنبي بثقافته النحوية أن يحدث هذه الموسيقى الجديدة الغريبة؟ إن هذا هو بدع القرن الرابع، إذ يعمد الشعراء إلى التعقيد في شعرهم فنونًا من

---

(١٣٦) ديوان المتنبي: ١٦٦.

(١٣٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي:٣٣٦.

(١٣٨) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:٣٣.

(١٣٩) الصبح المنبي: ٣١١ ـ ٣١٢.

(١٤٠) ينظر: الغموض في شعر المتنبي هل كان المتنبي يتعمده، البرقوقي، ضمن كتاب أبو الطيب المتنبي حياته وشعره:٩٩.

(١٤١) ديوان المتنبي: ١١٤.

التعقيدات، وهي تعقيدات لا تلائم أذواقنا؛ ولكنها كانت تلائم أذواق الفنانين في تلك العصور))[١٤٢].

يرى ابن فورجة في تفسيره للبيت:((قلقها يعني حركتها في مشيتها. وهتكها: مصدر لهتك فلان الستر هتكًا. وهو مصدر فعل متعدٍّ. ولو أتى بمصدر لازم لكان اقرب إلى الفهم. كأنه لو قال: انتهاكها لكان أجود من حيث الصنعة، وأقرب إلى المفهوم. إلا أنه تبع الوزن. وقوله: ومسيرها مبتدأ معطوف على قلق، وخبره محذوف لعلم المخاطب. وكأنه يقول ومسيرها في الليل هتك لها أيضًا؛ إذ كانت ذُكاء. وذُكاء اسم للشمس، علم لا ينصرف. ومثل هذا كثير في أشعار القدماء والمحدثين إلا أن قوله: وهي مسك زيادة على كثير من الشعراء ممن تقدمه، إذ كان لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي استعملته))[١٤٣]. إن مسؤولية المتنبي في الأساليب النحوية الغامضة في هذا البيت تنحصر في استعماله للفظة(قلق) في غير محلها، فـ(القلق) بفتح اللام مصدر الفعل(قلق) بكسر اللام بمعنى اضطراب انزعج. غير أن المتنبي أراد(القلق) بسكون اللام بمعنى الحركة وهو مصدر (الفعل) و لفظة(قلق) بفتح اللام تكون (قلق الشيء قلقًا) أي بمعنى(حركة).

وهذا معنى غير مشهور عند أصحاب اللغة. ويكون الغموض نتيجة تلاعب المتنبي باستعمال لفظة(هتْك) في البيت بسكون التاء، فهي مصدر (هتكَ هتكًا الستر) بمعنى(خرقه). فأراد الشاعر بذلك الاظهار أو الفضح تجوزًا لأن هذا يعني كشف المساوئ.

ومن غوامض هذا البيت قام المتنبي بالفصل بين المبتدأ الذي هو(قلق) وبين خبره الذي هو(هتك)بجملة اعتراضية(وهي مسك) متكونة من(الواو الحالية) ومن المبتدأ والخبر(هي مسك).

نجد المتنبي قد استعمل عطف الجملة(مسيرها في الليل)على جملة(قلق المليحة هتكها)، واستعمل(الواو الحالية) في(وهي ذكاء) للتعليل بمعنى (لأنها)[١٤٤]. ومعنى((ذكاء: من أسماء الشمس، وهي لا تنصرف إلا في الضرورة، ويقال للصبح: ابن ذكاء))[١٤٥].

٢) الغموض في المعنى: وهو نوع من أنواع الغموض الذي استعمله المتنبي كثيرًا في شعره، ويكون من استعمال لفظ مشترك، ومن وقوع كناية بعيدة أو استعارة خفية أو ايجاز مخل، يقول الدكتور شوقي ضيف:((وحقًا إنه[المتنبي] عنى بشيء من الوسائل القديمة، وسائل

---

[١٤٢] الفن ومذاهبه في الشعر العربي:٣٤١.

[١٤٣] الفتح على أبي الفتح:٤٤.

[١٤٤] ينظر: الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي:١٥١ ـ ١٥٢.

[١٤٥] اللامع العزيزي: ٦.

الاستعارة والمشاكلة والجناس والطباق؛ ولكنها كانت تأتي عنده نادرة فإن استعملها أضاف إليها هذا التعقيد))[١٤٦]. أي الغموض.

ومن الأمثلة على تصرف المتنبي بالأساليب النحوية ومدى تأثيرها على المعنى، يقول[١٤٧]: [من الخفيف]

حَسَنٌ في عيونِ أعدائِهِ أَقْ بَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوامُ

يرى ابن معقل المهلبي أن هذا البيت: ((يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون وصفه بالحسن، وهو في عيون أعدائه اقبح من ضيفه في عيون سوامه؛ لأنه ينحرها له.

والآخر: إن أعداءه يرونه حسن الصورة، قبيح الفعل، فهم في هذا الوجه يرونه حسنا قبيحا، وفي الوجه الأول يرونه قبيحا لا غير.

وأقول: لم يعلّل رؤية أعدائه له قبيحا، وعلّل رؤية سوامه ضيفه قبيحا، وهي إنه يعقرها، فكان ينبغي أن يقول: وكذلك أعداؤه؛ لأنه يقتلها، فهي بمنزلة سوامه في (كثرة) اقتداره عليها،(وقلة) احتفاله بها))[١٤٨].

قال ابن جني في تفسير البيت:((هذا مما يُسأل عنه فيقال: كيف يكون حسنًا في عيون أعدائه وهل هذا هجاء؟ فالجواب أنه أراد أنه في الحقيقة حسن، إلا أنه مع هذا أقبح في عيون أعدائه من ضيفه إذا رأته السوام، وهو المال الراعي؛ لأنه ينحر الإبل للأضياف فهي تكرههم، وقوله في(عيون أعدائه) ظرف للقبح لا للحسن، وقدمه عليه كما تقول: زيد في الدار أحسن منك، على هذا استقر الكلام بيني وبينه وقت القراءة عليه))[١٤٩]. إن الغموض في هذا البيت كان المسؤول عنه المتنبي عندما استعمل لفظة (حسن) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو (الممدوح)، وقد اتبع ذلك مباشرةً بعبارة(في عيون أعدائه) بحيث خيل للوهلةِ الأُولى أن الممدوح حسن في عيون أعدائه وهو ما لا يراه الشاعر، وذلك مما زاد في الغموض أنه ربط (الجار والمجرور)(في عيون أعدائه) بـ(اقبح) التي تليهما بدلًا من ربطهما كالمعروف(حسن) التي وردت أمامهما وقد استعمل(أقبح) خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره(هو) يعود على(الممدوح)، وقد استغنى عن لفظة (الذي) بعد(ضيفه)، والمعنى: إن الممدوح(حسن)، وهذه حقيقة لا جدال فيها

---

[١٤٦] الفن ومذاهبه في الشعر العربي:٣٤٢.

[١٤٧] ديوان المتنبي:١٥٠.

[١٤٨] المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي:١٩١/٢.

[١٤٩] تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: ٢٦٣.

حتى عند الخصوم والأعداء .

نلحظ إن المتنبي قد انتقل إلى ذكر صفة الكرم للممدوح فهي حقيقة مُسلّم بها؛ ولكنها تجعله(أقبح) بنظر خصومه؛ لأنهم يتضايقون من قتله إيّاهم كما تضايق ماشيته من ضيقه؛ لكون الممدوح ينحرها ويقدمها طعامًا له[١٥٠].

هل كان المتنبي يتعمد الغموض؟ الجواب: المعروف على المتنبي كان المثل الأعلى من المعاني الدقاق في شاعريته وعبقرّيته وتوليده العجيب، وذلك التوليد سرّ من أسرار شاعريته. والغموض عنده الاحتفال والاحتشاد واستنباط القريحة لحوافز نفسية وانفعالات طارئة وظروف واعتبارات عارضة[١٥١].

ما سر الابهام في كثير من أبياته الشعرية؟ يقول الأستاذ نقولا الحداد:((لذلك لا تفهم شعر المتنبي بلا شرح. ومتى فهمته من الشرح رأيت أن صيغة الشرح لبعض الابيات تختلف عن صيغة النظم[...] وفي كثير من الأبيات المبهمة لا تدرك المقصود حتى بعد تفسير الألفاظ، وحتى حيث أردف الشارح تفسيرها بشرح المراد من البيت يبقى المعنى غامضًا أو غير ذي شأن. ولذلك ترى أن الشارح لم يحصل المعنى إلا بالاعتماد على مختلف القرائن، ولهذا اختلف الشُّراح في تفسير كثير من الابيات لشدة ابهامها وغموضها، وربما فسروا بيتًا بمعنى لم يرده المتنبي وبقى ماردّه الذي جال في ذهنه دفينًا معه))[١٥٢].

ومثال على ذلك قوله[١٥٣]: [من الكامل]

جلَلاً كما بي فليَكُ التّبريحُ   أغِذاء ذا الرَّشأِ الأغنّ الشّيحُ

يقول نقولا الحداد في شرح البيت:((إن الشطر الأول من البيت واضح وهو فليكن التبريح في الهوى جللا كما هو بي، وتقديم المتأخر فيه من أنواع البلاغة. ولكن الشطر الثاني يقتضي تأويله وتقديره اعنات فكر؛ لأن الصلة اللفظية بينه وبين الصدر مفقودة بتاتًا إذا صح تفسيره هكذا: أتظنون أن غذاء هذا الرشأ كعادة مثله من غزلان الصحراء؟ لا. بل إن غذاءه من قلب عاشقه، ولهذا ينحله ويمرضه ، فهو الذي يورثه هذا التبريح ، فانظر كم اقتضت الصلة بين الصدر والعجز من الكلام الذي استقام به المعنى وليس في البيت منه شيء))[١٥٤].

---

(١٥٠) ينظر: الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي: ١٥٣.

(١٥١) ينظر: أبو الطيب المتنبي حياته وشعره:١٠٢.

(١٥٢) ينظر: المصدر نفسه:١٠٢.

(١٥٣) ديوان المتنبي: ٥٩، وينظر: أمالي ابن الحاجب: ٦٢٠، وتخليص الشواهد: ٢٦٨. كأن النصل والفوقين منه خلال الرأس سيط به مشيح

(١٥٤) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره:١٠٤.

وقد تحدث الكثير من العلماء في هذا البيت، إذ أوجدوا فيه عيوب، وهي على النحو الآتي[155]:

1) حذف النون من يكن لأنها قوية بالحركة اللازمة لالتقاء الساكنين.
2) عيب آخر أنه حذفها مع الإدغام وهذا غير معروف، لأنه قيل في بني الحارث بلحارث؛ ولم يقل في بني النجار بلنجار، وها هو قد قال: فليك التبريح فحذف مع الإدغام، ولم يكن علمه بالعربية طائلاً؟.
3) تباعد نصفه من نصفه حتى لا جوار بينهما فضلاً عن المناسبة ولا تعلق لهما بشيء غير المقارنة.

أما أسباب الغموض في المعنفقد ألتفت القدماء إلى هذه الأسباب بأنها تكمن في ثلاثة أشياء، وهي[156]:

1) التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبههما.
2) سلوك الطريق الأبعد.
3) الإيقاع المشترك.

وفي المتنبي قال الدكتور شوقي ضيف: ((وكان المتنبي يجدد في هذه الوسائل؛ ولكنه لم يعتمد في ذلك على الأساليب الفنية نفسها، بل راح يقترض من بيئته المتشيعة والمتصوفة والمتفلسفة أفكارًا وألفاظًا لا عهد للشعر ولا للفن بها، وليست مما تلائم طبيعته، بل لقد بالغ فذهب إلى بيئة اللُّغويين والنحويين يستمد منها صورًا من الألفاظ ليحدث بها شيئًا من الخلل والارتباك في موسيقاه. وهذه كل وسائله الجديدة، وهي وسائل قد تفصح عن ثقافة))[157].

نقول كما قال الدكتور شوقي ضيف:((والحق أننا لا نصل إلى المتنبي حتى نحس بتصنع شديد في الشعر يتناول تعبيراته، كما يتناول توقيعاته ، فما يزال الشاعر يعدل إلى انحرافات موسيقية أو ثقافية))[158].

إذن إن الغموض: يعد من محاسن الكلام فليس يعاب بها الشاعر، وهو الذي يساعد على بناء الشعر العربي ومقوماته.

---

(155) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه:441 ـ 442،والمنصف للسارق والمسروق منه: 781، و أمالي ابن الحاجب: 2/621.

(156) ينظر: الغموض في شعر المتنبي هل كان المتنبي يتعمده؟، البرقوقي، ضمن كتاب أبو الطيب المتنبي حياته وشعره:100.

(157) الفن ومذاهبه في الشعر العربي:341 ـ 342.

(158) المصدر نفسه:341.

الخاتمة:

بعد الرحلة العلمية مع شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس بشعره، وفي الآتي خلاصة لأهم النتائج والملاحيظ العلمية المستوحاة من البحث:

١) كشفت الدراسة ان المتنبي كوَّن ناصيته اللغوية والنحوية والبلاغية منذ بداية حياته في بادية السماوة وقراءته الكتب اللغوية و الدينية و الفلسفية، واحتكاكه بالقبائل التي كانت تقطن في تلك البادية، إذ جاءت نصوصه الشعرية لتدلّ على قوة الدرس اللغوي لديه وانه استكمل أكثر جوانبه.

٢) استعمل المتنبي ألفاظًا غريبة ووحشية ذات عمق دلالي واضح، وهذا مما أدى إلى غموض المعنى.

٣) إنَّ المتنبي كان على دراية كاملة بالأصول اللغوية(السماع والقياس) وغيرهما ؛ فهي القاعدة الرئيسة التي بنى عليها نصوصه الشعرية.

٤) إنَّ المتنبي قد اخترع معاني بديعة لم يسبقهُ إليها أحد من قبل، وفي ألفاظه تعقيد وتعويص، مما دفع الكثير من الدارسين تفحص معاني أبياته الشعرية.

٥) امتلك المتنبي عقلًا متفلسفًا في صياغة العبارات وترويضها لتحقيق غايات معينة لا يعرفها إلا هو، وهذا وضع العلماء في حيرة من أمرهم في شرح معاني أبياته الشعرية وتفسيرها.

٦) لم يستعمل المتنبي الأساليب النحوية المشهورة والمألوفة، بل خرج عنها وخرقها، وقد شكل هذا ظاهرة بارزة في شعره؛ فهو يلتقي مع الفرزدق الذي كان كثيرًا ما يخرج عن القياس النحوي. وساعدته لمعرفته العميقة بأسرار العربية بألفاظها وصرفها ونحوها ودلالاتها على تحقيق اغراضه المنشودة.

٧) اتصف المتنبي بصفة الإعجاز في شعره، الذي بناه بأساليب لغوية ونحوية وبلاغية وفلسفية خارجة عن المألوف والمشهور؛ وهذا مما دفع العلماء إلى النظر في شعره بمنظارين أحدهما شكلي والآخر مضموني.

٨) وجد البحث أن هناك تناغمًا بين المنجز الإبداعي والتفكير اللغوي الذي يظهره شخص المتنبي في شعره.

٩) إنَّ بُنية التركيب النحوي تتصل اتصالًا وثيقًا بما يدور في النفس من صورٍ وانفعالاتٍ يفصح عنها الشاعر بما يختاره من مفرداتٍ لغويةٍ يتعامل معها بوصفها الساقي فهي تقع ضمن تراكيب فاعلة.

١٠) إنَّ الشاعر كان يهدف إلى كسر القالب النحوي المألوف من أجل اخراج النص نحو وظائف متنوعة من أجل غايات حجاجية كان الشاعر يبتغيها.

١١) إنَّ المتنبي كثيرًا ما يستعمل القضايا اللغوية عكس المألوف والمشهور لغايةٍ معينة ولا سيما في دلالة الألفاظ؛ فعلى سبيل المثال: يشبه طول النهار بليل العاشقين، ولكن المشهور والمعروف عن العرب هو التشبيه يكون بطول الليل وليس للنهار. وهناك تشبيهات كثيرة في شعره غير مألوفة لدى العرب.

١٢) نهج المتنبي المذهب الكوفي والمعتزلة في توظيفه لأغلب الأساليب النحوية في شعره ولا سيما أسلوب النفي.

١٣) إنَّ الشاعر كان يميل كثيرًا إلى استعمال الأساليب الطلبية ولا سيما (الاستفهام والنداء) بصوره المختلفة في تكوين خطاباته الشعرية.

١٤) كشفت الدراسة عن وجود معضلة كبيرة عند شُراح شعرِهِ ودارسوه قديمًا وحديثًا في تخريج الاستعمالات النحوية وتأويلها كأن أراد أن يقول لهم علينا أن نقول وعليكم أن تتأوّلوا. وجدنا أن استعمالاته للأساليب النحوية ذات سند واضح في كلام العرب المنظوم والمنثور، وهذا يدلل على أنه لم يستأثر بها.

المصادر:

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى، أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي (ت٤٣٣هـ)، تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، القاهرة،١٩٦١م.
- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين، الدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت ٤٢٩هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة،(ب . ت).
- أبو العلاء وما إليه ويليه رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ)، عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب . ت).
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية تأليف ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، تقديم: عمر الدسوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.
- الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي، الدكتور نوري جعفر، مطبعة الزهراء ، بغداد،١٩٧٦.
- الافق الجغرافي في ثقافة المتنبي، الدكتور جليل العطية،(مقال) في جريدة الشرق الاوسط عدد: ٥٤١١، لسنة ١٩٩٣م.
- أمالي ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار و دار الجيل، بيروت، (ب. ت).
- أمالي ابن الشجري، أبو السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي ،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت،ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (ب . ت).

- ❖ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٧م.
- ❖ تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٠ ـ ١٩٩٥م.
- ❖ تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.
- ❖ تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)،تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- ❖ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ)، دار الثقافة، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.
- ❖ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، جمال الدين ابن هشام، تحقيق: عباس مصطفى الصالحي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- ❖ التركيب اللغوي لشعر المتنبي، الدكتور ظاهر محسن كاظم، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
- ❖ تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، أبو المرشد سليمان بن علي المعري (ت بعد ٤٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور مجاهد محمد محمود الصواف ، الدكتور محسن غياض عجيل ، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- ❖ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،(ت ٣٧٠هـ)،تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط١ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.
- ❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)،ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (ب. ت).
- ❖ الخروج عن المشهور النحوي في شعر المتنبي وتوجيهه من كلام العرب، الدكتور جمهور كريم الخماس، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
- ❖ خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي ابن عبد الله الحموي الأزراري (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال و دار البحار، بيروت،٢٠٠٤م.
- ❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.
- ❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (ب. ت).
- ❖ دور النحو في تفسير النص الشعري، مصطفى عراقي حسن، إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبداللطيف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- ❖ ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: الدكتور عبدالوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، (ب . ت).
- ❖ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (ت٦١٠هـ) المسمى التبيان في شرح الديوان، ضبط نصه وصححه: الدكتور كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- ❖ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. م. محمد حسين، المطبعة النموذجية، (ب. ت).
- ❖ ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي السقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الثقافة والفنون، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ❖ ديوان المتنبي (العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب)، شرح الشيخ ناصيف اليازجي، تقديم: الدكتور: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت،٢٠٠٩م.
- ❖ ديوان النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر، ٢٠١٤م.
- ❖ ذيل تاريخ مدينة السلام، أبو عبد الله، محمد بن أبي المعالي (ت ٦٣٧هـ) ، المعروف بابن الدُّبَيْثي، تعليق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م.
- ❖ الرائد في الأدب العربي بين ١٣٢ـ١٣٢٥هـ، الدكتور نعيم الحمصي، المطبعة الهاشمية، دمشق ـ سوريه، ١٩٨٥م.

❖ رسـالة فـي الطريـق إلـى ثقافتنـا، أبـو فهـر محمـود محمـد شـاكر، مطبعـة المـدني بمصـر و دار المـدني بجـدة، القـاهرة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
❖ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
❖ شرح ديوان أبـي الطيب المتنبـي المنسـوب لأبـي العـلاء المعـري (٣٦٣ ـ ٤٤٩هـ)، معجـز أحمـد، تحقيـق: الـدكتور عبدالمجيـد دياب، قدَّم هذه الطبعة: دكتور منير سلطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢م.
❖ شَرْح شِعْر المُتَنبـي ، أبـو القاسم إبـراهيم بـن محمـد بـن زكريـا الزهري، المعروف بـابن الإفْلِيلـي (ت٤٤١هـ)، دراسـة وتحقيـق: الدكتور مُصْطفى عليَّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.
❖ شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية (لأربعة آلاف شاهد شعري)، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.
❖ شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.
❖ شرح الواحدي لديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، ضبطه وشرحه وعلق عليه: الدكتور ياسين الأيوبي والدكتور قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، ط١،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
❖ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، للشيخ يوسف البديعي(ت١٠٧٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا و عبده زيادة عبده، دار المعارف، بمصر، ط٣، (ب. ت).
❖ الظـواهر النحويـة والصـرفية فـي شـعر المتنبـي، عبـد الجليـل يوسـف بـدا، المكتبـة العصـرية، صـيدا ــ بيـروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
❖ الغموض في شعر المتنبي، البرقوقي، ضمن كتاب أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مكتبة النهضة، بغداد،ط٢، ١٩٨٨م.
❖ الفتح على أبي الفتح، محمد بن أحمد بن فورجة(ت٤٠٠هـ)، تحقيق: عبدالكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.
❖ الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي(ت٣٩٢هـ)، حققه وقدم له: الدكتور رضا رجب، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
❖ الفـن ومذاهبـه فـي الشـعر العربـي، أحمـد شـوقي عبـد السـلام ضـيف الشـهير بشـوقي ضـيف (ت ١٤٢٦هـ)، دار المعـارف بمصر،ط١٢، (ب. ت).
❖ الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م.
❖ لسان الميزان، أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني، ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
❖ اللامـع العزيـزي شـرح ديـوان المتنبـي، أبـو العـلاء أحمـد بـن عبـد الله المعري (ت ٤٤٩هـ)، تحقيـق: محـمد سـعيد المولـوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.
❖ المأخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو العباس أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي(ت ٦٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
❖ ما لم ينشر من الأمالي الشجرية، أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي ابن الشجري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
❖ المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، الدكتور حسن الأمراني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩١م.
❖ المتنبي والمشكلة اللغوية، الدكتور صاحب أبو جناح، بحث منشور في مجلة المورد،ع٣، مج٦، خريف ١٩٧٧م.
❖ المتنبي والنحو، الدكتور حسن منديل العكيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
❖ المدارس النحوية، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ٢٠١٩م.

❖ المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: الدكتور محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق و دار المدني، جدة، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٤٠٥هـ.
❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت،(ب . ت).
❖ مع المتنبي، الدكتور طه حسين، دار المعارف، بمصر،(ب. ت).
❖ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، العباسي(ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، (ب . ت).
❖ معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
❖ معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.
❖ المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.
❖ المنصف للسارق والمسروق منه، أبو محمد الحسن بن علي الضبي التنيسي، المعروف بابن وكيع (ت٣٩٣هـ)، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
❖ مِنْهاج البلغاء وسِراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.
❖ النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥، (ب .ت).
❖ النحو والشعر قراءة في دلائل الإعجاز، مصطفى ناصف، بحث منشور في مجلة فصول النقد الأدبي، مج١/ج٢/ ع٣، أبريل ١٩٨١م: ص٣٦.
❖ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
❖ النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام، ابن المستوفي، تحقيق: الدكتور خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩م ـ ٢٠٠٥م.
❖ الواضح في مشكلات شعر المتنبي، أبو القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق: محمد الطاهر ابن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
❖ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
❖ الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني(ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ب. ت).
❖ وفيات الأعيان، قاضي القضاة أبو العباس شمس الدين بن خَلِّكَان هو أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان(ت٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧م.
❖ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلبة المرحلة الأولى في قسم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الباحثة جوان حمد محمد

كلية التربية واللغات/ جامعة جرمو

الملخص:

تهدف الدراسة إلى كشف جانب من الأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلبة المرحلة الأولى في قسم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة جرمو في كتابة أنواع الهمزة ومواضعها، والألفات، والتاءات، والضاد والظاء، والحروف مع الإشارة إلى الأسباب، ثم كيفية علاج هذه الأخطاء .

المقدمة:

فرسم الكلمة أو الإملاء له أصوله وقواعده، وقد صنّف فيه علماؤنا والمحدثون، وتلك الأخطاء شائعة في رسم الكلمة إملائياً، إذ جاء رسم الكلمة خلافاً لتلك القواعد والأصول المعروفة في عرف العربية مما شوّه الصورة المرسومة فاقتضى التنوية والتنبيه. وقد حاولنا رصد جانب من هذه الأخطاء الإملائية التي شاعت لدى طلبتنا في قسم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة جرمو بعد اختبارات عدّة، للوقوف على الشائع من هذه الأخطاء.

وقد حصرنا الدراسة في معرفة وبيان الأخطاء الحاصلة في كتابة الهمزة و مواضعها، والتاءات والحروف ورسمها. وقبل بيان تلك الأخطاء الشائعة في إملاء طلبتنا، أشرنا إلى التعريف بمصطلح الإملاء، فجاءت الدراسة في تمهيد موجز، ومباحث موزعة على تلك الحروف.

وقد اعتمدنا على مصادر شتى في هذا الصدد على شاكلة (الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية: فهد خليل زايد. وأساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية: راشد محمد شعلان. قواعد الإملاء وعلامات الترقيم: عبدالسلام هارون. والإملاء: حسين والي).

تمهيد

المطلب الأول: مفهوم الإملاء

هو رسم الكلمات العربية عن طريق التصوير الخطي للأصوات المنطوقة برموز تتيح للقارئ أن يعيد نطقها تبعاً لصورتها الأولى، على وفق قواعد مرعية وصفها علماء اللغة[1].

---

[1] دراسات في اللغة العربية: عبدالقادر أبو شريفة ورفاقه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ط٢، ١٨.

ويمكن القول إن الإملاء هو قدرة الفرد على المطابقة بين الصور الصوتية أو المرئية أو المخزونة في الذهن للوحدات اللغوية المستهدفة مع صورتها الخطية آخذاً بالاعتبار الاستثناءات المتعلقة بذلك[٢].

أ- **لغةً: الإملاء:** مصدر الفعل: أَمْلَى يُمْلِي إملاء، مثل: أَملى المعلم على طلابه مادة الدرس، بمعنى: تَلاَ مادة الدرس عليهم ليكتبوها في كراساتهم، **ومنه قول الله تعالى:[وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا]**

{سورة الفرقان: الآية ٥}[٣]. وقيل: الإملال على كاتب واحد، وأمليت الكتاب أملي وأمللته أمله لغتان جيدتان جاء بها القرآن. و(أمالي) جمع (إملاء) ومنها (أمالي الزجاجي والقالي، والسهيلي، والأمالي النحوية والشجرية)[٤].

ب- **اصطلاحاً: الإملاء:** هو عملية التدريب على الكتابة الصحيحة لتصبح عادة يعتادها المتعلم، ويتمكن بواسطتها من نقل آرائه ومشاعره وحاجته وما يطلب إليه نقله إلى الآخرين بطريقة صحيحة[٥]. وكذلك وسيلة لمعرفة أخطاء الطلاب وتعويدهم على اكتشافها لإبدال الصواب بها، وتجنب موضع الخطأ[٦].

ت- **خطأ الإملائي:** يقصد به الأخطاء التي تكون في كتابة الكلمة بشكل غير صحيح أو مضبوط كزيادة حرف أو حذفه، أو إبداله، أو وضعه في غير موضعه من الكلمة[٧].

وكذلك تلك الأخطاء الناتجة عن عدم قدرة التلاميذ على كتابة كلمات القطعة المعدة لاختبارهم على وفق الإجراءات الموصوفة كتابة صحيحة ورسمها بالشكل الصحيح الذي يتطابق مع رسمها في القطعة الإملائية المعدة للاختبار سواء أكان الخطأ في شكل الكلمة

---

[٢] الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية: فهد خليل زايد، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٦م،١٩٥.

[٣] ينظر: الكافي في قواعد الإملاء والكتابة، أيمن أمين عبدالغني: راجعه: كمال بشر، ومحمود كامل الناقة، الدار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٢ م، ١٧.

[٤] الأخطاء الإملائية الشائعة، هيثم صالح إبراهيم الدليمي، دار دجلة للتوزيع والنشر، ٢٠١٥م، ط١، الأردن- عمان، ٣٠.

[٥] تدريس اللغة العربية، مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية: وليد أحمد جابر، دار الفكر، عمان١٤٢٣هـ- ٢٠٠٠م، ط١، ٢٠٦.

[٦] أصول تدريس اللغة العربية، عبد الرحمن حميد (ثامر)، دراسة عملية مبسطة، بغداد ١٩٧٦م، دار الحرية، ٦٥.

[٧] دراسات اللغوية (الجاحظ عالم اللغة التطبيقي): جاسم علي جاسم، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد٢، ٢٠١٢م، ٥٦.

ككل أم في أي جزء منها [٨].

ث- **الخطأ الإملائي الشائع:** هو الخطأ المتكرر وبصفة كبيرة لدى التلاميذ، وهذا الخطأ يكون كتابياً، وهو مانراه في تمارين التعبير، أو شفوياً كما هو الحال فيما يتعلق لنشأة القراءة، أو هو الخطأ الذي يقع فيه أكثر التلاميذ في ضوء إجماع عدد من الباحثين ممن قاموا بإجراء دراسات وبحوث مماثلة حول القضايا الإملائية لدى التلاميذ[٩].

أو هي الكلمات التي يكتبها طلبة بصورة مخالفة للرسم الصحيح في اللغة العربية عند إملائها عليهم، وذلك بزيادة حرف، أو نقص حرف، أو استبدال حرف[١٠].

الأخطاء الشائعة في رسم حروف العربية، منها:

أولاً: أخطاء في كتابة الهمزة:

إن لغة العربية قواعد خاصة تميزها عن غيرها من اللغات بكتابة ألفاظها وحروفها، وأبرزها قواعد كتابة الهمزة في مواقعها المختلفة من الكلمة، فإذا ما راعي متعلم اللغة العربية هذه القواعد كانت كتابته صحيحة وسليمة ويسيرة للقراءة من طرف المتلقي[١١].

١- **كتابة الهمزة الأولية:**

تكتب الهمزة في أول الكلمة بصورة الألف، وترسم فوقها قطعة، إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، نحو: أخذت أُحصي الأولادَ

أ- في الأسماء: فإن كانت همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام هي همزة أل أبدلت ألفاً لينة يستغنى عنها بالمدّة منعاً لالتباس المعنى وذلك نحو: الأستاذ جاءَ.

ب- في الأفعال: وإذا كانت الهمزة للاستفهام ووقعت بعدها همزة الوصل حذفت الثانية اكتفاء بالأولى، لأن الأولى - همزة القطع - أقوى منها نحو: قوله تعالى:**[أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ]** {سورة ص: الآية٦٣}.

ت- في الحروف: وترسم تحتها القطعة إذا كانت مكسورة كما في إنْ، وأن، وإذا[١٢].

---

(٨) الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية:٧٢.

(٩) ينظر: الدليمي،الأخطاء الإملائية الشائعة، ٣٢.

(١٠) مصدر نفسه:٣٣.

(١١) ينظر اللغة العربية بين النظرية والتطبيق: يوسف ذياب المجالي، ريم الفرحان المعايطة، قنديل للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن، ٢٠٠٩م، ط١،٢٠٦.

(١٢) نحو اللغة العربية: محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٩٥.

٢- **همزة الوصل:**

هي التي تثبت في ابتداء الكلام وتسقط في درجه[١٣]. وهي الهمزة التي لا تظهر في الخط وتسقط في النطق عند اتصال الكلام، إنما يرمز إليها بألف مجردة، وقد يوضع على الألف صاد صغيرة أو تكتب عليها حركتها فقط: (آ، اِ، اُ) بمعنى أن همزة الوصل زائدة في الكلام وغير ظاهرة [١٤]. تزاد في أول الكلمة ليتوصل بها إلى النطق بالساكن، وهي تثبت في بدء الكلام، وتسقط في درجه، وتكون في الماضي الخماسي والسداسي، وأمرهما، ومصدرهما، وأمر الثلاثي[١٥].

إن الكلمة إما اسم، أو فعل أو حرف. وهي تتصل بما قبلها من ضمٍ وكسرٍ وفتحٍ، فتقول فيما كان متصلاً" بضم"(حيثُ ابنُ زيد)، و"بالفتح " (ليتَ ابنَ زيدٍ)، و"الكسر" (ابنِ زيدٍ)، فإذا سكن ما قبلها قلت:(هذا ابنُ زيدٍ)[١٦].

***حركة همزة الوصل:**

همزة الوصل في الأفعال مكسورة أبداً إلا أن تكون بعد الحرف الساكن ضمة أصلية فإنها تضم حينئذٍ، نحو: أُنْصُر، وأُكتُب. وبقيد الاصلية يدخل نحو: أُغزي ويخرج، وفي أيْمُن وال التعريف يجب فتح الهمزة وفي سائر الأسماء تكون مكسورة[١٧].

*** مواضع همزة الوصل:**

١- **في الأسماء:** أما الاسم فلا تكون همزته همزة وصل إلا في نوعين:

أحدهما: الاسماء غير مصادر(سماعية): هي:(اسم، است، اثنان، اثنتان، ابن، ابنة، ابنم، امرؤ، امرأة، ايمن، ابنان، ابنمان، امرأتان، امرآن) كما في قوله تعالى:**[فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ]** {سورة البقرة: الآية ٢٨٢}. بخلاف الجمع فإن همزته همزة قطع، قال الله تعالى:**[إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ]** {سورة النجم: الآية ٢٣}. وسمعت في الحروف مع (ال) فقط، فأي كلمة

---

[١٣] ينظر: الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ط١، ٢٦.

[١٤] ينظر اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين: محمد رضوان الدابة، محمد جهاد جمل، دار الكتاب الجامعي العين، الإمارات المتحدة، ط١، (د.ت)، ٣٩٠.

[١٥] النحو الواضح: علي الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)،(د.ت)، ٣١١/٢.

[١٦] ينظر: الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخرالدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط٢٢٦،١.

[١٧] أصول الصرف: علي أكبر شهابي، تهران، مطبعة الجامعة ،١٣٣٥هـ، ط٢،١٠-١١.

مبدوءة بـ (ال) فهمزتها وصل[١٨].

النوع الثاني: اسماء هي مصادر(قياسية): وتكون فيما يلي:

أ-مصدر الخماسي: انطلاق، انفتاح.

ب- مصدر السداسي: استخراج، استغفار[١٩].

٢ - في الأفعال:

أ-ماضي الخماسي وأمره ومصدره: اِنطلَقَ، اِنطَلَقَ، اِنطلاق.

ب- ماضي السداسي أمره و مصدره: نحو: استقام، استقِمْ، استقامةَ.

ت- في أمر الثلاثي المبدوء بهمزة: (اعلمْ، انظر)[٢٠].

٣ - في الحروف:

أما الحرف فلم تدخل عليه همزة وصل إلا على (ال)، نحو (الغُلام)[٢١].

ولا توضع الهمزات على هذه الألفات ولا تحتها، فرقا بينها وبين همزة القطع الواجبة الإثبات[٢٢].

من أخطاء كتابة همزة الوصل:

الخطأ: (إختبار، إشتراك، إستخرج) بالهمزة.

الصواب: (اختبار، - اشتراك، _ استخرج) بلا همزة[٢٣].

الخطأ: إجمع صوراً عن المسجد الأقصى المبارك.

الصواب: اجمع صوراً عن المسجد الأقصى المبارك.

---

[١٨] مهارات الكتابة العربية، قواعد وتدريبات ونصوص: عصام محمود، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ٤٢.

[١٩] أصول الإملاء: عبداللطيف محمد الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٤م، ط١، ١٩٨٣/ ط٢، ١٩٨٦/ ط٣، ٢٤.

[٢٠] ينظر: الإملاء الواضح: عبدالمجيد النعيمي، ودحام الكيسال، ١٣٨٧هـ- ١٩٧٧م، مكتبة دار المتنبي، بغداد، ط٣، ٢٥.

[٢١] قطر الندى بل الصدى: ابي محمد عبدالله جمال الدين بن هيشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ط٤، ٣١٣./أصول الإملاء: ٤٢.

[٢٢] الصرف: حاتم صالح الضامن، مكتبة لسان العرب، ٣٥٥.

[٢٣] أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، راشد محمد الشعلان، تقديم: خيرية بنت إبراهيم السقاف، سلامة بن عبدالله الهمش، مراجعة: عبدالله علي بن الشلال، مكتبة لسان العرب، الرياض، ط١٤٢٨/١هـ- ط٢/ ١٤٢٩هـ، ٧٣.

فعل أمر "اجمع" همزته همزة وصل؛ لذا لايصح أن نضع همزة قطع تحت همزة الوصل بها الذي يحدد أن نضع حرف الفاء أو الواو قبلها فيتم النطق السليم فنقول: واجمع فهي إذن وصل وليست قطعاً[٢٤].

الخطأ: إبن خلدون عالم اجتماع عربي.

والصواب: ابن خلدون عالم اجتماع عربي.

كلمة " ابن " من الأسماء التي همزتها همزة وصل؛ لذا لا يصح أن نضع تحتها همزة قطع كما نرى ونسمع ممن يكتبون أو ينطقون بلغة الضاد[٢٥].

الخطأ:(عمر إبن الخطاب) حيث وردت الألف في كلمة (ابن) بين علمين، والصواب: أن تكتب بدون همزة هكذا (عمر بن الخطاب)[٢٦].

٣- **همزة القطع:**

هي الهمزة التي تثبت في الابتداء والوصل، وسميت همزة قطع؛ لأنها ينقطع اللفظ بما قبلها عما بعدها[٢٧].

وهي الهمزة التي تكتب وتلفظ إن وقعت في أول الكلام، أو درجه، نحو:(أسرع يازيد، ويا زيد أسرع)، وتسمى أيضاً: ألف القطع، وهمزة الفصل، والألف القطعية، والألف[٢٨].

لايصح وضع همزة القطع تحت فعل الأمر الثلاثي "اقرأ"، ولا توضع همزة القطع فوق الحرف أو تحته وإنما همزة الوصل هكذا بغير همزة قطع كما هو معروف، قال تعالى: **[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]**{سورة العلق: الآية ١}. حركة همزة القطع، همزة القطع مفتوحة في الماضي المعلوم، والأمر من الرباعي نحو:(أكرَمَ – أكرِم) ومضمومة في المضارع منه مطلقاً نحو: (أُشاهِد– أُشاهَد)، ومكسورة في المصدر منه نحو: (إكرام)، ومفتوحة في المضارع المسند إلى الواحد المتكلم غير الرباعي نحو: (أنْصُر– أجْلِس) وكذلك مفتوحة في الجموع وفي أفعل التفضيل وأفعل الصفة نحو: (أعلام، أصفياء) وأما في سائر الأسماء فلا ضابط لها،

---

[٢٤] الأخطاء اللغوية الشائعة: أمين طه عبد الغفور، اشراف: زياد ياسين المدهون، تحرير: كمال أحمد غنيم، الفلسطين١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م،٧١.

[٢٥] مصدر نفسه: ٨٦.

[٢٦] ينظر : تيسير قواعد الإملاء: سعيد كريم الفقى، دار اليقين، مصر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ط٢، ٨٢.

[٢٧] أصول الإملاء: ٤٢.

[٢٨] المعجم المفصل في علم الصرف، راجي أسمر، راجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م،٤٢٢.

وتكون مكسورة ومضمومة ومفتوحة حسب ما تقتضيه اللغة وقواعدها نحو:(أُضحوكة، أشربة، إصبَع)[٢٩].

***مواضع همزة القطع:**

١ – في الأسماء:

أ- جميع الأسماء همزتها همزة قطع ما عدا الأسماء التي تقدم ذكرها في همزة الوصل. الأمثلة:

ب- الاسم المفرد والمثنى: (أب – أبوان)، (أخ، أخوات، إخوان، أخَوان)، (أحمد، إسماعيل).

ت- الضمائر أنا، أنت، أنتما، أنتم (ضمائر النصب: إياك، إياكما، إياكم، إياكن، إياه، إياهما، إياهم).

ث- إذا الشرطية: أي، إذا الظرفية (إذا حضر سعيد فأكرمه)[٣٠].

ج- الجمع: (أخوة، أخوات، أفعال).

٢ – في الأفعال:

أ-ماضي الثلاثي مهموز (أبى، أكل، أسر، أوى).

ب- ماضي الرباعي: (أسرف، أكمل، أقبل)

ت- لام القسم الداخلة على الفعل (والله لأقولن الحق)[٣١].

ث- مصادر الأفعال الثلاثية:(ألم، أرق، أمل).

ج-مصادر الأفعال الرباعية:(إنشاء، إكرام، إهانة)

ح-المضارع المبدوء بهمزة المضارعة سواء أكان ثلاثياً أم رباعياً أم خماسياً أم سداسياً: (أكتب، أسافر، أجتمع، أستغفر)[٣٢].

٣ – في الحروف:

جميع الألفات التي في أوائل الأدوات هي الألفات قطع مثل: إذن، إن، أَن، أَم، أنّ، أما،

---

[٢٩] أصول الصرف: ١١-١٢.

[٣٠] الأسس الفنية للكتابة والتعبير: فخري خليل النجار، ٢٠١١م- ١٤٣١هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٩٦-٩٧.

[٣١] أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، راشد محمد الشعلان، تقديم: خيرية بنت إبراهيم السقاف، سلامة بن عبدالله الهمش، مراجعة: عبدالله علي بن الشلال، مكتبة لسان العرب، الرياض، ط١/١٤٢٨هـ- ط٢/ ١٤٢٩هـ، ٧٣.

[٣٢] تطور الأساليب الكتابية في العربية: عيد حمد الخريشة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ط١، ١٨٢.

أمّا، أو، إلا، ألاّ، إيَّ، أَيّ، إذْ، إنمـا، إذا[٣٣]. كـل الحـروف همزتهـا همـزة قطـع مـا عـدا " ال" التعريف فهمزتها همزة وصل، ومن الحروف التي تكون همزتها همزة قطع مثل: همزة الاستفهام، همزة النداء، همزة التسوية، إذ التعليلية، إن، أن، إلا، أم، إلى، أو[٣٤].

أخطـاء فـي كتابـة همـزة القطـع:

الخطأ: يكتبها التلميذ بالشكل الآتي: (اعراب، اسماء، احمد، ازالة).

الصواب:(إعراب، أسماء،أحمد، إزالة)[٣٥].

٤ –الـهمزة المتوسطة:

لكتابة الهمزة المتوسطة تنظر إلى حركتها وحركة الحرف الذي قبلها، ثم نكتبها على الحرف الذي يناسب الحركة الأقوى[٣٦].

فتكون متحركـة بجميـع الحركـات، ومتحركـاً مـا قبلهـا، وسـاكناً مـا قبلهـا. وقـال السـيوطـي: ((... وقد ذكر في المتوسطة أنها تُصور بالحرف الذي يؤول إليه في التخفيف إبدالاً وتسهيلاً؛ لأنها قد تخفف بإبدالها ألفاً، وبالواو؛ لأنها قد تخفف بتسهيلها بينها وبين الحرف الذي من حركتها)). وترسم الهمزة المتوسطة على ألف، أو على واو، أو على ياء، أو على سطر مثال: (سأل، بِئر، لُؤم، ساءَل)[٣٧].

***الـهمزة في وسط الكلمة، ولـها أحوال:**

أ– كتابتـها علـى الواو:

– ذا سكنت بعد ضم ؛ مثل: مُؤمن.

– إذا فتحت بعد ضم ؛ مثل: مُؤذَّن.

– إذا ضمت بعد ضم؛ مثل: فُؤوس.

– إذا ضمت بعد سكون؛ مثل: التفاؤل[٣٨].

---

[٣٣] : أصول الإملاء: ٤٢–٤٣.

[٣٤] ينظر: تطور الأساليب الكتابية في العربية : عيد حمد الخريشة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان–الأردن،١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، ط١، ١٨٣)

[٣٥] أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية: ٧٣.

[٣٦] قواعد الإملاء، في عشرة دروس سهلة: فهمي نجار(فهمي قطب الدين النجار)، مكتبة الكوثر، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، الرياض، ط١٢،٤.

[٣٧] ينظر: أصول الإملاء: عبداللطيف محمد الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٩٨٣/ ط٢، ١٩٨٦/ ط٣، ١٩٩٤م، ٤٦.

[٣٨] ينظر: مشكلة الهمزة العربية: رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ط٩٩،١–١٠٠.

ب- كتابتـها علـى الألـف:

- ترسـم الهمـزة المتوسـطة علــى الألـف إذا كانــت مفتوحــة ومــا قبلهــا ســاكن مثــل: (مَسأَلة، مَرْأَب).
- ترسم الهمـزة المتوسـطة علـى الألـف إذا كانـت سـاكنة ومـا قبلهـا مفتـوح مثل:(فـأس، كأس)[39].

ت- كتابتها على الياء:

- إذا كانت مكسورة ،والحرف الذي قبلها مضموم! مثل: سُئِل، رُئِس.
- إذا كانت مكسورة، وقبلها ألفٌ ! مثل: صَائِم ونائِم.
- إذا كانت مفتوحة، والحرف الذي قبلها مكسور! مثل: ذِئَاب، و نَاشِئَة.
- إذا كانت ساكنة، والحرف الذي قبلها مكسور! مثل: بِئْر، و جِئْت.

أ- - إذا كانت مضمومة، والحرف الذي قبلها مكسور! مثل: نَاشِئُون[40].

ث- رسم الهمزة المتوسطة على السطر:

ترسم الهمزة المتوسطة على السطر إذا جاءت مفتوحة بعد ألف مدًّ مثل: (نِدَاءَاتُ، جَاءَا، جاءَكَ، بناءَةُ، بِناءَيْنِ)[41].

ح- ترسم على النبرة:

إذا كانت مسبوقة بياء ساكنة؛ مثل: هيأة وحطيأة. وكذا إذا كان حقها أن ترسم مفردة، وأمكن وصل ما قبلها بما بعدها[42].

مـن الأخطـاء: يكتبهـا تلميـذ بالشـكل الآتــي: (عبـأأة، فـوأد، مسـائلة، فجئـة، تـاءلمون). والصواب: (عباءة، فؤاد، مسألة، فجأة، تألمون)[43].

٤ - الهمــزة فــي آخـر الكلمــة:

الهمزة في آخر الكلمة حكمها حكم الساكن؛ لأنها في موضع الوقف من الكلمة، ولا تلزمها حركة ما وقف عليها، وإن أدرجت اختلفت عليها حركة الإعراب أيضاً، ولحقتها الجزم، والهجاء موضوع على الوقف.وهي إما أن يكون ما قبلها ساكناً أو متحركاً[44].

---

(٣٩) الأخطاء اللغوية الشائعة: محمود عبدالرزاق جمعة، مؤسسة بتانة، القاهرة، ٢٠١٨م،ط٤، ٤٠٣- ٤٠٤.

(٤٠) ينظر: الكـافي فـي قواعـد الإمـلاء والكتابـة: أيمـن أمـين عبـدالغني، راجعـه: كمـال بشـر، محمـود كامـل الناقة،٢٠١٢م،٨٨.

(٤١) أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، ٧٣.

(٤٢) الأخطاء اللغوية الشائعة: محمود عبدالرزاق جمعة، ٤٠٦-٤٠٧.

(٤٣) ينظر: أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، ٧٣.

(٤٤) ينظر: أصول الإملاء: ٤٦.

*** الهمزة المتطرفة: (المرسومة في آخر الكلمة)**

تكتب الهمزة المتطرفة بحسب الحرف الذي يسبقها مباشرة(٤٥):

* سميت المتطرفة؛ لأنها واقعة في طرف الكلمة، القاعدة أن الهمزة المتطرفة ترسم على حرف مدّ مناسب لحركة الحرف الذي يسبقها(٤٦).

تكتب الهمزة المتطرفة على ما يناسب حركة الحرف الذي قبلها:

١- إن كان ما قبلها متحركاً كتبت على حرف يناسب هذه الحركة(٤٧).

أ- تكتب الهمزة المتطرفة على ياءٍ إذا كان الحرف الذي قبله مكسورة، **مثل: مُبْطِئ، شَاطِئ، مُنشِئ.**

أ- تكتب الهمزة المتطرفة على الواو إذا كان الحرف الذي قبله مضموماً، مثل: لؤلُؤ، تباطُؤ، تَكافُؤ.

ب- تكتب الهمزة المتطرفة على الألف إذا كان الحرف الذي قبله مفتوحاً، مثل: تَوَضَّأ، قَرَأ، مَبْدَأ(٤٨).

٢- وإن كان ما قبل الهمزة المتطرفة ساكناً، كتبت مفردة على السطر: مثل: بُطء، كُفء، المَرْء، دفء، علماء، تبوؤ، جزءاً(٤٩).

الخطأ: يكتبها التلميذ بالشكل التالي: (بيدأ، تباطوء، القاري، امروء، ينبيء). والصواب: (بيداء، تباطؤ، القارىء، امرؤ، ينبىء) (٥٠).

وربّما سبب الخطأ: هو أننا حين نرى هذه الكلمات نظن أن الحرف (ؤ) حرفان "واو وهمزة"، وأن الحرف(ىء)، حرفان "ياء وهمزة".

والصواب: عند كتابة مثل هذه الكلمات أن ننظر إلى الحرف الذي يسبق الهمزة المتطرفة؛ (أي: التي في نهاية الكلمة)، فإذا كان ما قبلها حرفاً ساكنا كتبناها على السطر (بدءُ، كفءُ، وطءُ).

وكذلك إذا كان ما قبلها حرف مد أو لين (واواً أو ياءً ساكنة مفتوحاً ما قبلها) كتبناها على

---

(٤٥) نحو اللغة العربية: النادري، ٩٩.

(٤٦) مصدر نفسه، ٩٩.

(٤٧) الشامل في قواعد الكتابة والإملاء: حسين والي، أعتنى به: أحمد سيد حامد آل برجل، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ٢٠١٥، ٦٨ .

(٤٨) الكافي في قواعد الإملاء والكتابة،٩٤.

(٤٩) الشامل في قواعد الكتابة والإملاء: ٦٩.

(٥٠) ينظر: أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، الشعلان،٧٣.

السطر(بطيء، وضوء، شيء). وإذا كنت تخلط بين (يء) وَ(ىء) أو بين (وء) وَ(ؤ) فيمكنك ببساطة أن تنطق الكلمة بتأن، وترى كم حرفاتنطق، ففي كلمة (وضوء) مثلاً تنطق واوا ثم واو مدّ ثم همزة، هذه أربعة أحرف، لهذا نكتبها أربعة أحرف (وُ َض ُ و ءُ= وُضُوءُ)[٥١].

٢- كتابة الألف المتطرفة:

كان القياس يقضي أن ترسم الألف المتطرفة ألفاً طويلة أينما وقعت؛ لأن الكتابة تصوير للنطق، واشتهر بهذا المذهب أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، أحد أعلام المئة الرابعة للهجرة، فقد كان يكتب مثلاً: (رمى مصطفى ثم ارتمى على الأرض) هكذا:

(رما مصطفا ثم ارتما على الأرض) غير ملتفت إلى كون الألف ثالثة أو رابعة أو خامسة ولا إلى أصلها واواً كان أم ياء[٥٢].

وربّما يذهب الظن بالبعض إلى(رما) بدل (رمى) و(ارتما) بدل (ارتمى) من باب تيسير الإملاء، ولكن الحقيقة يجب عدم فتح مثل هذا الباب الذي سوف يسيئ إلى رسم في العربية على مشاكله من تحدث بالتيسير، وهو يريد التدمير لهذه اللغة التي فيها القرآن.

أحكام كتابة الألف:

أ-في الأسماء والأفعال:

- الألف الثالثة المنقلبة عن واو تكتب ألفاً طويلة في الأسماء المعربة والأفعال: عصا، شذا، خُطا، رُبا، دجا.
- في الأسماء المعربة: مستشفى، دعوى.
- في الأفعال: استشفى، ادعى، اصطفى.

والعرف الشائع منذ القديم استثناء ما ينتهي بياء قبل هذه الألف وكتابتها ألفاً طويلة حتى لا تجتمع ياءان في الرسم مثل: استحياء، أحياء، في الأفعال. ومثل: الدنيا، الزوايا في الأسماء.

أما الأعلام الأعجمية المنتهية بالألف فتكتب جميعاً بألف طويلة مثل: بلجيكا، زليخا، بحيرا،... إلخ إلا أربعة أعلام رسموها بالياء هي: موسى، عيسى، كسرى، بخارى.

-في الأسماء المبنية تكتب الألف المتطرفة ألفاً طويلة مثل: إذا، مهما، أنا، أينما، حيثما...

ب- في الحروف:

حروف المعاني المنتهية بألف ساكنة ترسم ألفها طويلة مثل: لا، ألا، كلاَّ، هلا، لوما، ما، إذما..إلخ.

---

[٥١] مشكلة الهمزة العربية:١٠٨.

[٥٢] موجز في قواعد الغة العربية : سعيد الأفغاني، دار الفكر، (د.ط) (د. ت):٣٧٣.

إلا أربعة أحروف جروا على رسم ألفها ألفاً مقصورة هي: إلى وعلى و بلى و حتى[٥٣] .

جدول رقم (١) من أخطاء الطلبة في جامعة جرمو في (رسم الهمزة)

	الأمثلة الخطأ	صوابه	نوع الخطأ
١	إسم الطالب يعرفه المعلم.	اِسم الطالب يعرفه المعلم	الصواب (اسم) من الأسماء العشرة التي همزتها همزة وصل ؛لا يصح أن نضع تحتها همزة قطع ، لأنها تلفظ عند الوقف وعند الوصل.
٢	إجمع صوراً عن المسجد الأقصى المبارك	اِجمع صوراً عن المسجد الأقصى المبارك	الصواب(اِجمع) فعل الأمر همزته همزة وصل
٣	اكملِ الفراغ بما يناسبه	أكملِ الفراغ بما يناسبه	الصواب (أكملِ) لأنه همزتها همزة قطع وليس وصلاً، لأنه فعل الأمر رباعي وليس ثلاثياً.
٤	تاءلمون/التفائول	تألمون/التفاؤل	الصواب(تألمون) همزة المتوسطة منفردة على السطر والصواب(التفاؤل) وهمزة متوسطة مضمومة بعد حرف ساكن فتكتب على الواو.
٥	كتب مجموعة من الأسئلة ليقوم بـ قرائتها	كتب مجموعة من الأسئلة ليقوم بـ قراءتها	الصواب (قراءتها) لأنه همزتها همزة المتوسطة ترسم على نبر؛ لأنه فعل ماضٍ خماسي.
٦	بري/تباطوء	بريء/تباطؤ	كلمة الصواب(تباطؤ) همزة المتطرفة على الواو سبقتها ضمة، والصواب(بريء) همزة المتطرفة ما قبلها ساكن تكتب حرة على السطر (ء) وليس على ياء (ئ).
٧	المعلم كف لتدريس المبحث.	المعلم كفء لتدريس المبحث	الصواب(كفء)، لأن الهمزة المتطرفة المسبوقة بحرف ساكنٍ تكتب على السطر لا تكتب على الياء.
٨	ادعا / عيسا/شذى / مصطفا / بلا	ادعى / عيسى/شذا / مصطفى / بلى	الصواب في الأفعال(ادعى) الألف الثالثة المنقلبة عن واو يكتب بألف مقصورة أي بياء غير منقوطة في الأفعال والصواب (عيسى) الأسماء الأعجمية المنتهية بالألف فتكتب بياء غير منقوطة، و(بلى) في الحروف الجر ألفها مقصورة، الصواب(شذا) لأنه الألف الثالثة المنقلبة عن واو تكتب ألفاً طويلة في الأسماء المعربة والأفعال.

[٥٣] موجز في قواعد الغة العربية: سعيد الأفغاني، دار الفكر، (د.ط) (د. ت).٣٧٤- ٣٧٥.

كثيراً ما يخطيءُ الطلبة في كتابة الهمزة بأشكالها المختلفة، كما تبيّن من الأمثلة(١، ٣، ٢) الخلط بين همزة الوصل والقطع فهمزة الوصل هي تلك التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، وأما همزة القطع فتثبت في جميع الأحوال ابتداء أو وصلاً، و تظهر في الكتابة في صورة ألف تحتها أو فوقها، وكثرة الأخطاء كانت في همزة الوصل وبلغت أخطاء في همزة الوصل إلى (٥٨) خطأ وبلغت نسبته المئوية بـ(٢٣٪)، وأخطاء في همزة القطع عددها(٥٢) خطأ بنسبة المئوية بـ(٢٠,٤٪)، ويخطيءُ الطلبة في الهمزة المتوسطة كما يتضح من الأمثلة (٤، ٥)، وفي هذه الكلمات (مؤرخ، فضاءات، رؤوس، بناءان، يومئذٍ، جاءهم) ويكتب التلاميذ هكذا (موئرخ، فضائات، رءوس، بنائان، يوم ئذين، جائهم)، وسبب هذا الخطأ تشابهُ هذه الكلمة بالكلمة أخرى و عدم اكتسابهم الجيد للقواعد الإملائية، تعتبر كتابة الهمزة إحدى العوائق الإملائية، وهي من الأمور التي صعبة على الطلاب، إذا استخدمها الطلبة بطريقة صحيحة يتوصل إلى الكتابة السليمة و واضحة من الناحية الإملائية، وبلغت عدد أخطائهم في الهمزة المتوسطة (٤٥) خطأ ونسبته (١٧,٦٥٪)، وفضلاً عن ذلك يقع الطلبة في الأخطاء كتابة الهمزة المتطرفة من خلال أوراق الإملاء واختبارات الطلبة لبعض الكلمات(بطء، وضوء، يطفيء)كما تبيّن من المثال(٦،٧)، ويخطئ الطلبة في كتابتها على هذا الشكل(بطأ، يطفء، وضوأ، كف، بري) وبلغت عدد أخطاء الهمزة المتطرفة (٤١) خطأ بلغت النسبة المئوية بـ(١٦,٨٪) من مجموع الأخطاء، وايضاً الأخطاء الطلبة في الألف كما يتبيّن من خلال مثال (٨)، بسبب كثرة مواضع الألف المتطرفة سواء في الأسم أو الفعل أو الحرف، ولذلك الطلبة لايفرقون جيداً بينهم، يجب على الطلبة أن يستوعبها جيداً حتى يسيطر عليها في مراحله التعليمية المختلفة، وبلغت الأخطاء الألف في الأسماء (٨١)خطأ ونسبته مئوية (٣١,٧٦٥٪)، وفي الأفعال (٣٩) خطأ وبلغت نسبته بـ (٣١٪)، وفي الحروف (٣٥) خطأ بلغت النسبة المئوية بـ(١٤٪) من مجموع الأخطاء.

ثانيـاً: أخطاء في كتابة التـــاء

تاء التأنيث لها صورتان: مفتوحة ومربوطة:

١ – تاء التأنيث المفتوحة:

تاء التأنيث: هو الحرف المتطرف المشترك الساكن مع الفعل أصالة الدال معه على تأنيث الفاعل المتحرك مع الاسم كـ(بنت، مؤمنات، وثقات) الموجود في (رُب– رُبّت، لعلّ– لعلّت، لات، ثمّ– ثمّت).

وحكمه: أن يكتب مفتوحاً؛ لأن العرب وقفت عليه بالتاء إلا قليلاً منهم.(أما ثُمَّة) الظرفية

فإنها ترسم بالهاء فرقاً بينها وبين العاطفة[٥٤].

*** تكتب التاء مفتوحة في الأحوال الآتية:**

أ- في الأسماء المفردة: بنت، أخت.

ب- وتدخل على الحروف الآتية: ثُمّت، رُبت، لعلّت، لات[٥٥].

ت- في جمع المؤنث السالم وما ألحق به: هندات، فاطمات.

ث- في آخر المصدر الذي في فعله تاء.

ج- في كل جمع تكسير في مفرده تاء مفتوحة: بيوتات، رجالات[٥٦]. وتلحق الفعل لتأنيث الفاعل: قالت، نعمتْ، بِئستْ، وهي في هذا ساكنة مفتوح ما قبلها [٥٧].

٢ -التاء المربوطة(ـة):

هو حرف يأتي في نهاية الكلمة، ويعد من علامات الاسم المؤنث سواء أكان تأنيثاً حقيقياً أم مجازياً. وتكتب مربوطة، وتنقط إذا كانت في اسم، غير مضاف إلى ضمير، وكان ماقبلها متحركاً، ولو تقديراً ؛ وذلك لا نقلابها هاء في الوقف؛ لهذا يسميها بعضهم هاء التأنيث، ولا تنقط في القافية أو السجع[٥٨].

كتابة التاء مربوطة:

والأصل في دخول التاء على الأسماء في اللغة العربية، إنما هو تمييز المؤنث من المذكر، و أكثر ما يكون ذلك في الصفات، نحو: (مسلم ومسلمة، و ظريف وظريفة) وهو في الأسماء قليل، نحو:(رجل، و رَجُلة، وامرئ، وامرأة) وقد ذكر *الأشموني حالات أخرى، تدخل فيها التاء على الأسماء لغير التأنيث، ومنها:

أ- في المفردة المؤنثة: مثل: شجرة، ويستثنى من ذلك: بنت، أُخت، فإنها مفتوحة فيهما.

ب-الدلالة على تعريب الأسماء المعجمة:(كيلجة، و كيالجة).

ت-تدخل الهاء لتمييز الواحد من الجنس:(تمر – تمرة، نخل – نخلة)

---

[٥٤] الشامل في قواعد الكتابة والإملاء: حسين والي(١٩٣٦م): اعتنى به: أحمد سيد حامد آل برجل، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م،١١٧.

[٥٥] أصول الإملاء،١٦٧ .

[٥٦] ينظر: الإملاء الواضح: عبد المجيد النعيمي، ودحام الكيسال، مكتبة دار المتنبي، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ط٣،

[٥٧] قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، عبد السلام محمد هارون، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، نبيل عبد السلام هارون، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥: ٥٦.

[٥٨] أصول الإملاء،١٦٣ .

ث-المبالغة: نحو (نَسَّابة، علامة).

ج- تكثير حروف الكلمة:(قرية، بلدة)[٥٩].

ح- في جمع التكسير: مثل:(قضاة، سعاة).

خ- وتزاد للفرق بين الواحد والجمع:(بصري، بصرية).

د- دلالة على النسب والعجمة معاً:(برابرة، سبابجة)[٦٠].

*** علامات التأنيث التي تلحق بآخر الاسم هي:**

– تاء التأنيث المربوطة أو القصيرة:(قافلة، غزالة).

– ألف تأنيث المقصورة: هي مفردة زائدة في آخر الاسم، مثل:(سلمى، كبرى).

– ألف تأنيث الممدودة: هي الف زائدة في آخر الاسم قبلها الف، قلبت هي من أجلها همزة، مثل: (صحراء، بيداء)

*** التأنيث على ضربين:**

*التأنيث الحقيقي:(المؤنث الحقيقي هو كل ما يمكن أن يلد ويبيض)، مثل: (معلمة، فتاة، دجاجة)

*التأنيث المجازي:(هو ليس مؤنثاً حقيقيا لكنه يدل على مؤنث بعلامة التأنيث أو مؤنثاً معنوياً)، مثل:(سيارة، طائرة، مدينة)[٦١].

***أمثلة على أخطاء التاء المربوطة والتاء المفتوحة:**

*** التاء المربوطة:**

هذه الكلمات تنتهي بتاء مربوطة يكتبها التلميذ بتاء مفتوحة بالشكل الآتي: الخطأ: (غزات، جبات، ملقات، مراعات).

الصواب:(غزاة، جباة، ملقاة، مراعاة)[٦٢].

---

[٥٩] شرح الأشموني على الفية ابن مالك، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ١/ ٦٤٧-٦٤٨.

* الأشموني: علي بن محمد بن عيسى بن يوسف(ت٨٣٨هـ)، هو نحوي فقيه وأصوليٌّ ومنطقي مصري من القاهرة في القرن التاسع الهجري، ويَعُدُّه مؤرخو النحو العربي من رجال المدرسة المصرية الشامية.

[٦٠] أصول الإملاء ١٦٤.

[٦١] مختصر الصرف: عبدالهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت –لبنان،(د.ت)، ٣٤.

[٦٢] قواعد الإملاء وعلامات الترقيم:٥٦.

***عدم كتابة النقط على التاء المربوطة**، الصواب مثل: (فاطمة، مدرسة، ورقة، إجازة).
يكتبها تلميذ بشكل الآتي: (فاطمه، مدرسه، ورقه، إجازه)، وهذا خطأ.
* **وضع نقط فوق الهاء** مثل:(نوعة، زوجتة، معة)لا يجوز .
والصواب:(نوعه، زوجته، معه)[٦٣].
*الطالب كتابةُ جميل. والصواب: الطالب كتابةُ جميل[٦٤].
***التاء المفتوحة**: مثل:(مؤمنات، بيوت، أموات، علامات) الخطأ: يكتبها التلميذ بالشكل الآتي: (مؤمناة، بيوة، أمواة، علاماة). يخطىء كثيرون فيرسمونها بالتاء المربوطة، توهما منهم أنها مثل قضاة جمع تكسير لقاضٍ ، أو أنها اسم المصدر من التقوى. ومما يجدر ذكره أن طيئاً تقف على جمع المؤنث السالم بالهاء، يقولون: مسلماه و زينباه وفي قولنا: مسلمات و زينبات[٦٥].

جدول رقم (٢) من أخطاء الطلبة في جامعة جرمو في (التاء المفتوحة والتاء المربوطة)

رقم	الأمثلة الخطأ	الصواب	نوع الخطا
١	الرأفت من واجباة القضات	الرأفة من واجبات القضاة	وصواب هذه الكلمات "الرأفة"، "واجبات" جمع مؤنث السالم،" القضاة "وهو جمع تكسير خلط بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة
٢	ومحادثت أولى البصائر أحلى الشهواة	ومحادثة أولى البصائر أحلى الشهوات	الصواب(المحادثة) بالتاء مربوطة وليس بالتاء المفتوحة، و(الشهوات) بتاء المفتوحة وليس التاء المربوطة، خلط بين التاءين .
٣	والجرأت من صفاة الغزات	والجرأة من صفات الغزاة	الصواب (الجرأة) و(الغزاة)وضع التاء المفتوحة مكان التاء المربوطة، والصواب(صفات) وضع التاء المربوطة مكان التاء المفتوحة.

التاء المبسوطة فهي التاء التي تلحق الفعل الماضي بأشكالها، وتنطق التاء في الوصل والوقف، التاء المربوطة التاء التي هي علامة تأنيث الاسم المفرد، كما يتضح من خلال الأمثلة (١، ٢، ٣)، إن الخطأ الإملائي أكثر شيوعا بين الطلبة؛ بسبب تشعب قواعد الإملاء و تعقدها، و كثرة الاختلاف فيها، قصور الطالب عن المطابقة الكلية أو الجزئية بين الصور الصوتية أو الذهنية للحروف والكلمات، وضعف الطلبة في تفريق بين (ت، ة)، ويجب على المتعلمين أن يكونوا على المعرفة الكاملة بكتابة التاء المربوطة والتاء المبسوطة حتى يقوم الطالب بكتابة

---
(٦٣) أساليب عملية لعلاج أخطاء الإملائية:٧٤.
(٦٤) الأخطاء اللغوية الشائعة: أمين طه عبد الغفور، ١٧.
(٦٥) قواعد الإملاء وعلامات الترقيم: ٥٦.

سليمة وصحيحة. وبلغت الأخطاء في هذا التاء المفتوحة (ت) إلى (١١٤) خطأ ويقاس بالنسبة المئوية حوالي (٤٤,٧٪) فضلاً عن ذلك في التاء المربوطة(ة) (٩٥) و نسبته المئوية (٣٧,٢٥٪) في مجموع الأخطاء.

ثالثاً: الخلط بين الحروف المتشابهة رسماً وصوتاً: (الضاد، والظاء):

الظاء: قد أجمع علماء اللغة على أن العرب خُصَت بحرف الظاء دون سائر الأمم، لم يتكلم بها غيرهم، ولغرابتها صارت أقل حروف المعجم وجوداً في الكلام، وتصرفاً في اللفظ، واستعمالاً في ضروب المنطق، فهي لاتوجد إلا في نحو مئة كلمة من جملة كلام العرب، منظومة ومنثورة، وغريبة ومشهورةٍ.[٦٦].

وقد روى الليث أن الخليل قال: الظاء حرف عربي خص به لسان العرب لايشركهم في أحد من سائر الأمم، والظاء من الحروف المجهورة، وهي الحروف اللثوية؛ لأن مبدأها من اللثة، والظاء حرف هجاء يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً. وقال ابن بري: الظاء حرف مطبق مستعل، والله أعلم[٦٧].

أما الضاد: فحرف هجاء، وهو حرف مجهور، وهو أحد الحروف المستعلية، يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً، والضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل[٦٨].

الضاد العربية التي ينطقها المصريون، عبارة عن صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مفخم، ينطق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا، التصاقا يمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين.[٦٩].

إذا أردت النطق الصحيح لحرف الضاد (ض) فأعلم أن اللسان يرتفع إلى سقف الحنك من الأمام إلى الخلف، ثم تضغط من إحدى حافتيه او هما معاً على الأضراس العليا، وفي حالة الضغط ينحبس الصوت ثم يخرج بعد ذلك الهواء، ولا حظ أن اللسان لايقع بين الأسنان الأمامية عند النطق بالضاد (ض)[٧٠].

أما في جانب اختصاص القبائل والشعوب العربية في النطق بحرفي الضاد والظاء أو

---

[٦٦] كتاب الفرق بين الضاد والظاء: أبي عمرو بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دارعما للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ط١، ٢٥.

[٦٧] النور الوضاء في فرق بين الضاد والظاء: رجاء محمد يعقوب الهوساوي، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الطائف، كلية الشريعة والأنظمة،٢٧٦.

[٦٨] مصدر نفسه: ٢٧٦.

[٦٩] زينة الفضلاء، في فرق بين الضاد والظاء: أبي بركات بن الأنباري، تحقيق: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، دار المانة، بيروت –لبنان، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، ١٥.

[٧٠] الإملاء المبسط: عبد الرحيم بن غرم الله الزهراني، مكتبة الخبتي الثقافية،١٤٣٠هـ، (د.ط)، ١٣.

الخلط بينهما فيشير الدكتور رمضان عبد التواب إلى خلط العرب بين الضاد والظاء، فيقول: (تخلط بعض الشعوب العربية بين صوتي الضاد والظاء خلطاً كبيراً في النطق والكتابة، كما هو الحال في بعض بلاد العراق وشمالي أفريقيا)، وما ذكره عبدالتواب متوقف فيه ففي العراق خلط بين الحرفين في الكتابة لا النطق؛ لأنه لا وجود للضاد الوقفية أو غير الوقفية في نطقهم، يقول سلمان العاني:(ولا تنطق الضاد في العراق سواء على مستوى المثقف أو الشعبي، إلا في لهجات بعض المسيحيين العراقيين)، ومع أنها تمثل في الكتابة بحرف (ض)؛ فإنها دائما تنطق بصوت (ظ) وليس (ض).ولذلك فهي غير مميزة صوتياً؛ (لأنها منصهرة مع الظاء)[٧١].

قد فقدت الظاء في اللهجة العامية المصرية كذلك وحل محلها الضاد، مثل: ظل – ضل[٧٢].

وإذا أردنا الاستدلال على بعض ما التبس على بعض المعلمين بالفرق بينهما من إبانة الظاء بإظهار طرف اللسان في النطق بها، ورفعك رأسها عند كتابتها وضم الأسنان على الضاد، وميلك اللسان إلى الأضراس من ناحية الشمال، فتفرق بينهما في خطهما.

ومن الخطأ: الحافِضُ: الصواب: الحافِظُ

الحافظ: بالظاء: ضد النّاسي. يقال لمن حفظ شيئاً، ولم ينسه: حافظ.

الحافض: بالضاد: فهو الحاني لكل عود، من قوس وصوالجة، وما أشبه ذلك[٧٣].

من الخطأ: (الفَضُّ). الصواب:(الفظُّ).

الفظّ: بالظاء، فالرجل المتهجم في منطقه، المتغلظُ في مخاطبته، والاسم من ذلك: الفظاظة.

وفي القرآن **[كنت فظاً غليظ]** {سورة آل عمران: الآية ١٥٩}.

الفضُّ: بالضاد، فكل شيء كسرته. تقول من ذلك: فضضت الكتاب، إذا كسرت طابعه.

وفي القرآن: **[لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ]** {سورة آل عمران: الآية ١٥٩}، أي: تفرقوا[٧٤].

---

[٧١] النور الوضاء في فرق بين الضاد والظاء: ٢٩٨.

[٧٢] مدخل إلى علم اللغة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م: ٤٦.

[٧٣] معرفة الفرق بين الضاد والظاء: أبو بكر محمد بن أحمد(ابن الصابوني الصدفي الإشبيلي) (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد – العراق، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ١٣-١٤.

[٧٤] مصدر نفسه: ١٨.

من الخلط بين (الضاد، الظاء): الظاء: مثل: (ظاهر، نظر، عظم، ظلام، ظلم) ويكتبها التلميذ بشكل الآتي: (ضاهر، نضر، عضم، ضلام، ضلم). أو كلمات بها حرف الضاد الصواب مثل:(ضرورة، عوض، رفض، محاضرة، بغضاء).

من الخطأ: (ظرورة، عوظ، رفظ، محاظرة، بغظاء)[٧٥].

وهذا الخلط ناتج من عدم إخراج الحرف من مخرجه الصحيح، فمخرج "الضاد " الصحيح هو:(إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العلياء، ومخرج " الظاء " الصحيح هو: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا[٧٦].

جدول رقم (٣) من **أخطاء الطلبة في جامعة جرمو** في **(خلط بين الحروف المتشابه في الرسم (ظ، ض)**

رقم	الأمثلة الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
١	حفضه الله / نضر	حفظه الله / نظر	الصواب(حفظه الله، نظر) بالظاء وليس الضاد
٢	ضهر / ضلم	ظهر / ظلم	الصواب(ظهر، ظلم) بالظاء وليس الضاد، لأنه خلط بين (الضاد والظاء).
٣	ظبط / الظالين	ضبط / الضالين	الصواب (ضبط، الضالين) لأن وضع الظاء مكان الضاد.
٤	فظول / إظافة	فضول / إضافة	الصواب (فضول، إضافة) لأن وضع الظاء مكان الضاد.

ويخلط كثير من الطلبة بين الحروف المتشابهة شكلاً والمتقاربة مخرجاً، ويرجع وجود مثل هذه الأخطاء هما حرفان متشابهان إلى حدٍ ما إلا أنّ هناك فروقاً بينهما وقد يغير المعنى الكلمة ويقلبه أحياناً إلى معنى الآخر ، يخلط الطلبة بين الضاد والظاء خلطاً كبيراً في النطق والكتابة، وذلك لصعوبة النطق بحرف الضاد ومخرجه من إحدى حافتي اللسان مع أطراف الثنايا العليا وهو أصعب الحروف نطقاً وأشدُّها على اللسان، وجهل الطلبة للكلمة وعدم التفريق بين حرفين (ظ، ض) وكيفية رسمها، وكذلك يرجع السبب إلى عدم التركيز عند تلفظها واستيعابها للكلمة، يجب على الطلبة حفظ الكلمات التي تتضمن على حرف (الظاء) لأنها محدودة، بعكس الكلمات التي تتضمن على حرف (الضاد) فإنها كثيرة، ومن خلال أوراق الطلبة تبين لنا أنَّ أخطاءهم كثيرة في هذا النوع وبلغت أخطاءهم في (الضاد– ض)، (١٧١) خطأ، وبلغت نسبته(٣٨٪)، وعدد أخطاء في (الظاء– ظ) ،(٨٤) خطأ بنسبة مئوية بلغت (٣٣,٣٪) من مجموع أخطاء.

---

[٧٥] أساليب عملية لعلاج الخطاء الإملائية: ٧٥.

[٧٦] مصدر نفسه: ٧٦.

خامساً: الحروف

١- الحـروف الشمسـية مـع (ال):

هي "ال" الشمسية التي لا تظهر في النطق، وتظهر في الكتابة مثلها في كلمة (الشمس)، وتوضع الشدة على الحرف الذي بعدها، لذلك سميت شمسية(٧٧).

وهي التي تكتب ولا تنطق، ويأتي الحرف الذي بعدها مشدداً، والدليل عليها أن يأتي بعدها أحد الحروف الآتية:(ت- ث- د- ذ- ر- ز- س- ش- ص- ض- ط- ظ- ل- ن-).

الأمثلة: (التَّمر، الثَّواب، الدَّرع، الرَّاعي)(٧٨).

٢- الحـروف القمـرية مـع (ال):

هي"ال"التي تظهر في الكتابة والنطق وتضبط بالسكون، مثلها في كلمة(القمر)، لذلك سميت قمرية(٧٩).

وهي التي تكتب وتنطق، ويأتي الحرف الذي بعدها متحركاً، والدليل عليها أن يأتي بعدها أحد الحروف الآتية:

(أ- ب- ج- ح- خ- ع-غ- ف- ق- ك- م- هـ- و- ي).

الأمثلة:(الأسَد، البَاب، الجَبل، الحَليب...)(٨٠).

جدول رقم (٤) **من أخطاء الطلبة في جامعة جرمو في (" ال" الشمسية و " ال "القمرية)**

رقم	أمثلة الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
١	(الأسد) الشمسية	(الأسَدْ) القمرية	خلط بين الحروف القمرية وشمسية، لأنه يأتي الحرف بعدها متحركاً وتضبط بالسكون.
٢	(الحليب) الشمسية	(الحَلِيبْ) القمرية	الصواب(الحَليبْ) لأنه يأتي الحرف بعدها متحركاً وتضبط بالسكون.
٣	(الصحراء) القمرية	(الصَّحراء) الشمسية	خلط بين الحروف القمرية وشمسية، لأنه إذا دخلت "ال" التعريف على اسم مبدوء بحرف شمسي لا تلفظ اللام، ويعوضُ عن نطقها بتشديد الحرف الذي يليها.

(٧٧) ينظر: فن الكتابة: عبد العاطي شلبي، المكتب الجامعي الحديث، الآزارطية، الأسكندرية، ٢٠٠١م، ط١، ٧.

(٧٨) أساليب عملية لعلاج أخطاء الإملائية: ١٧٦.

(٧٩) ينظر: فن الكتابة: ٧.

(٨٠) أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية،، ١٧٦.

٤	(الرَّاعي) القمرية	(الرَّاعي) الشمسية	وضع حروف الشمسية بأنها قمرية، لأنه إذا دخلت "ال" التعريف على اسم مبدوء بحرف شمسي لا تلفظ اللام، ويعوضُ عن نطقها بتشديد الحرف الذي يليها.

ويقع الطلبة بنسبة عالية في هذه الأخطاء ويرجع سببه إلى عدم التركيز وانتباه الطلبة لهذه الحروف الشمسية والقمرية و الاعتماد على الحفظ والتلقين، والفرق بين اللام الشمسية واللام القمرية هو أن الأولى تكتب ولا تلفظ في حين الثانية تكتب وتلفظ، وقد بلغت أخطاء في (أل)الشمسية (٧١) خطأ وذلك بنسبة مئوية قدرها(٢٧,٨٤٪)، وفي (أل) القمرية(١١٢) ونسبة مئوية(٤٣و٩٪) من مجموع الأخطاء.

٣- حروف تكتب ولا تنطق:

هناك حروف تكتب لكنها لاتنطق بل إن عدم كتابتها يعد خطأ إملائياً:

أ- الألف

- بعد واو الجماعة، مثل:

(قالوا، لعبوا، لم يدرسوا، لن يأخذوا) لاننطق الألف، وهي موجودة للدلالة على الجمع.

- ولكنا نضعها إذا كانت تدل على الجمع،مثل: (ندعوا الله مخلصين) ويجوز حذفها.

- وتحذف النون التي تعادل هذه الألف في حالة الجمع المذكر المضاف مثل: صانعو(صانعون)، محبو(محبون)، أرى أنَّ الألف في (مائة) تحذف؛ لأن سبب إثباتها قد زال وأمن اللبس كتب (مئة) في صورها كافة سواء كانت مفردة أم مثناة (مئتان) أم مركبة (مائة ألف).

ب- الواو

في اسم الإشارة (أولئك)، و(أولو) وفي كلمة (-عمرو) للتمييز بينها وبين كلمة (عمر) في حالة وجود الحركات؛ لأن كلمة (عمر) ممنوعة من الصرف.

ت- ألف التنوين:

- **ألف**: هي ألف تضاف إلى آخر الكلمة المنونة بتنوين فتح مثل: (علماً، محمداً، مشياً) ولو كتبناها كما ننطقها فستكون صورتها على النحو الآتي:(علمن، محمدن، مشين).

- **التنوين**: نون ساكنة تلحق آخر حرف في الكلمة نطقاً لا كتابة، وتكون في أسماء النكرة والمعرفة[٨١].

---

[٨١] قواعد في الإملاء: محمد بن صالح العثيمين(ت١٤٢١هـ)، تحقيق: مصطفى محمود الأزهري، مكتبة عباد الرحمن للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م،١٢.

الحروف التي تكتب ولا تنطق: وهي حروف تكتب رسماً ولا ينطق بها، لأن سبب الإتيان بها إما:

أ- للتفرقة بين نوعين من الكلمات كالألف التي تلحق الفعل؛ لتفرق بين واو الجماعة وغيرها مثل:(يدعوا – يدعو).

ب – تكتب ولا تنطق؛ لأنها وسيلة إلى النطق بالساكن بعدها، فالمنطوق به حقيقة هو الحرف الذي بعدها، مثل: (قال ابنُ عباس)· [٨٢].

ت-فإذا وقع (ابن) و(ابنة) مفردا نعتاً بين عَلَمين مباشرين أولهما غير منون وثانيهما مشهور بالأبوة، بشرط ألا يكون أول السطر، ويشمل العلم: الاسم الموضوع للعلمية كـ(محمد وعلي)، والكناية عمَّن لايعرف، نحو:(فلان بن فلان)، والكُنية النحوية المصدرة بأب أو أم، وكذلك اللقب: كـ (عيسى بن مريم، و مريم بنتُ عمران).

فحرف العلة في قوله: سعى، لاينطق به، لوجود ساكن بعده وهو: "اللام " في "الفتى". والتي يتوصل إلى نطقها بهمزة الوصل فعندئذٍ يكون قد التقى ساكنان معاً، ولا يمكن النطق بهما؛ لذا لا ينطق بحرف العلة في الفعل "سعى"، ومثل ذلك في

(يدعو الله)، ويكون نطقها على هذه الهيئة: سَعَلْفَتى .

ث-الأمثلة على الخطأ في الحروف التي تكتب ولا تنطق:

مثل: الصواب(عمرو" في حالتي الرفع والجر"، و أكلوا، بذلوا، لن يهملوا، كتبوا،)

ويكتبها التلميذ بالشكل الآتي:(عمر، أكلو، بذلو، لن يهملو، كتبو)[٨٣].

جدول رقم (٥) **من أخطاء الطلبة في جامعة جرمو في(حروف التي تكتب ولا تنطق)**

	أمثلة الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
١	أكرم المعلمُ عَمْرَوا	أكرم المعلمُ عمراً	الصواب كلمة (عمراً) لأنه في حالة الرفع والجر تكتب "عمرو" أما في حالة النصب تحذف "واو"
٢	الطلاب لن يهملو دروسهم	الطلاب لن يهملوا دروسهم	الصواب(يهملوا) مضارع منصوب، لأنه سبقته بأداة النصب (لن)، وألف الفارقة تكتب ولا تنطق لتفرقة بينه وبين الواو أصلية.
٣	الطلاب كتبو الدرس	الطلاب كتبوا الدرس	الصواب(كتبوا) لأن ألف الفارقة تكتب ولا تنطق لتفريق بين الفعل وما بعده من الكلام.
٤	عمر بن العاص	عمرو بن العاص	الصواب (عمرو) لأن ترسم" واو " زائدة في آخر (عمرو)

[٨٢] مصدر نفسه،١٢.

[٨٣] أساليب عملية لعلاج أخطاء الإملائية: الشعلان، ١٤٢٨: ٧٥.

			تكتب ولا تنطق لتفرقة بين (عمر وعمرو) ممنوع من الصرف.
٥	علمن/مشـــــين/شاعرن	علماً/ مشـيأً/ شاعراً	الصواب (علماً، مشياً، شاعراً) لأن النون زائدة في آخر الاسم لفظاً لا كتابة، فالنون تلفظ ولكنها لا تكتب وإنما يشار إليها.

ويقع كثير من الطلبة في هذا النوع من الأخطاء، هناك الحروف تكتب ولا تنطق كما يتضح من الأمثلة السابقة، ويرجع السبب إلى الطلبة لعدم التركيز أثناء الكتابة على مدى أهمية النشاط الذي يقومون به، ويكتبون كما ينطقون، ولا يعون أهمية هذه القواعد في ضبط إملائهم الصحيح في اثبات الحرف وحذفه في الكتابة بخلاف نطقهم لها، وكثير من الطلبة يخطئون في النون الساكنة التي تلحق آخر الحرف في الكلمة نطقاً لا كتابة كما تظهر الأمثلة في جدول(٢٤)، ويرجع السبب ايضاً إلى اعتماد الطلبة على حاسة السمع؛ لأن التنوين يثبت نطقاً لا صورة، يجب على الطلبة ينتبه عند إضافة تنوين الفتح في حالة النصب للأسماء، لأنه يحتاج إلى ألف زائدة في نهاية الاسم. وبلغت الأخطاء في الحروف التي تكتب ولا تنطق(٩١) خطأً وذلك بنسبة (٣٥,٦٩٪) من مجموع الأخطاء.

الحروف التي تنطق ولا تكتب:

هناك حروف التي تنطق لكنها لاتكتب بل إن كتابتها يعد خطأ إملائياً. (محمود، ٢٠١٢، ٦٣).

يمكن تقسيم هذه الكلمات إلى مجموعات.

أ- المجموعة الأولى تمثل أسماء الإشارة الآتية:(هذا، هذه، هذان، هؤلاء، ذلك). ويكتبها بعضهم خطأ:(هاذا، هاذه، هاذان، هاؤلاء، ذالك).

ب-المجموعة الثانية تمثل الأسماء الموصولة الآتية:(الذي، التي، الذين). ويكتبها بعضهم خطأ:(اللذي، اللتي، اللذين).

ت-المجموعة الثالثة تشمل بعض الروابط مثل:(لكن، فيمَ، هكذا، كذلك، بِمَ، لِمَ، عَمَّ، علام، ممَّ). ويكتبها بعضهم هكذا:(لاكن، فيما، هاكذا، كذالك، بما، لما، عمّا، مما)

ث-المجموعة الرابعة تشمل مجموعة من الأسماء منها:(الله، الرحمن، داود، طه، الإله، طاوس). ويكتبها بعضهم:(اللله أو اللاه أو اللة، الرحمان، طاها).أما الأسماء الأخرى فيجوز كتابتها:(داوود، طاووس)

- **كتابة التنوين نوناً:**

" التنوين وهونون ساكنة تلحق الآخر، وتثبت لفظاً وتسقط خطاً " (المرادي،١٩٩٢: ١٤٤)

من الخطأ:(طالبن، طالبن، طالبن). والصواب:(طالبٌ، طالباً، طالبٍ).(الشعلان، ١٤٢٨: ٧٨) وكثيراً ما يكتب الطالب الكردي (الطالبون) بدل (طالبٌ).

جدول رقم (٦) **أخطاء الطلبة في جامعة جرمو في (حروف التي تنطق ولا تكتب)**

رقم	أمثلة الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
١	زيد غني لاكنه بخيل.	زيد غني لكنه بخيل	الصواب(لكنه)، لأنّ الألف لا تكتب الألف في كلمة (لاكن) رغم أنها ينطق، إذا وقع الف المد بعد اللام لا يتم كتابتها.
٢	الطاؤوس طائر جميل.	الطاوس طائر جميل.	الصواب(الطاوس) لأنه تحذف الواو خطأً لا لفظاً من كل كلمة التقى فيها واوان أولهما مضمومة والثانية ساكنة ولا وجود للتشديد في كلمة (الطاوس) .
٣	داوُوْد رسول من رسل الله.	داود رسول من رسل الله	كلمة (داود) لأنه تحذف الواو خطأً لا لفظاً من كل كلمة التقى فيها واوان أولهما مضمومة والثانية ساكنة ولا وجود للتشديد في كلمة(داود).
٤	أولائك آبائي فجئني بمثلهم جاء هاؤلاء مسرعين	أولئك آبائي فجئني بمثلهم جاء هؤلاء مسرعين	الصواب(أولئك)،و (هؤلاء)لأن الألف من هاء التنبيه إذا دخلت على اسم إشارة الذي لايبدأ بالتاء أو هاء.
٥	هاكذا أراد الله تحديبهُ	هكذا أراد الله تحديبهُ	الصواب (هكذا) لأن الألف لا تكتب على رغم ينطق.

ويقع كثير من الطلبة في هذا النوع من الخطأ؛ لأنه كما ذكرنا في الأمثلة السابقة هناك بعض الحروف تنطق ولا تكتب، وبسبب صعوبة بعض قواعد اللغة العربية، وكثرة هذه القواعد والاستثناءات فيما يتعلق بالمد الذي يلفظ ولا يكتب، والتزام الترتيب الشكلي للجملة العربية، لذلك فالطلبة يواجهون صعوبات ويستعصى الأمر عليهم، وكذلك سبب في وقوع الطلبة في أخطاء الرسم الإملائي الذي قد يكون في ضعف قدرة الطالب على البصر و السمع، أو ربما يكون المعلم سريع النطق، أو قد يكون نطقه للمفردات و الحروف غير واضح. وبلغت أخطاء هذا النوع (١١٧) خطأ وذلك بنسبة مئوية قدرها (٤٥,٨٨٢٪) من مجموع الأخطاء.

الخاتمة والنتائج

إنَّ الرحلة المقتضية مع الأخطاء الشائعة في رسم الكلمات تبرز لنا أن هذه الأخطاء يمكن علاجها، ولايُعد الأمر صعباً ، وذلك:

١- حين يقوم المعلم بتكثيف جهده في الاهتمام بدرس الإملاء، وتشخيص الأخطاء الإملائية ثم التنويه اليها، وتصويب الرسم على اللوحة- مثلا-

٢- يمكن استخدام مسألة اختبار الطلبة بتبادل هذه الاختبارات فيما بينهم لغرض أن يصحح كل زميل لزميله، ثم يأتي إشراف المعلم لغرض التوجيه والتصويب النهائي.

٣- تبين أن أكثر الأخطاء وقعت في الحروف وفي كتابة الهمزة، وفي حروف تنطق ولا تكتب، أو تكتب ولا تنطق.

٤- للمعلم الدور البارز في تصحيح مسار الإملاء وتعزيز الصواب، وبشكل عملي وعلمي ليطلع كل طالب على الرسم الصائب للكلمة، ومحاولة التمرين المستمر من خلال الأمثلة.

المصادر:

١. الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية: فهد خليل زايد، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن ، ٢٠٠٦م.

٢. الأخطاء اللغوية الشائعة، أمين طه عبد الغفور، اشراف: زياد ياسين المدهون، تحرير: كمال أحمد غنيم، الفلسطين١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٣. الأخطاء اللغوية الشائعة: محمود عبدالرزاق جمعة، مؤسسة بتانة، القاهرة،٢٠١٨م،ط٤ .

٤. أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، راشد محمد الشعلان، تقديم: خيرية بنت إبراهيم السقاف، سلامة بن عبدالله الهمش، مراجعة: عبدالله علي بن الشلال، مكتبة لسان العرب، الرياض، ط١/١٤٢٨هـ- ط٢/ ١٤٢٩هـ.

٥. الأسس الفنية للكتابة والتعبير: فخري خليل النجار، ٢٠١١م- ١٤٣١هـ) ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

٦. أصول الصرف: علي أكبر شهابي، تهران، مطبعة الجامعة ،١٣٣٥هـ، ط٢.

٧. أصول الإملاء: عبداللطيف محمد الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٩٨٣/ ط٢، ١٩٨٦/ ط٣، ١٩٩٤.

٨. أصول تدريس اللغة العربية: عبد الرحمن حميد (ثامر)، دراسة عملية مبسطة ، بغداد ١٩٧٦م، دار الحرية

٩. - الأخطاء الإملائية الشائعة : هيثم صالح إبراهيم الدليمي، دار دجلة للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠١٥م، الأردن-عمان.

١٠. -الصرف: حاتم صالح الضامن، مكتبة لسان العرب، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.

١١. الإملاء الواضح : عبد المجيد النعيمي، ودحام الكيسال، مكتبة دار المتنبي، بغداد، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، ط٣.

١٢. الإملاء المبسط: عبد الرحيم بن غرم الله الزهراني، مكتبة الخبتي الثقافية،١٤٣٠هـ، (د.ط)، ١٣.

١٣. تدريس اللغة العربية، مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية: وليد أحمد جابر، دار الفكر، عمان١٤٢٣هـ- ٢٠٠٠م، ط١ .

١٤. تطور الأساليب الكتابية في العربية: عيد حمد الخريشة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ط١.

١٥. تيسير قواعد الإملاء: سعيد كريم الفقى، دار اليقين ، مصر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ط٢.

١٦. الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخرالدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م،ط١.

١٧. دراسات في اللغة العربية: عبدالقادر أبو شريفة ورفاقه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ط٢.

١٨. دراسات اللغوية (الجاحظ عالم اللغة التطبيقي): جاسم علي جاسم، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد٢، ٢٠١٢م.

١٩. زينة الفضلاء، في فرق بين الضاد والظاء: أبو بركات بن الأنباري، تحقيق: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، دار المانة، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

٢٠. الشامل في قواعد الكتابة والإملاء: حسين والي(١٩٣٦م): اعتنى به: أحمد سيد حامد آل برجل، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠١٥م.

٢١. فن الكتابة: عبد العاطي شلبي، المكتب الجامعي الحديث، الآزارطية، الأسكندرية، ٢٠٠١م، ط١.

٢٢. قطر الندى بل الصدى: ابي محمد عبدالله جمال الدين بن هيشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م،ط٤.

٢٣. قواعد الإملاء العربي ، بين النظرية والتطبيق: أحمد طاهر حسنين، و حسن شحاتة، مكتبة الدار العربية للكتاب، (د. ت).

٢٤. قواعد في الإملاء: محمد بن صالح العثيمين(ت١٤٢١هـ)، تحقيق: مصطفى محمود الأزهري، مكتبة عباد الرحمن للطبع والنشر والتوزيع، مصر ، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

٢٥. قواعد الإملاء وعلامات الترقيم : عبدالسلام هارون، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، ونبيل هارون، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م.

٢٦. قواعد الإملاء، في عشرة دروس سهلة: فهمي نجار(فهمي قطب الدين النجار)، مكتبة الكوثر، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، الرياض، ط٤.

٢٧. الكافي في قواعد الإملاء والكتابة، أيمن أمين عبدالغني، كمال بشر، محمود كامل الناقة، الدار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٢م.

٢٨. كتاب الفرق بين الضاد والظاء: أبي عمرو بن سعيد الداني ، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دارعما للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ط١.

٢٩. اللغة العربية بين النظرية والتطبيق: يوسف ذياب المجالي، ريم الفرحان المعايطة، قنديل للنشر والتوزيع والطباعة، عمان – الأردن ، ٢٠٠٩م، ط١.

٣٠. اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين : محمد رضوان الدابة، محمد جهاد جمل، دار الكتاب الجامعي العين ، الإمارات المتحدة، ط١، (د.ت).

٣١. مختصر الصرف: عبدالهادي الفضيلي، دار القلم ، بيروت – لبنان،(د.ت).

٣٢. مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للنشر والطباعة، القاهرة،١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ط٣.

٣٣. مشكلة الهمزة العربية: رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ط١.

٣٤. المعجم المفصل في علم الصرف، راجي أسمر ،راجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣٥. معرفة الفرق بين الضاد والظاء: أبو بكر محمد بن أحمد(ابن الصابوني الصدفي الإشبيلي) (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد – العراق، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٦. ملخصات قواعد الإملاء: نصير العراقي،(د.ت) ، (د.ط).

٣٧. – مهارات الكتابة العربية، قواعد وتدريبات ونصوص: عصام محمود، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

٣٨. موجز في قواعد الغة العربية: سعيد الأفغاني، دار الفكر ، (د.ط) (د. ت).

٣٩. نحو اللغة العربية: محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤٠. النحو الواضح: علي الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة ، (د.ط)،(د.ت)، ٢/جزء.

٤١. النور الوضاء في فرق بين الضاد والظاء: رجاء محمد يعقوب الهوساوي، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي، جامعة الطائف، كلية الشريعة والأنظمة .

٤٢. الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ط١.

Common Spelling Errors among First Grade Students in The Department of Arabic Language For Non- Native Speakers at Charmo University

Juwan Hamad Mohammad

College of Education and Languages / University of Charmo

Abstract:

The study aims to detect some of the common spelling errors among first grade students in the department of Arabic language for non- native speakers at the university of Charmo in writing the types of hamza and its positions and alphas, ta’as, da’as, dha’as and letters with a reference to the reasons and treatment of these errors.

The Linguistic and Grammatical Space of

Abi Al-Tayyib Al-Mutanabbi

Huda Najat Rashid

General Directorate of Education, Diyala / Ministry of Education

Abstract:

Abu al-Tayyib al-Mutanabbi is a poet who fills the world, preoccupies people, debates with scholars and puts them in confusion. He is undisputedly considered the greatest Arab poet throughout history. Therefore, many studies have been written about him since the Abbasid era in which he lived until the present day; studies on him are still ongoing which indicates that he navigated the language and its branches, and he was distinguished by his high intentionality. Most of the meanings of his poetic verses are known only to him. The meaning for him died with his death, and this prompted many ancient and modern scholars to explain, interpret and analyze his poetry. From this standpoint, we must stop at his linguistic and grammatical touches, which these phenomena have become a wide space for him. This is what prompted the researcher to study it, as her research is entitled (The Linguistic and Grammatical Space of Abi Al-Tayyib Al-Mutanabbi). She started talking about Al-Mutanabbi, who was skilled in the language, and this is what she observed through what the scholars mentioned about him. Then she moved to talk about Al-Mutanabbi’s grammatical culture under the title (Al-Mutanabbi’s Grammar), then talked about the importance of his poetry to linguists and grammarians, and showed the position of Arabic scholars on him; as their positions varied. The researcher divided it into two parts: The first: the scholars who support it. The other: the envious and those who deny it.

She moved on to talk about the role of grammar in the formation of Al-Mutanabbi's poetic discourse, and mentioned his responses to Arabic scholars using grammatical methods. Then showed how Al-Mutanabbi manipulated grammatical methods and their impact on the meaning’s ambiguity.

The research is concluded by mentioning the most important findings and scientific notes of this study.

The Weakness of Almohads in Andalusia and The Fall of Seville in The Christians' Hands 623AH/1226-646AH/1248

Sattar Jaleel Ajeel

College of Education for Human Sciences / University of Basrah

Abstract:

After Almohads established a state for themselves in the Islamic Maghreb, the people of Andalusia, specifically the people of Seville, crossed to them, offering to help and save them from their miserable reality in which they lived in the late days of the Almoravid state, and that was in the beginning of the year 541 AH / 1164 AD. He sent some of his competent men who represented him and were able to eliminate the state of Almoravids in Andalusia and the declaration of Andalusia and Seville belonging to Almohads in Morocco, so they flourished for a period of time only to return to weakness, especially after the Battle of Al-Uqab and its authority by weak caliphs. The position of Almohads declined in Andalusia and its people began to seek to get rid of them, so they sought help from Andalusian personalities, perhaps to save them from the reality in which they are in, as the attacks of the Christians, which had become the most severe, and there was no one to stand in their way and resist them, in addition to the internal fighting that took place between Almohads' caliphs on one hand and between Ibn Hood and Ibn Al-Ahmar on the other which in turn led to the weakening of Seville's payments under the pain of wars and conflicts supported by a deadly economic hardship as a result of the siege that imposed on it and consequently its fall in the hands of the Christians.

The International Thought Between Al-Dehlawi and Ibn Ashour: Extension or Modification?

Jamila Bilkaroui

Faculty of Arts and Humanities / University of Sousse / Tunisia

Abstract:

This research aims to understand the descriptive attempts of a science in general within a fundamental question that is: Is the intentional thought an extension of the past or a modification and renewal? We study this aspect in terms of the distinctive features of the intentional thought represented by rooting, historiography, repetition, activation and development, and we have chosen two different models: The first is Wali Allah Al-Dehlawi, who was born at the beginning of the eighteenth century in a turbulent religious and political environment. Despite that, the conditions were available for him to reform and change, which was expressed by his intentional open thought to Greek philosophy, and he added to it the concept of reform, which the researcher works to highlight by returning to his means of receiving. The second is Ibn Ashour, who lived in the twentieth century and tried, through his intentional thought, to reconsider the holistic statement in Islamic thought. Therefore, the researcher seeks in this research to raise a number of problems: How did the idea of intentions arise in Al-Dehlawi and Ibn Ashour? What are the effects of their reception? Is the intentional thought a continuous path? What are the constant and the variable in this path? What are the dilemmas of intentional thought in the light of the new theology?

The researcher has divided the research into two phases: the first is concerned with intentional research and its epistemological approaches on one hand, and with the means of receiving by both Dehlawi and Ibn Ashour on the other hand. The second is concerned with searching for the factors of communication between them, by looking at the temporal and spatial difference between them, and we are also interested in the aspects of tradition and innovation in them.

Ibn Sahel Al-Yakki (560AH)
His Life and What Remained of His Poetry

Assis. Prof. Dr. Safaa Abdullah Burhan
College of Islamic Sciences / Baghdad University

Abstract:

The aim of this research is to identify the Andalusia poet Ibn Sahel Al-Yakki who is one of the veteran poets of Andalusia. He lived in the era of Almoravids state in Andalusia and his life extended till he realized the era of Almohads State there. He moved between Andalusia, Algeria and Morocco where he passed away. He was famous for his frequent satire, till he was considered as the satirist of the era. The poet was associated with the great satirical poets in the East especially his satire was almost collective satire. It diverted into two directions: the first was official which represented his political attitudes towards Almoravids, the second was popular which represented his social attitudes towards the people of Fez. Therefore; most of his news and poetry had been lost, like many Andalusian poets.

This research is hoped to be the first step to shed the light on the poet's life and poetry and to document his poetry according to what the makers of poetic collections followed. It is also hoped that this research would pave the way, God willing, to the steps of finding more references about this poet and the lost Andalusia legacy.

Al-Sabban's Grammatical Benefits in His Footnote on Al-Ashmouni (Verbs as an Example)

Prof. Dr. Najlaa Hameed Majeed

Ahmed Mussa Hameed

College of Education for Human Sciences / University of Babylon

Abstract:

The research aims to identify the benefits that were mentioned in Al-Sabban's footnote on Al-Ashmouni's explanation. The researchers used the descriptive – analytical approach to reach the results of the research. It is divided into an introduction and three benefits in the first verbs: deleting (Alkhabar) from the missing verbs; the second: the syntactic aspects of (was) and the third: the syntactic position of the sentence after the commentator.

These benefits end up with a conclusion that clarifies the most important findings of the research.

Grammatical Fallacies

(Grammatical Objections and Verbal and Moral Fallacies)

By: Saeed Bin Muhammad Al-Saffari

Investigated by:

Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fatli

The Educational College – Babylon / Ministry of Education

Abstract:

The idea of the research is summarized in the investigation of a manuscript on grammar by Saeed bin Muhammad Al-Saffari, which is a short message in which the author tackled thirty grammatical issues and verbal and moral fallacies and their answers in the form of (the question and the answer), including some of the objections on the book (Alkafia) by Ibn Al-Hajeb. For expressing these fallacies, the author follows the logicians approach and uses their terms and expressions that they are unique to others, he assumes an objection and answers it in a logical manner with clarity in the phrase and radiance in the significance and quality and skill in brevity. The summary of his work in this thesis is to respond to the grammarians' words and to establish evidence for its equivalent.

The researcher relied on three written copies to achieve the idea of this research:

The first: The preserved copy in the Marashi Library, which was copied in (970h) and symbolized by the symbol (A), and made it the origin on which the investigation was based on because it is the oldest.

The second: The preserved copy in the Rezawi's Library, which was copied in (974h) and symbolized by the symbol (B).

The third: It is the copy of the Revival Center which was copied in (1270h) and symbolized by the symbol (C).

The Structure of The Linguistic Material Between Method and Meaning in The Doha Dictionary - Criticism and Construction

(The Article of "dakhal" as an Example)

Prof. Dr. Adil Abbas Alnasrawi

College of Basic Education / University of Kufa

Abstract:

The researcher presented in this research his own vision in the construction of the linguistic material in the linguistic lexicon when it is characterized by historical, and it was taken from the material (dakhal) in the Doha Historical Dictionary of the Arabic language an example of clarifying this vision by studying it as it represents one of the building blocks of this lexicon. The researcher found that there are some observations that must be worked on to reconstructing the linguistic material in terms of the historical sequence of the meanings' evolution of the vocabulary and the impact of the witness in it and other issues on which the historical lexicon of the Arabic language is built on.

The Doha Historical Dictionary of Arabic: Insights and Solutions

Prof. Dr. Isam Kadhum Alghalibi

University of Kufa

Abstract:

Perhaps one of the most important historical dictionaries, whose accomplishment has been announced and whose form has become observable, is the Doha Historical Dictionary, which is supervised by the State of Qatar. Its importance appears in two aspects: the first is the followed approach in its writing and the wonderful introduction that paved the way for it, and the other is that senior specialist professors who are referred to as eminent participated in its achievement, as well as the participation of the team work in specialized courses in this field and the provision of all the requirements they need.

After reviewing part of what was published from this blessed work on the official website on the Internet and reading it systematically and scientifically, a set of methodological and scientific observations meant to the researcher (from the experience he gained over five years of his work as a member of a scientific committee tasked with composing the Dean's Historical Dictionary of the Words of the Holy Qur'an, which the Dean Scientific Foundation of Al-Abbas's (p) Holy Shrine had the honour for this achievement).

The researcher thought about collecting these observations in a research called (The Doha Historical Dictionary, Takes and Solutions). In collecting its material, he relied on the published dictionary that included fifteen roots from Bab al-Hamza, which are (Abb, Abt, Abth, Abj, Abh, Abkh, Abd, Abth, Abr, Abz, Abs, Absh, Abas, Abadh, Abat) and the nature of the research requires dividing it into six demands:

The first was specified to speech, on the basis that the word to be explained is one thing and the example is another thing. While the second requirement is concerned with speaking on the repetition in meaning with different words and the root is the same, or the word is the same and the meanings are repeated. The third requirement is devoted to speak on the transfer from dictionaries without text from the Arabs. However, the fourth requirement deals with diagnosing the words and texts of scholars from outside the period specified by the members of writing the lexicon and said that it ends at about 200AH in the first stage of the lexicon, which is the published one. The fifth requirement is devoted to scientific issues, and the last demand is devoted to scattered methodological issues.

The research contained clear examples of all the above mentioned, and the researcher tried to propose solutions to eliminate these complaints, but it did not help the interest and importance of this dictionary.

The Multiplicity of Meaning and The Courage of Arabic Language- Embedding and Alternation as Two Models

Prof. Dr. Hassan Mandeel Hassan Al-Ugaili

College of Education for Girls / University of Baghdad

Abstract:

The research deals with two linguistic phenomena that indicate the flexibility and content of the linguistic system of Arabic language, as it is explained by two different interpretations, and the phenomenon is one, which is when the load on the meaning and the alteration between prepositions in the structure, such as: (Allah hears whoever praises Him) since the verb (hear) includes the meaning of respond because the verb (hear) does not exceed the lam and this is embedding. The two phenomena may meet in one structure as the Almighty’s saying: (A spring of which the righteous will drink). They say that the letter (baa) stands on behalf of the letter (from), and this is to alternate. As for the embedding, it includes the verb (drink) in the sense that it is to drink with it. The two phenomena indicate the capacity, courage, flexibility and vitality of the Arabic Language. The two subjects are one stylistic phenomenon but they differ in their interpretation, direction and terminology.

The Population of Baghdad and Their Social Conditions in The Works of Foreign Travelers and Writers

Prof. Dr. Abbas Fadhil Al- Saadi

Abstract:

The research aims to shed light on the population of Baghdad in the books of foreign travelers and writers, and estimates their numbers in different eras by adopting the descriptive-historical method. Their number was estimated at the time of Harun al-Rashid (786-809 AD) at about half a million and was decreased when it fell into the hands of the Savavids in 1508 to only 30,000 people. Teixeira (1604) described its inhabitants as civilized Arabs and other minorities. Then their number decreased to half according to Tavernier's estimates in 1652, as this stage represented a collapse in its cultural landmarks. After 142 years, its population increased to 100,000, as Olivier indicated. But after the flood and plague that occurred after the rule of Dawud Pasha (after 1831), the population of the city decreased to 27 thousand people, as mentioned by the missionary (Kroves). The number began to increase to 60 thousand people, as indicated by Felix Jones in 1853. At the time of Midhat Pasha, the mentioned number doubled, and Lorimer estimated their number in 1905 at about 140 thousand people.

According to official statistics, the population of Baghdad city in 1937 was about 367,000, excluding the foreigners and more than half a million people according to the 1947 census. And this number doubled according to the census of 1957. And in the census of 1965, the figure was (1.6 million), and about double this number (3.2 million) in the census of 1977. Ten years later, the number rose to (3.8 million) and a decade later, the number reached 4.5 million. According to estimates of the year 2021, the population of Baghdad city reached 6.5 million, which represents 74% of the population of Baghdad Governorate, which numbered about 8.8 million people. The most prominent thing that Baghdad noticed after 2003 was the increase in the number of slums in them to 1022 slums, i.e. more than a quarter (28%) of the number of slums in Iraq due to the increasing migration to the city, especially from the southern of Iraq.

The Relative Clause is Not a Sentence

Prof. Dr. Saeed Jasim Alzubaidi

College of Arts and Sciences / University of Nizwa

Abstract:

This research deals with a grammatical issue that has prevailed in grammar books since it has been adopted by Ibn Hisham who classified sentences grammatically. According to this classification, sentences are divided into two types: some are grammatical with full meaning and others such as relative clauses are not. This point of view has been also adopted by Al-Akhfash, Alfara and Al-Tibri. All these grammarians have come to the conclusion that the relative clause is not a sentence.

Grammatical Puzzles between Affectation and Practice
(Al-Afzari Book as a Model)

Prof. Dr. Mahdi Saleh Sultan

College of Arts / University of Imam Jaafar Al-Sadiq "pbuh"

Abstract:

A nice uncommon grammatical book that shows the mastery of its author of the Arabic sciences, this scholar who did not take what he deserves from the reputation, nor his publications of investigation, publication and dissemination, despite his diligence and knowledge in medicine, religion and linguistics, as described by those who referred to these works. Biographers and informants mentioned only a little about him and his publications, and this book that we are reviewing is a form of grammatical thinking and practice on its issues within the grammatical systems that are concerned with presenting puzzles, and whose work was attributed to before the seventh century AH, as they were using the Arabic way of riddles' composition once, on other hand, they added to it different ways: correction, reversal, deletion and alteration, to beautify them with puns, thus increasing their creativity.

As for Al-Afzari, in his explanation of riddles' verses, he showed the distortion of some words, and clarified the mystery of the hidden subtle relationships between the parts of their structures, which enigma created in his riddle, and investigated the paths of intended strangeness and deliberated complexity, demonstrating what appeared to be a contradiction in his ability to discover. We can call such verses: the art of pretentious confusion and organized enigma, and our explainer come to show his reader the skills of puzzles' mastery.



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No. 3

Vol. 69

Muharram 1444
August 2022